



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

العلماء



رسالة
عليكم يا صابرين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ

السيد لطيف القزويني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ

كاتب:

لطيف قزوينى

نشرت فى الطبعاءة:

موسسه تحقيقات و نشر معارف اهل البيت (ع)

رقمى الناشر:

مركز القائمىة باصفهان للتحريات الكمبيوترىة

٣٥	صفحة ٢١
٣٦	صفحة ٢٢
٣٧	صفحة ٢٣
٣٨	صفحة ٢٤
٣٩	صفحة ٢٥
٤٠	صفحة ٢٦
٤٠	صفحة ٢٧
٤١	صفحة ٢٨
٤٢	صفحة ٢٩
٤٣	صفحة ٣٠
٤٤	صفحة ٣١
٤٥	صفحة ٣٢
٤٦	صفحة ٣٣
٤٧	صفحة ٣٤
٤٨	صفحة ٣٥
٤٩	صفحة ٣٦
٥٠	صفحة ٣٧
٥١	صفحة ٣٨
٥٢	صفحة ٣٩
٥٣	صفحة ٤٠
٥٤	صفحة ٤١
٥٥	صفحة ٤٢
٥٦	صفحة ٤٣
٥٧	صفحة ٤٤

٥٨	صفحة ٠٤٥
٥٩	صفحة ٠٤٦
٦٠	صفحة ٠٤٧
٦١	صفحة ٠٤٨
٦٢	صفحة ٠٤٩
٦٣	صفحة ٠٥٠
٦٤	صفحة ٠٥١
٦٥	صفحة ٠٥٢
٦٥	صفحة ٠٥٣
٦٦	صفحة ٠٥٤
٦٧	صفحة ٠٥٥
٦٨	صفحة ٠٥٦
٦٩	صفحة ٠٥٧
٧٠	صفحة ٠٥٨
٧١	صفحة ٠٥٩
٧٢	صفحة ٠٦٠
٧٣	صفحة ٠٦١
٧٤	صفحة ٠٦٢
٧٥	صفحة ٠٦٣
٧٥	صفحة ٠٦٤
٧٦	صفحة ٠٦٥
٧٧	صفحة ٠٦٦
٧٨	صفحة ٠٦٧
٧٩	صفحة ٠٦٨

٨٠	صفحة ٠٦٩
٨١	صفحة ٠٧٠
٨٢	صفحة ٠٧١
٨٣	صفحة ٠٧٢
٨٤	صفحة ٠٧٣
٨٥	صفحة ٠٧٤
٨٦	صفحة ٠٧٥
٨٧	صفحة ٠٧٦
٨٨	صفحة ٠٧٧
٨٩	صفحة ٠٧٨
٩٠	صفحة ٠٧٩
٩١	صفحة ٠٨٠
٩٢	صفحة ٠٨١
٩٣	صفحة ٠٨٢
٩٤	صفحة ٠٨٣
٩٥	صفحة ٠٨٤
٩٦	صفحة ٠٨٥
٩٦	صفحة ٠٨٦
٩٧	صفحة ٠٨٧
٩٨	صفحة ٠٨٨
٩٩	صفحة ٠٨٩
١٠٠	صفحة ٠٩٠
١٠١	صفحة ٠٩١
١٠٢	صفحة ٠٩٢

١٠٣	صفحة ٠٩٣
١٠٤	صفحة ٠٩٤
١٠٥	صفحة ٠٩٥
١٠٦	صفحة ٠٩٦
١٠٧	صفحة ٠٩٧
١٠٨	صفحة ٠٩٨
١٠٩	صفحة ٠٩٩
١١٠	صفحة ١٠٠
١١١	صفحة ١٠١
١١٢	صفحة ١٠٢
١١٣	صفحة ١٠٣
١١٤	صفحة ١٠٤
١١٥	صفحة ١٠٥
١١٦	صفحة ١٠٦
١١٧	صفحة ١٠٧
١١٨	صفحة ١٠٨
١١٩	صفحة ١٠٩
١٢٠	صفحة ١١٠
١٢١	صفحة ١١١
١٢٢	صفحة ١١٢
١٢٣	صفحة ١١٣
١٢٤	صفحة ١١٤
١٢٥	صفحة ١١٥
١٢٦	صفحة ١١٦

١٢٨	صفحة ١١٧
١٢٩	صفحة ١١٨
١٣٠	صفحة ١١٩
١٣١	صفحة ١٢٠
١٣٢	صفحة ١٢١
١٣٣	صفحة ١٢٢
١٣٤	صفحة ١٢٣
١٣٥	صفحة ١٢٤
١٣٦	صفحة ١٢٥
١٣٧	صفحة ١٢٦
١٣٨	صفحة ١٢٧
١٣٩	صفحة ١٢٨
١٤٠	صفحة ١٢٩
١٤١	صفحة ١٣٠
١٤٢	صفحة ١٣١
١٤٣	صفحة ١٣٢
١٤٤	صفحة ١٣٣
١٤٥	صفحة ١٣٤
١٤٦	صفحة ١٣٥
١٤٧	صفحة ١٣٦
١٤٨	صفحة ١٣٧
١٤٩	صفحة ١٣٨
١٥٠	صفحة ١٣٩
١٥١	صفحة ١٤٠

١٥٢	صفحة ١٤١
١٥٣	صفحة ١٤٢
١٥٤	صفحة ١٤٣
١٥٥	صفحة ١٤٤
١٥٦	صفحة ١٤٥
١٥٧	صفحة ١٤٦
١٥٨	صفحة ١٤٧
١٥٩	صفحة ١٤٨
١٦٠	صفحة ١٤٩
١٦١	صفحة ١٥٠
١٦٣	صفحة ١٥١
١٦٤	صفحة ١٥٢
١٦٥	صفحة ١٥٣
١٦٦	صفحة ١٥٤
١٦٧	صفحة ١٥٥
١٦٨	صفحة ١٥٦
١٦٩	صفحة ١٥٧
١٧٠	صفحة ١٥٨
١٧١	صفحة ١٥٩
١٧٢	صفحة ١٦٠
١٧٣	صفحة ١٦١
١٧٤	صفحة ١٦٢
١٧٥	صفحة ١٦٣
١٧٦	صفحة ١٦٤

١٧٧	صفحة ١٦٥
١٧٨	صفحة ١٦٦
١٧٩	صفحة ١٦٧
١٨٠	صفحة ١٦٨
١٨١	صفحة ١٦٩
١٨٢	صفحة ١٧٠
١٨٣	صفحة ١٧١
١٨٤	صفحة ١٧٢
١٨٥	صفحة ١٧٣
١٨٦	صفحة ١٧٤
١٨٧	صفحة ١٧٥
١٨٨	صفحة ١٧٦
١٨٩	صفحة ١٧٧
١٩٠	صفحة ١٧٨
١٩١	صفحة ١٧٩
١٩٢	صفحة ١٨٠
١٩٣	صفحة ١٨١
١٩٤	صفحة ١٨٢
١٩٥	صفحة ١٨٣
١٩٦	صفحة ١٨٤
١٩٧	صفحة ١٨٥
١٩٨	صفحة ١٨٦
١٩٩	صفحة ١٨٧
٢٠٠	صفحة ١٨٨

٢٠١	صفحة ١٨٩
٢٠٢	صفحة ١٩٠
٢٠٣	صفحة ١٩١
٢٠٤	صفحة ١٩٢
٢٠٥	صفحة ١٩٣
٢٠٦	صفحة ١٩٤
٢٠٧	صفحة ١٩٥
٢٠٨	صفحة ١٩٦
٢٠٩	صفحة ١٩٧
٢١٠	صفحة ١٩٨
٢١٠	صفحة ١٩٩
٢١١	صفحة ٢٠٠
٢١٢	صفحة ٢٠١
٢١٣	صفحة ٢٠٢
٢١٤	صفحة ٢٠٣
٢١٥	صفحة ٢٠٤
٢١٦	صفحة ٢٠٥
٢١٧	صفحة ٢٠٦
٢١٨	صفحة ٢٠٧
٢١٩	صفحة ٢٠٨
٢٢٠	صفحة ٢٠٩
٢٢١	صفحة ٢١٠
٢٢٢	صفحة ٢١١
٢٢٢	صفحة ٢١٢

٢٢٣	صفحة ٢١٣
٢٢٤	صفحة ٢١٤
٢٢٥	صفحة ٢١٥
٢٢٦	صفحة ٢١٦
٢٢٧	صفحة ٢١٧
٢٢٨	صفحة ٢١٨
٢٢٩	صفحة ٢١٩
٢٣٠	صفحة ٢٢٠
٢٣١	صفحة ٢٢١
٢٣٢	صفحة ٢٢٢
٢٣٣	صفحة ٢٢٣
٢٣٤	صفحة ٢٢٤
٢٣٥	صفحة ٢٢٥
٢٣٦	صفحة ٢٢٦
٢٣٧	صفحة ٢٢٧
٢٣٨	صفحة ٢٢٨
٢٣٩	صفحة ٢٢٩
٢٤٠	صفحة ٢٣٠
٢٤١	صفحة ٢٣١
٢٤١	صفحة ٢٣٢
٢٤٢	صفحة ٢٣٣
٢٤٣	صفحة ٢٣٤
٢٤٤	صفحة ٢٣٥
٢٤٥	صفحة ٢٣٦

٢٤٦	صفحة ٢٣٧
٢٤٧	صفحة ٢٣٨
٢٤٨	صفحة ٢٣٩
٢٤٩	صفحة ٢٤٠
٢٥٠	صفحة ٢٤١
٢٥١	صفحة ٢٤٢
٢٥٢	صفحة ٢٤٣
٢٥٣	صفحة ٢٤٤
٢٥٤	صفحة ٢٤٥
٢٥٥	صفحة ٢٤٦
٢٥٦	صفحة ٢٤٧
٢٥٧	صفحة ٢٤٨
٢٥٨	صفحة ٢٤٩
٢٥٩	صفحة ٢٥٠
٢٥٩	صفحة ٢٥١
٢٦٠	صفحة ٢٥٢
٢٦١	صفحة ٢٥٣
٢٦٢	صفحة ٢٥٤
٢٦٣	صفحة ٢٥٥
٢٦٤	صفحة ٢٥٦
٢٦٥	صفحة ٢٥٧
٢٦٦	صفحة ٢٥٨
٢٦٧	صفحة ٢٥٩
٢٦٨	صفحة ٢٦٠

٢٤٨	صفحة ٢٤١
٢٤٩	صفحة ٢٤٢
٢٧٠	صفحة ٢٤٣
٢٧١	صفحة ٢٤٤
٢٧٢	صفحة ٢٤٥
٢٧٤	صفحة ٢٤٦
٢٧٤	صفحة ٢٤٧
٢٧٥	صفحة ٢٤٨
٢٧٦	صفحة ٢٤٩
٢٧٧	صفحة ٢٧٠
٢٧٨	صفحة ٢٧١
٢٧٩	صفحة ٢٧٢
٢٨٠	صفحة ٢٧٣
٢٨١	صفحة ٢٧٤
٢٨٢	صفحة ٢٧٥
٢٨٣	صفحة ٢٧٦
٢٨٤	صفحة ٢٧٧
٢٨٥	صفحة ٢٧٨
٢٨٦	صفحة ٢٧٩
٢٨٧	صفحة ٢٨٠
٢٨٨	تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ

إشارة

نوع: كتاب

يديد آور: لطيف قزويني قرن ١٣ق.

عنوان و شرح مسئوليت: رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ [منبع الكترونيكي] / بقلم لطيف القزويني

ناشر: موسسه تحقيقات و نشر معارف اهل البيت (ع)

توصيف ظاهري: ١ متن الكترونيكي: بايگاني HTML؛ داده هاي الكترونيكي (٢٨٠ بايگاني: ١٢١٥.٩KB)

يادداشت: كتابنامه به صورت زيرونويس

صفحة ١٠١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١

بقلم السيد لطيف القزويني بسم الله الرحمن الرحيم.

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ.

الهاشميون في الجاهلية والإسلام.

الفصل الأول:

١ - تعريف الهاشميين.

٢ - الهاشميون في الجاهلية.

٣ - الهاشميون قبل الهجرة.

٤ - الهاشميون بعد الهجرة.

٥ - أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

٦ - النصوص الشرعية النازلة في حقهم.

٧ - عمداء بني هاشم.

٨ - جهاد بني هاشم للحكام الظلمة.

٩ - الهاشميون: بموت قصي بن كلاب قام ابنه عبد مناف مكانه لزعامه قريش، وإليه آلت أمور قريش. ومن أولاد عبد مناف: عبد

المطلب بن عبد مناف، وهاشم بن عبد مناف، وعبد شمس بن عبد مناف، ونوفل بن عبد مناف (١).

وعلى بني عبد مناف اقتضرت دعوة رسول الله (ص) حين أنزلت آية: (وأندر عشيرتك الأقربين)، إذ صعد رسول الله (ص). حتى علا

المروة ونادى: آل فهر، فتراجع بنو محارب، وبنو الحارث وبنو تيم وبنو عامر وبنو عدى وبنو سهم وبنو جمح وبنو مخزوم وبنو تيم بن

مرة وبنو زهرة، ولم يبق إلا بنو عبد مناف، عندئذ قال الرسول (ص):

إن الله أمرني أن أندر عشيرتي الأقربين، وأنتم الأقربون من قريش، إني والله لا أملك لكم من الله حظا ولا من الآخرة نصيبا، إلا أن

تقولوا: لا إله إلا الله، فأشهد لكم بها عند ربكم، وتدين لكم العرب، وتذل لكم العجم.

وهكذا يتبين لنا أن عشيرة رسول الله (ص) الأقربين هم بنو عبد مناف (٢). ويبدو واضحا أن الرئاسة الفعلية على قريش قد آلت لأولاد

عبد مناف بعد أبيهم، وأنهم قد ورثوا رئاسة أبيهم الأديب على العرب، فكان يقال لهم المجبرون، فهم أول من أخذ لقريش العصم،

١ - راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١، ص ٧٥.

٢ - راجع السيرة الحلبية ج ١، ص ٧: والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢، ص ١٨١ وج ١، ص ٧٤.

(١)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، بنو هاشم (٢)، الجهل (٢)، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (٢)

صفحة ٠٠٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢

فانتشروا بتجارتهم من الحرم، وكان يقال لهاشم وإخوانه الثلاثة أقداح النضار، ويقال لهم المجيرون، لفخرهم وسيادتهم على العرب. لقد انقسم الإخوة الأربعة إلى فريقين، فشكل هاشم وعبد المطلب فريقا، وشكل عبد شمس ونوفل فريقا آخر. ووقف الفريق الثاني ضد الأول، وأخذ أحفاد الفريق الثاني يجهرون بمشاعر الإحتجاج والحسد، ولم تتوقف هذه المشاعر حتى [بظهور الإسلام، بل ازدادت توهجا وحدة، فقد عز على أحفاد الفريق الثاني أن يكون النبي (ص) من بني هاشم ولا يكون منهم، فحاولوا وبكل الوسائل المتاحة صرف شرف النبوة عن بني هاشم، أو إجهاض هذا الشرف، فوحدوا قريش ضد النبي (ص) وضد بني هاشم، تحقيقا لهذه الغاية، فحاصرت قريش - بزعامه بنى عبد شمس وبنى نوفل - بني هاشم، واشتركوا بمؤامرة، لقتل النبي (ص) ليلة هجرته (١). وبعد الهجرة أشعلت قريش نار الحرب على النبي (ص)، وكان أبو سفيان حفيد عبد شمس هو القائد العام لجيوش الشرك، وكان بنوه وأبناء عمومته الأمويون هم أركان قيادة جيوش الشرك.

ساد هاشم [قريشا] بعد أبيه فحسده ابن أخيه أمية، فتكلف أن يصنع ما يصنع هاشم، ولكنه عجز عن مجاراة هاشم، فغيرته قريش، فادعى أمية أنه أشرف من هاشم ودعاه للمنافرة، فأبى هاشم ذلك لعلو شرفه، ولأن أمية ابن أخيه وبمثابه ابنه، فلم تدع قريش الرجلين حتى تنافرا إلى كاهن خزاعة، واشترطا أن يدفع الخاسر بالمنافرة إلى الآخر مئة ناقة سود الحدق، وأن يجلو عن مكة عشر سنين، وتوجه الفريقان إلى كاهن خزاعة، وقبل أن يخبروا الكاهن بأمرهما قال: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية بالمفاخر. وهكذا خسر أمية، ودفع النوق إلى هاشم فنحراها، وأطعم الناس، وجلا أمية عشر سنين إلى بلاد الشام، تنفيذًا لشروط المنافرة، ومع هذا فقد بقي الهاشميون والأمويون كقرسى رهان.

ولما سمع الأمويون أن أحدا من أبناء عبد مناف سيكون نبيا، واعتقد أبو سفيان أنه أصلح ذرية عبد مناف للنبوة طمع فيها. وعندما أعلن محمد (ص) الهاشمي نبأ نبوته، جن جنون أبي سفيان، وعارض ذلك بشدة، وحسدت قريش الهاشميين على هذا الشرف، فوقفت وقفه رجل واحد بقيادة بنى أمية ضد النبي (ص) وضد بني هاشم، فحاصرتهم وتآمرت على قتل النبي (ص)، وناصرهم العداء طوال فترة الدعوة في مكة المكرمة.

وبعد الهجرة جيشت قريش الجيوش لحرب النبي (ص)، وأسندت قيادة تلك الجيوش لبني أمية.

وخلال حرب قريش مع النبي (ص)، قضى الهاشميون على زعامه بنى أمية، وزعامه

١ - راجع طبقات ابن سعد ج ١، ص ٢٠٢ - ٢٠٣: والسيرة الحلبية ج ١، ص ٣٣٦.

(٢)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٩)، الدولة الأموية (٢)، مدينة مكة المكرمة (٢)، بنو أمية (٣)، بنو هاشم (٥)، الشام (١)، القتل (١)، الحرب (٢)، الخسران (١)

صفحة ٣٠٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٣

قريش، فتأججت نيران الكراهية والحسد والحقد على بني هاشم، ولم تستسلم قريش ولا بنو أمية، إلا بعد أن دخل جيش النبي (ص) مكة المكرمة. فأسلموا مكرهين (... ١).

هاشم سيد العرب في الجاهلية، وعميد قريش:.

الهاشميون: هم أولاد عمرو العلاء بن عبد مناف الملقب بهاشم، لأنه كان [يهشم الخبز ويثرده في الغموس] ليطعم الناس ويشبعهم، وهو أول من سن الرحلتين لقريش، إحداهما في الشتاء إلى اليمن والحبشة، فيكرمه النجاشي ويحبوه، ورحلة في الصيف إلى بلاد الشام وغزة، فيدخل على قيصر فيكرمه ويحبوه أيضا، وفي السنين العجاف لم يكن لمكة غير هاشم. وكان يقال له سيد البطحاء، وأبا البطحاء، ولم ترل مائدته منصوبة لا- ترفع في السراء والضراء، وكان يحمل ابن السبيل، ويؤمن الخائف، وكان إذا أهل هلال ذي الحجة، قام صبيحته وأسند ظهره للكعبة من تلقاء بابها فيخطب، ومن ضمن قوله: يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله الحرام، ... إلى أن يقول وأسألکم بحرمه هذه البنية ألا يخرج رجل منكم من ماله إلا طيبا، لم يؤخذ بظلم، ولم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ فيه غصبا (٢).

وكان لكرم هاشم العجيب أن تغنى به الشعراء.

ذرية هاشم:.

أما ذرية هاشم من البنين والبنات فهم:.

١ - شبيهة الحمد (عبد المطلب بن هاشم) وهو جد الرسول الأعظم (ص)، وسيد قريش حتى مات.

٢ - عمرو أبو صيفي.

٣ - أسد بن هاشم.

٤ - نفل بن هاشم.

٥ - رقية.

٦ - الشفاء.

٧ - الضعيفة.

٨ - خالدة.

١ - راجع طبقات ابن سعد ج ١، ص ٧٦، ج ١، ص ٢٠٨ - ٢١٠: والسيرة الحلبية ج ١، ص ١٤ - ١٥ وج ١، ص ٨٠ وج ١، ص ٣٣٦.

٢ - راجع الطبقات لابن سعد ج ١، ص ٧٨ والسيرة الحلبية ج ١، ص ٦.

(٣)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، مدينة مكة المكرمة (٢)، بنو هاشم (١)، الشام (١)، الخوف

(١)، الجهل (١)، الهلال (١)

صفحة ٣٠٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٤

٩ - حنة (١).

كانت بطون قريش قد اتفقت في الجاهلية على صيغة سياسية اقتسمت بموجبها مناصب الشرف، وأجمعت على أن تكون السقاية والرفادة لهاشم (٢).

عبد المطلب على دين إبراهيم في الجاهلية.

بعد موت هاشم ساد ابنه عبد المطلب على قومه، وكان يدعى شبيهة الحمد، لكثرة حمد الناس له، ويقال له الفياض لجوده، وهو يطعم طير السماء، وكان يرفع مائدة للطير، ومائدة للوحوش على رؤوس الجبال، وهو حليم قريش وحكيمها، وكان سيّدا، مطاعا (٣).

تتابعت على قريش سنون عجاف، وبناء على اقتراح رقية بنت أبي صيفى بن هاشم، خرج عبد المطلب وجميع ولده، وخرج معه من كل بطن من بطون قريش رجل، فتطهروا وتطيّبوا، واستلموا الركن ثم راحوا إلى رأس أبي قيس، وتقدم عبد المطلب فاستسقى، وأمن ومن معه خلفه والنبي (ص) معهم، فقال عبد المطلب: اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنات إمائك، فقد نزل بنا ما ترى، وتتابعت علينا السنون، فذهبت بالظلف والخف، وأشفت على الأنفس، فأذهب عنا هذا الجذب، وآتنا بالحيا والخصب. فما برحوا مكانهم حتى سألت الأودية. وبذلك تقول رقية بنت أبي صيفى:.

شبيهة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد فقد الحيا واجلوز المطر (٤).

كان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيا الأمور، وكان يقول: لن يخرج من الدنيا ظلم حتى ينتقم الله منه، وتصيبه عقوبة...، إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء بإساءته، و[إن عبد المطلب] [رفض عبادة الأوثان، ووجد الله سبحانه وتعالى (٥)]. ومن سننه في الجاهلية الوفاء بالندب، ومنع نكاح المحارم وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤودة، وتحريم الخمر والزنا، وأن لا يطوف في البيت عريان، وكان يكرم الجار، ويرعى الذمام. فقد قاطع حرب بن أمية لأنه قتل جاره اليهودي، وترك منادمة حرب، ولم يفارقه حتى أخذ منه مئة ناقه، دفعها لابن عم اليهودي حفظا لجاره (٦). وكان له أمر السقاية

١ - راجع الطبقات لابن سعد ج ١، ص ٨٠.

٢ - الطبقات الكبرى ج ١، ص ٧٨.

٣ - السيرة الحلبية ج ١، ص ٤.

٤ - راجع تاريخ الطبري ج ٢، ص ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٩: والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١.

٥ - السيرة الحلبية ج ١، ص ٤: وتاريخ الطبري ج ٢، ص ١٧٩.

٦ - السيرة الحلبية ج ١، ص ٤.

(٤)

مفاتيح البحث: مكارم الأخلاق (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الإنتقام، النعمة (١)، النهي (١)، الظلم (١)، الطواف، الطوف، الطائفه (١)، القتل (١)، الطعام (١)، الجهل (٣)، الحرب (٢)، السرقة (١)، الرفض (١)، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (٢)، كتاب تاريخ الطبري (٢)

صفحة ٥٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٥

والرفادة، وهو الذي كشف ماء زمزم، واستخرج ما كان مدفونا فيها، مجسمتين لغزالين من الذهب وأسيافا، فجعل الأسياف بابا للكعبة، وضرب على الباب الغزالين، فكان أول حليته ذهبا... وكان يحرم أكل الميتة (١).

أولاد عبد المطلب.

وهم:

١ - الحارث، ٢ - الزبير، ٣ - عبد مناف (أبو طالب)، ٤ - عبد الله والد الرسول الأكرم (ص)، ٥ - الحمزة، ٦ - أبو لهب، ٧ - القيدان، ٨ - المقدم، ٩ - ضرار، ١٠ - العباس.

عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول الأعظم (ص).

عبد الله وعبد مناف (أبو طالب) والزبير هم إخوة أشقاء، وأمهم فاطمة بنت عائد بن عمران بن مخزوم. كان عبد الله قد نذر أنه إن توافر له عشرة رهط أن ينحر أحدهم، فلما توافر له عشرة، أقرع بينهم فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول (ص)، وكان أحب الناس إليه، فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مئة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين مئة من الإبل، فطارت القرعة على المئة من الإبل.

ولما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه، مر على كاهنه من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر، وهي امرأة متهودة قرأت الكتب، قرأت في وجهه نورا... فدعته ليستبضع منها ولزمت طرفه، فأبى ونظر إليها قائلاً: أما الحرام فالممات دونه (٢).

النصوص على مولد الرسول الأكرم (ص) في القرآن الكريم.

قال تعالى: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) (٣).

وقال تعالى: (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) (٤).

١ - السيرة الحلبية ج ١، ص ٤: والطبقات لابن سعد ج ١، ص ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ وتاريخ الطبري ج ١، ص ١٧٩.

٢ - تاريخ الطبري ج ٢، ص ١٧٢ - ١٧٥: والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١، ص ٨٨ و ٩٦.

٣ - الأعراف: الآية ١٥٧.

٤ - البقرة: الآية ٨٩.

(٥)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، القرآن الكريم (١)، الأكل (١)، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)

صفحة ٥٠٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٦

وقال تعالى: (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) (١).

وقال تعالى: (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين) (٢).

البشائر بمولده (ص) في الكتب السماوية الأخرى.

على الرغم من التحريف الذي تحمله الأناجيل المتداولة، فإن ما وصل منها بأيدينا لا زال يحمل البشارة بمولد النور العظيم (ص)، ومع

ذلك فإن مترجمى الأناجيل حاولوا أن يحرفوا ذلك أيضا، كما سيتضح فيما يلي:.

جاء فى إنجيل يوحنا:.

(إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الأب فيعطىكم بارقليط - معزا - آخر ليمكث معكم إلى الأبد) (٣).

(وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى، فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم) (٤).

(لا أتكلّم أيضا معكم كثيرا، لأن رئيس هذا العالم يأتى، وليس له فى شئ) (٥).

(إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذلك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع

الحق: لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية، ذلك يمجدنى لأنه يأخذ ممالى ويخبركم) (٦).

وبالتأمل فى هذه النصوص نجد أنها تشير إلى:.

١ - أن المسيح (ع) يوصى ويبشر بمجى معز بعده.

٢ - وأن مجيئه مشروط بذهابه.

٣ - وأنه مرسل من قبل الله تعالى.

٤ - وأنه يعلم كل شئ.

٥ - وأنه يذكر بما قاله المسيح (ع).

١ - البقرة: الآية ١٠١.

٢ - الصف: الآية ٦ و ٧.

٣ - إنجيل يوحنا / الإصحاح ١٤ سطر ١٥ / جمعية الكتاب المقدس بيروت.

٤ - إنجيل يوحنا / الإصحاح ١٤ سطر ٢٥ / جمعية الكتاب المقدس بيروت.

٥ - إنجيل يوحنا / الإصحاح ١٤ سطر ٣٠ و ٣١.

٦ - إنجيل يوحنا / الإصحاح ١٦ سطر ١٢ - ١٥.

(٦)

مفاتيح البحث: النبى عيسى بن مريم عليهما السلام (٢)، الكذب، التكذيب (١)، الظلم (١)، مدينة بيروت (٢)

صفحة ٧٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٧

٦ - وأنه يشهد للمسيح (ع).

٧ - وأن العالم سيتبع دينه.

٨ - وأنه لا يتكلم من نفسه، بل يتكلم بما يسمع.

٩ - وأنه يخبر بأمر آتية.

١٠ - وأنه يمجد المسيح (ع).

١١ - وأنه يبقى معهم إلى الأبد.

وإذا راجعنا صفات رسول الله (ص) نجد أنها تنطبق عليه تماما، فإنه صلوات الله عليه وعلى آله يحمل القرآن المجيد الذى هو (تبيان

لكل شئ)، ويخبر عن أمور آتية وقعت بعد نزوله، وإنه يشهد للمسيح (ع) بالنبوة والرسالة ويمجده (ع)، وهو لا يتحدث من نفسه بل

بما يوحى إليه: (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) (١).

وذلك ينطبق حرفيا مع ما أثبتته القرآن من كلام المسيح (ع) إلى بنى إسرائيل: (وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد) (٢).

ولقد تجلت هذه الحقائق لدى كل منصف وباحث عن الحق يريد الاستجابة لدعوة الهدى، كالنجاشي ملك الحبشة المسيحي، الذي استجاب لكلمة الحق حينما وجه إليه رسول الله (ص) كتابا يدعو فيه للإيمان، ويحثه على الدخول في الإسلام. وقد سجل النجاشي كلمته الخالدة التي يحفظها التاريخ: (أشهد الله أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب) (٣).

وهذا عبد الله بن سلام الذي أعلن إسلامه وشهد بما في التوراة من بشارة نبوة محمد (ص) وكان من علماء بنى إسرائيل، فسجل الوحي هذه الشهادة بقوله:.

(قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (٤).

فهذا أبو الأنبياء إبراهيم (ع) بشر قبل موسى وعيسى بالبعث، ودعا ربه أن يبعث في هذه الأمة نبيا منها، هاديا ومنقذا، فكانت هذه الدعوة إشارة إلى مجيء نبينا محمد (ص)، وكان القرآن قد كشف عنها في آيتين متناسقتين في الصيغة والمعنى:.

(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) (٥).

١ - النجم: الآية ٣ و ٤.

٢ - الصف: الآية ٦.

٣ - اظهر الحق ج ٢، ص ٢٨١ نقلا عن كتاب الإنجيل يبشر بنبي الإسلام محمد / الصادر عن مؤسسة (في طريق الحق) الدورة الأولى ص ٧.

٤ - الأحقاف: الآية ١٠.

٥ - البقرة: الآية ١٢٩.

(٧)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، النبي إبراهيم (ع) (١)، النبي عيسى بن مريم عليهما السلام (٤)، القرآن الكريم (٣)، عبد الله بن سلام (١)، أهل الكتاب (١)، الشهادة (٥)، البعث، الإنبعث (١)، الصلاة (١)، الخلود (١)

صفحة ٨٠٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٨

(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (١). لذا قال رسول الله (ص): أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام (٢).

وعند التأكيد على شخصية النبي الموعود (ص) فإن النبوءة الأخرى المنسوبة إلى موسى تتحدث عن (نور الله المشع، القادم من فاران) (٣). ثم إن الكلمات الواردة في التوراة وهي الفصل ٣٣، الجملة ٢ تنص على: وجاء الرب من سيناء وأشرق لها من ساعير، وتلاها قداما من جبل فاران، وجاء معه عشرة آلاف قديس، ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم.

وفي نص آخر نقرأ تصريحاً واضحاً، وتبشيراً صريحاً باسم النبي (ص):.

(وخلال تلك الفرصة النادرة أرسل الله خادم النبي (حجى)، ليسرى عن هؤلاء المحزونين، ومعه هذه الرسالة المهمة: ولسوف أزلزل كل الأمم، وسوف يأتي (أحمد HAMADA) لكل الأمم، وسوف أملاً هذا البين بالمجد، كذلك قال رب الجنود، ولي الذهب، هكذا يقول رب الجنود، وفي هذا المكان أعطى السلام، هكذا يقول رب الجنود (٤).

ثم تحدث القسيس البروفيسور عبد الأحد الذي أسلم فيما بعد، فقال: عندئذ لا بد من إعتبار هذه النبوءة على أنها صادقة لا إنكار فيها، وأنها مطابقة لشخصية أحمد وبعثته بالإسلام، ذلك لأن كلمتي حمدا وشالوم أو شلاما تؤديان بدقه على نفس الدلالة والأهمية لكلمتي أحمد والإسلام (٥).

عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب موافقه في بداية الدعوة:.

بعد وفاة عبد المطلب بن هاشم آلت زعامته بنى هاشم إلى أبي طالب، وهو عم الرسول (ص) الشقيق لوالده، و[هو] والد الإمام على بن أبي طالب، وبفترة وجيزة سلمت له قريش بالحكمة والزعامه، فصار شيخا لقريش كلها مع أنه فقير الحال.

تكفل أبو طالب رعاية ابن أخيه محمد (ص) وضمه إلى أولاده وهو بسن السادسة من عمره

١ - الجمعة: الآية ٢.

٢ - ذكره السيوطي في الجامع الصغير ج ١، ح ٢٧٠٣.

٣ - فاران: هي قفار مكة، وهي إشارة إلى موطن بعثه الرسول محمد (ص)، وأنه جاء بعشرة آلاف مقاتل في المدينة المنورة لفتح مكة.

٤ - الإصحاح الثاني من سفر حجي / الجملة: ٧ - ٩.

٥ - راجع كتاب محمد في الكتاب المقدس لعبد الأحد داود ص ٥٠.

(٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، النبي عيسى بن مريم عليهما السلام (١)، على بن أبي طالب (١)، بنو هاشم (١)، الصدق (١)، الوفاة (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، المدينة المنورة (١)، القتل (١)، البعث، الإنبعث (١)

صفحة ٠٠٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٩

بعد وفاة عبد المطلب وعبد الله، حتى بلغ الخامسة والعشرين فزوجه، واستقل محمد (ص) بيت خاص. ولما شرف الله رسوله بالنبوة وجهر بها، وقف عمه أبو طالب إلى جنبه بكل نفوذه الأدبي وبكل قواه، فحماه، وتصدى لخصومه.

فقد وحد الهاشميين والمطلبين وشجعهم على حضور أول اجتماع سياسي في دار النبي (ص) بعد قليل من إعلان نبأ النبوة. وهو الذي تصدى لخصوم النبي (ص) في ذلك الاجتماع ولجهم (١). وهو الذي أرسى قواعد تأييد الهاشميين والمطلبين للنبي، وإعلان هذين البطين حمايتهما للنبي ودعوته الخالدة (٢). وهو الذي أعلن أمام قريش بأنها إذا قتلت محمدا فإن الهاشميين والمطلبين سيقاتلون حتى الفناء التام (٣). وهو الذي خاطب النبي أمام قريش قائلا: يا بن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا متى نخرج معك بالسلاح (٤). وهو الذي كان يستقبل بطون قريش ويسمع لمطالبها وينقل رد النبي عليها (٥). وهو الذي قدم بنه للنبي وشجعهم على التضحية بأرواحهم فداء للنبي (٦).

وهو الناطق الرسمي باسم النبي عندما أكلت الأرضة صحيفة المقاطعة، وهو الذي قاد عملية الرجوع من الشعب إلى مكة عندما حوَصر الهاشميون في شعب أبي طالب (٧). وهو شاعر الإسلام وحمى حماه، لذلك فإنك لن تجد عجا إذا سمي رسول الله العام الذي مات فيه أبو طالب بعام الحزن (٨).

حسد قريش ووقوفها ضد النبي ودعوته.

عندما أعلن الرسول الأعظم محمد بن عبد الله الهاشمي (ص) أنباء النبوة والرسالة والكتاب: كانت قريش تتعاش في ظل صيغة سياسية

جاهلية قائمة على اقتسام مناصب الشرف، فكانت السقاية والرفادة لبنى هاشم، وهو منصب من أخطر المناصب آنذاك، وكانت القيادة لبنى هاشم، وكان اللواء لبنى عبد الدار، والسفارة لتيتم ... إلخ (٩).

كانت قريش تشعر بالقلق والحسد من التميز الهاشمي، وتحس بأن هذا التميز يشكل خطراً على الصيغة السياسية، فقد برزت من بنى هاشم شخصيات، فرضت نفوذها الأدبي على قريش خاصة والعرب عامة، فكان هاشم سيد قريش حتى مات، ثم صار عبد المطلب

١ - الكامل لابن الأثير ج ٢، ص ٢٤.

٢ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١، ص ١٨٦.

٣ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١، ص ١٨٦.

٤ - تاريخ يعقوب ج ٢، ص ٢٧.

٥ - رواه ابن إسحاق في سيرته.

٦ - سيرة ابن هشام ج ١، ص ٢٦٥: وتاريخ الطبري ج ٢، ص ٢١٤.

٧ - راجع الغدير ج ٧، ص ٣٠٤ - ٤٠٤.

٨ - تاريخ يعقوب ج ٢، ص ٣٥.

٩ - راجع تفصيل ذلك في كتاب المواجهة لأحمد حسين يعقوب ص ٢٦ وما فوق.

(٩)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، محمد بن عبد الله الهاشمي (١)، شعب أبي طالب (ع) (١)، بنو هاشم (٣)، الموت (١)، الحزن (١)، الخلود (١)، الجهل (١)، الوفاة (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (٢)، كتاب تاريخ الطبري (١)

صفحة ١٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٠

سيدها وحكيمها حتى مات، وكانت قريش تسعى جاهدة لإبطال مفاعيله، فكانت تتكارم لتحاكي الكرم الهاشمي، وتتفاخر لتقلد الفخر الهاشمي، وتتصنع الحكمة لتردم الحكمة الهاشمية.

ولما جهر النبي الأكرم (ص) بالنبوة، فقدت قريش صوابها، وقررت أن تقف وقفة رجل واحد لإبطال النبوة الهاشمية، أو إجهاضها. إلتقى ابن أبي شريف مع أبي جهل فقال له: أترى محمداً يكذب؟ فقال له أبو جهل: كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الأمين، لأنه ما كذب قط؟ ولكن إذا اجتمعت في بنى عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة، ثم تكون فيهم النبوة: فأى شئ يبقى لنا؟ وكان أبو سفيان يقول: كنا وبنو هاشم كفرسى رهان، كلما جاءوا بشئ جئنا بشئ مقابل، حتى جاء منهم من يدعى بخبر السماء فأنى نأتيهم بذلك؟! (١).

لقد اعتبر زعماء قريش عامة والزعماء الأمويون خاصة، أنهم المتضررون من هذا الدين الجديد، فقد اعتبروا - مخطئين - أن النبوة الهاشمية موجهة ضدهم، وأن غايتها منصبه على استبدال زعماء قريش بزعماء محمد الهاشمية، وإقامة ملك محمد على أنقاض ملك قريش، وإلغاء الصيغة السياسية الجاهلية على اقتسام مناصب الشرف بينها، وإلغاء القيادة الأموية، وإقامة نظام جديد يعطى الهاشميين الحق بالتمتع بكل مناصب الشرف وحيازتها، ويعطى لمحمد القيادة بدلا من أبي سفيان، وهكذا ينال الهاشميون شرف النبوة والملك معا (٢).

موقف قريش من الدعوة، وتصدى أبي طالب لها.

اتفقت قريش على معاداة النبي (ص) ودعوته، وكان البطن الأموي أكثر البطون القريشية إندفاعا بهذه المعاداة، فزعمت أن محمدا شاعر، وأنه مجنون وأنه كاهن، وأنه ساحر، وأنه يدعى النبوة ادعاء، وأنه (حاشا له) كاذب، وأن القرآن الذي جاء به ما هو إلا أساطير الأولين، وأنه ينبغي على بني هاشم - إذا ما أرادوا أن ينجوا من غضب قريش - أن يسلموا محمدا لها.

وقد شرعت قريش بسلسلة من الإجراءات ترجمت ترجمه عملية مواقفها المعلنة، كان أخطرها، محاصرة الهاشميين في شعب أبي طالب ثلاث سنين في بداية الدعوة المباركة - لغرض إجهاضها وإخضاع النبي لها - ومقاطعتهم، مما اضطرهم لأن يأكلوا ورق الشجر من الجوع.

وقد اختارت كل بطن من البطون القريشية فتى ليشارك في قتل النبي (ص)، فيضيع دمه بين العشائر، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه.

١ - كما نقلها الحسيني في كتاب (شيعني الحسين) ص ١٠٦ عن ابن الأثير في تاريخه.

٢ - راجع الكامل لابن الأثير ج ٣، ص ٢٤، آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣.

(١٠)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، الدولة الأموية (٢)، شعب أبي طالب (ع) (١)، بنو هاشم (٢)، القرآن الكريم (١)، الكذب، التكذيب (١)، القتل (١)، الأكل (١)، الموت (١)، الجهل (٣)، الإقامة (٢)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ١١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١١

عندما أعلنت بطون قريش الثلاثة والعشرين عن وقوفها وقفه رجل واحد ضد محمد ودينه الجديد: جمع أبو طالب الهاشميين والمطلبين وشكل منهم جبهة واحدة وأعلن باسمهم، بأنهم مع محمد، وأعلن حماية هذين البطين له (١). وأعلن: أما بطون قريش فإنها إن فكرت بقتل محمد فإن الهاشميين والمطلبين سيقاتلون حتى الفناء التام (٢). وأبعد من ذلك فإن أبا طالب قد قال للنبي وباسم الهاشميين والمطلبين، وعلى مسمع من زعامة قريش: يا بن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح (٣).

وزيادة في الإحتياط، فإن أبا طالب كلف أولاده بأن يرافقوا النبي دائما ويفدوه بأرواحهم (٤).

وباسم الهاشميين والمطلبين، واعتمادا على نصرتهم للنبي: خاطب أبو طالب ابن أخيه محمدا (ص) أمام زعامة قريش قائلا:.

والله لن يصلوا إليك بجمعهم - حتى أوسد في التراب دفينا.

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة - وأبشر بذلك وقر منك عيونا.

ودعوتني، فعلمت أنك ناصحي - ولقد دعوت وكنت ثم أمينا.

ولقد علمت بأن دين محمد - من خير أديان البرية دينا (٥).

لقد ملأ أبو طالب بطاح مكة بالتهديد والوعيد، وحذر قريشا من مغبة الحرب حتى الفناء التام: إن هي مست شعرة واحدة من جسد النبي، وقد أشيع يوما بأن محمدا قد قتل، فجمع أبو طالب فتية بني هاشم وبني المطلب وأعطى لكل واحد منهم حديدة صارمة، وكلفه بأن يقف خلف زعيم من زعماء قريش، وأن ينتظروا الإشارة منه، فإذا صدرت الإشارة يقتل كل فتى الزعيم الذي يقف خلفه، وبينما كان أبو طالب يستعد لقتل زعماء البطون، جاءه الخبر بأن محمدا حي وبخير، وأن إشاعة قتله غير صحيحة، ولما تأكد أبو طالب من سلامة النبي نادى زعماء قريش قائلا: أتدرون ما هممت به؟ قالوا: لا، فأخبرهم الخبر، وقال للفتية الهاشميين: أكشفوا عما في أيديكم،

ثم قال: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحدا حتى نتفاني

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١، ص ١٨٦.

٢ - نفس المصدر، وتاريخ ابن الأثير والسيرة الحلبية ج ١، ص ٣٠٤.

٣ - راجع تاريخ يعقوبى ج ٢، ص ٢٧.

٤ - سيرة ابن هشام ج ١، ص ٢٦٥: وتاريخ الطبرى ج ٢، ص ٢١٤: والإصابة لابن حجر ج ١، ص ١١٦.

٥ - رواها الثعلبى فى تفسيره، وراجع خزانه الأدب للبغدادى ج ١، ص ٢١٦: وتاريخ ابن كثير ج ٣، ص ٤٢: وتاريخ أبى الفداء ج ١، ص ١٢٠ وفتح البارى ج ٧، ص ١٥٣، والغدير ج ٧، ص ٣٧٤.

(١١)

مفاتيح البحث: مدينة مكة المكرمة (١)، بنو هاشم (١)، القتل (٤)، الحرب (١)، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (١)، كتاب فتح البارى (١)، ابن الأثير (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)، الثعلبى (١)

صفحة ١٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٢

نحن وأنتم (١).

وبهذا الحزم من عميد الهاشميين أبى طالب، قبرت فكرة قتل النبى (ص) فى أذهان زعماء قريش، ففكرت فى سلوك طرق أخرى لإيذاء النبى وإجهاض دعوته، دون إراقة دماء.

ومن المهازل حقا التى تثير القرف فى النفس البشرية أن بعض القوى التى سيطرت على مقاليد الدولة الإسلامية فيما بعد: صورت أبا طالب بصورة المشرك، ووضعت فى ضحضاح من النار - على حد تعبير الراوى الوحيد لهذا الخبر، وهو راو مشهور بكرهيته لبنى هاشم - وزورت وأنكرت كفاحه المجيد، وأنكرت جهاده وجهاد أولاده وأحفاده وفضلهم، وفرضت مسبتهم ولعنهم على المنابر، ولم تقبل شهادة من يواليهم، فعادت وليهم ووالد عدوهم... الخ (٢).

بعد فشل الحصار والمقاطعة لم تتوقف قريش عن ملاحقة النبى ومراقبته تحركاته، عندها قررت أن محمدا (ص) قد تجاوز الخط المألوف، وأنه قد بدأ مرحلة خطيرة، فإذا نجح بالهجرة إلى يثرب فسيستقطب حوله الأكثرية من أهلها، ومن حولها من قبائل العرب، عندئذ ستصبح النبوة الهاشمية حقيقة واقعة، ويذهب الهاشميون بفخر النبوة بين العرب دون سائر البطون، وعلى ضوء هذا التنظير عقدت زعامه بطون قريش الثلاثة والعشرين اجتماعا موسعا فى دار الندوة واتفق المجتمعون على أن قتل محمد هو الحل، وقرروا اختيار عدد من فتيه بطون قريش يمثل كل فتى منهم عشيرته، ليشتروا جميعا بقتله ولتكوين جبهة متراصه ضد الهاشميين، لكن الله دفع مكرهم ورد كيدهم، بعد أن استخلف ابن عمه على بن أبى طالب (ع) فى فراشه، فقد أشار الله تعالى بقوله: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (٣).

الهاشميون بعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة.

طوال الفترة التى قضها النبى فى مكة المكرمة بعد النبوة وقبل الهجرة إلى المدينة المنورة، والهاشميون بحالة تعبئة عامة من الدرجة القصوى وبحالة مواجهة دائمة مع بطون قريش... وقد كان واضحا أنه ليس من الحكمة تفرغ مكة من الهاشميين، والأجدى والأأنفع أن يبقى

١ - راجع الطبقات لابن سعد ج ١، ص ١٨٦، ونهاية الطلب لإبراهيم بن محمد على الدينورى.

٢ - راجع الكامل لابن الأثير ج ٣، ص ٢٤، آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣، وتاريخ الطبرى ج ٢، ص ٢٨٩ وج ٤، ص ١٢٣،

ومروج الذهب للمسعودي ج ٢، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

٣ - راجع سيرة ابن هشام ج ٢، ص ١٢٥، وسورة الأنفال: الآية ٣٠.

(١٢)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، المدينة المنورة (٣)، التعباء، العباء (١)، القتل (٢)، الإختيار، الخيار (١)، الشهادة (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، سورة الأنفال (١)، إبراهيم بن محمد (١)

صفحة ١١٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣

ي بعضهم في مكة ليراقبوا تحركات قريش ومؤامراتها، وينقلوا أخبارها للنبي (ص) أو بأول، والعباس ابن عم النبي (ص) أبرز نموذج على تلك النخبة الهاشمية... وعندما أجبرتهم قريش على الخروج لقتال النبي (ص) في بدر كانت قريش تعرف هذه الحقيقة، حيث أن المسلمين باتوا أقلية، وقد توقفوا عن المواجهة العلنية مع قريش، وساروا ظاهرياً مع التيار العام، أنظر إلى قول زعيمها: والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد (١).

دور الهاشميين في المواجهات العسكرية بعد الهجرة المباركة.

خلال ستة أشهر بعد الهجرة، استطاع النبي (ص) أن يرتب الأوضاع الداخلية في يثرب، وأن يكسب بالرضا موافقة وإقرار سكان يثرب وما حولها بأنه الولي الحاكم، والحكم والمرجع، ووافق المجتمع اليثربي بالإجماع على أن بطون قريش هي عدوة الجميع، وأنه لا يجوز الصلح المنفرد معها، ولا يحال بين مؤمن وبين مال أو نفوس تلك البطون (٢).

لكن سياسة بطون قريش الخرقاء، جرتها إلى حروب دموية طاحنة إنتهت بهزيمتها الساحقة، واستسلامها بالكامل لرسول الله (ص) (وللدين الجديد)، فدخلت الإسلام عندما أحيط بها، وأدخلت بدخولها فيه تركة صراعها الطويل مع النبي (ص).

ومن أبرز المعارك الحربية التي جرت بين قريش والمسلمين: ١ - معركة بدر، ٢ - معركة أحد، ٣ - معركة الخندق أو الأحزاب، ٤ - بالإضافة إلى معركة سياسية عظيمة لا تقل أهمية عن المعارك الحربية الكبرى أدت إلى صلح الحديبية، ٥ - معركة حنين.

تلك نماذج من معارك الكفر مع الإيمان، وسنستعرضها بالقدر الذي يخدم غايتنا المنصبة على إبراز دور الهاشميين في صراع الكفر مع الإيمان بعد الهجرة. ففي معركة بدر خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وابنه الوليد للمبارزة، ونادى مناديتهم! يا محمد أخرج لنا الأكفاء من قومنا، فصاح النبي (ص): يا بني هاشم قوموا فقاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله (٣).

وقبل أن يرتد للنبي (ص) طرفه خرج العمالقة الهاشميون إلى ميدان المبارزة - حمزة عمه، وابن عمه علي بن أبي طالب، وقريبه عبيد الله بن الحارث - فقد قتل الهاشميون الثلاثة الأميين الثلاثة، وقطعت ساق عبيد الله بن الحارث.

١ - تاريخ الطبري ج ٢، ص ٢٨٢، وكتاب المواجهه مع رسول الله لأحمد حسين يعقوب.

٢ - راجع مواد الدستور النبوي في سيرة ابن هشام ج ١، ص ٥٠١، ومجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص ١٥، ونظام الحكم في الشريعة، والتاريخ لظافر القاسمي ص ٣١.

٣ - راجع المغازي للواقدي ج ١، ص ٦٨ - ٧٠.

(١٣)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٨)، الدولة الأموية (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، معركة حنين (١)، معركة بدر (١)، صلح (يوم) الحديبية (٢)، المدينة المنورة (٢)، علي بن أبي طالب (١)، بنو هاشم (٢)، القتل (٢)، الجواز (١)،

كتاب تاريخ الطبري (١)

صفحة ١٤٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤

وكان حمزة بن عبد المطلب عم النبي أسد الله وأسود رسوله لا يخفى على أحد، لأن سطوته معروفة، لكن الرجل الذي قاتل بقدره وكفاءة تفوق الوصف والتصوير، هو علي بن أبي طالب (ع) ابن عم النبي (ص)، وحامل راية المهاجرين (١).

لقد لفت فنه في القتال أنظار أهل الأرض وأهل السماء، فنادى ملك من السماء: (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) (٢). فصارت بطولته الإمام علي فيما بعد مسبباً له، ووسيلةً للتحريض عليه، ومبرراً لإبعاده عن حقه في الإمامة، فبعد عشرين سنة من وقعة بدر، يقول أحد الصحابة لسعيد بن العاص:

اني لأراك معرضاً عني، تظن أنني قتلت أباك، والله ما قتلت أباك (٣). يريد هذا الصحابي أن يذكر سعيداً أن الذي قتل أباه في بدر هو علي بن أبي طالب (ع)!!

وقال أحد الصحابة فيما بعد: ان الأمر كان لعلي بن أبي طالب، فزحزحوه عنه لحدائثة سنه، والدماء التي عليه (٤).

شجاعاً علي بن أبي طالب (ع) الفريده في الحروب.

قتلى الأمويين: أحد عشر قتيلاً قتل أكثرهم علي بن أبي طالب. وكذلك قتل (ع) من بني تيم بن مرة، ومن بني مخزوم، ومن بني أسد.

ومن الأمثلة على كراهية قريش لبني هاشم، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة. كان من أصحاب النبي (ص)، وأبوه وأخوه وعمومته كانوا أركان جيش الشرك الذي قاتل المسلمين في بدر، وقد شاهد أبو حذيفة أباه وعمه وسادات بني أمية يتجرعون كؤوس الموت أمام عينيه ...

لقد عبر أبو حذيفة عن حقيقة هذه المشاعر بحركة عفوية ولا شعورية، لقد طلب النبي (ص) من أصحابه أن لا يتعرضوا لأحد من بني هاشم، لأنهم أكرهوا على الخروج مع المشركين، فقال أبو حذيفة: نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا وترك العباس عم النبي!! - لما أبلى بلاء حسناً في بدر - والله لئن لقيته لألحمه السيف (٥).

ومثل حذيفة حذيفات كثيرون، والفرق بين أبي حذيفة وغيره، أن أبا حذيفة صادق وعفوي، ولا يجيد المراوغة والمكر، ولا يخفى ما تهتف به مشاعره، وأما غيره فيتمتع بالقدرة على ضبط الأعصاب والمناورة، وإخفاء مشاعره رغبة أو رهبة، أضف إلى ذلك أن فكرة

١ - راجع تاريخ الطبري ج ٢، ص ٢٧٢.

٢ - راجع الرياض النظرة للطبري ج ٢، ص ٢٧٢: والمرقاة لعلي بن سلطان ج ٥، ص ٥٦٧.

وكنز العمال للمتقى الهندي ج ٣، ص ١٥٤: وتاريخ الطبري ج ٢، ص ١٩٧.

٣ - راجع المغازي للواقدي ج ١، ص ٩٢.

٤ - راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣، ص ١٣٠، وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢، ص ١٨.

٥ - راجع تاريخ الطبري ج ٢، ص ٢٨٢.

(١٤)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، أبو طالب عليه السلام (١)، حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الدولة الأموية (١)، معركة بدر (١)، علي بن أبي طالب (٢)، بنو أمية (١)، بنو هاشم (٢)، بنو أسد (١)، القتل (٦)، الموت (١)، الشهادة (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

المعتزلى (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (١)، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (١)، كتاب تاريخ الطبرى (٣)

صفحة ١٥٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٥

الثأر ضاربة الجذور فى النفس العربية، ولا ترتاح نفوس ذوى القتلى إلا إذا قتلوا القاتل، أو أبعده تماما عن المسرح والأعين، وكيف يمكن قتل النبى (ص) أو حمزة أو على (ع) أو الهاشميين؟!، ولنفترض أن القاتل قد مات، فإن ذريته مطلوبة لذرية المقتول حتى يؤخذ حقه.

كان الرسول الأعظم على علم بحقيقته تلك المشاعر التى تعتمل بالنفوس، وكان متيقنا أن قريش تبغض التميز الهاشمى، والمكانة الهاشمية، وقد عبر عن هذه الحقائق بقوله ذات يوم لأصحابه، قيا ما بواجب البيان وسدا لنوافذ الشرك: (إن أشد قومنا بغضا لنا هم بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم) (١). فكل بطون قريش تبغض الهاشميين، ولكن أكثرها بغضا للهاشميين هى البطون التى ذكرها النبى (ص).

وباختصار فإن نجاح النبوة الهاشمية، وتكريس التميز الهاشمى، والجراح التى نتجت عن معركة بدر، والغصات التى اعترضت حلقوم الذين اتبعوا محمدا من أبناء قريش تركت بصماتها على التاريخ الإسلامى كله بعد موت النبى (ص)، وظلت تعتمل فى النفوس، وكانت أبرز الأسباب التى قوضت النظام السياسى الإسلامى، وأفرغته من مضمونه ومحتواه، وحولته إلى ملك أو وسيلة للوصول إلى الملك، مثلما كانت من أبرز الأسباب التى أدت لإخراج المنظومة الحقوقية الإلهية عمليا من الخدمة، للارتباط الوثيق بين القيادة فى الإسلام، وبين فاعلية المنظومة الحقوقية، وقد ساعد على ذلك كله، أن البطون القريشية التى اتخذت تحت راية الشرك ضد النبى (ص)، قد اتحدت تحت راية الإسلام ضد آل النبى (ص)، وحالت بين الهاشميين وحقوقهم التى خصهم الله تعالى بها، وما ميزوا به من علم وسيرة وفضل على غيرهم من الناس.

دور الهاشميين فى معركة أحد رجع المشركون من بدر يجرون أذيال الخزى والهزيمة، وصفوا صفوفهم، ولم يطل الانتظار حتى برز من صفوف المشركين طلحة بن أبى طلحة، وصاح: من يبارز؟ فبرز إليه على بن أبى طالب (ع) فقتله الإمام على (ع) سريعا، فلما قتل طلحة، سر النبى (ص) وأظهر التكبير، وكبر المسلمون وهجموا على المشركين وقتل على بن أبى طالب حملة لواء المشركين وكانوا ثمانية، كلما مات أحدهم أخذ اللواء غيره، ثم حمل اللواء عبد لهم فحمل عليه الإمام على فقتله (٢). ومما زاد الطين بله أن الأمويين قد أقروا بأن قتل على بن أبى طالب مستحيل، لكن

١ - راجع المستدرک على الصحيحين للحاكم، والحلية لأبى نعيم، وكنز العمال للمتقى الهندى ج ١١، ص ١٦٩، حديث ٧٤، ٣١.

٢ - راجع تاريخ الطبرى ج ٣، ص ١٧، وسيرة ابن هشام ج ٣، ص ١٣٤، والرياض النظر للطبرى ج ٢، ص ١٧٢.

(١٥)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، الدولة الأموية (١)، كتاب القيادة فى الإسلام لمحمد الريشهرى (١)، معركة أحد (١)، معركة بدر (١)، على بن أبى طالب (٢)، بنو أمية (١)، القتل (٥)، الموت (٢)، الأكل (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)

صفحة ١٦٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٦

قتل حمزة عم النبي ممكن، فرتبوا مؤامرة للغدر بحمزة، و نفذت المؤامرة وقتل حمزة، وأشيع بأن النبي (ص) قد قتل، فزلزل المسلمون زلزالا شديدا.

دور علي (ع) في معركة الخندق.

لقد تأرت قريش لقتلاها، وانتصرت في معركة أحد - لأسباب ليس بوسعنا ذكرها - وكان من الممكن أن تضع الحرب أوزارها، وأن تستبدل قريش لغه القوة بلغة المنطق، لكنها جادة في عداوتها للنبي (ص) ولدعوته المباركة ولبنى هاشم، وأقل ما ترضى به هو القضاء على محمد وعلي آلهم (ص)، واستئصالهم من الوجود تماما، فقد قال أبو سفيان مخاطبا وفد يهود بني النضير: إن أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد (١). وهكذا جمعت قريش عشرة آلاف وسبعمئة وخمسين مقاتلا، وقبل قيام هذا التجمع لم تشهد جزيرة العرب مثله في تاريخها الطويل، فقبائل العرب كانت تعبد الأصنام، وتدين بالولاء لشيخوخها الذين لم يجتمعوا على أمر طول التاريخ، حتى يوم غزا أبرهة الكعبة وهي أقدس مقدساتهم، بينما هم اجتمعوا هذه المرة على عداوة محمد وآل محمد (ص) ودعوته الكريمة، وكان القائد العام لتجمع الأحزاب ورأسهم ومدبر أمرهم، ومؤقت ساعة الصفر، ومحدد مسؤولياتهم هو أبو سفيان، أما أركان حربه فكانوا يتألفون من مشيخة قريش، وعلي رأسهم معاوية، وابنه يزيد، فكلاهما ذكي وذو حيلة، وكلاهما موتور، وعكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وكلهم موتور، وعمرو بن عبد ود العامري أشجع رجالات قريش وأقواها، فكان يحترق شوقا لملاقاة محمد (ص)، بالإضافة إلى مشيخة اليهود مثل حبي بن أحطب، وكنانة بن الحقيق، وأخيه هودة، وأبي عامر الراهب، وكعب بن أسد عقيد بني قريظة (٢). فبرز عمرو بن عبد ود، أقوى رجالات قريش، وأخذ يدعو للمبارزة، فسكت جميع المسلمين كأن علي رأسهم الطير، ولما سمعه الإمام علي استأذن النبي ثلاثا والرسول لا يأذن له، وأخيرا أذن الرسول لعلي (ع) وأعطاه سيفه، والتقى الاثنان على مشهد من الجمع، وبعد برهة ثارت غبرة وسمع الناس التكبير، فأيقنوا بأن عليا قد قتل عمروا، وصعقت الأحزاب من هول النبأ، وازدادت قريش حقدًا على النبي وآله فقال النبي (ص): لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة (٣). وقال السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: (ورد الله الذين كفروا

١ - المغازي للواقدي ج ٢، ص ٤٤١.

٢ - راجع المغازي للواقدي ج ٢، ص ٤٤٤ وما فوق.

٣ - راجع المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٣٢، وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩، وفضائل الخمسة على الصحاح الستة ج ٢، ص ٣٥٧ - ٣٦٠.

(١٦)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، يوم القيامة (١)، معركة أحد (١)، علي بن أبي طالب (١)، خالد بن الوليد (١)، عمرو بن العاص (١)، بنو هاشم (١)، الشهادة (٢)، القتل (٣)، الجهل (١)، الحرب (١)، كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)

صفحة ١٧٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٧

بغضهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال (١). قال:

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب (ع)، وجاء في ميزان الاعتدال حديث مسند عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي (٢)، فرجع الأحزاب يجرون أذيال

الخبية والخسران، يقودهم رأس الشرك أبو سفيان، وألقى كلمته قائلا: إنكم والله لستم بدار مقام، لقد هلك الخف والكرع، وأجذب الجناب، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقد لقينا من الريح والله ما ترون، والله ما يثبت لنا بناء، ولا تظمن لنا قدر، فارتحلوا فإني مرتحل ... إلخ (٣).

بعض المؤرخين يعطى نعيم بن مسعود دورا بارزا، ويصورونه كأنه هو الذي فك تحالف الأحزاب، وأنه هو الذي أوقع بينهم مع أن جميع المسلمين والأحزاب كانوا يعرفون بأن الرجل صياد مكافآت، وإن مهمته التخذيّل، فطالما خذل المسلمين عن الخروج بعد معركة أحد، وأخذ على ذلك جمع مقداره عشرون ناقه، رصدتها له قريش ... ومن المؤكد أن رحمة الله وعونه وعبقريته قيادة النبي (ص)، ورجولة على (ع) وصبر المسلمين تضافرت معا، وقادت إلى نصر الله وهزيمة الأحزاب (٤).

دور على (ع) في معركة خيبر كانت خيبر من أعظم وأكبر التجمعات اليهودية في الجزيرة، ففيها المال وفيها الجاه، وفيها الرجال، وبعد أن فتح الله للمسلمين في صلح الحديبية ذلك الفتح المبين، وبعد أقل من شهرين من رجوع الرسول (ص) من الحديبية، أصدر أوامره بالتهيؤ لغزو خيبر، وبعد إتمام الاستعدادات وفي شهر صفر من السنة السابعة للهجرة: زحف النبي (ص) نحو خيبر، وقاتل اليهود بكفاءة، وهجم الرسول على الحصون حصنا بعد حصن، ثم أخذ يرسل المسلمين على موجات، موجة تذهب بالراية وأخرى ترجع، فأعطى رايته إلى أبي بكر، وخرج أبو بكر ولكنه رجع ولم يفعل شيئا، ثم أعطى الراية إلى عمر فخرج عمر، ثم رجع ولم يفعل شيئا (٥). وفي كثر العمال أن رسول الله بعث أبا بكر بالناس فانهمز حتى رجع، وبعث عمر فانهمز بالناس حتى رجع، وقال: أخرج هذا الحديث ابن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، وابن ماجه

١ - سورة الأحزاب: الآية ٢٥.

٢ - راجع الدر المنثور للسيوطي، تفسير قوله تعالى: (وكفى الله المؤمنين القتال) وراجع ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢، ص ١٧، وفضائل الخمسة على الصحاح الستة ج ٢، ص ٣٦٠.

٣ - راجع المغازي للواقدي ج ٢، ص ٤٨٥ وما فوق.

٤ - راجع المغازي للواقدي ج ٢، ص ٤٤١ - ٤٩٦.

٥ - راجع مسند الإمام أحمد ج ١، ص ٩٩ وخصائص، النسائي ص ٥.

(١٧)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، كتاب كثر العمال للمتقى الهندي (١)، معركة خيبر (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، ابن عساكر (١)، شهر صفر الظفر (١)، خيبر (٣)، أحمد بن حنبل (١)، القتال (٤)، الهلاك (١)، كتاب الخصائص للنسائي (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، سورة الأحزاب (١)

صفحة ١٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨
والبزار، وابن جرير وصححه، والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرک، والبيهقي في الدلائل، والضياء المقدسي (١). وإلى هذا أشار الهيثمي في مجمع الزوائد (٢).

أمام تراجمات المسلمين المتتالية - في دك حصون خيبر - تدفقت كتائب اليهود ورجحت الكفة لصالحهم، وحض رسول الله (ص) المؤمنين على القتال، ولما اجتمع شمل المسلمين وقف رسول الله (ص) وقال: لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار (... ٣). وفي الصباح نادى على بن أبي طالب، وكان أرمد لا يرى، فتفل رسول الله (ص) في عينيه وأعطاه الراية (٤). أخذ على الراية، واندفع كالإعصار بقوة ربانية، كما يقول الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف ...

(٥)، فتلقاه الحارث أخو مرجبا في قلعة من رجاله، وهجموا على المسلمين... فتناول الإمام على بابا من أبواب الحصن وتترس به، قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: إن ثمانية نفر عجزوا عن قلب ذلك الباب في ما بعد (٦)، وروى الخطيب في تاريخ بغداد: إن الباب الذي تترس به الإمام على يوم خيبر لم يقو أربعون رجلا على حمله (٧). معركة حنين.

فقد أبلى أهل بيت النبي الهاشمي (ص) بلاء حسنا، بعد أن فر كل المسلمين من حول النبي (ص) وتركوه ومعه أهل بيته على والعباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعتبة ومعتبا ابنا أبي جهل، ونفر قليل من الأنصار كسعد بن عباد، والحباب بن المنذر، وكان عدد جيش المسلمين في حنين اثني عشر ألفا، ومن المؤكد أن أعدادا كبيرة من الجيش لم تخرج للجهاد، ولا طمعا بالشهادة، ولا لنصرة دين الله أو لنصرة بنيه، إنما خرجوا طمعا بالغنيمه ممن تدور عليه الدائرة، سواء أكان محمدا (ص) أو تجمع هوازن وثقيف و حلفائهما، فأبو سفيان بن حرب الذي تلفظ بالشهادتين قبل أيام، خرج وأخرج معه الأزلام، وسار في

١ - راجع كنز العمال ج ٦، ص ٣٩٤.

٢ - راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤ وغيره.

٣ - المغازي للواقدي ج ٢، ص ٦٥٣ وما فوق.

٤ - راجع مسند الإمام أحمد ج ١، ص ٩٩، وخصائص النسائي ص ٥، وكنز العمال ج ١ ص ٢٩٤ وغيرها.

٥ - سورة الكهف، الآية ٩.

٦ - راجع مسند الإمام أحمد ج ٦، ص ٨، وتاريخ الطبري ج ٢، ص ٣٠٠، وابن سلطان في الرقاة ج ٥، ص ٥٦٦.

٧ - راجع تاريخ بغداد ج ١١، ص ٣٢٤، وميزان الاعتدال ج ٢، ص ٢١٨، وفتح الباري للعسقلاني ج ٩، حديث ١٨.

(١٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، معركة حنين (١)، الطبراني (١)، علي بن أبي طالب (١)، خيبر (٢)، سعد بن عباد (١)، الجهل (١)، الشهادة (١)، الحرب (١)، القتل (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، كتاب الخصائص للنسائي (١)، كتاب فتح الباري (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)، سورة الكهف (١)

صفحة ١٩٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٩

أثر محمد (ص) يلتقط ما يسقط منهم من متاع حتى أوفر (١)، ومثله أولاده... فشيبة بن عثمان بن أبي طلحة تعاهد هو وصفوان بن أمية على أنه إذا رأيا الدائرة (تدور) على رسول الله (ص) أن يكونا عليه فيقتلانه (٢)، وقد عبرت جويرية بنت أبي جهل عن طبيعة إسلام القوم، يوم سمعت بلالا يؤذن على ظهر الكعبة بقولها: قد لعمرى رفع لك ذكرك أما الصلاة فسنصلي، والله لا نحب من قتل الأجابة أبدا (٣)، ومع هذا فإنهم خرجوا مع جيوش المسلمين المتوجهة إلى حنين كمسلمين، وعيينه بن حصن أحد قادة الجيش الإسلامي يستأذن من الرسول (ص) حتى يأتي حصن الطائف لإقناعهم بالاستسلام، ومع هذا يدخل الحصن، ويقول للمشركين: فداكم أبي وأمي، والله لقد سرنى ما رأيت منكم...

والله ما لاقى محمد مثلكم قط، ولقد مل محمد للقاء فاثبتوا في حصنكم (٤...٤). ثم يعود إلى الرسول (ص) ليزعم بأنه قد حاول إقناع أهل الطائف فأخفق، والرسول ساكت، وهو يعلم أن عيينه كاذب ومناق!! وعيينه نفسه يعبر عن حقيقة وجوده فيقول: والله ما جئت معكم أقاتل ثقيفا، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب جارية من ثقيف لعلها تلد لي رجلا (٥).

غزوة تبوك والرحف على بلاد الروم.

في هذا الوقت بالذات تواردت الأنباء إلى الرسول القائد (ص) من أن الروم أعدوا العدة لغزو الأجزاء الشمالية من الجزيرة العربية، التي تعتبر جزءا من الدولة الإسلامية فقرر الرسول (ص) أن يصدّهم بنفسه.

وهكذا أصدر أوامره لاستنفار المسلمين في المدينة المنورة وخارجها، فلم يدع قوما من الناس إلا أجابوه لذلك، إلا أن المنافقين الأوائل من قريش، ممن أظهروا الإسلام خوفا من سطوة المسلمين بعد فتح مكة، راحوا يختلقون الأعذار حتى لا يخرجوا لقتال الروم، وكان أهم عذر عندهم في ذلك: شدة الحر وبعد المسافة بين المدينة وبلاد الروم، وقد حكى القرآن الكريم، ما كانوا يتذرعون به من وسيلة، منددا ومهاجما: (وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) (٦).

ولم يقف المنافقون عند هذا الحد، بل راحوا يدعون الناس إلى التخلف عن الجيش الإسلامي، وأعدوا دارا لتجمعاتهم، فبلغ الرسول (ص) ذلك، فأحرق عليهم الدار أثناء اجتماعهم، ففروا هارين: حيث لقنهم بذلك درسا لقاء خيانتهم للإسلام.

سار جيش الإسلام بقيادة رسول الله (ص)، وكان تعداده ثلاثين ألفا، وقد سمي ذلك الجيش (جيش العسرة) لشدة الحر، وبعد المسافة، وقلّة المؤونة. وقد استخلف الرسول

١ - راجع المغازي ج ٢، ص ٨٩٥.

٢ - راجع المغازي ج ٣، ص ٨٩٥.

٣ - راجع المغازي ج ٢، ص ٨٤٦.

٤ - راجع المغازي ج ٣، ص ٩٣٢.

٥ - المصدر نفسه ج ٢، ص ٩٣٢.

٦ - التوبة: الآية ٨١.

(١٩)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٧)، جزيرة العرب (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، معركة تبوك (١)، القرآن الكريم (١)، المدينة المنورة (١)، صفوان بن أمية (١)، القتل (١)، النفاق (٢)، العهد (١)، الجهل (١)

صفحة ٢٠٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٠

(ص) عليا (ع) لإدارة المدينة المنورة ولرعاية أهله (ص)، علي أن عليا أراد صحبة الرسول (ص) في غزوته، إلا أن رسول الله أمره بالبقاء في المدينة المنورة، وخاطبه بقوله: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي (١).

الفصل الثاني: آل البيت (ع) وحادثه المباهلة.

بعد أن تحقق النصر للدعوة ونيبها الكريم محمد (ص) في أرجاء الجزيرة، وتم فتح مكة والطائف ودمرت معاقل الشرك والوثنية، وتلاشت سطوة قريش وجبروتها، وظهر الإسلام كقوة عقيدية وسياسية وعسكرية: أخذت وفود العرب تفد على رسول الله (ص) لتعلن إسلامها وولاءها، وكذلك فقد وجه رسول الله (ص) كتبه ورسله إلى الملوك والرؤساء، يدعوهم إلى الإسلام من منطلق القوة والثوق بالوعد الإلهي بالنصر، وكان ممن وجه إليهم كتبه هم أساقفة نجران يدعوهم إلى الإسلام، ويعرفهم بدعوتهم. ونص كتابه المبارك هو:.

بسم الله، من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران، بسم الله فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب: أما بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتتم فالجزية، وإن أبيتتم بحرب

والسلام (٢).

لقد أحدث هذا الكتاب هزة عنيفة في كيان النصارى في بلاد اليمن، ورأوا أن يقدموا على رسول الله (ص) بوفد يخوض حواراً عقائدياً وفكرياً، توجه الوفد برئاسة أبي حارثة الأسقف، ومعه العاقب والسيد وعبد المسيح وكوز وقيس والأيهم، فوصلوا المدينة المنورة ودخلوا على رسول الله (ص) في مسجده الشريف، وهم متباهون بزيتهم وحليهم، ظانين أن ذلك يؤثر على موقف رسول الله (ص) النفسى، وحين رآهم رسول الله متظاهرين بمظاهر العظمة المزيفة، قال لأصحابه: (دعوهم)، ثم التقوا رسول الله وبدأ الحوار والمسألة طوال ذلك اليوم، ثم سأل أبو حارثة رسول الله (ص): يا محمد ما تقول في المسيح؟ قال: (هو عبد الله ورسوله). فقال أبو حارثة: تعالى الله عما قلت، وكان يظن في المسيح ظن الربوبية، وحين اشتد إصرارهم على عقيدة الشرك وتأليه المسيح ورفض نبوة محمد (ص): أراد الله سبحانه أن يظهر لهم نبوة محمد (ص) بإجابة دعوته وبطلان عقيدتهم ودعواهم، فأنزل الله على نبيه آية المباهلة، قال تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على

١ - مسند أحمد بن حنبل ص ٣٣٠، والنسائي / خصائص النسائي ص ١٤، والطبقات لابن سعد ج ١٣، ص ٤.

٢ - راجع تاريخ اليعقوبى ج ٢، ص ٨١.

(٢٠)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١٠)، مدينة مكة المكرمة (١)، المدينة المنورة (٣)، آية المباهلة (١)، الكرم، الكرامة (١)، السجود (١)، الظن (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب الخصائص للنسائي (١)

صفحة ٢١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢١

الكاذبين (١)، وعلى أثر هذا النص السماوى توجه الرسول (ص) بالخطاب إلى وفد النصارى:

إن لم تؤمنوا بى وتصدقونى، فتعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذب، ومنتظر من سيقع عليه العذاب والعقاب الإلهى، فهو على باطل، فقالوا للنبي:

نباهلك غدا، ثم اجتمعوا فتحاوروا وتشاوروا بينهم، فقال أبو حارثة لوفده:

أنظروا من جاء معه، وغدا رسول الله (ص) آخذاً بيديه المباركتين الحسن والحسين (ع) تتبعه فاطمة وعلى بن أبى طالب (ع) بين يديه. وغدا العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدر والحلى، وقد حفوا بأبى حارثة، فقال أبو حارثة: من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمه، وهذه ابنته، وهذان ابناهما، فجثا رسول الله على ركبتيه ثم ركع، فقال أبو حارثة: جثا والله كما يجثو النيون للمباهلة... إلخ (٢).

قال الزمخشري فى سياق تفسير آية المباهلة: وقدمهم فى الذكر على الأنفس لئيبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم: وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس، مفدون بها...

وفى هذا دليل لا شى أقوى منه على فضل أصحاب الكساء (٣).

أما المشركون الذين لم يتخلوا عن وثنتهم، فقد عزم رسول الله (ص) على منعهم من تأدية طقوسهم حول البيت الحرام: نظرا إلى إعلانهم الشرك، وسلوكهم غير المحتشم، حيث يطوفون، حول البيت عراة متحللين من الأدب، فلا مبرر لبقاء ذلك المظهر البشع، ولا داعى لبقاء قوم يعبدون الأصنام، بعد أن أظهر الله الإسلام وأعزه بنصره، وبعد أن حطمت الأصنام، ودخلت مكة دار الإسلام.

فى موسم الحج، فى السنة التاسعة من الهجرة، حيث نزلت سورة التوبة (البراءة) التى ألغت كل مخلفات الشرك، وأنهت كل وجود

للمشركين في مكة، أمر رسول الله (ص) أبا بكر بتبليغها لمن تبقى من المشركين، والذين يتواجدون غالباً عند البيت الحرام في الموسم: لأداء مناسك الحج على طريقتهم البالية، فلما كان أبو بكر في بعض الطريق، هبط الأمين جبرائيل (ع) بالأمر من الله لرسوله (ص): أن لا يتولى التبليغ إلا- أنت أو رجل من أهل بيتك، فبعث رسول الله (ص) علياً عليه السلام، وأعطاه كتاباً إلى أبي بكر يأمره بإعطاء الكتاب الذي يحمل السورة المباركة إلى علي (ع) - وهكذا كان - فعاد أبو بكر إلى رسول الله (ص) كئيباً، فقال له: أنزل في شيء؟ قال (ص): لا، إلا أني أمرت أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي (٤)،

١ - آل عمران: الآية ٦١.

٢ - تاريخ يعقوبى ج ٢، ص ٨٢.

٣ - تفسير الكشاف للزمخشري وسورة آل عمران. الآية ٦١، وكذا جاء في تفسير الثعالبي عن مجاهد والكلبي.

٤ - خصائص النسائي ص ٢٠، صحيح الترمذى ج ٢، ص ١٨٣، ومسنند أحمد ج ٣، ص ٢٨٣.

(٢١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٧)، أهل الكساء (١)، مدينه مكة المكرمة (٢)، الزمخشري (١)، سورة البراءة (١)، آية المباهلة (١)، الحج (٢)، المنع (١)، العذاب، العذب (١)، كتاب تفسير الكشاف للزمخشري (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب الخصائص للنسائي (١)، كتاب صحيح الترمذى (١)، سورة آل عمران (١)

صفحة ٢٢٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢
وسار علي (ع) حتى إذا وصل مكة وقف بمنى، وقرأ السورة المباركة، ثم نادى بأعلى صوته:
لا تدخل الكعبة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله فعدهه إلى مدته، ومن لم يكن له عهد، فأجله أربعة أشهر (١).

- الله ورسوله يعدان الأمة لتقبل القيادة الهاشمية - الإعداد لعصر ما بعد النبوة..

بمحمد النبي الأعظم (ص) صمد البطن الهاشمي المبارك، وتكسرت على صخرة هذا الصمود الفذ أعتى موجات الضغط والعداء، التي عرفتها البشرية خلال مدة ال (خمسة عشر) عاما التي قضاها النبي في مكة قبيل الهجرة.

ومن المسلم به بأن دين الإسلام هو آخر الأديان، وفق الصيغة التي جاء بها رسول الله، وهو خاتم النبيين، وبوقت يطول أو يقصر، سينهى الله تعالى دورة الحياة الدنيا برمتها، وتقوم القيامة، حيث ستبدأ دورة الحياة العليا الآخرة، فاقترضت حكمته أن يرتب الأمور ترتيباً محكماً، وأن يضع تحت تصرف المسلمين خاصة والبشرية جمعاء نظاماً سياسياً، يستمر بعمر الحياة الدنيا، ويلبى كامل الطموحات البشرية الواعية، ومن استعراض التاريخ البشري عبر مسيرته الموعلة بالقدم إلى يومنا هذا، يتبين لنا أن سبب كل الخلافات والاختلافات في أي مجتمع بشري تنبع بالضرورة من مصدرين، أحدهما الرئاسة، وثانيهما القانون، فمن هو المستحق للرئاسة؟ وما هو القانون الأفضل؟

فإذا حسمت هاتان المسألتان الرئيسيتان حسماً مقنعاً: انقطع دابر الخلاف والاختلاف في المجتمع، وهناك إجماع في كل المجتمعات البشرية على أن الرئيس أو القائد يجب أن يكون الأفضل والأعلم بالنواميس التي تسود المجتمع، وهناك إجماع آخر على أن القانون السائد في المجتمع يجب أن يكون موضوعياً ومجرداً وسارياً على الجميع.

ولا يوجد في الدنيا فرد أو جماعة أو أمة، تستطيع أن تؤكد لنا على وجه الجزم واليقين أن هذا أو ذاك هو الأعلم والأفهم والأفضل

والأنسب للقيادة والرئاسة.

إذن فالمطلب الحقيقي للجميع ليس الفرض والتخمين، إنما الجزم واليقين. لذلك فإن المؤهل والمختص بإعطاء وتقديم المعلومات اليقينية القائمة على الجزم واليقين هو الله جل وعلا، فهو الذى اختار محمدا (ص) وقدمه لنا رسولا ورئيسا وقائدا، وأكد لنا بأنه الأعلّم والأفهم والأفضل والأنسب لقيادتنا، وحسمها نهائيا يوم حصر تعالى بنفسه حق اختيار الأفضل والأعلم أمام مشكلّة القانون، فجنب المسلمين محذور الوقوع فى المطبات التى وقعت فيها

١ - الطبرسى فى أعلام الورى بأعلام الهدى ص ١٣٢، ومحمد حسين هيكى فى حياة محمد ص ٤٧٣.

(٢٢)

مفاتيح البحث: الطواف عريانا بالبيت (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، الاختيار، الخيار (١)، حياة النبى (١)، كتاب إلام الورى بأعلام الهدى (١)

صفحة ٢٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٣

الأمم السابقة، وأغناهم عن الخوض بتجارب الأمم السابقة، مقدما لهم وعلى طبق من فضة خلاصة تجارب الأمم السالفة. بعد أن بنى النبى (ص) قاعدة الإسلام ودولته أحيط المسلمون علما بأن محمدا رسول الله (ص)، قد خلت من قبله الرسل، وأنه سيموت لا محالة: (إنك ميت وإنهم ميتون)، والله سأل عباده المسلمين قائلا: (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم). فموت محمد (ص) حقيقة من الحقائق التى استقرت نهائيا بذهن كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامى، ومن الطبيعى أن يتساءل المسلمون، ماذا بعد موت النبى (ص)؟ لمن يهرعون؟ ومن يوجههم، ومن يذكّهم به؟ ومن يقودهم؟

من الطبيعى أن تقفز إلى أذهان المتسائلين أجوبة كبرى تأخذ شكل أسئلة كبرى أيضا، مثل من هم قرابته؟ ومن هم الأولى به؟ وأين هى ذريته حتى تكون القاسم المشترك الذى تطمئن وتطيب به قلوب الجميع؟

ومع هذه الأجوبة الكبرى التى أخذت مجامع المؤمنين، استذكر المسلمون الصادقون سجلا حافلا بالأمجاد، لقرابة النبى (ص) الذين حموه طوال سنى قبل الهجرة وما بعدها، وهم أركان حرب النبى وحمله راياته، وقتله أعدائه فى الحروب التى تلت الهجرة، وهم فوق ذلك مستودع علم النبوة...

قالت عائشة قال رسول الله (ص): قال جبريل عليه السلام: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد نبيا أفضل من بنى هاشم (١).

وقال النبى (ص): نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد (٢).

وقال النبى (ص): أنزلوا آل محمد بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العينين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدى إلا بالرأس، وإن الرأس لا يهتدى إلا بالعينين (٣).

تميز أهل البيت (ع) عن غيرهم.

لقد اختار الله البطن الهاشمى وميزه عن غيره من بطون القبائل البشرية، وخصه بمميزات لم يخص بها قبيلة قط، ويكفيهم شرفا أن سيد ولد آدم وخاتم النبيين منهم، وباستعراضنا

١ - راجع الصواعق المحرقة ص ١٣، وقال: أخرجه أحمد بن حنبل، والمخلص، والذهبي وذكره المناوى فى فيض القدير ج ٤، ص ٤٩٩ فى المتن، وقال: أخرجه الحاكم فى الكنى والألقاب.

٢ - كنز العمال ج ٦، ص ٢١٨، وكنوز الحقائق للمنادى ص ١٥٣.

٣ - مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩، ص ١٧٢ وقال: رواه الطبرانى.

(٢٣)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٦)، بنو هاشم (١)، القتل (١)، الموت (١)، الحرب (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (١)، الطبرانى (١)، أحمد بن حنبل (١)

صفحة ٢٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٤

للمنظومة الحقوقية الإلهية المكونة من كتاب الله وبيان النبى (ص) لهذا الكتاب، نجد بكل وضوح أن هذه المنظومة الحكيمه قد رسخت حالة التميز لآل رسول الله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بالفضل.

ومن المسلم به ومن المجمع عليه بأن الصدقة جائزة لكل محتاج من أبناء الجنس البشرى، فإذا احتاج أبو بكر مثلاً أو عمر أو عثمان أو أى واحد من الخلفاء ومن الصحابة الكرام، فيمكن لأى موسر أن يتصدق عليهم، ولا حرج على أولئك جميعاً لو قبلوا الصدقة باعتبارها طعمه إلهية للمحتاج. وعليه فبما أن الصدقة حلال لكل الناس المحتاجين إلا أنها محرمة، ولا تحل لنبينا محمد وآله (ص)، لأنها أوساخ الناس على حد تعبير الشارع الحكيم، فإن البيت النبوى المطهر والقائد، لا ينبغى له أن يجمع بين الطهارة وما يناقضها، فقد مر النبى (ص) بتمره بالطريق فقال: لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها، وأن الحسن بن على (ع) - وكان طفلاً لا يدرك - أخذ تمره من الصدقة فجعلها فى فيه، فقال رسول الله (ص): كخ، كخ إرم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟ وفى رواية إنا لا تحل لنا الصدقة (١).

قيل للإمام جعفر بن محمد الصادق (ع): إذا منعتم الخمس، هل تحل لكم الصدقة؟ قال الإمام: لا، والله. ما يحل لنا ما حرم الله علينا بغضب الظالمين حقناً، وليس منعهم إيانا ما أحل الله لنا بمحل لنا ما حرم الله علينا (٢).

آل الرسول (ص) وسهم ذوى القربى.

كان الرئيس عند العرب فى الجاهلية يأخذ ربع الغنيمه، ويقال للربع الذى كان يأخذه الرئيس المربع (٣)، ولما جاء الإسلام العظيم فرض الخمس لآل رسول الله، وقال سبحانه: (واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسها وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله) (٤...٤). إذا فسهم الرئاسة فى الإسلام هو الخمس بدلا من الربع، وزاد الله أصحاب هذا السهم، فسهم من هذا الخمس لله تعالى، وسهم آخر منه لرسول الله، وسهم لذوى قربى رسول الله، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل من فقراء أقرباء الرسول (ص).

١ - صحيح البخارى ج ١، ص ١٨١ باب ما يذكر فى الصدقة للنبى من كتاب الزكاة، وصحيح مسلم ج ٣، ص ١١٧ باب تحريم الزكاة على رسول الله (ص) وآله.

٢ - دعائم الإسلام ص ٢٤٦، والبحار ج ٦، ص ٧٦.

٣ - راجع نهاية اللغة لابن الأثير، وسيرة ابن هشام ج ٤، ص ٢٤٩.

٤ - الأنفال: الآية ٤١.

(٢٤)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، الكرم، الكرامة (١)، الظلم (١)، الجهل (١)،

الطهارة (٢)، الخمس (٤)، التصّدق (٦)، كتاب صحيح البخارى (١)، ابن الأثير (١)، الزكاة (٢)

صفحة ٢٥٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٥

روى الطبرى عن مجاهد أنه قال: كان آل محمد (ص) لا تحل لهم الصدقة، فجعل لهم خمس الخمس، وقد علم الله أن فى بنى هاشم الفقراء، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة (١).

وسئل على بن الحسين - عليهما السلام - عن الخمس: فقال: هو لنا، فقيل لعل: إن الله يقول: (واليتامى والمساكين وابن السبيل). فقال: يتامانا ومساكيننا (٢).

وقد أجمع أهل القبلة كافة على أن رسول الله (ص) كان يختص بسهم من الخمس ويختص أقاربه بسهم آخر منه، وأنه لم يعهد بتغيير ذلك حتى دعاه الله إليه (٣).

قال الزمخشري فى الكشف، فلما ولى أبو بكر تأول الآية، فأسقط سهم النبى (ص)، وسهم ذوى القربى بموته، ومنع بنى هاشم من الخمس، وجعلهم كغيرهم من يتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم (٤).

سأل نجدة بن عامر، ابن عباس عن سهم ذوى القربى: فكتب إليه ابن عباس قائلاً: إنك سألتنى عن سهم ذوى القربى الذين ذكرهم الله، من هم؟ وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله (ص) هم نحن فأبى علينا قوماً (٥...).

لما كان يوم خيبر، وضع رسول الله (ص) سهم ذوى القربى فى بنى هاشم بن عبد مناف وبنى عبد المطلب بن عبد مناف، وترك بنى نوفل وبنى عبد شمس، قال جبير بن مطعم...:

فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا النبى، فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم، فما بال إخواننا بنى عبد المطلب، أعطيتهم وتركتنا؟ قرابتنا واحدة؟ فقال رسول الله (ص): إنا وبنى عبد المطلب لا نفرق، وفى رواية النسائى: إن بنى عبد المطلب لم يفارقونى فى جاهليّة ولا إسلام، وإنما نحن وهم شئ واحد، وشبك بين أصابعه (٦).

ولعل الله تعالى قد اختص الهاشميين بهذا السهم ليكون مورد رزق احتياطى لهم فى كل زمان، يضمن لهم الاستقلال الاقتصادى ويفى بحاجاتهم، ويساعدهم على القيام

١ - راجع تفسير الطبرى ج ١، ص ٥ - ٦.

٢ - تفسير الطبرى ج ١٠، ص ٧.

٣ - الكشف للزمخشري ج ٢، ص ١٥٨: وفتح القدير للشوكانى ج ٢، ص ٢٩٥.

٤ - الكشف للزمخشري ج ٢، ص ١٥٩، وتفسير القرطبي ج ٨، ص ١٠، وفتح القدير للشوكانى ج ٢، ص ٢٩٥.

٥ - راجع صحيح مسلم كتاب الجهاد ج ٣ ص ٤٤٤، ومسنّد الإمام أحمد ج ١ ص ٢٤٨ و ٢٩٤ و ٣٢٠، وسنن النسائى ج ٧ ص ١١٧، وغيرها.

٦ - راجع سنن أبى داود ج ٢، ص ٥٠، وتفسير الطبرى ج ١٠، ص ٥٠، ومسنّد أحمد بن حنبل ج ٤، ص ٨١، وسنن ابن ماجه ص ٩٦١.

(٢٥)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، عبد الله بن عباس (٢)، الخليفة عثمان بن عفان (١)، الزمخشري (١)، خيبر (١)، بنو هاشم (٣)، جبير بن مطعم (١)، البول (١)، الخمس (٤)، التصّدق (٢)، كتاب تفسير الكشف للزمخشري (٢)، كتاب مسنّد أحمد بن حنبل

(١)، كتاب سنن ابن ماجه (١)، كتاب تفسير الطبري (٣)، كتاب سنن أبي داود (١)، كتاب صحيح مسلم (١)

صفحة ٢٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٦

بمسؤولياتهم.

وقلنا أن بعد موت النبي (ص) اختلت موازين القوى، واتخذت قريش موقفاً موحداً، وصار للهاشميين موقف آخر مختلف عنها، فقد اعتقد الهاشميون أنهم الأولى بالرسول حيا وميتا، لأنهم الأقرب إليه والألصق، والأكثر تضحياً من أجله، واعتقدت بطون قريش (الثلاثة والعشرون) أن قبيلة قريش كلها قرابة للنبي وليس الهاشميون وحدهم (١). وأن من مصلحة الإسلام أن لا يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معاً، وحيث أن الهاشميين قد اختصوا بالنبوة، فينبغي أن تختص قريش بالخلافة (٢).

وأمام وحدة قريش، فقد الهاشميون واقعيًا مواقعهم، وفرضت قريش ما كانت تراه صواباً على الهاشميين، فقد اشتغلت الدولة الجديدة بعد موت النبي (ص) بحروب الردة، وكثرت نفقاتها والتزاماتها العسكرية، وازدادت حاجة الدولة الجديدة إلى الإنفاق، فصادرت سهم ذوى القربى، واجتهد الخليفة الأول بأن توزيع هذا السهم على مصالح الدولة وعلى الأمة، أولى وأصوب من حصره بالهاشميين، ونفذ الخلفاء والحكام الذين تلوه ما كان قد سنه أبو بكر، وصار عمل الخلفاء سنه، فلم يقووا على العمل بعكس سنن الخلفاء السابقين، لأنها ترسخت في النفوس وفي أذهان العامة، وصارت بمثابة العرف الذي يتعذر تغييره بدون حرج ولا استهجان.

ويبدو أن بعض الخلفاء وبعد أن استقامت أمورهم وانقادت الدنيا لهم، قد فكروا بإعطاء الهاشميين جزءاً من سهم ذوى القربى، إلا أن الهاشميين رفضوا رفضاً قاطعاً أن يأخذوا جزءاً، وأصروا بأنهم لن يقبلوا إلا بالحق كله (٣).

ومع الأيام صار سهم ذوى القربى حقاً خالصاً للخليفة، يتصرف به على الوجه الذي يراه. قال ابن الأثير: أعطى عثمان عبد الله بن أبي سرح خمس الغزوة الأولى، وأعطى مروان بن الحكم خمس الغزوة الثانية التي افتتحت فيها جميع أفريقيا (٤).

وقال ابن أبي الحديد: أعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقيا، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة، من غير أن يشركه فيه أحداً من المسلمين (٥).

١ - راجع تفسير الطبري ج ١٠، ص ٥، والأموال لأبي عبيد ص ٣٣٣.

٢ - المصدر السابق.

٣ - راجع مسند أحمد ج ١، ص ٢٢٤ و ٣٢٠، وسنن أبي داود ج ٢، ص ٥١، وسنن النسائي ج ٢، ص ١٧٢، وسنن البيهقي ج ٦، ص ٣٤٤ و ٣٤٥، ومسند الشافعي ص ١٨٧.

٤ - راجع تاريخ ابن الأثير ج ٣، ص ٧١ ط أوروبا، وج ٣، ص ٣٥ ط مصر.

٥ - راجع شرح النهج ج ١، ص ٦٧، وراجع فتوح إفريقيا لابن عبد الحكيم ص ٥٨ - ٦٠، وابن كثير ج ٧، ص ١٥٢.

(٢٦)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، مروان بن الحكم (١)، ابن الأثير (٢)، الخليفة أبو بكر بن أبي قحافة (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب تفسير الطبري (١)، كتاب سنن أبي داود (١)

صفحة ٢٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٧

وبارئ الفقهاء هذا الواقع الجديد، وحاولوا أن يخرجوا الحكم الشرعي على ضوئه، تماشياً مع سياسة الحكام والخلفاء الذين

عاصروهم، ولأسباب عديدة لا مجال لذكرها، فقد رأى مالك بن أنس، أن هذا السهم بأجمعه مفوضا إلى الإمام يجعله حيث شاء، ولا حق فيه لدى القربى ولا لتيتم ولا لمسكين ولا لابن سبيل مطلقا (١). وأما أبو حنيفة وأصحابه: فقد أسقطوا بعد موت النبي (ص) سهمه وسهم ذى قربه، وقسموه بين مطلق اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، لا فرق بين الهاشميين وغيرهم، أما الشافعي:

فأبقى سهم ذوى القربى لذوى القربى، يعرف لهم للذكر مثل حظ الأنثيين، والباقي لليتامى والمساكين وابن السبيل إطلاقا (٢).
أجلى مظاهر التميز لمحمد وآل محمد (ص) على العالمين (لا صلاة لمن لم يصل على محمد وآله):

لقد نطق القرآن الكريم، وأجمعت الأمة الإسلامية على أن أولى مهام النبي الأكرم محمد (ص) أن يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وعندما نزل قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (٣)، قيل لرسول الله (ص): يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلى عليك؟ قال النبي: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وفي ذلك يقول الشافعي:.

يا أهل بيت رسول الله حبكم - فرض من الله في القرآن أنزله.

كفاكم من عظيم الفخر أنكم - من لم يصل عليكم لا صلاة له (٥).

لما حج الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، جهد ليصل إلى الحجر، فلم يقدر لكثرة الزحام، فجلس معه أعيان الشام، فبينما هم كذلك إذ أقبل على بن الحسين بن علي بن أبي طالب (الإمام السجاد) - صلوات الله وسلامه عليهم -، فلما إنتهى إلى الحجر، تنحى له الناس

١ - راجع فتح القدير للشوكاني ج ٢، ص ٢٩٥، وتفسير القرطبي ج ٨، ص ١٨، وتفسير المنارج ج ١٠، ص ١٦.

٢ - نفس المصادر السابقة في السند رقم ٣.

٣ - الأحزاب: الآية ٥٦.

٤ - صحيح البخارى كتاب التفسير ج ٦، ص ٢٧ وج ٦، ص ١٢٠، وصحيح مسلم كتاب الصلاة ج ٢ ص ١٦ وج ١ ص ١٧٣، وصحيح الترمذى ج ١، ص ٣٠١، ح ٤٨١ وج ٥ ص ٣٨، وسنن النسائي ج ٣، ص ٤٥ - ٤٩، وسنن ابن ماجه ج ١، ص ٢٩٢، ح ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٦ وغيرها.

٥ - راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢، ص ٩٦.

(٢٧)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، الأحكام الشرعية (١)، القرآن الكريم (٢)، على بن الحسين بن علي (١)، هشام بن عبد الملك (١)، مالك بن أنس (١)، الشام (١)، الصلاة (٢)، الحج (١)، كتاب سنن ابن ماجه (١)، كتاب صحيح الترمذى (١)، كتاب صحيح البخارى (١)، كتاب صحيح مسلم (١)

صفحة ٢٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٨

حتى استلمه، فقال رجل من الشام: من هذا؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق الشاعر المعروف في حضرة الخليفة الأموي فقال: أنا أعرفه، فقال الشامي: من هذا يا أبا فراس؟ فأجابه الفرزدق شعرا بقصيدة رائعة جاء فيها:
فليس قولك من هذا بضائه * العرب تعرف من أنكرت والعجم.

من معشر حبههم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم.

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من هم خير أهل الأرض قيل هم (١).

كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سبب النبي (ص) ونسبه.

قال رسول الله (ص): كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى فإنها موصولة فى الدنيا والآخرة (٢).

قيل لخادمه تخدم آل محمد (ص): غطى شعيفاتك فإن محمداً لن يغنى عنك من الله شيئاً، فأخبرت النبي (ص)، فغضب غضباً شديداً، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال: نعم، ولكن من أنا؟ فقال الأنصار: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال النبي: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر، وأول داخل الجنة ولا فخر، وفى ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ولا فخر، ما بال أقوام يزعمون أن رحمتى لا تنفع؟! بل تنفع حتى تبلغ (حكم) وحاء (٣)، إنى لأشفع حتى أن من أشفع له ليشفع فيشفع، حتى أن إبليس ليتناول طمعا بالشفاعة (٤).

وقال رسول الله (ص) يوماً لأصحابه: ما بال رجال يقولون: رحم رسول الله لا تنفع يوم القيامة؟ والله إن رحمتى لموصلة فى الدنيا والآخرة (٥).

١ - راجع وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٦، ص ٩٦، والإمام زين العابدين (ع) للمقرم ص ٢٩٥.

٢ - راجع مجمع الزوائد للهيثمى ج ٨، ص ٢١٦، وذكره ابن حجر فى صواعقه ص ١٣٨، وذكره الطبرى فى ذخائر العقبى ص ٦، وفيض القدير للمناوى ج ٥، ص ٢٠: وأخرجه الطبرانى والحاكم والبيهقى، وفى ص ٣٥ قال أخرجه ابن عساکر وقال: حديث صحيح.

٣ - من قبائل اليمن الكبيرة.

٤ - راجع ذخائر العقبى للطبرى ص ٦، وفضائل الخمسة ج ٢، ص ٧١، وقال أخرجه ابن حكم وحاء من قبائل اليمن.

٥ - راجع كنز العمال ج ١، ص ٩٨ وج ٧، ص ٤٢، أخرجه ابن النجار، وذكره المتقى الهنذى فى ج ٧، ص ٤٢: وقال أخرجه أبو داود الطيالسى، وأحمد بن حنبل، وعبد الرحمن بن حميد وغيرهم.

(٢٨)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، يوم القيامة (٣)، الشاعر الفرزدق (٢)، محمد بن عبد الله (١)، الشام (٢)، البول (٢)، الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهنذى (١)، أبو داود الطيالسى (١)، كتاب ذخائر العقبى (٢)، الطبرانى (١)، ابن عساکر (١)، أحمد بن حنبل (١)

صفحة ٢٩٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٩

قال رسول الله (ص): وعدنى ربي فى أهل بيتى، من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ، أن لا يعذبهم الله (١).

وقال (ص): سألت ربي أن لا يدخل أحداً من أهل بيتى النار فأعطانى (٢).

وقال (ص): اللهم إنهم عتره رسولك فهب مسيئتهم لمحسنهم وهبهم لى، قال: ففعل وهو فاعل، قال، قلت: ما فعل؟ قال: فعله بكم ويفعله بمن بعدكم (٣).

وقال (ص): إن الله عز وجل قد فطمها [يعنى فاطمة (س)] وذريتها عن النار يوم القيامة (٤).

وقال (ص): إن الله عز وجل فطم ابنتى فاطمة وولدها ومن أحبهم من النار، فلذلك سميت فاطمة (٥).

الذرية المباركة.

أعطى الله النبي (ص) بنين فماتوا جميعا وهم أطفال، ورزقه بنات، فتزوجن ومتن، ولم يكن لهن عقب، والبنات الوحيدة التي عاشت للنبي هي فاطمة بنت محمد (ص)، أمر الله نبيه بأن يعلنها سيده لنساء العالمين (٦)، ويعلن بأن رضاها من رضاه، وسخطها من سخطه (٧)،

١ - راجع المستدرک على الصحيحين ج ٣، ص ١٥٠، وذكره ابن حجر في صواعقه ص ١٤٠، وقال: صحيح.

٢ - راجع كنز العمال ج ٦، ص ٢١٥، قال أخرجه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن عمران بن حصين، وذكره ابن حجر في صواعقه ص ١١ و ٩٥.

٣ - الصواعق المحرقة ص ١٠٢، قال ونقل القرطبي وغيره عن الذي قال في قوله تعالى:

(ان الله لغفور شكور): غفور الذنوب لآل محمد (ص)، شكور لحسناتهم، وراجع ذخائر العقبى للطبري ص ٢٠.

٤ - ذخائر العقبى للطبري ص ٢٦.

٥ - ذخائر العقبى للطبري ص ٢٦، وقال أخرجه الحافظ الدمشقي.

٦ - الإستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإجابة ج ٤، ص ٢٧٧ و ٢٨٤ و ٢٨٥، والإجابة لابن حجر ج ٤، ص ٣٧٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج ٥، ص ٤٣٧، وذخائر العقبى للطبري ص ٤٤.

٧ - راجع حوارها في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١، ص ٥ وما فوق، وراجع صحيح البخاري كتاب بدء الخلق / باب مناقب قرابة الرسول، وكنز العمال ج ٦، ص ٢٢٠، وقال أخرجه ابن شيبه، وفيض القدير للمناوي ج ٤، ص ٤٢١، وصحيح البخاري كتاب النكاح، وصحيح أبي داود ح ١٢، ومسنود ابن حنبل ج ٤، ص ٣٢٨، وصحيح مسلم / كتاب فضائل الصحابة، وصحيح الترمذي ج ٢، ص ٣١٩ والمستدرک على الصحيحين ج ٣، ص ١٥٨، وحلية الأولياء ج ٢، ص ٤٠، وكنز العمال ج ٦، ص ٢١٩ وج ٨، ص ٣١٥، وخصائص النسائي ص ٣٦...

(٢٩)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٢)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٣)، كتاب الخصائص للنسائي (١)، كتاب صحيح الترمذي (١)، كتاب صحيح البخاري (١)، كتاب ذخائر العقبى (٣)، كتاب الصواعق المحرقة (١)، كتاب صحيح مسلم (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ٣٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٣٠

وتتويجها إلهيا سيده على نساء العالمين، يبين بأوضح بيان بأنها قد جمعت كل ما يحتاجه الرجل من المرأة المثلى، وأنها ظاهرة فريدة في تاريخ المرأة، خطبها أبو بكر الخليفة الأول، فرفض رسول الله تزويجها له (١)، وخطبها عمر ورفض النبي تزويجها له أيضا، وقال النبي أنه ينتظر أمر ربه فيها: بمعنى أن الله تعالى هو الذي سيختار الزوج لسيدة نساء العالمين، ومن هذه السيدة المباركة ومن زوجها العظيم ستكون الذرية المباركة، وقبل أن يختار الله تعالى زوج السيدة البتول فاطمة، أمر رسوله أن يعلن للمسلمين، بأن الله تعالى قد جعل ذرية كل نبي من صلبه، وجعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب (٢)!! مثلما أمره الله تعالى بأن يعلن، بأن كل بني أنثى ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة، فأنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم (٣)، وطالما خاطب النبي (ص) عليا (ع) قائلا: وأما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي (٤)، وأشار النبي لعلي بقوله: هذا أخي وابن عمي وصهرى وأبو ولدي (٥).

وفي يوم مبارك جاءت البشارة إلى رسول الله (ص) فزفها لأصحابه، قائلا: بشاره أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي، بأن الله

زوج عليا فاطمة (٤)، وطالما ذكر النبي فاطمة بهذه النعمة الإلهية، قائلا: أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك

١ - كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٣٠٢ و ٣٠٤، ومجمع الزوائد للهيثمى الشافعي ج ٩، ص ٢٠٥ و ٢٠٦ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١١٤، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٣٩، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٣٠٦، وأسّد الغابة لابن الأثير ج ١، ص ٣٨، وتاريخ بغداد للخطيب ج ١، ص ٣٦٣، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢، ص ٢٤٠، وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٣، ص ٢٦١ ...

٢ - راجع كنز العمال ج ٦، ص ١٥٢، والحديثي، وفيض القدير للمناوي ج ٢، ص ٢٢٣، والصواعق لابن حجر ص ٧٤، وقالوا أخرجه الطبراني عن جابر الخطيب عن ابن عباس، وتاريخ بغداد ج ١، ص ٣٣١٦، وراجع فضائل الخمسة ج ٢، ص ١٨٠ - ١٨١.

٣ - المستدرک على الصحيحين ج ٣، ص ١٦٤، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١١، ص ٢٨٥، وكنز العمال ج ٦، ص ٢٢٠، وج ٦، ص ٢١٦، وقال أخرجه الطبراني عن فاطمة، وعن عمر وابن عساكر عن جابر، ومجمع الزوائد للهيثمى ج ٩، ص ١٧٢، وقال: رواه الطبراني وأبو يعلى وذخائر العقبى للطبري ص ١٢١، وقال: أخرجه أحمد في المناقب.

٤ - المناقب للخوارزمي الخفي ص ٢٧.

٥ - الغدير للأميني ج ٣ -، ص ١١٩.

٦ - المناقب للخوارزمي ص ٢٤٦، وفضل الحسين للخوارزمي ج ١، ص ٦٠، وينايع المودة للقندوزي ص ٣٠٤، وأسّد الغابة لابن الأثير ج ١، ص ٢٠٦، والصواعق المحرقة لابن حجر.

(٣٠)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، علي بن أبي طالب (١)، الخليفة أبو بكر بن أبي قحافة (١)، الزوج، الزواج (٤)، الصّلب (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (١)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢)، عبد الله بن عباس (١)، كتاب الغدير للعلامة الأميني (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، كتاب أسّد الغابة لابن الأثير (٢)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، كتاب ينايع المودة (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (٢)، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (١)، الطبراني (٣)، ابن عساكر (١)، مدينة بغداد (١)، الخوارزمي (٣)، الإخفاء (١)

صفحة ٣١٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٣١

والآخر بعلك (١)؟، ومثل قوله ... لا- يا فاطمة، أما ترضين أن الله عز وجل اطع إلى أهل الأرض، فاختر رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك (٢)؟.

وليس صدفة أن تحصر ذرية النبي (ص) بولد فاطمة (ع)، وقد أحيطت الأمة علما بذلك، وعلمت علم اليقين بأنه ليس للنبي ولد إلا ولد فاطمة، وطالما ردد النبي بنشوة عارمة وأمام جموع الصحابة: هذا ابني الحسن، (أو) هذا ابني الحسين، وطالما افتخر بأن الله تعالى هو الذي سماهما الحسن والحسين.

الزواج المبارك.

محمد (ص) سيد ولد آدم بلا خلاف، وخيرة الله من خلقه بلا خلاف، وفاطمة سيده نساء العالمين بلا خلاف، وقد أمر الله نبيه بأن يعلن بأن عليا سيد العرب (٣) وسيد المسلمين وامام المتقين (٤)، وبعد أن أعلن النبي ذلك أمر الله نبيه بأن يعلن زواج السيدين فاطمة

وعلى، وأحيط المسلمون علما بأن الذرية الناتجة من هذين الزوجين المباركين هي ذرية النبي، وهم بنوه، وهم تاج أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فكان أهل بيت النبوة هم خيرة الخيرة، لأنهم اختيارات إلهية متلاحقة، وقد أنعم الله على الزوجين السعديين بإمامين عظيمين: هما الحسن والحسين (ع)، واعتبرهما النبي ولديه حقا، فأذن في أذنيهما (٥)، وعق عنهما (٦)، وعودهما بما عوذ إبراهيم الخليل ولديه (٧)

١ - راجع تراجمه على من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١، ص ٢٤٩، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، وكنز العمال ج ١٥، ص ٩٥، والرياض النضرة للطبري ج ٢، ص ٢٤٠.

٢ - راجع المستدرک للحاكم ج ٢، ص ١٢٩، وتاريخ دمشق لابن عساكر / ترجمة على ج ١، ص ٢٤٩، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٣٠٩، وكنز العمال ج ٦، ص ٣٩١ وج ٥، ص ٩٥، وتاريخ بغداد ج ٤، ص ١٩٥ و ١٩٦.

٣ - ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ونقله ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢، ص ٢٥١.

٤ - راجع المعجم الصغير للطبراني ج ٢، ص ٨٨ ومناقب على لابن المغازلي الشافعي ص ٦٥، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ١٣٥، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٠٧، ومجمع الزوائد ج ٩، ص ١٢١، وأسد الغابة ج ١، ص ٦٩ وج ٣، ص ١١٦، و ترجمة على من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢، ص ٢٥٧ وفضائل الخمسة ج ٢، ص ١٠٠ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٨١، والرياض النضرة للطبري ج ٢، ص ٢٢٤، ومنتخب الكثر بهامش مسند الإمام أحمد ج ٥، ص ٣٤، وحلية الأولياء ج ١، ص ٦١ وكنز العمال ج ١٥، ص ١٥٧.

٥ - راجع الترمذی ج ١، ص ٢٨٦ والمستدرک على الصحيحین ج ٣، ص ١٧٩، ومسند أحمد بن حنبل ج ٦، ص ٩ و ص ٣٩١ و ٣٩٢، وأبي داود في مسنده ج ٤، ص ١٣٠، وصحيح أبي داود ج ٣٣، ص ٢١٤. ٦ - صحيح النسائي ج ٢، ص ١٨٨، والمستدرک على الصحيحین ج ٤، ص ٢٣٧، وكنز العمال ج ٧، ص ١٠٧، وقال أخرجه الطبراني وابن عساكر، وصحيح الترمذی ج ١، ص ٢٨٦، وفضائل الخمسة ج ٣، ص ٢١٤.

٧ - صحيح البخاري / كتاب بدء الخلق، وصحيح الترمذی ج ١، ص ٦، وصحيح ابن ماجه في أبواب الطب، وصحيح أبي داود ج ٣٠، ص ١٨٠، ومسند أحمد بن حنبل ج ١، ص ٢٣٦ و ص ٢٧٠، وحلية الأولياء ج ٤، ص ٢٩٩، ومشكل الآثار للطحاوي ج ٥، ص ٤٥، وكنز العمال ج ٥، ص ١٩٥، ومجمع الزوائد ج ١، ص ١٨٨، وفضائل الخمسة ص ٢١٧.

(٣١)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الزوج، الزواج (١)، كتاب المستدرک على الصحيحین للحاكم النيسابوري (٣)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم (٣)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (٢)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (٢)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، الحافظ أبو نعيم (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٥)، كتاب صحيح الترمذی (٢)، كتاب ينابيع المودة (١)، كتاب صحيح البخاري (١)، الطبراني (١)، ابن المغازلي (١)، ابن عساكر (٤)، ابن ماجه (١)، الخوارزمي (١)، دمشق (٣)، الطب، الطبابة (١)

صفحة ٣٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٣٢
واعترهما عضوين من أعضائه (١)، وريحانتيه من هذه الأمة (٢)، وأعلن بأنهما سيدا شباب أهل الجنة (٣)، وأنهما سبطا الأمة (٤)،

وأعلن النبي بكل فخر أنه وولديه الحسن والحسين: خير الناس جدا وجدة وأبا وأما (٥)، وإكمالاً وإحكاماً لحلقته الشرعية أنزل الله تعالى آية

- ١ - مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٦، ص ٣٩٩، وصحيح ابن ماجه ص ٢٨٩ باب تعبير الرؤيا، والمستدرک على الصحيحين ج ٣، ص ١٧٦، وطبقات ابن سعد ج ٨، ص ٢٠٤، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٣، ص ٢٤٢، والفضائل ص ٢٢٣.
- ٢ - صحيح البخارى / كتاب الأدب / باب رحه الداله، وصحيح الترمذى، ج ٢، ص ٣٠٦، ومسند أحمد بن حنبل ج ٢، ص ٨٥ و ٩٣ و ١١٤، وحلية الأولياء ج ٥، ص ٧٠، وخصائص النسائي ص ٣٧، وفتح البارى فى شرح البخارى ج ٨، ص ١٠٠، وكنز العمال ج ٦، ص ٢٢٠ و ٢٢١، والمستدرک على الصحيحين ج ٣، ص ١٦٥، والفضائل ص ٢٢٨.
- ٣ - صحيح الترمذى ج ٢، ص ٣٠٦ و ٣٠٧، ومسند أحمد بن حنبل ج ٥، ص ٣٩١، وحلية الأولياء على الصحيحين ج ٤، ص ١٩٠، وأسد الغابة ج ٥، ص ٥٧٤، وكنز العمال ج ٦، ص ٢١٧، وصحيح بن ماجه / باب فضائل أصحاب الرسول، والإصابة لابن حجر ج ١، ص ٢٦٦، وخصائص النسائي ص ٣٤، ومجمع الزوائد ج ٩، ص ١٨٢.
- ٤ - كنز العمال ج ٣، ص ٨٨ وج ٦، ص ٢٢٢١، وقال أخرجه الطبرانى وأبو نعيم، وسرقات المفاتيح لسلطان بن على ج ٥، ص ٨٠٢، وذخائر العقبى للطبرى ص ٤٤، وقال: أخرجه الطبرانى فى معجمه.
- ٥ - كنز العمال ج ٦، ص ٢٢٢١ وقال أخرجه الطبرانى وابن عساكر عن ابن عباس، ومجمع الزوائد للهيمى ج ٩، ص ١٨٤، وقال: أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط وذخائر العقبى للطبرى ص ١٣٠، وراجع فضائل الخمسة ج ٣، ص ٢٦٠ وما فوق.

(٣٢)

مفاتيح البحث: كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى (٢)، كتاب حلية الأولياء لأبى نعيم (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (٢)، عبد الله بن عباس (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (٢)، الحافظ أبو نعيم (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٤)، كتاب الخصائص للنسائي (١)، كتاب صحيح الترمذى (٢)، كتاب صحيح البخارى (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)، كتاب فتح البارى (١)، الطبرانى (٤)، ابن عساكر (١)، ابن ماجه (١)، أحمد بن حنبل (١)

صفحه ٣٣٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٣٣

محكمة، تضمنت بيان ذرية النبي، واستقطب الله سبحانه وتعالى الناس لها، وكان من المتفق عليه حسب التوجيهات الإلهية، أن يلتقى الطرفان المتباهلان، ومع كل طرف أولاده ونسأوه، ثم يبتهلوا فيجعلوا لعنة الله على الكاذبين. وفى اليوم المخصص للمباهلة، حضر النبي نفسه آخذاً بيد على والحسن والحسين، وكانت فاطمة تمشى خلفهم، فسأل وفد النصارى عن أولئك الذين أحضرهم النبي (ص) معه للمباهلة، فقيل له: على بن أبى طالب ابن عمه، وزوج ابنته ووالد سبطيه، الحسن والحسين ابنا بنته، أما المرأة التى كانت تمشى خلفهم فهى فاطمة بنته. فوقعت الهيبة فى قلوب وفد النصارى، وامتنعوا عن مباهلة النبي (١).

هذه واقعة أجمعت الأمة الإسلامية على صحه وقوعها، فهل اختار النبي الأربعة من تلقاء نفسه، أم أن الله تعالى هو الذى أمره باختيارهم...؟ ظروف المباهلة، وسياق الآيه، تدل دلالة قاطعه، وبديهي أن تحدى المباهلة أمر إلهي، أنظر لقوله تعالى: (فقل تعالوا)، ...ومن

- ١ - راجع صحيح مسلم / كتاب الفضائل / فضائل على ج ٢، ص ٣٦٠ وج ١٥، ص ١٧٦ بشرح النووى وصحيح الترمذى ج ٤، ص ٢٩٣، ح ٣٠٨٥، وج ٥، ص ٣٠١، ح ٣٨٠٨، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الخفى ج ١، ص ١٢٠ - ١٢٩، والمستدرک للذهبي مطبوع بذييل المستدرک، ومناقب على لابن المغازلى الشافعى ص ٢٦٣، ح ٣١٠، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١، ص ١٨٥، وج ٣،

ص ٩٧، ح ١٦٠٨، وكفاية الطالب للكنجى الشافعى ص ٥٤ و ٨٥ و ١٤٢، وترجمة الإمام على من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١، ص ٢١، ح ٣٠ و ٢٧١، وتفسير الطبرى ج ٣، ص ٢٩٩ و ٣٠٠، وج ٣، ص ١٩٢، والكشاف للزمخشري ج ١، ص ٣٦٨ و ٣٧٠، وتفسير ابن كثير ج ١، ص ٣٧٠ - ٣٧١، وتفسير القرطبي ج ٤، ص ١٠٤، وأحكام القرآن للجصاص ج ٢، ص ٢٩٥، وقال:

لم يختلفوا فيه ... وأحكام القرآن لابن الغربى ج ١، ص ٢٧٥، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبى ج ١، ص ١٠٩، وفتح القدير للشوكانى ج ٢، ص ٦٩٩، وجامع الأصول لابن الأثير ج ٩، ص ٤٧٠، ومطالب السؤل لابن طلحة الشافعى ص ١٨، وذخائر العقبى للطبرى ص ٢٥، وتذكرة الخواص لابن الجوزى ص ١٧، والدر المنثور للسيوطى ج ٢، ص ٣٨، وتفسير البخارى ج ٢، ص ٢٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٦٩، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٢، وتفسير الخازن ج ١، ص ٣٠٢، والمناقب للخوارزمى ص ٦٠ - ٩٧، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ١١٠، وأسّد الغابة لابن الأثير ج ٤، ص ٢٦، والإصابة لابن حجر ج ٢، ص ٥٠٩، ومشكاة المصابيح للعمري ج ٣، ص ٢٥٤، والبداية والنهاية لابن الأثير ج ٥، ص ٥٤، وتفسير الجلالين للسيوطى ج ١، ص ٣٣، وسفينه النجاة ص ٤٥ - ٤٦ ... الخ.

(٣٣)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب تفسير الكشاف للزمخشري (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكى (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسيط ابن الجوزى (١)، كتاب تفسير ابن كثير (١)، كتاب أسّد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمى (١)، كتاب صحيح الترمذى (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (٣)، كتاب تفسير الطبرى (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (١)، ابن المغازلى (١)، كتاب صحيح مسلم (١)، ابن عساكر (١)، ابن الأثير (٢)، أحمد بن حنبل (١)، الخوارزمى (١)، القرآن الكريم (٢)، دمشق (١)، الإخفاء (١)

صفحة ٣٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٣٤

البديهى أن نفهم أن اختيار طرف المباهلة المذكور هو اختيار إلهى، ومن قبيل تماسك الأحكام الإلهية وتصديق بعضها، ثم إن ضرب يوم للمباهلة، واستقطاب ذلك الحشد الكبير من الناس، ما هو إلا - فى أهم جوانبه - من قبيل إقامة الحجّة على السامعين والمشاهدين ومن بلغ.

والسؤال الذى يدعو للتفكير والتدبير هو: لماذا لم يدع الرسول بقيه بناته وأزواجهن؟ ولماذا لم يدع الرسول زعامه قريش التى تصدرت قيادة الأمة؟ ولماذا اقتضت الحكمة أن تكون هذه الحادثة مشهودة من فئات تمثل الديانات السماوية الثلاثة؟ وأول ما يتبادر إلى الذهن - جوابا على هذه التساؤلات - هو أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يميز أهل بيت النبوة عن سواهم، وأن يعرف الناس بصفوة الصفوة، فيحدد النقطة المركزية لدائرة الأمة، وللدائرة العالمية، ويحدد العلم الذى يلتف الناس حوله، تبارك الله الحكيم العليم. سادة العالم وأئمة الهدى الطاهرون (ع).

الأمة الإسلامية مجمعة على أن محمدا (ص) هو سيد ولد آدم ورسول الله الذى اختاره، وهى مجمعة على أن فاطمة البتول هى ابنة النبى، وسيدة نساء العالمين، وأن زوجها هو ابن عم النبى، وفارس الإسلام الأوحى، وربانى هذه الأمة، ووليها ومولاها، وسيد العرب، وسيد المسلمين، بالنص الشرعى، وقد وثقنا ذلك وسنوثقه.

وقد أمر الله نبيه أن يزوج عليا فاطمة ليخرج من هذين الزوجين ذرية النبى المباركة، وحصر الله تعالى ذرية النبى بمن يخرج من هذين الزوجين: لأن الأمة الإسلامية خاصة، والعالم عامة، سيحتاج بالضرورة إلى قائد وحاكم، أو إمام أو مرجع فى كل زمان، ومن مصلحة

العالم - وبكل المقاييس - أن يقوده الأفضل والأعلم والأطهر والأتقى الذي تأمن الناس بوائقه، وتطمئن إلى نقائه، توفيراً على الأمة مشقة البحث والعناء والتحرى عن بغيتها التي تريد، فأول ما ينبغي على الأمة المسلمة هو التحرى إن كان في ذرية محمد، عمن هو أهل للقيادة أو الإمامة، أو المرجعية: لأن ذرية محمد هي القاسم المشترك بين الجميع، وبالضرورة فيها المؤهل إليها لقيادة الأمة، وبيان القرآن الكريم، والإحاطة بمعرفة السنة النبوية الشريفة، ومعرفة الشرع معرفة قائمة على الجزم واليقين: لأنهم ورثوا علوم النبوة من أبيهم رسول الله (ص)، ونصوص الشرع الحنيف، وما تواتر عن النبي يثبت بما لا يدع مجاً للشك، بأن الله تعالى لم يترك الأمر سدى، وإنما أقام للناس في كل زمان علماً يهتدون إليه، ومرجعاً يدركون الهدى به، والخلاصة أنه في كل زمان من الأزمان يجب أن يتوافر بالضرورة سيد من تلك الذرية المباركة، مؤهل من جميع الوجوه لقيادة العالم.

إن بيت عبد المطلب هو خير البيوت بنص الشرع كما وثقنا، وهو بيت النبي المبارك، والبطن الهاشمي هو خير البطون بنص الشرع، وهو بطن النبي كما هو معروف بالبداهة، فأهل بيت النبوة لا ينبغي بالضرورة أن يخرجوا عن هاتين الدائرتين، فأهل البيت شرعاً هم هؤلاء أو

(٣٤)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، القرآن الكريم (١)، الزوج، الزواج (٣)، الضرب (١)، الإختيار، الخيار (٢)

صفحة ٣٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٣٥

هم منهم، والمؤكد وبكل الموازين وغالبا هم ذرية مختارة ومباركة، وهب الله مسيئهم لمحسنهم، ووهبهم الله جميعاً لرسوله (ص) كما وثقنا، لكن الأحكام الشرعية يجب أن تتسم بالوضوح، وأن تخلو من الغموض حتى يمكن الاستفادة منها ويقوى الناس على تطبيقها. فال معروف أن هاشم هو أبو الهاشميين وسيدهم بلا خلاف، والمعروف أيضاً أن عبد المطلب قد آلت إليه السيادة على الهاشميين بالرضا وبدون إكراه، وقبل الجميع سيادته، والمعروف أيضاً أن عمادة البطن الهاشمي قد آلت إلى أبي طالب، فهو عميد الهاشميين وعميد قريش كلها، ومن المسلم به أن رسول الله هو حبيب البطن الهاشمي، فاختار الله فاطمة واختار علياً: وزوجهما، ومن هذين الزوجين المباركين، جعل ذرية النبي وكون صفوة الصفوة أهل بيت النبوة، وأغدق عليهم نعمه وخصهم بفضله، فصار مصطلح أهل البيت كذرية للنبي، وكمركز للقيادة والمرجعية، وكرمز للاتصاق بالنبي يطلق بالدرجة الأولى على الأربعة على وفاطمة والحسن والحسين، ونسلهم (١). هذا حسب إقرار أم سلمة، وعائشة (٢)، وطالما أشار الرسول إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين (ع)، وقال في أكثر من مناسبة اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (٣)، وعندما نزلت آية التطهير أشار النبي إليهم (٤)، وعندما نزلت آية المودة في القربى ذكر النبي بهم وأشار إليهم (٥)، وعندما جاء جبريل بآية أولى الأمر: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا

١ - راجع صحيح الترمذى ج ٥، ص ٣١، ح ٣٢٥٨ و ٣٢٨، ح ٣٨٧٥، وص ٣٦١، ح ٣٩٦٣.

٢ - راجع صحيح مسلم ج ٢، ص ٣٦٨، وج ١٥، ص ١٩٤، بشرح النووي والمستدرک للحاكم ج ٣، ص ١٤٧، و صححه.

٣ - راجع صحيح مسلم / كتاب الفضائل / باب فضائل علي ج ٢، ص ٣٦٠، وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥، ص ١٧٦، والمستدرک على الصحيحين ج ٢، ص ١٥٠، و ٤١٦، وج ٣، ص ١٤٦ و ١٤٧.

٤ - صحيح مسلم / فضائل أهل البيت ج ٢، ص ٣٦٨، وج ١٥، ص ١٩٤، بشرح النووي، وصحيح الترمذى ج ٥، ص ٣٠، ح ٣٢٥٨، وج

٥، ص ٣٣٢٨، ح ٣٨٧٥، ومسنّد الإمام أحمد بن حنبل ج ١، ص ٣٣، والمستدرک على الصحيحين للحاكم ج ٣، ص ١٣٣ و ١٤٦ و

١٤٧، وج ٢، ص ٤١٦.

٥ - راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى ج ٢، ص ١٣٠، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٠١ و ١٣٥ و ١٣٦، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١١، ومقتل الحسين للخوارزمى ج ١، ص ٣١٤، ح ٢٥٠. (٣٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الأحكام الشرعية (١)، آية المودة (١)، آية التطهير (١)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (١)، الزوج، الزواج (١)، الطهارة (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمى (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى (٣)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى (١)، كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمى (١)، كتاب صحيح الترمذى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (١)، كتاب صحيح مسلم (٤)، أحمد بن حنبل (١)، الخوارزمى (١)

صفحة ٣٦٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٣٦

الرسول وأولى الأمر منكم (١). بين الرسول أن أهل بيته هم أولى الأمر (٢). وعندما نزلت آية: (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (٣): أشار النبي الكريم إلى هؤلاء الأربعة، مؤكداً بأنهم هم أهل الذكر (٤)، وهنالك مئات النصوص الشرعية التي رواها الأجلء من أهل الملة تصدق ذلك كله. ما نزل من القرآن الكريم فى حق أهل البيت (ع). شهد الله لأهل بيت النبوة بالأهلية والكفاءة، وكفى بالله شهيدا، وأنزل فيهم الكثير من الآيات، وأمر نبيه أن يبينها للمسلمين، فبينها النبي بيانا واضحا لا لبس فيه ولا غموض، لتكون هذه الآيات معالم على الطريق، تهدي من أراد الهدى، وترشد من استرشد. (آية التطهير).

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٥)، وأهل بيت النبوة كما ذكرنا، هم عتره النبي وأقاربه، وتاج العتره، والناصية، هم محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -، وهم أول المعنيين بآية التطهير. (٦).

١ - سورة النساء، آية ٥٩.

٢ - ينابيع المودة للقندوزى الحنفى ص ١٣٤ و ١٣٧، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى ج ١، ص ١٤٨، ح ٢٠٢ - ٢٠٤، وتفسير الطبرى ج ٣، ص ٣٥٧، وفرائد السمطين للحمونى الشافعى ج ١، ص ٣١٤، ح ٢٥٠.

٣ - سورة النحل، آية ٤٣.

٤ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى ج ١، ص ٣٣٤، حديث ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦٣ - ٤٦٦، وينابيع المودة للقندوزى الحنفى ج ١٥، ص ١٤٠، وتفسير القرطبى ج ١١، ص ٣٧٢، وتفسير الطبرى ج ١٤، ص ١٠٩، وتفسير ابن كثير ج ٢، ص ٥٧٠، وروح المعانى للآلوسى ج ٤، ص ١٣٤.

٥ - سورة الأحزاب، آية ٣٣.

٦ - صحيح مسلم كتاب الفضائل / باب فضائل أهل البيت ج ٢، ص ٣٦٨، وج ١٥، ص ١٩٤ بشرح النووى وصحيح الترمذى ج ٥، ص ٣٠، ح ٣٢٥٨ وج ٥، ص ٣٢٨ ح ٣٨٧٥، ومسند أحمد بن حنبل ج ١، ص ٣٣٠ بسند صحيح، والمستدرک على الصحيحين للحاكم ج

٣، ص ١٣٣ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٥٨ و ج ٢، ص ٤١٦، وتلخيص الذهبي بعين المستدرك على نفس الضمان، والمعجم الصغير للطبراني ج ١، ص ٦٥، ١٣٥، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى ج ٢، ص ١١ - ٩٢، وترجمة الإمام على من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١، ص ١٨٥، ٢٥٠، ٢٧٢، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٢، ص ١٢ و ٢٠، وج ٣، ص ٤١٣، وج ٥، ص ٥٢١، ٥٨٩، وذخائر العقبي للطبري ص ٢١، ٢٣، ٢٤، وتفسير الطبري ج ٢٢، ص ٦ - ٨، والدر المنثور للسيوطي ج ٥، ص ١٩٩، وأحكام القرآن للجصاص ج ٥، ص ٢٣٠، وتفسير الكشاف للزمخشري ج ١، ص ١٩٣، وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢، ص ١٦٦، وتفسير القرطبي ج ١٤، ص ١٨٢، والإصابة لابن حجر ج ٢، ص ٥٠٢، وج ٤، ص ٣٩٧، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٤، ص ٣١١، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ج ٣، ص ٣٧، وينايع المودة، ص ١٠٧ وما فوق ... الخ.

(٣٦)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، آية التطهير (٣)، القرآن الكريم (٣)، كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب تفسير الكشاف للزمخشري (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى (٣)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب تفسير ابن كثير (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (٢)، كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي (١)، كتاب صحيح الترمذى (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، كتاب تفسير الطبري (٢)، ابراهيم الحموي الشافعي (١)، كتاب ينايع المودة (٣)، كتاب فرائد السمطين (١)، كتاب صحيح مسلم (١)، ابن عساكر (١)، ابن الأثير (١)، سورة الأحزاب (١)، سورة النساء (١)، سورة النحل (١)، دمشق (١)

صفحة ٣٧٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٣٧

وقال الرسول (ص) مشيراً إلى علي وفاطمة والحسن والحسين (ع): اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وإلى هذا المعنى أشار الرسول في مناسبات متعددة وبصيغ متعددة، ولكنها تفصح جميعا عن ذات المضمون (١).

شهادة أم سلمة.

شهدت أم سلمة زوجة رسول الله واقعة إعلان الرسول بأن الخمسة هم أهل البيت الذين عنتهم آية التطهير، وعندما أرادت أم سلمة أن تدخل نفسها معهم، بين لها الرسول بأنها على خير، ولكنها ليست منهم (٢).

شهادة عائشة بنت أبي بكر.

ذكرت عائشة أن الرسول (ص) قد بين بأن المراد بأهل البيت الوارد ذكرهم في آية التطهير،

١ - راجع صحيح الترمذى ج ٥، ص ٣١، ح ٣٢٥٨ و ص ٣٢٨، ح ٣٨٧٥ و ص ٣٦١، ح ٣٩٦٣، وصحيح مسلم / كتاب الفضائل / فضائل علي ج ٢، ص ٣٦٠، وج ١٥، ص ١٧٦ لشرح النووي، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٤، ١٦ والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٢، ص ١٥٠، ٤١٦، وج ٣، ص ١٠٨، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٨، وتلخيص المستدرك للذهبي بذيّل المستدرك نفس الصفحات، وذخائر العقبي للطبري ص ٢٣، ٢٤، مسند أحمد بن حنبل ج ١، ص ٨٥، ج ٣، ص ٥٩، ٢٨٥، ج ٦، ص ٢٩٨، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٣، ص ١٢، وج ٣، ص ٤١٣، وج ٤، ص ٢٦، ٢٩، والتاريخ الكبير للبخارى ج ١، ق ٢، ص ٦٩ تحت رقم ١٧١٩ و ٢١٧٤، والدر المنثور للسيوطي ج ٥، ص ١٩٨ - ١٩٩، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١، ص ٧٥، والمراجع السابقة.

٢ - صحيح الترمذى ج ٥، ص ٣١، ح ٣٢٥٨، و ص ٣٢٨، ح ٣٨٧٥، و ص ٣٦١، ح ٣٩٦٣، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى ج ٢، ص ٢٤، حديث ٦٥٩ وما فوق، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي، ص ٣٠٣، ح ٣٤٧ و ٣٤٩، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٨، وتفسير ابن كثير ج ٣، ص ٣٣٠، وذخائر العقبي للطبري ص ٢١، ٢٢، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٢، ص ١٢، وج ٣، ص ٣،

٤١٣، وتفسير الطبري ج ٢، ص ٧، ٨، وفتح القدير للشوكاني ج ٤، ص ٢٧٩، والرياض النضرة للطبري.

(٣٧)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، أزواج النبي (ص) (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، آية التطهير (١)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (٣)، عائشة بنت أبي بكر زوجة النبي (ص) (١)، الطهارة (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب تفسير ابن كثير (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (٢)، كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي (١)، كتاب صحيح الترمذی (٢)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، كتاب تفسير الطبري (١)، كتاب ذخائر العقبي (٢)

صفحة ٣٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٣٨

هم على وفاطمة والحسن والحسين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - (١).

بيان الرسول العملي للآية الشريفة.

طوال مدة ستة أشهر كان الرسول (ص) يمر بباب علي وفاطمة إذا خرج إلى الصلاة، ويقول:

الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٢) (آية المودة في القربى).

قال تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (٣) فالقربى المعنى بهذه الآية هي قرابة الرسول، وعلى رأسهم علي وفاطمة والحسن والحسين - عليهم السلام - (٤).

١ - راجع صحيح مسلم / كتاب الفضائل / باب فضائل أهل البيت ج ٢، ص ٣٦٨، وج ١٥، ص ١٩٤ بشرح النووي، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢، ص ٣٣ وما فوق، وقد اعترفت السيدة عائشة بأن نساء النبي لسن من أهل البيت، والمستدرک للحاكم ج ٣، ص ١٤٧ وصححه، وتلخيص المستدرک بذيل المستدرک للذهبي والدر المنثور للسيوطي ج ٥، ص ١٩٨ - ١٩٩، وفتح القدير للشوكاني ج ٢، ص ٢٧٩ وذخائر العقبي للطبري ص ٢٤.

٢ - راجع صحيح الترمذی ج ٥، ص ٣١، ح ٣٢٥٩، وشواهد التنزيل للحسكاني ج ٢، ص ١١، حديث ٦٣٧ وما فوق، والدر المنثور للسيوطي ج ٥، ص ١٩٩، وتفسير الطبري ج ٢٢، ص ٦، ومجمع الزوائد للهيثمى الشافعي ج ٩، ص ٦٨، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٥، ص ٥٢١، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢، ص ١٠٤، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٨، وتفسير ابن كثير ج ٣، ص ٤٨٣، ص ٤٨٤، والمستدرک للحاكم ج ٣، ص ١٥٨ وصححه، وتلخيص المستدرک للذهبي بذيل المستدرک ومسنند الإمام أحمد بن حنبل ج ٥، ص ٩٦، وينايع المودة ص ١٩٣.

٣ - سورة الشورى / آية ٢٣.

٤ - راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢، ص ١٣٠، حديث ٨٢٢ وما فوق، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ٣٠٧، ح ٣٥٢، وذخائر العقبي للطبري ص ٢٥، ١٣٨، والصواعق لابن حجر ص ١٠١، ١٣٥، ١٣٦، ومطالب السؤل لابن طلحة الشافعي ص ٨، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١١، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١، ص ١، ٥٧، وتفسير الطبري ج ٢، ص ٢٥، والمستدرک للحاكم ج ٣، ص ١٧٢، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص ١١٠، وتلخيص المستدرک للذهبي بذيل المستدرک ج ٣، ص ١٧٢، وتفسير الكشاف للزمخشري ج ٣، ص ٤٠٣، وتفسير الفخر الرازي ج ٢٧، ص ١٦٦، وتفسير البيضاوي ج ٤، ص ١٢٣، وتفسير القرطبي ج ١٦، ص ٢٢، وفتح القدير للشوكاني ج ٤، ص ٥٣٧ والدر المنثور للسيوطي ج ٦، ص ٧، وينايع

المودة للقندوزي الحنفى ص ١٠٦، وحلية الأولياء ج ٣، ص ٢٠١، والغدير للأميني ج ٢، ص ٣٠٦ - ٣١١، وفضائل الخمسة ج ١، ص ٢٥٩، وعقبات الأنوار قسم حديث الثقلين ج ١، ص ٢٨٥.

(٣٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، آية المودة (١)، آية التطهير (١)، المودة في القربى (١)، الصيالة (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (١)، كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (٣)، كتاب تفسير الكشاف للزمخشري (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (٢)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى (٣)، كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم (١)، حديث الثقلين (١)، كتاب الغدير للعلامة الأميني (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي (١)، كتاب صحيح الترمذى (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (٤)، كتاب تفسير الطبرى (٢)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب ينابيع المودة (٢)، كتاب ذخائر العقبى (٢)، ابن المغازلى (١)، كتاب صحيح مسلم (١)، سورة الشورى (١)، أحمد بن حنبل (١)، الموت (١)

صفحة ٣٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٣٩

(آية المباهلة).

قال تعالى: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (١). لقد أجمعت الأمة على أن رسول الله عندما خرج للمباهلة، خرج ومعه علي والحسن والحسين وخلفهم فاطمة - عليهم السلام -، وأنه لم يشرك بهذه المباهلة أحدا من المسلمين سواهم (٢) لذلك فإن هذه الآية من الآيات النازلة في أهل بيت النبوة الكرام والخاصة بهم.

آية الإطعام.

قال تعالى: (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ...). إلى قوله تعالى: (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) (٣).

١ - سورة آل عمران، آية ٦١.

٢ - راجع صحيح مسلم / كتاب الفضائل / باب على ج ٢، ص ٣٦٠، وج ١٥، ص ١٧٦ بشرح النووى وصحيح الترمذى ج ٤، ص ٢٩٣، ح ٣٠٨٥، وج ٥، ص ٣٠١، ح ٣٨٠٨، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ١٢٠ - ١٢٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٣، ص ١٥٠ وصححه، ومعرفة علوم الحديث للحاكم وذكره في النوع ١٧، وقد توارثت الأخبار بأن رسول الله قد أخذ يوم المباهلة بيد علي وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال: هؤلاء أبنائنا وأنفسنا ونساؤنا ... راجع مسند أحمد بن حنبل ج ١، ص ١٨٥، وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١، ص ٢١: وتفسير الطبرى ج ٣، ص ٢٩٩ - ٣٠١ وج ٣، ص ١٩٢:

وتفسير الكشاف للزمخشري ج ١، ص ٣٦٨ - ٣٧٠. وتفسير ابن كثير ج ١، ص ٣٧٠ - ٣٧١، وتفسير القرطبي ج ٤، ص ١٠٤، وأحكام القرآن للجصاص ج ٢، ص ٢٩٥ - ٢٩٦: وأحكام القرآن لابن العربي ج ١، ص ٢٧٥: وزاد المسير لابن الجوزى ج ١، ص ٣٩٩: وفتح القدير للشوكاني ج ١، ص ٢٤٧: وتفسير الفخر الرازى، ج ٢، ص ٦٩٩: وجامع الأصول لابن الأثير ج ٩، ص ٤٧٠: والدر المنثور للسيوطى، ج ٢، ص ٣٨ - ٣٩: وتذكرة الخواص لابن الجوزى ص ١٧:

وتفسير البيضاوى ج ٢، ص ٢٢: وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٦٩: وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٦، ص ٢٩١.

٣ - سورة الدهر، آية ٥ - ٢٢.

(٣٩)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، آية المباهلة (١)، الكرم، الكرامة (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب تفسير الكشاف للزمخشري (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي (١)، كتاب تذكرة خواص الأئمة للسبط ابن الجوزي (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب تفسير ابن كثير (١)، كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي (١)، كتاب صحيح الترمذی (١)، جلال الدين السيوطی الشافعی (٢)، كتاب تفسير الطبري (١)، كتاب صحيح مسلم (١)، ابن عساكر (١)، ابن الأثير (١)، سورة الإنسان (الدهر) (١)، سورة آل عمران (١)، القرآن الكريم (٢)، دمشق (١)

صفحة ٤٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٤٠

هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع)، بمناسبة صيامهم ثلاثة أيام، وتصدقهم بفقورهم خلال الأيام الثلاثة على المسكين واليتيم والأسير (١).

آية أولى الأمر.

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (٢).

ولما سئل رسول الله (ص) من هم أولى الأمر؟، أجاب (ص): بأنهم أهل بيت النبوة وعلى رأسهم الأئمة علي، والحسن والحسين (ع) (٣) فهذه الآية من الآيات النازلة بأهل البيت.

آية أهل الذكر.

قال تعالى: (فستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (٤).

ولما سئل رسول الله (ص) عن أهل الذكر، قال: إنهم أهل بيت النبوة وعلى رأسهم الأئمة علي والحسن والحسين (ع) (٥). آية الإنذار.

قوله تعالى: (وأندر عشيرتك الأقربين) (٦)، وهذه الآية من الآيات النازلة فيهم أيضا (٧).

١ - راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ١٥٩، ح ٣٥٠ - ٣٥٦ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٣٦ وترجمة الأمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ص ٤٢١ ح ٩٢٣.

وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ١٦: والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ١٩٨: ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٩١:

وفتح القدير للشوكاني ج ٢، ص ٤١٤: والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ١٥٠: وينابيع المودة للقندوزي ص ١٣٦ و ١٤٠:

والدر المنثور للسيوطي ج ٣، ص ٣٩٠: والغدير للأميني ج ٢، ص ٣٠٥: وروح المعاني للآلوسي ج ١١، ص ٤١:

وغاية المرام باب ٤٢، ص ٢٤٨: وفرائد السمطين للحموني ج ١، ص ٣١٤، ح ٢٥٠، وص ٢٧٠ ح ٢٩٩ - ٣٠٠.

٢ - سورة النساء، آية ٥٩.

٣ - راجع ينابيع المودة للقندوزي ص ١٣٤ و ١٣٧: وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ١٤٨ ح ٢٠٢ - ٢٠٤: وتفسير الرازي

ج ٣، ص ٣٥٧، وإحقاق الحق للتستري ج ٣، ص ٤٢٤:

وفرائد السمطين ج ١، ص ٣١٤، ح ٢٥٠.

٤ - سورة النمل، آية ٤٣.

٥ - راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ٣٣٤ ح ٤٥٩ - ٤٦٦، وينابيع المودة للقندوزي ص ٥١، ص ١٤٠: وتفسير

القرطبي ج ١١، ص ٢٧٢، وتفسير الطبري ج ١٤، ص ١٠٥:

وتفسير ابن كثير ج ٢، ص ٥٧٠: وروح المعاني للآلوسي ج ١٤، ص ١٣٤.

٦ - سورة الشعراء، آية ٢١٤.

٧ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ٣٧٢، ح ٥١٤: وتفسير الطبري ج ١٩، ص ٧٤:

وتاريخ الطبري ج ٢، ٣١٩: ومسند أحمد بن حنبل ج ١، ص ١١١: وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٣٨: وشرح النهج لابن أبي

الحديد ج ١٣، ص ٢١٠: والكامل لابن الأثير ج ٢، ص ٦٢:

وتاريخ أبي الفداء ج ١، ص ١١٩: والدر المنثور للسيوطي ج ٥، ص ٧٩: وتفسير ابن كثير ج ٣، ص ٣٥١: وكنز العمال ج ١٥، ص

١١٣: وتفسير الخازن ج ٣، ص ٣٧١.

(٤٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، حديث الدار (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله

عليه وآله (٢)، آية الإنذار (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني

الحنفي (٤)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (٢)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب الغدير للعلامة الأميني (١)،

كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب تفسير ابن كثير (٢)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (٣)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (١)،

جلال الدين السيوطي الشافعي (٢)، كتاب تفسير الطبري (٢)، كتاب ينابيع المودة (٣)، كتاب فرائد السمطين (٢)، كتاب الصواعق

المحرقة (١)، ابن عساكر (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)، سورة الشعراء (١)، سورة النساء (١)، سورة النمل (١)، الخوارزمي (١)، دمشق

(١)

صفحة ٤١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٤١

آية القربى.

قوله تعالى: (وآت ذا القربى حقه) (١)، فالقربى هنا هم فاطمة (س) وزوجها وأولادها (٢).

آية الفى.

قوله تعالى: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى) (٣)، فذى القربى هنا قريبه صلى الله عليه وآله وسلم

(٤).

آية الخمس.

قوله تعالى: (واعلموا أما غنمتم من شئ فإن الله خمسها وللرسول ولذى القربى) (٥)، هذه الآية نزلت فى قرابته صلى الله عليه وآله وسلم

(٦).

سلام على آل ياسين.

قوله تعالى: (سلام على آل ياسين) (٧)، فال ياسين هنا هم آل محمد (ص) (٨).

آية الوراثة.

قوله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم

١ - سورة الإسراء، آية ٢٦.

٢ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢، ص ٣٣٨: والدر المنثور للسيوطي ج ٤، ص ١٧٧:

ومجمع الزوائد ج ٧، ص ٤٩: وتفسير الطبري، ج ١٥، ص ٧٢: وينابيع المودة ص ٤٩، ١٤٠.

٣ - سورة الحشر، آية ٧.

٤ - شواهد التنزيل للحسكاني ج ١، ص ٢١٨: وتفسير الطبري ج ١٠، ص ٥: وينابيع المودة ص ٥٠.

٥ - سورة الأنفال، آية ٤.

٦ - راجع على سبيل المثال شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ٢١٨: وتفسير الطبري ج ١٠، ص ٥: وينابيع المودة للقندوزي ص ٥٠.

٧ - سورة الصافات، آية ١٣٠.

٨ - راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢، ص ١٠٩ وما فوق، ونظم درر السمطين للزرندي ص ٩٤: ومجمع الزوائد ج ٩، ص ١٧٤: وتفسير الفخر الرازي ج ٢٦، ص ١٦٢: وتفسير القرطبي ج ١٥، ص ١١٩: وتفسير ابن كثير ج ٤، ص ٤٠: والصواعق لابن حجر ص ١٤٦: والدر المنثور للسيوطي ج ٥، ص ٢٨٦: وفتح القدير للشوكاني ج ٤، ص ٤١٢... (٤١)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الظلم (١)، الخمس (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى (٤)، كتاب تفسير ابن كثير (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، كتاب نظم درر السمطين للزرندي (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٢)، كتاب تفسير الطبري (٣)، كتاب ينابيع المودة (٣)، سورة الأنفال (١)، سورة الصافات (١)، سورة الإسراء (١)، سورة الحشر (١)

صفحة ٤٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٤٢

مقتصد (... ١).

إذن أهل البيت من الذين أورثهم الله الكتاب، وخيارهم من السابقين (٢). المحسودون.

قال تعالى: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) (... ٣) المحسودون هم أهل بيت النبوة (٤). آية الأعراف.

قوله تعالى: (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) (٥).

فالرجال هم على، وجعفر، وحمزة، والعباس، يعرفون محبيهم ومبغضهم (٦). الصادقون.

قوله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (٧). فحمزة، وعبيد الله، استشهدا، وعلى ينتظر (٨).

١ - سورة فاطر، آية ٣٢.

٢ - راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٥، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٣١ و ينابيع المودة للقندوزي ص ١٢٦ و ٢٨٦.

٣ - سورة النساء، آية ٥٤.

٤ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ١٤٣ ح ١٩٥ - ١٩٨: ومناقب على لابن المغازلي الشافعي ص ٤٦٧، ح ٣١٤: وينابيع المودة للقندوزي ص ١٤٢ و ٣٢١ و ٣٥٧.

- والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٥٠: ونور الإبصار للشبلنجي ص ١٠٢ و ١٠١ وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور الأبصار ص ١٠٨: والإتحاف بحب الأشراف ص ٧٦، والغدير للأميني ج ٣، ص ٦١.
- ٥ - سورة الأعراف، آية ٤٦.
- ٦ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ١٩٨، ح ٢٥٦ - ٢٥٨: وينابيع المودة للقندوزي ص ١١٨ - ١١٩: والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٠١: وتفسير القرطبي ج ٧، ص ٢١٢: وفتح القدير للشوكاني ج ٢، ص ٣٠٨: وفضائل الخمسة ج ١، ص ٢٨٦.
- ٧ - سورة الأحزاب، آية ٢٣.
- ٨ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢، ص ١ ح ٦٢٧ - ٦٢٨: وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٤٩: وينابيع المودة ٩٦: والمناقب للخوارزمي ص ١٩٧: وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ١٧: والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١١٦: والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٨٠: وتفسير الخازن ج ٥، ص ٢٠٧.
- (٤٢)
- مفاتيح البحث: كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي (٣)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (٢)، كتاب الغدير للعلامة الأميني (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (٣)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب ينابيع المودة (٤)، كتاب الصواعق المحرقة (٤)، سورة الأعراف (١)، سورة الأحزاب (١)، سورة النساء (١)، سورة فاطر (١)، الخوارزمي (١)

صفحة ٤٣

- رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٤٣
- نماذج من الآيات النازلة في علي بن أبي طالب خاصة.
- قوله تعالى: (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) (١).
- فمحمد (ص) جاء بالصدق، وعلي (ع) صدق به (٢).
- (والذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣).
- هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب (ع) (٤).
- قوله تعالى: (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوتون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) (... ٥).
- فالمؤمن هو علي بن أبي طالب، والفاسق هو الوليد بن عقبة، والى الكوفة فيما بعد (٦).
- ١ - سورة الزمر، آية ٣٣.
- ٢ - راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢، ص ١٢٠، ح ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ - ٨١٥:
- ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ٣٦٩، ح ٣١٧: وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٣٣: والدر المنثور للسيوطي ج ٥، ص ٣٢٨: وتفسير القرطبي ج ١٥، ص ٦: وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢، ص ٤١٨، ح ٩١٧، ٩١٨: وإحقاق الحق للتستري ج ٣، ص ١٧٧.
- ٣ - سورة البقرة، آية ٢٧٤.
- ٤ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ١٠٩، ح ١٥٥ - ١٦٣: ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ٢٣٢: وأسباب التنزيل للواقدي ص ٥٠: والكشاف للزمخشري ج ١، ص ٣١٩: وذخائر العقبى للطبري ص ٨٨: وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ١٤: ونور

الأبصار للشبلنجي ص ٧١: وتفسير الفخر الرازي ج ٧، ص ٣٢٦: وتفسير القرطبي ج ٣، ص ٣٤٧: وتفسير ابن كثير ج ١، ص ٣٢٦: وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ١، ص ٢١، ح ١٣، ص ٢٧٦: ومجمع الزوائد ج ٦، ص ٣٢٤: والدر المنثور للسيوطي ج ١، ص ٢٩٤: والمناقب للخوارزمي، ص ١٩٨:

ونظم درر السمطين للزرندي ص ٩٠: وأسد الغابة لابن الأثير ج ٤، ص ٢٥: وتفسير الخازن ج ١، ص ٢٤٩: ومعالم التنزيل للبغوي ج ١، ص ٢٤٩: بهامش تفسير الخازن.

٥ - سورة السجدة، آية ١٨ - ٢٠.

٦ - راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ٤٤٥ و ٤٥٣، ح ٦١٠ - ٦٢٦، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ٣٢٤ ح ٣٧٠، ٣٧١: وتفسير الطبري ج ٢١ ص ١٠٧: والكشاف للزمخشري ج ٣، ص ٥٤١: وتفسير القرطبي ج ١٤، ص ١٠٥: وفتح القدير للشوكاني ج ٤، ص ٢٥٥: وتفسير ابن كثير ج ٣، ص ٤٦٢: وأسباب النزول للواقدي ص ٢٠٠: وأسباب النزول للسيوطي بهامش تفسير الجلالين ص ٥٥٠: وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣، ص ١٤٨٩: وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٤، ص ٨٠ و ٦، ص ٢٩٢ و ١٧، ص ٢٣٨: وذخائر العقبى للطبري ص ٨٨: والمناقب للخوارزمي ص ١٩٧: ونظم درر السمطين للزرندي ص ٢٠٧: وزاد المسير لابن الجوزي الحنبلي ج ٦، ص ٢٠٧: ومطالب السؤل لابن طلحة الشافعي ص ٢٠: وينابيع المودة للقندوزي ص ٢٥٠: وزاد المسير لابن الجوزي الحنبلي ج ٦، ص ٣٤٠: وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢، ص ١٤٨.

(٤٣)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (١)، علي بن أبي طالب (٢)، الوليد بن عقبة (١)، التصديق (١)، الخوف (١)، الصدق (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب تفسير الكشاف للزمخشري (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي (٣)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب تفسير ابن كثير (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب نظم درر السمطين للزرندي (٢)، كتاب تفسير الجلالين للمحلي، السيوطي (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٣)، كتاب تفسير الطبري (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، كتاب ذخائر العقبى (٢)، ابن المغازلي (٢)، ابن عساكر (١)، سورة البقرة (١)، سورة السجدة (١)، سورة الزمر (١)، الخوارزمي (٢)، القرآن الكريم (١)، دمشق (١)

صفحة ٥٤٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٤٤

قوله تعالى: (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) (١).

نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب يوم نام على فراش الرسول ليلة هجرته ليوهم المشركين: بأن النائم هو الرسول (ص) (٢).

قال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) (٣).

لما نزلت هذه الآية قال الرسول لعلي يا علي (ع) هم أنت وشيعتك (٤).

قوله تعالى: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) (٥).

عندما نزلت هذه الآية قال الرسول: أنا المنذر وعلي الهاد (٦).

١ - سورة البقرة، آية ٢٠٧.

٢ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ٩٦، ح ١٣٣ - ١٤١: والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ج ٣١، وتذكرة خواص

لابن الجوزى ص ٣٥ و ٢٠٠: ونور الأبصار للشبلنجى ص ٧٨: وينايع المودة للقندوزى ص ٩٢: وتفسير الفخر الرازى ج ٥، ص ٢٢٣: وشرح النهج لابن أبى الحديد ج ٣، ص ٢٦٢: والسيرة الحلبية ج ١، ص ٣٠٦.

٣ - سورة البينة، آية ٧.

٤ - راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ٢، ص ٣٥٦ - ٦٦ ح ١١٢٥ - ١١٤٨: وكفاية الطالب للكنجى الشافعى ص ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦: والمناقب للخوارزمى ص ٦٢ و ١٨٧: والفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ١٠٧: ونظم درر السمطين للزرندي ص ٩٢: وترجمته على من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢، ص ٤٤٢، ح ٩٥١: وينايع المودة للقندوزى الحنفى ص ٦٢:

ونور الأبصار ص ٧١، ١٠٢: والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩٦: والدر المنثور للسيوطى ج ٦، ص ٣٧٩: وتفسير الطبرى ج ٣، ص ١٤٦: وتذكرة الخواص لابن الجوزى ص ١٨: وفتح القدير للشوكانى ج ٥، ص ٤٧٧: وروح المعانى ج ٣٠، ص ٢٠٧: والغدير للأمينى ج ٢، ص ٥٧:

وفضائل الخمسة ج ١، ص ٢٧٨: وغاية المرام باب ٢٨ من المقصد الثانى ص ٣٢٨: وفرائد السمطين ج ١، ص ١٥٦: وسبيل النجاة ص ٦٢ - ٦٣.

٥ - سورة الرعد، آية ٦.

٦ - المستدرک على الصحيحين ج ٣، ص ١٢٩، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد: وكنز العمال ج ١، ص ٢٥١: وقال: أخرجه ابن حاتم وذكره الهيثمى فى مجمعه ج ٧، ص ٤١: وقال: والهادى رجل من بنى هاشم وقال الهيثمى: رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل، والطبرانى فى الصغير والأوسط، والدر المنثور للسيوطى تفسير سورة الرعد، وقال: أخرجه ابن مردويه وابن عساكر: وتفسير الطبرى ج ١٣، ص ٧٢: والفخر الرازى، وكنز العمال ج ٦، ص ١٥٧ وقال:

أخرجه الديلمى، والمناوى فى كنوز الحقائق ص ٤٢: وفضائل الخمسة ج ١، ص ٣١٣ - ٣١٤. (٤٤)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، على بن أبى طالب (١)، النوم (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكى (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى (٢)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبب ابن الجوزى (٢)، كتاب نور الأبصار للشبلنجى (٢)، ابن أبى الحديد المعتزلى (١)، كتاب الغدير للعلامة الأمينى (١)، الشيخ سلمان البلخى القندوزى (٢)، كتاب نظم درر السمطين للزرندي (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، جلال الدين السيوطى الشافعى (٢)، كتاب تفسير الطبرى (٢)، كتاب ينايع المودة (٢)، كتاب الصواعق المحرقة (١)، الطبرانى (١)، ابن عساكر (١)، عبد الله بن أحمد (١)، سورة البينة (١)، بنو هاشم (١)، سورة البقرة (١)، سورة الرعد (٢)، الخوارزمى (١)، دمشق (١)

صفحة ٤٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٤٥

قال ابن عباس: وما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا إلا وعلى أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد (ص) فى غير مكان من كتابه العزيز، وما ذكر عليا إلا بخير (١).

وقال ابن عباس: نزل فى على ثلاثمئة آية من كتاب الله عز وجل (٢).

وقال ابن عباس: وما نزل فى أحد من كتاب الله ما نزل فى على (٣).

بعد أن بين الرسول (ص) مكانة أهل بيت النبوة وصدارتهم، وألزم المسلمين بحبهم، وحذرهم من مغبة بغضهم أعلن: بأن فئه معينه من

أهل بيت النبوة قد اختارها الله سبحانه وتعالى: لتكون سادة لأهل الجنة فقال: نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وعلى، وجعفر، وحمزة، والحسن، والحسين، والمهدى (٤)

١ - الصواعق المحرقة ص ١٢٥: وشواهد التنزيل ج ١، ص ٤٩، ح ٧٠ - ٨٢: وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢، ص ٤٣٠، ح ٩٣٢: وذخائر العقبى للطبري، ص ٨٩، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ١٤٠: ونظم درر السمطين للزرندي ص ٨٩: ونور الأبصار للشبلنجي ص ٧٣: وينابيع المودة للقندوزي ص ١٢٦: وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧١: ومجمع الزوائد للهيثمى ج ٩، ص ١١٢: وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٤٥: والرياض النضرة للطبري ج ٢، ص ٢٧٤: والمنتخب بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٨.

٢ - ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢، ص ٣١، ح ٩٣٤: وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٣١: وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٢: ونور الأبصار ص ٧٣: وينابيع المودة ص ١٢٦ و ٢٨٦: والصواعق المحرقة ص ١٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢، ص ٣. ٣ - ترجمة علي من تاريخ دمشق، لابن عساكر ج ٢، ص ٤٣٠، ح ٩٣٣: وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج ١، ص ٣٩، ح ٤٩ و ٥٣: وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧١: والصواعق لابن حجر ص ١٢٥: ونور الأبصار ص ٧٣، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٦٠.

٤ - راجع المستدرک على الصحيحين ج ٣، ص ٢١١: وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، والرياض النضرة للطبري ج ٢، ص ٢٠٩: وقال: أخرجه ابن السري، وراجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩٦، وقال: أخرجه الديلمي، وفي ص ١٤٠ قال: رواه ابن السدي والدلمي في مسنده: وراجع صحيح ابن ماجه ص ٣٠٩ / باب خروج المهدي. (٤٥)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله بن عباس (٣)، العزة (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي (٢)، كتاب إسعاف الراغبين لابن الصبان الشافعي (٢)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (٥)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، كتاب نظم درر السمطين للزرندي (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٣)، كتاب ينابيع المودة (٢)، كتاب ذخائر العقبى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (٣)، ابن عساكر (٣)، ابن ماجه (١)، أحمد بن حنبل (١)، دمشق (٣)

صفحة ٤٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٤٦
وقال أيضا: نحن سبعة من بنى عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا، وعلى أخى، وعمى حمزة، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدى (١).

قال الرسول (ص): من مات على حب آل محمد (ص) مات شهيدا، ألا ومن مات على حب آل محمد (ص) مات مغفورا له، ألا ومن مات على حب آل محمد (ص) مات تائبا، ألا ومن مات على حب آل محمد (ص) مات مؤمنا مستكمل الايمان، ألا ومن مات على حب آل محمد (ص) بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد (ص) زف إلى الجنة كما ترف العروس إلى بيت زوجها، ألا- ومن مات على حب آل محمد (ص) جعل الله قبره مزارا للملائكة الرحمن، ألا ومن مات على حب آل محمد (ص) مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد (ص) جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد (ص) مات كافرا، ألا ومن مات على بغض آل محمد (ص) لم يشم رائحة الجنة (٢).

قال الزمخشري بعد ما ساق الحديث ما يلي: آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمره إليه أشد وأكمل كانوا هم

الآل، ولا- شك أن فاطمة وعليها والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم لنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل (٣).

قال الحسن بن علي (ع): إلموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسى بيده لا ينفع عبد عمله إلا بمعرفة حقنا (٤).

وعن الحسين بن علي (ع) قال: من أحبنا للدنيا فإن صاحب الدنيا يحبه البر والفاجر، ومن أحبنا لله كنا نحن وهو يوم القيامة كهاتين، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى (٥).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي، كهاتين السبابتين (٦).

١ - راجع تاريخ بغداد ج ٩، ص ٤٣٤: فضائل الخمسة ج ٣، ص ١٣٨.

٢ - راجع تفسير الكشاف للزمخشري في تفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) سورة الشورى، آية ٢٣.

٣ - نفس المرجع.

٤ - راجع مجمع الزوائد ج ٩، ص ١٧٢: وقال رواه الطبراني في الأوسط.

٥ - راجع مجمع الزوائد ج ١، ص ٨١: وقال رواه الطبراني.

٦ - راجع ذخائر العقبي للطبري ص ١٨: وقال أخرجه الملا في سيرته، وكنز العمال ج ٦ ص ٢١٧: وقال أخرجه الديلمي.

(٤٦)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١٠)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، يوم القيامة (٢)، الزمخشري (١)، الموت (١٧)، الزوج، الزواج (١)، الأكل (١)، كتاب تفسير الكشاف للزمخشري (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (١)، كتاب ذخائر العقبي (١)، الطبراني (٢)، المودة في القربى (١)، سورة الشورى (١)

صفحة ٤٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٤٧

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي (١).

قال جابر بن عبد الله الأنصاري (رض): قال رسول الله (ص): لا يحبنا أهل بيت النبوة إلا مؤمن تقى، ولا يبغضنا إلا منافق شقى (٢).

خرج رسول الله مغضبا حتى استوى على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى؟ والذي نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحبنى، ولا يحبنى حتى يحب ذريتى (٣).

وروى ابن مسعود أن حب آل محمد يوما خير من عبادة سنة (٤).

أحاديث فيمن يبغض أهل بيت النبوة (ع).

الذين يكرهون رسول الله ويبغضونه، هم مجرمون كفره: لأن محبة الرسول هي محبة لله، وكرهيته هي كراهية لله عز وجل، لقد أعلن رسول الله (ص) هذه القاعدة بكل وسائل الإعلان، وبينها بكل طرق البيان، وحذر رسول الله من مغبة ارتكاب جريمة كره رسول الله وبغضه، لأنها تحبط العمل، وتجلب لمن يرتكبها مقت الله وسخطه وغضبه، وكرهية رسول الله (ص) وبغضه لا يجتمعان مع الإسلام، فإذا ثبت بغض الانسان وكرهيته لرسول الله: فقد انخلع من دين الله، وقطع كل الخيوط التي تربطه بالإسلام، وحشر نفسه مع الصف المعادى لله ولرسوله، ومن يعادى الله ورسوله فقد خسر الدنيا والآخرة.

كانت هذه القناعات معلومة بالضرورة علم اليقين، ومفهومة لكل مسلم ومسلمة، وقد وعى اليهود والنصارى والمشركون الذين عاصروا النبي (ص) هذه القناعات، وعاشوا في الجزيرة أثناء فترة عهد النبوة المباركة.

وبعد أن يتقن رسول الله (ص) بأن هذه القناعات قد استقرت في أذهان الجميع، بدأ يصدع بما أمره الله سبحانه، فأعلن وبكل وسائل الإعلان بأن بغض أهل بيت النبوة - مجتمعين أو منفردين - هو بغض لرسول الله، وأن بغض رسول الله هو بغض لله، والمبغض لله غير مسلم من حيث المآل، بل هو عدو لله، آيس من رحمته، وهكذا أوجب الله على عباده المسلمين محبة أهل بيت النبوة: تماما مثل ما أوجب عليهم محبته ومحبة رسوله (ص)، وحذرهم من العواقب المدمرة لبغض أهل بيت النبوة، لأن بغضهم يعادل بغض الله ورسوله.

قال رسول الله (ص): يا بني عبد المطلب، إنى سألت الله لكم ثلاثا، أن يثبت قائمكم، وأن

١ - كنوز الحقائق للمناوى ص ٥، وقال أخرجه الديلمي.

٢ - ذخائر العقبي للطبرى ص ١٨: وقال أخرجه الملا فى سيرته.

٣ - نور الأبصار للشبلنجى ص ١٠٣، وقال رواه أبو الشيخ.

٤ - نور الأبصار ص ١٠٣: وفضائل الخمسة ج ٢، ص ٧٠.

(٤٧)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٧)، جابر بن عبد الله (١)،

البغض (٢)، الخسران (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجى (٢)، كتاب ذخائر العقبي (١)

صفحة ٤٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٤٨

يهدى ضالككم، وأن يصلح جاهلكم، وسألت الله أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن يرج صفن فصلى وصام، ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار (١).

وقال (ص): والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار (٢).

وقال رسول الله: ليس فى القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة، وساق الحديث ... إلى أن قال: ولو أن عبدا عبد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام حتى يكون كالشن البالى، ولقى الله مبغضا لآل محمد أكبه الله على منخره فى نار جهنم (٣).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله -: من أبغضنا أهل البيت فهو منافق (٤).

قال جابر بن عبد الله (رض): خطبنا رسول الله (ص) يوما فسمعته وهو يقول: يا أيها الناس! من أبغضنا أهل البيت: حشره الله يوم القيامة يهوديا! فقلت يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، أحتجز بذلك من سفك دمه، وأن يؤدى الجزية عن يد (... ٥).

وذكر الرسول (ص) بأن الله عز وجل يبغض الأكل فوق شبعة والغافل عن طاعة ربه، والتارك لسنة نبيه، والمخفر ذمته، والمبغض عتره نبيه، والمؤذى جيرانه (٦).

وقال (ص): حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى، ومن اصطنع صنيعه إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها: فأنا أجازيه عليها غدا، إذا لقينى يوم

١ - راجع المستدرک على الصحيحين للحاكم ج ٣، ص ١٤٨، قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم، وراجع كنز العمال ج ٦، ص ٢٠٣، قال: أخرجه الطبرانى والحاكم، وراجع الصواعق المحرقة ص ١٤٠، وذخائر العقبي للطبرى ص ١٨: وقال: أخرجه ابن السرى، وفى ص ١٥ قال: أخرجه الملا فى سيرته.

٢ - المستدرک على الصحيحين للحاکم ج ٣، ص ١٥٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وراجع الصواعق المحرقة ص ١٤٣، وقال إنه صحيح، وذكره السيوطي في الدر المنثور في ذيل آية المودة في القربى / سورة الشورى، وقال: أخرجه أحمد بن حنبل، وابن حبان والحاكم.

٣ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٣، ص ١٢٢.

٤ - الدر المنثور للسيوطي في تفسير آية المودة في القربى / سورة الشورى، وأخرجه عن ابن عدي، وذخائر العقبى للطبري ص ١٨، وقال أخرجه أحمد بن حنبل في المناقب، والمناوي في كنوز الحقائق ص ١٣٤، وقال أخرجه الديلمي.

٥ - مجمع الزوائد ج ٩، ص ١٧٢، وقال رواه الطبراني في الأوسط، وكنز العمال.

٦ - راجع كنز العمال ج ٨، ص ١٩١، وقال أخرجه الديلمي.

(٤٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، يوم القيامة (١)، جابر بن عبد الله (١)، البغض (٢)، الأكل (١)، الصلاة (٣)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاکم النيسابوري (٢)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، آية المودة (٢)، كتاب مجمع الزوائد ومنيع الفوائد (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٣)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٢)، كتاب ذخائر العقبى (٢)، كتاب الصواعق المحرقة (٢)، الطبراني (٢)، سورة الشورى (٢)، أحمد بن حنبل (٢)

صفحة ٤٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٤٩

القيامة (١).

وقال (ص) أيضا: اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي. (٢) وقال (ص) أيضا: من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله (٣).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله عز وجل اشتد غضبه على اليهود أن قالوا عزير ابن الله، واشتد غضبه على النصارى أن قالوا المسيح ابن الله، وأن الله اشتد غضبه على من أراق دمي وآذاني في عترتي (٤)، ويبدو أن هذا الحديث قد صدر من رسول الله يوم أحد، بعد أن أسالوا دمه وقتلوا عمه حمزة.

لقد أقسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصحابة قائلا: والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار (٥).

وقال الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) مخاطبا معاوية: إياك وبغضنا أهل البيت، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال: لا يبغضنا أحد، ولا يحسدنا أحد إلا أزيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من نار (٦).

وخطب رسول الله (ص) يوما، فقال: أيها الناس! من أبغضنا أهل البيت، حشره الله يوم

١ - راجع الكشف للزمخشري في تفسير قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)، في سورة الشورى، وراجع نور الأبصار للشبلنجي ص ٢٠ مع اختلاف بالخط.

٢ - راجع فيض القدير للمناوي ج ١، ص ٥١٥، وقال: أخرجه الديلمي في الفردوس، وقال في الشرح: وأخرجه أبو نعيم.

٣ - راجع كنوز الحقائق للمناوي ص ١٣٤، وقال: أخرجه الديلمي، وذكره المتقى الهندي في كنز العمال ج ٦، ص ٢١٧، وقال: أخرجه أبو نعيم.

٤ - كنز العمال ج ١، ص ٦٧ عن أبي سعيد، وج ٥، ص ٧٦.

٥ - المستدرک للحاکم ج ٣، ص ١٥: وتلخيص المستدرک للذهبي بذيل المستدرک، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص ١١١: وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي ص ١٠٤:

والصواعق لابن حجر ص ١٧٢ و ٢٣٧، وينايع المودة للقندوزي الحنفى ص ١٠٤، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفى ص ١٠٦، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد بن حنبل ج ٥، ص ٩٥، والسيرة الحلبية ج ٣، ص ٣٣ الهامش على السيرة الرملائية، ومناقب على لابن المغازلي الشافعي ص ١٣٨، ح ١٨١.

٦ - إحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف، ص ١١١: وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٠٤: والصواعق لابن حجر ص ١٧٢ و ١٠٤: وينايع المودة للقندوزي ص ٣٦٥.

(٤٩)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، يوم القيامة (١)، البغض (١)، القتل (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب تفسير الكشاف للزمخشري (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب إسعاف الراغبين لابن الصبان الشافعي (٢)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (٢)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (٢)، الحافظ أبو نعيم (٢)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٢)، كتاب ينايع المودة (٢)، ابن المغازلي (١)، المتقى الهندي (١)، سورة الشورى (١)، الموت (١)

صفحة ٥٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٥٠

القيامة يهوديا (١).

وأعلن رسول الله (ص) أمام أصحابه، قائلا: لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقى، ولا يبغضنا إلا منافق شقى (٢).

وقال رسول الله (ص): من أحب عليا فقد أحبني، ومن أبغض عليا فقد أبغضني (٣)، وقد استقرت هذه القناعة بأذهان المسلمين تماما، فصار دعما للإمام على (ع)، إذ يحتج على مناويته فيقول: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي (ص) أنه لا يحبنى إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق (٤)، ومع كثرة المناصبين له العدا: إلا أنه لم يجرؤ أحد منهم على نفى هذه الحقيقة.

أخذ رسول الله [ص] يوما [بيد حسن وحسين: فقال لأصحابه: من أحبني، وأحب هذين وأباهما وأمهما: كان معي في درجتي يوم القيامة (٥).

١ - إحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص ١١٢، ومجمع الزوائد ج ٩، ص ١٧٢: وميزان الاعتدال للذهبي ج ٢، ص ١١٦، وإحقاق الحق للتستري ج ٩، ص ٤٦٨.

٢ - راجع ذخائر العقبى للطبري ص ١٨: وينايع المودة للقندوزي الحنفى ص ٢٢٧ و ٣٦٥ و ٤٧٦: والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٠٣ و ١٠٩.

٣ - نور الأبصار للشبلنجي ص ٧٢ و ٧٣، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار للشبلنجي الشافعي ص ١٤١: والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٤: والاستيعاب بهامش الإصابة لابن حجر ج ٣، ص ٣٧: وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٢٨، وينايع المودة للقندوزي الحنفى ص ٢٠٥ و ٢٧٢ و ٢٨٢ و ٣٨٢، والميزان للذهبي ج ٢، ص ١٢٨: ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩، ص ١٢٩ و ١٣٠ - ١٣٣: ومناقب على لابن المغازلي الشافعي ص ١٠٩، ح ١٥١: وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢، ص ٤٣١، وج ٩، ص ١٧٢ / تحقيق أبي الفضل، والجامع الصغير للسيوطي ج ٢، ص ١٣٦، والرياض النضرة للطبري ج ٢، ص ١٦٥، وج ٢، ص ٢١٨.

٤ - راجع صحيح مسلم ج ١، ص ٤٨، وج ١، ص ٦٠: وسنن النسائي ج ٨، ص ١١٧: والاستيعاب بهامش الإصابة ج ٣، ص ٣٧: والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٠٩: وترجمته على من تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١، ص ١٢٠: وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٢٧: وسنن ابن ماجه ج ١، ص ٤٢: وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٧٠، والصواعق المحرقة ص ٧٣، وأنساب الأشراف

للبلاذرى ج ٢، ص ٩٧، ح ٢٠:، والرياض النضرة للطبرى ج ٢، ص ٢٨٤:

وكنوز الحقائق للمناوى ص ١٩٢: وجامع الأصول لابن الأثير ج ٩، ص ٤٧٣: وكنز العمال ج ١٥، ص ١٠٥، ح ٣٠٠.

٥ - راجع الترمذى ج ٢، ص ٣٠١: ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل فى مسند أبيه ج ١، ص ٧٧: والخطيب البغدادى فى تاريخه ج ٣، ص ٢٨٧: وابن حجر العسقلانى فى تهذيب التهذيب ج ١، ص ٤٣٠: وذكره المتقى الهندى فى كنز العمال ج ٦، ص ٢١٧، وقال: أخرجه الطبرانى، وفى ج ٧، ص ١٠٢ قال: أخرجه الترمذى وعبد الله بن أحمد بن حنبل فى زيارات المسند.

(٥٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، يوم القيامة (١)، البغض (١)، الفناعة (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبسط ابن الجوزى (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب إسعاف الراغبين لابن الصبان الشافعى (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجى (٢)، الشيخ سلمان البلخى القندوزى (٢)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (٢)، جلال الدين السيوطى الشافعى (٣)، كتاب الأشرف للشيخ المفيد (١)، كتاب يتابع المودة (٢)، الحافظ ابن حجر العسقلانى (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (٣)، الطبرانى (١)، ابن المغازلى (١)، كتاب صحيح مسلم (١)، ابن عساكر (١)، ابن الأثير (١)، عبد الله بن أحمد (١)، المتقى الهندى (١)، الخطيب البغدادى (١)، دمشق (١)، الموت (١)

صفحة ٥١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٥١

وقال (ص) أيضا: من أحب هؤلاء فقد أحببني، ومن أبغضهم فقد أبغضني وهو يعنى الحسن والحسين وفاطمة وعلياً - صلوات الله وسلامه عليهم - (١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله عز وجل حرّمات ثلاثاً من حفظهن حفظ الله أمر دنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئاً: حرمة الإسلام، وحرمتى، وحرمة رحمتى (٢).

وقال - صلى الله عليه وآله وسلم -: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضى لهم حوائجهم، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه (٣).

قال الرسول (ص): من أراد التوسل إلى وإن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة، فليصل أهل بيتى ويدخل السرور عليهم (٤).

وقال (ص): الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونيبكم، وأهل بيته (٥).

وقال النبى (ص): يا معشر بنى هاشم والذى بعثت بالحق نبيا لو أخذت بحلقه الجنة ما بدأت إلا بكم (٦).

وقال أيضا (ص): شفاعتى لأمتى من أحب أهل بيتى وهم شيعتى (٧).

١ - راجع كنز العمال ج ٦، ص ٢١٧ وقال: أخرجه ابن عساكر عن زيد بن أرقم وفضائل الخمسة ج ١، ص ٣٠٠.

٢ - راجع مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩، ص ١٦٨ وقال رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والصواعق لابن حجر ص ٩٠، وقال أخرجه الطبرانى وأبو الشيخ.

٣ - راجع كنز العمال ج ٨، ص ١٥١ وج ٦، ص ٢١٧ قال أخرجه الديلمى وراجع ذخائر العقبى للطبرى ص ١٨.

٤ - الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٥٠ أخرجه الديلمى.

٥ - راجع كنز العمال ج ٧، ص ٢١٤، والمناوى فى فيض القدير ج ٤، ص ١٧٦ فى المتن، وقال: أخرجه الديلمى.

٦ - راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩٥، وقال أخرجه الإمام أحمد بن حنبل فى المناقب.

٧ - راجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢، ص ١٤٦.

(٥١)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، يوم القيامة (٢)، بنو هاشم (١)، القرآن الكريم (١)، البغض (١)، الصلاة (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٣)، كتاب ذخائر العقبي (١)، كتاب الصواعق المحرقة (٢)، الطبراني (٢)، ابن عساكر (١)، زيد بن أرقم (١)، أحمد بن حنبل (١)

صفحة ٥٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٥٢

[...]

١ - راجع ذخائر العقبي للطبري ص ١٤، وقال أخرجه ابن السماق في الموافقة.

٢ - تلخيص المستدرک للذهبي بذيّل المستدرک للحاكم، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٢٣٥، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٠ و ٣٧٠ و ٢٧ و ٣٠٨ والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٤ و ٢٣٤، وتاريخ الخلفاء للسيوطي وإسعاف الراغبين للصبان الشافعي، ص ١٠٩ وفرائد السمطين ج ٢، ص ٢٤٦، ح ٥١٩.

٣ - كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٣٧٨، ومجمع الزوائد للهيثمى الشافعي، ح ٩، ص ١٦٨ والمعجم الصغير للطبراني ج ٢، ص ٢٢، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف بحب الأشراف ص ١١٣، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٨، و ٢٩٨ ورشفة الصادي لأبي بكر الحضرمي، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩١، وفرائد السمطين ج ٢، ص ٢٤٢، ح ٥١٦ و ٥١٩.

٤ - راجع حلية الأولياء ج ٤، ص ٣٠٦، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ١٣٢، ح ١٧٣ و ١٧٦، وذخائر العقبي للطبري الشافعي ص ٢٠، ومجمع الزوائد للهيثمى ج ٩، ص ١٩٨، وأحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص ١١٣٧، والجامع الصغير للسيوطي ج ٢، ص ١٣٢٣، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٥، ص ٩٢، والفتح الكبير للنبهاني ج ٣، ص ١٣٣، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٨٧ أو ١٩٥، ومقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ج ١، ص ١٠٤.

(٥٢)

مفاتيح البحث: كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم (١)، كتاب إسعاف الراغبين لابن الصبان الشافعي (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (٣)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، كتاب نظم درر السمطين للزرندي (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٤)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب ينايع المودة (٣)، كتاب فرائد السمطين (٢)، كتاب ذخائر العقبي (٢)، كتاب الصواعق المحرقة (٢)، ابن المغازلي (١)، أحمد بن حنبل (١)، الخوارزمي (١)، الموت (٢)

صفحة ٥٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٥٣

مراجعة المصادر التالية. (١) أهل بيت النبوة أمان للأمة من الاختلاف.

قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لأصحابه: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس (٢).

وقال الرسول (ص) لأصحابه أيضا: النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي (٣).

وقال ابن حجر الشافعي حول حديث أهل بيتي أمان لأمتي: يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان، هم علماؤهم، لأنهم هم الذين يهتدون بهم كالنجوم (٤).

فضل ومنزلة أهل البيت (ع).

خطب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أصحابه ذات يوم، فقال:.

يا أيها الناس، إن الفضل والشرف والمنزلة لرسول الله وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل (٥).

وقال (ص) للصحابة يوماً: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين،

وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون (٦) وقال (ص) يوماً لأصحابه: واجعلوا أهل بيتي منكم مكان

١ - ٢ - راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي ص ٩١ و ١٤٠. ١٥٠. ٢٣٤، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص ١١٤،

ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ٥، ص ٩٣، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٩٨ و ٣٥٧، وجواهر البحار

للنبهاني ج ١، ص ٣٦١.

٣ - ذخائر العقبى للطبري الشافعي، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ٢٣٤، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف ص ١١٢،

والجامع الصغير للسيوطي ج ٢، ص ١٦١، والفتح الكبير للنبهاني ج ٣، ص ٢٦٧، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد بن حنبل ج

٥، ص ٩٢، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٥ أو ٢٣٣، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٠ و ١٨٨ و ١٩١ و ٢٩٨، وفرائد

السمطين ج ٢، ص ٢٤١، ح ٥١٥ ج ٥٢١.

٤ - راجع الصواعق المحرقة ص ١٥٠ و ٩١.

٥ - الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٧٤ و ١٠٥، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٦٩ و ٣٠٧، ونظم درر السمطين للزرندي

الحنفي ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

٦ -

(٥٣)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، الشيخ سلمان البلخي

القندوزي (٣)، كتاب نظم درر السمطين للزرندي (٢)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٣)، كتاب ينايع المودة (٣)، كتاب فرائد

السمطين (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (٤)، أحمد بن حنبل (٢)

صفحة ٥٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٥٤

الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدى الرأس إلا بالعينين (١).

وقد حذر النبي (ص) أصحابه بعد أن أشار إلى القرآن الكريم وأهل بيت النبوة (ع)، فقال لهم: فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا

عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم (٢).

وقيل لرسول الله (ص): ما بقاء الناس بعدهم، أي بعد أهل البيت (ع)؟ فقال الرسول (ص): بقاء الحمار إذا كسر حبله (٣).

وكذلك قال رسول الله (ص): من أحب أن يبارك في أجله، وأن يمنعه بما خوله فليخلفني في أهلي خلافة حسنة (٤)، فمن لم

يخلفني فيهم: بتر عمره وورد على يوم القيامة مسوداً وجهه (٥).

قال ابن عمر: آخر ما تكلم به رسول الله قوله أخلفوني في أهل بيتي (٦).

قال أبو هريرة: قال رسول الله (ص): خيركم خيركم لأهلي من بعدى (٧).

وقال رسول الله: إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدى (٨).

وقال أيضا: استوصوا بأهل بيتي خيرا، فإنى أخاصمكم عنهم غدا، ومن أكن خصمه أخصمه، ومن أخصمه دخل النار (٩).

١ - إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١١٠، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٨، ومجمع الزوائد للهيثمى الشافعى ج ٩، ص ١٧٢.

٢ - راجع مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩، ص ١٦٣، وينايع المودة للقندوزى الحنفى ص ٤١ و ٣٥٥، والدر المنثور للسيوطى ج ٢، ص ٦٠، والصواعق لابن حجر ص ١٤٨، ٢٢٦، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٣٤، ج ٣ ص ٨٠، وكنز العمال ج ١، ص ١٨٤، وج ٢.

٣ - راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعى ص ١٥١ و ٩١، وسفينة النجاة ص ٢٧.

٤ - الإصابة لابن حجر ج ١، قسم ١، ص ١٤٤، قال: رواه أبو الشيخ والهيثمى فى صواعقه ص ١١١.

٥ - راجع كنز العمال ج ٦، ص ٢١٦، وابن حجر فى الصواعق ص ١١١.

٦ - راجع مجمع الزوائد للهيثمى ج ٩، ص ١٦٣، وقال رواه الطبرانى فى الأوسط، وابن حجر فى صواعقه ص ٩٠، ص ١٣٦.

٧ - راجع فيض القدير للمناوى ج ٣، ص ٤٩٧ فى المتن، قال رواه الحاكم عن أبى هريرة، وهو صحيح، وقال فى الشرح: رواه أبو يعلى وإبراهيم والديلمى، ورجاله ثقات.

٨ - راجع فيض القدير للمناوى ج ٢، ص ٥٥٣، وقال: وأخرجه الطبرانى.

٩ - راجع ذخائر العقبى للطبرى ج ١٨ قال: وأخرجه أبو سعيد والملا فى سيرته، وراجع الصواعق المحرقة ص ٩٠.

(٥٤)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، أبو هريرة العجلى (٢)، يوم القيامة (١)، القرآن الكريم (١)، الهلاك (٢)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب إسعاف الراغبين لابن الصبان الشافعى (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجى (١)، الشيخ سلمان البلخى القندوزى (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٣)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (٢)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، كتاب ينايع المودة (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (٢)، الطبرانى (٢)

صفحة ٥٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٥٥

وقال أيضا: من حفظنى فى أهل بيتى فقد اتخذ عند الله عهدا (١).

وقال: من صنع لأهل بيتى يدا، كافأته عليها يوم القيامة (٢).

وقال: من صنع لأهل بيتى معروفا فعجز عن مكافأته فى الدنيا، فأنا المكافئ له يوم القيامة (٣).

- رواه حديث الثقلين -

روى حديث الثقلين جمع كبير من الصحابة، يقدرون ب ٣٥ صحابيا وصحابة، منهم على بن أبى طالب (ع) وفاطمة الزهراء (س) والحسن بن على بن أبى طالب (ع) وسلمان الفارسى، وأبو ذر الغفارى، وابن عباس، وأبو سعيد الخدرى، وجابر بن عبد الله الأنصارى، وأبو الهيثم بن التيهان، وحذيفة بن اليمان، وحذيفة بن أسيد القفارى، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأبو هريرة، وعبد الله بن حنطب، وجبير بن مطعم، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وطلحة بن عبد الله التيمى، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وعمرو بن العاص، وسهل بن سعد الأنصارى، وعدى بن حاتم، وأبو أيوب الأنصارى، وأبو شريح الخزاعى، وعقبه بن عامر، وأبو قدامة الأنصارى، وأبو ليلى الأنصارى، وحمزة الأسلمى، وعامر بن أبى ليلى بن حمزة، وأم سلمة زوج

الرسول، وأم هانئ أخت الإمام على (ع)، وابنة عم الرسول (٤).

قال الرسول الأعظم (ص): يا أيها الناس، إنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتى أهل بيتى (٥).

١ - ذخائر العقبي للطبرى ص ١٨، وقال أخرجه أبو سعيد والملا وابن حجر فى الصواعق ص ٩٠.

٢ - راجع كنز العمال ج ٦، ص ٢١٦، وقال: أخرجه ابن عساكر، وذكره المناوى فى فيض القدير ج ٦، ص ٧٢.

٣ - راجع ذخائر العقبي للطبرى ص ١٩، وقال: أخرجه أبو سعيد وتابعه الملا، راجع فضائل الخمسة ج ٢، ص ٧٩ وما فوق.

٤ - راجع رواياتهم فى عبقات الأنوار / الجزء الأول والجزء الثانى.

٥ - راجع صحيح الترمذى ج ٥ ص ٣٢٨، وج / ٤، ص ٣٨٧، مطبعة دار الفكر، ودرر السمطين للزرندي الحنفى ص ٢٣٢ مطبعة

القضاء، وينابيع المودة للقندوزى الحنفى، ص ٣٣ و ٤٥ و ٤٤٥ المطبعة الحيدرية، وكنز العمال ج ٢ ص ١٣٥ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص

١١٣ مطبعة دار إحياء الكتب، ومصايح السنة للنبوى ص ٢٠٦ مطبعة القاهرة، وجامع الأصول لابن الأثير ج ١، ص ١٨٧، ح ٦٥ مطبعة

مصر، والمعجم الكبير للطبرانى ص ١٣٧، ومشكاة المصابيح ج ٣، ص ٢٥٨ طبعة دمشق، وإحياء الميت للسيوطى بهامش الإتحاف ص

١١٤ مطبعة الحلبي، والفتح الكبير للنبهانى ج ١، ص ٥٠٣ وج ٣، ص ٣٨٥ مطبعة دار الكتب مصر، وعبقات الأنوار / قسم حديث

الثقلين ج ١، ص ٩٤ و ١١٢ - ١١٤ و ١٥١ و ١٨٢ و ٢١١ و ٢٣٧، ورفع الثبات للإدريسى، راجع كتابنا (الخطط السياسية) ص ٢٥٨.

(٥٥)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، أزواج النبى (ص) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٢)، أبو طالب عليه

السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، أبوذر الغفارى (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، حديث الثقلين

(٣)، عبد الله بن عباس (١)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (١)، أبو أيوب الأنصارى (١)، أبو هريرة

العجلى (١)، أبو سعيد الخدرى (١)، يوم القيامة (١)، عبد الرحمن بن عوف (١)، أبو الهيثم بن التيهان (١)، سلمان المحمدى

(الفارسى) رضوان الله عليه (١)، حذيفة بن اليمان (١)، جابر بن عبد الله (١)، طلحة بن عبد الله (١)، ذو الشهادتين (١)، السيدة فاطمة

الزهراء سلام الله عليها (١)، حذيفة بن أسيد (١)، البراء بن عازب (١)، عمرو بن العاص (١)، زيد بن ثابت (١)، أنس بن مالك (١)،

عقبة بن عامر (١)، زيد بن أرقم (١)، جبير بن مطعم (١)، سهل بن سعد (١)، كتاب تفسير ابن كثير (١)، الشيخ سلمان البلخى

القندوزى (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (٢)، كتاب صحيح الترمذى (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، كتاب ينابيع

المودة (١)، كتاب ذخائر العقبي (٢)، ابن عساكر (١)، ابن الأثير (١)، دمشق (١)، الموت (١)

صفحة ٥٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٥٦

وقوله (ص) أيضا: إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء

إلى الأرض وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما (١) كذلك قوله عليه الصلاة

والسلام: إنى تارك فيكم خليفتين، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض، (أو ما بين السماء إلى الأرض)، وعترتى أهل بيتى،

وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض (٢).

وقوله (ص) أيضا: إنى أوشك أن أدعى فأجيب، ألا إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على

الحوض (٣).

١ - راجع الترمذى ج ٥، ص ٣٢٩، ح ٣٨٧٦ مطبعة دار الفكر، ودرر السمطين للزرندي الحنفى ص ٢٣١، والدر المنثور للسيوطى ج ٦،

ص ٧ و ٣٠٦، وذخائر العقبي للطبرى ص ١٦، والصواعق المحرقة ص ١٤٧ و ٢٢٦، والمعجم الصغير للطبرانى ج ١، ص ١٣٥ وأسد

الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج ٢، ص ١٢، وتفسير ابن كثير ج ٤، ص ١١٣، وعسفات الأفراد ص ٢٥، وج ١، ص ٣٦ و ٩٣ و ١١٤ و ١٣٥ و ١٧٣، وكنز العمال ج ١، ص ١٥٤، والفتح الكبير للنبهاني ج ١، ص ٤٥١، وتفسير الخازن ج ١، ص ٤، ومصايح السنة للبغوي ٢٠٦، وجامع الأصول لابن الأثير ج ١، ص ١٨٧، ومنتخب تاريخ ابن عساکر ج ٥، ص ٤٣٦، ومشكاة المصابيح للعمري، وتيسير الوصول لابن البديع ج ١، ص ١٦، والتاج الجامع للأصول ج ٣، ص ٢٠٨.

٢ - الدر المنثور للسيوطي ج ٢، ص ٦٠، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف بحب الأشراف ص ١١٦، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٨، ١٨٣، ومجمع الزوائد للهيثمى ج ٩، ص ١٦٢، وعبقات الأفراد من حديث الثقلين ص ١٦، وكنز العمال ج ١، ص ١٥٤، ح ٨٧٣ و ٩٤٨، والجامع الصغير للسيوطي ج ١، ص ٣٥٣، والفتح الكبير للنبهاني، ج ١، ص ٤٥١.

٣ - راجع مناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ٢٣٤، ح ٢٨١، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٢٢٣، وفرائد السمطين للحمويني الشافعي، ج ٢، ص ١٤٣ / باب ٣٣، وفيه بعد عترتي: (أهل بيتي ألاً - وهما الخليفان من بعدى)، وراجع عبقات الأنوار قسم حديث الثقلين ج ١، ص ١٣١، وكتابتنا (الخطط السياسية) ص ٢٦٠.

(٥٦)

مفاتيح البحث: حديث الثقلين (٢)، الصلاة (١)، كتاب تفسير ابن كثير (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٤)، ابراهيم الحمويني الشافعي (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب ينايع المودة (١)، كتاب فرائد السمطين (١)، كتاب ذخائر العقبي (١)، ابن المغازلي (١)، ابن عساکر (١)، ابن الأثير (٢)، الخوارزمي (١)، الموت (١)

صفحة ٥٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٥٧
وقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - إنى أوشك أن أدعى فأجيب، ألا إنى تارك فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله جبل ممدود (... ١).

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: كأنى دعيت فأجبت، إنى قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي (٢).
قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه: ألسنت أولى بكم من أنفسكم؟، قال الصحابة:
بلى يا رسول الله، قال رسول الله: فإنى سائلكم عن اثنين، القرآن وعترتي (٣).

قوله عليه وآله الصلاة والسلام: يا أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا، فينطلق بى، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، مخلف فيكم كتاب الله ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال هذا على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض (٤).

عن زيد ابن أرقم قال: قام فينا رسول الله بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد: أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربي فأجيب، وإنى تارك فيكم الثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستكملوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله فى

١ - راجع كنز العمال ج ١، ص ١٦٥، ح ٩٤٥، و مناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ٢٢٥، ح ٢٨٣، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٨، وفيها (لم يفترقا)، والصحيح (لن يفترقا)، كما فى الطبعة الأولى ص ٨٩، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٠٨، وينايع المودة ص ٣٥ - ٤٠ و ٢٦٦ و ٣٥٥، والمعجم الصغير للطبراني ج ١، ص ١٣١، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١، ص ١٠٤، ومجمع الزوائد ج ٩، ص ١٦٣ وإحياء الميت بهامش الإتحاف للسيوطي ص ١١١، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢، ص ١٩٤، وجامع

الأصول لابن الأثير ج ١، ص ١٨٧، والأنوار المحمدية للنبهاني ص ٤٣٥.

٢ - راجع خصائص النسائي الشافعي ص ٢١، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٣، والصواعق المحرقة ص ١٣٦، وذكر صدر الحديث وصححه، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٢، وكنز العمال ج ١، ص ١٦٧.

٣ - راجع مجمع الزوائد ج ٥، ص ١٩٥، وأسّد الغابة لابن الأثير ج ٣، ص ١٤٧، وأحياء الميت للسيوطي ص ١١٥، وكتابتنا (الخطط السياسية) ص ٢٤١.

٤ - راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٤ و ٧٥، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٨٥، وعبقات الأنوار حديث الثقلين ج ١، ص ٢٧٧، قال ابن حجر الشافعي أعلم أن لحديث الثقلين طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً.
(٥٧)

مفاتيح البحث: حديث الثقلين (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، القرآن الكريم (٣)، الصّلاة (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (١)، كتاب إسعاف الراغبين لابن الصبان الشافعي (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (٢)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، كتاب أسّد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، كتاب الخصائص للنسائي (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٢)، كتاب ينايع المودة (٢)، كتاب الصواعق المحرقة (٢)، كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد (١)، ابن المغازلي (١)، ابن الأثير (١)، الخوارزمي (٢)، الموت (١)

صفحة ٥٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٥٨

أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي (١).

عن زيد بن أرقم: قال رسول الله: ألا وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وأهل بيتي ... إلى أن قال الراوي عن زيد، فقلنا: من أهل بيته، نساؤه؟ قال زيد:

لا، وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها، فترجع إلى بيت أبيها (٢).

وقال حذيفة بن أسيد الغفاري: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم غدیر خم: إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى منهم من أنفسهم، فمن كنت مولاة فهذا على مولاة، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، ... ثم قال: إني سائلكم عن الثقلين (٣).

وقال زيد بن أرقم: إن رسول الله قد قال ...: وإني قد تركت فيكم الثقلين، ... ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: من كنت مولاة فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (٤).

وقال البراء بن عازب: إن رسول الله (ص) قد صلى الظهر في غدیر خم، وأخذ بيد علي فقال للمسلمين: أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا بلى، قال:

أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا بلى، فقال الرسول: من كنت مولاة فعلى مولاة، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه (٥).

١ - راجع صحيح مسلم / كتاب الفضائل / فضائل علي ج ٢، ص ٣٦٢، وج ١٥، ص ١٧٩ - ١٨٠ بشرح النووي، ومصابيح السنة للبعثي ج ٢، ص ٢٧٨، وتفسير الخازن ج ١، ص ٤، وتفسير ابن كثير ج ٤، ص ١١٣، ومشكاة المصابيح للعمري ج ٣، ص ٢٥٥ وينايع المودة ص ٢٩ و ١٩١ و ٢٩٦، والسيرة الحلبية ج ٣، ص ٣٣٠ / الهامش على السيرة الرملانية لمغني مكة.

٢ - راجع صحيح مسلم / كتاب الفضائل ج ٢، ص ٣٦٢، وج ١٥، ص ١٨١، بشرح النووي والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٨، وفرائد السمطين ج ٢، ص ٢٥٠، حديث ٥٢٠، وعبقات الأنوار حديث الثقلين ج ١، ص ٣٦، ٢٤٢، ٢٤١، ٣٦٧.

- ٣ - راجع تاريخ دمشق / ترجمه على لابن عساكر ج ٢، ص ٤٥، ح ٤٧، وكنز العمال ج ١، ص ١٦٨، ح ٩٥٩، ونوادير الأصول للترمذى ص ٢٨٩، وراجع الأحاديث الواردة، وراجع الثقلين.
- ٤ - راجع الخصائص للنسائي ص ٩٣ و ٢٦، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٣، وكنز العمال ج ٥، ص ٩١.
- ٥ - راجع ذخائر العقبى للطبري ص ٦٧، وفضائل الخمسة ج ١، ص ٣٥٠، والفصول المهمة ص ٢٤، والحاوي للفتاوى للسيوطي ج ١، ص ١٢٢، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢، ص ٢١٥.
- (٥٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، حديث الثقلين (٢)، علي بن أبي طالب (١)، حذيفة بن أسيد (١)، البراء بن عازب (١)، زيد بن أرقم (٢)، غدیر خم (١)، العصر (بعد الظهر) (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، كتاب الخصائص للنسائي (١)، كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي (٢)، كتاب الحاوي للفتاوى للسيوطي (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، كتاب فرائد السمطين (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (١)، كتاب صحيح مسلم (٢)، ابن عساكر (١)، الخوارزمي (١)، دمشق (١)

صفحة ٥٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٥٩

قال سعد بن أبي وقاص: إن رسول الله قد قال: أيها الناس إني وليكم؟ قالوا نعم، ثم رفع يد علي بن أبي طالب فقال: هذا وليي ويؤدى عني ديني، وأنا موال من والاه ومعاد من عاداه (١).

وقال سعد بن أبي وقاص أيضا: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما بلغ غدیر خم، ... ثم قال: أيها الناس من وليكم؟ قالوا الله ورسوله، ثم أخذ بيد علي فأقامه، ثم قال: من كان الله ورسوله وليه، فهذا وليه: اللهم وال من والاه، وعاد ما عاداه (٢). شائعات ضد النبي الأكرم (ص).

لقد أدرك قادة التحالف خطورة البيان النبوي، وهو لا يتوقف عن القول بأنه يتبع ما يوحى إليه، وأنه لا ينطق عن الهوى. فإذا استطاعت أن تشكك بقول الرسول (ص) وبشخصيته، فإنها ستبطل مفعول البيان النبوي المنحصر في حديثه (ص): إلا أن قادة التحالف وأفرادهم هم أقل وأذل من أن يواجهوا رسول الله بذلك.

ومن هنا لم يبق أمامهم إلا مواجهة النبي بحرب الشائعات، وذلك بإطلاق سلسلة من الشائعات تتطافر للتشكيك في قوله (ص) وشخصيته، واستحالة أن تكون كل أقوال الرسول من عند الله. فإذا نجحت هذه الشائعات بزعة الثقة ببيان الرسول المتعلق بالأمور السياسية: يكون أجله قد دنا، ولا تمهله المنية لبناء ما هدمته قيادة التحالف، عندئذ يتم توزيع الأدوار بين كتائب التحالف، وأثناء انشغال العترة الطاهرة بتجهيز النبي، ينصب خليفة من قريش، حيث يجمع الخليفة بيده الجاه والمال وتأييد التحالف، ويواجهون عليا وأهل بيت النبوة وبنو هاشم بأمر واقع، وبعد ذلك تقوم السلطة الجديدة بتحويل تلك الشائعات إلى قناعات، ثم يتناقلها العامة بالوراثة، وتصبح جزءا من الدين!!! تلك هي خطة التحالف لتحقيق هدفه!!!.

وهذه الشائعات هي:

أو - لقد أشاعت قيادة التحالف بأن رسول الله (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضى، ولا ينبغي أن يحمل كلامه على محمل الجد، وبالتالي لا ينبغي تنفيذ كل ما يقوله (ص):

فضلا عن عبثية كتابه أقواله (ص).

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله أريد حفظه،

- ١ - الخصائص للنسائي ص ١٠٢، والبداية والنهاية لابن كثير ح ٢١٢٥، والمراجع السابقة.
- ٢ - راجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١٠١، وفضائل الخمسة ج ١، ص ٣٦٥، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١٤٩، والرياض النضرة للطبري، ج ٢، ص ٢٨٢، وملحق المراجعات، وكتابنا (نظرياً فرائد الصحابة) ص ٢٥٢.
- (٥٩)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، عمر بن سعد لعنه الله (٢)، عبد الله بن عمرو بن العاص (١)، علي بن أبي طالب (١)، بنو هاشم (١)، غدير خم (١)، الوقوف (١)، الغضب (١)، النفاذ، التنفيذ (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، كتاب الخصائص للنسائي (١)، كتاب البداية والنهاية (١)

صفحة ٦٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٦٠

فنهتني قريش، وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضى؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً ياصبغه إلى فمه وقال: أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حقا (١).

لما آلت الخلافة إلى أبي بكر كان أول مشروع فعله هو جمعه للأحاديث النبوية التي كتبها هو شخصياً وقيامه بإحراقها، كما روت السيدة عائشة ابنته وأم المؤمنين.

وكان مشروعه الثاني أن جمع الناس وقال لهم: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله (٢).

فهذا الموقف المعلن من أبي بكر، وقناعته بأن الحديث عن رسول الله يورث الخلاف، وقيامه بإحراق الأحاديث التي جمعها شخصياً، كل ذلك يدل على حساسيته المفرطة من أحاديث رسول الله (ص)، وأنه أحد الذين نهوا ابن عمرو عن كتابة أحاديث الرسول، تحت شعار أنه يتكلم في الغضب والرضى، ثم من هي قريش إن لم يكن أبو بكر وهو أحد شيوخها منها؟!.

وعندما آلت الخلافة، إلى عمر بن الخطاب بعد موت أبي بكر، كان أول مشاريعه أن طلب من الناس وناشدهم ليأتوه بأحاديث رسول الله التي كتبوها، وظن الناس أن عمر يريد أن يجمع أحاديث رسول الله فأتوه بها، فلما أتوه بأحاديث رسول الله المكتوبة، أمر بحرقها جميعاً، وحرقت بالفعل (٣).

جاء في كنز العمال، أنه ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق:

عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر، وقال لهم: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا: أتناها؟ قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم، نأخذ منكم ونرد عليكم (٤).

وروى الذهبي: أن عمر حبس ثلاثة بتهمة أنهم (أكثروا الحديث عن رسول الله) (٥).

ولقد نهى عمر جيوشه عن الرواية عن رسول الله (٦)، وهذه السياسة الصارمة نحو رواية الأحاديث، ونحو حرق المكتوب منها: تدل على حساسيته المفرطة تجاه أحاديث رسول

- ١ - سنن أبي داود ٢ / ١٢٦، وسنن الدارمي ١ / ١٢٥، ومسند أحمد ٢ / ١٦٢، ٢٠٧، ٢١٦، ومسند ترك الحاكم ١ / ١٠٥، ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١ / ٨٥.
- ٢ - تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٣٠٢.
- ٣ - الطبقات لابن سعد ٥ / ١٤٠.
- ٤ - كنز العمال ٥ / ٢٣٩، حديث ٤٨٦٥، ومنتخب الكنتز ٤ / ٦١.

٥ - تذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٢ - ٣.

٦ - بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢ / ١٤٧، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١ / ٤ - ٥.

(٦٠)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، أزواج النبي (ص) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، عقبه بن عامر (١)، الموت (١)، الغضب (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب سنن أبي داود (١)، كتاب تذكرة الحفاظ للذهبي (٢)

صفحة ٦١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٦١

الله (ص)، حتى ولو كان شخصيا هو الذي سمعها، وموقفه بالحجرة المباركة ومواجهته للرسول وجها لوجه، وإن قوله للرسول: حسبنا كتاب الله يؤكّد هذه الحساسية.

وإن لم يكن أبو حفص مع قريش التي نهت عبد الله بن عمرو عن كتابة أحاديث الرسول، فمن هي قريش إذا؟، صحيح أنه لم يكن واحدا من سادة قريش قبل الإسلام، وأنه كان شخصا عاديا، ولكنه نال الشرف بالإسلام، ونال العلا بمصاهرته لرسول الله فأصبح من سادة قريش، فمن غير الممكن أن تنهى قريش في غياب عمر!!!.

ولما آلت الخلافة إلى عثمان بعد موت عمر، كانت أول مشاريعه أن أصدر مرسوما بعدم جواز رواية أي حديث لم يسمع به في عهدي أبي بكر وعمر (١).

تلك هي قريش التي نهت عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة أحاديث رسول الله، بحجة أن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى. وفي الحقيقة فإن الغاية المنشودة من النهي كانت لغايات إبطال مفاعيل الأحاديث النبوية المتعلقة بمؤسسة الإمامة من بعد النبي (ص)، وبالذات المميز لأهل بيت النبوة (ع) بعد وفاته!!.

معاوية يبين الغاية من الإشاعة.

كان معاوية بن أبي سفيان أحد قادة التحالف، وقد أصدر مرسوما بعد عام الجماعة، وأرسل نسخا من هذا المرسوم إلى كل عماله، حيث أمر فيه بالحرف، أن: برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته!!

فمعاوية قد أبرز بيت القصيد، والغاية من منع كتابة أحاديث رسول الله، حتى لا ينتشر فضل أبي تراب وأهل بيته في الأمة، وحتى لا يعرف المسلمون حقهم الثابت شرعا بقيادة هذه الأمة!! (٢).

ثانيا - روى البخاري: إن رسول الله كان يغضب، فيلعن، ويسب، ويؤذى من لا يستحقها، ودعا الله أن تكون لمن بدرت منه زكاة وطهورا.

وهكذا صوروا رسول الله صاحب الخلق العظيم الذي وصفه الله تعالى بآية محكمة (وإنك لعلی خلق عظیم) (٣)، بصورة الرجل الذي يفقد السيطرة على أعصابه، فيتصرف بمثل تلك التصرفات التي ألصقوها ظلما به (ص): لأن الشخص العادي الذي لا تتوفر فيه مؤهلات النبوة، يترفع عن سب ولعن وإيذاء الناس بدون سبب، فكيف بسيد الخلق وأعظمهم!!!.

القصّد من الإشاعة!!؟

القصّد من ممارساتهم تلك هو دعم الإشاعة الأولى، والتشكيك بشخصية الرسول وبصحته

١ - منتخب الكنز هامش مسند الإمام أحمد ٤ / ٦٤.

٢ - شرح النهج لعامة المعتزلة ٣ / ٥٩٥ - ٥٩٦.

٣ - سورة القلم آية ٤.

(٦١)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله (١)، عبد الله بن عمرو بن العاص (١)، عبد الله بن عمرو (١)، المنع (١)، الغضب (١)، الزكاة (١)، السب (١)، الجماعة (١)، مدرسة المعتزلة (١)، سورة القلم (١)

صفحة ٠٦٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٦٢

حكمه على الرجال، والنيل من علي بن أبي طالب وأهل بيته، وإبراز مظلومية أعداء الله، ورفع خامل ذكرهم، إذ من الثابت أن رسول الله (ص) قد لعن أعداء الله، وبالذات الكثير من قادة هذا التحالف، كما يروى البخارى والسيوطى والترمذى، والنسائى، وأحمد، وابن جرير، والبيهقى، ونصر بن مزاحم، والحلبى، راجع بعث أسامة فى كل السير، تجد أن رسول الله قد لعن الذين يتخلفون عن جيش أسامة.

ومن جملة الذين لعنهم رسول الله: هم أبو سفيان، ومعاوية، وأخوه يزيد، والحكم بن العاص، و... إلخ: ممن تخلفوا عن جيش أسامة. بموجب هذه الشائعة، فإن الذين لعنهم رسول الله صاروا مطهرين أو زاكين!!، وهكذا فاقوا منزلة أهل البيت (ع)، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا!!!

وإذا كانت لقول الرسول بعلى وأهل بيته قيمة، فلماذا لا تكون لقوله هذا بقادة التحالف قيمة، وهذا يعزز الشائعة الأولى، التى أطلقها قادة التحالف بضرورة عدم حمل كلام الرسول (ص) على محمل الجد، وبالتالي عدم جدوى كتابته.

ثالثا - وروى البخارى:

إن بعض اليهود سحروا رسول الله، حتى ليخيل إليه أنه يفعل الشئ وما فعله!!

وهذا قمة التشكيك فى كل ما يصدر عن رسول الله (ص)، وما يعنى التحالف بالدرجة الأولى، ما صدر ويصدر عنه (ص) بالأمر المتعلقة برئاسة الدولة، وبالمكانة الخاصة التى تصوروا أن رسول الله قد خص بها أهل بيته الكرام (ع).

رابعا - لقد طلب عمر بن الخطاب من الناس أن يأتوه بما عندهم من أحاديث الرسول المكتوبة، وظن الناس أنه يريد أن يجمعها ويأمر بكتابتها من جديد فأتوه بها، فلما وضعت بين يديه أمر بحرقها، وحرق فعلا (١)!!!

ولم يكتف بذلك، إنما نهى الناس عن الحديث، وفرض على المحدثين الإقامة الجبرية، وحبس بعضهم بجرم التحديث عن رسول الله!! (٢). وما ذلك إلا لأن عمر مقتنع أن القرآن الكريم وحده يكفى، ولا حاجة لما قاله الرسول (ص) أو ما سيقوله، حتى وإن كان الرسول موجودا!!! (٣).

وجاء عثمان فسار على سيرة صاحبيه، حيث استهل عهده بإصدار أمر، مفاده أنه (لا يحل

١ - طبقات بن سعد ٥ / ١٤٠ ترجمة محمد بن أبي بكر.

٢ - راجع الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية ص ٣٠٢ وما فوق.

٣ - راجع نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية فى الاسلام ص ٢٨٧ وما فوق: تجد توثيق تلك الواقعة وتفصيلها.

(٦٢)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، القرآن الكريم (١)، على بن أبي طالب (١)، نصر بن مزاحم (١)، الكرم، الكرامة (١)، الطهارة (١)، كتاب الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية لأحمد حسين يعقوب (١)، محمد بن أبي بكر (١)

صفحة ٦٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٦٣

لمسلم أن يروى حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر وعمر (١).

وكان معاوية بن أبي سفيان أكثر وضوحاً من الذين سبقوه، حيث أصدر مرسوماً وجه منه نسخة إلى كل عماله أن: برئت الذمة ممن يروى شيئاً بفضل أبي تراب وأهل بيته!!.

فغاية الجميع واحدة وهي منع رواية وكتابة أحاديث الرسول كلها، حتى لا يروى الناس شيئاً من فضل علي وأهل بيت النبوة (ع)، وقدر معاوية أنه لم يعد هنالك ما برر هذه التورية فدخل بالموضوع مباشرة، وحصر المنع بما يعطى حقاً أو فضائل لعلّي وأهل بيت النبوة (ع).

التطبيق العملي للشائعة.

لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقسم المال بين الناس بالسوية، لافضل في ذلك لمهاجري علي أنصاري، ولا لعربي علي عجمي، ولا لصريح علي موال: لأن حاجات أبناء البشر الأساسية متشابهة، وتلك أمور تدرك بالعقل وبالفطرة السليمة، فجميع أبناء البشر يأكلون ويشربون وينامون ويتزاوجون. ثم أن الرسول لا ينطق عن الهوى، فهو يتبع ما يوحى إليه من ربه، فأمر بهذه الخطورة يتلقى فيه التوجيه الإلهي، وطوال عهده الشريف وهو يقسم بين المسلمين بالسوية: لا يفضل أحداً على أحد، حتى أصبح عمل الرسول هذا سنة فعلية، وجزءاً من المنظومة الإلهية، على اعتبار أنها تشريع من أهم التشريعات المالية في الإسلام.

ولما تسلم عمر مقاليد الخلافة رأى أن سنة الرسول هذه ليست مناسبة: فلا يعقل أن تكون قریش كالأنصار!! ولا يعقل أن يكون العرب كالعجم، وأن يكون الصريح كالمولى!!، ومن هنا فقد فضل المهاجرين كلهم على الأنصار كلها، وفضل العرب على العجم، وفضل الصريح على المولى، وأعطى زوجات الرسول عطاءً خاصاً يفوق التصور والتصديق، وزائداً عن حاجة كل واحدة منهن!!! حتى أنه لم يساو بالعطاء بين زوجات الرسول نفسه!! فميز بينهن، وأعطى بعضهن أكثر من بعض.

وتصور عمر أن أسلوبه بتوزيع العطاء هو أفضل من أسلوب النبي (ص)، ومع الأيام اكتشف عمر أنه قد غرس في المجتمع المسلم بذور الطبقية، وأنه قد أوجد بعمله هذا الغنى الفاحش والفقير المدقع جنباً إلى جنب!! فطلحة والزبير وعثمان وابن عوف يملكون الملايين!! وعمار وبلال وعامة الناس يموتون جوعاً!!!.

وبعد تسع سنين من تطبيق سنته الشخصية، اكتشف عمر أن رسول الله أهدى منه، وأن سنة رسول الله خير من سنته بعد أن شاهد بعضاً الآثار المدمرة لسنته الشخصية، التي وضعها بالقوة محل سنة الرسول (ص). وأعلن عزمه على الرجوع إلى سنة رسول الله!!

فقال: وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عريباً على

١ - منتخب الكنتز بهامش مسند الإمام أحمد ٤ / ٦٤.

(٦٣)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، أزواج النبي (ص) (٢)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله (١)، الشهادة (١)، المنع (١)، الجنب (١)

صفحة ٦٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٦٤

عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر (١)!!.

بمعنى أن عمر عندما ألغى التسوية بالعتاء، كان يعلم أنها سنة رسول الله (ص)، وأن صاحبه أبا بكر قد اتبعها، ومع هذا ألغى التسوية بالعتاء مع سبق العلم والإصرار، ثم عاد بعد تسع سنين ليفكر بإعادة السنة التي عطل أحكامها طول تلك المدة!!! (٢).

فجعل خمس الخمس لذوى القربى، وهم بنو هاشم الذكر منهم والأثني، وبنو عبد المطلب (٣).

بالإضافة إلى يتيم الهاشميين ومسكينهم وابن سبيلهم، والحكمة من هذا التشريع كانت فى إبراز التمييز لذوى القربى، وسد حاجاتهم بإيجاد سبيل لحياة كريمة لهم، ولأن الصدقة محرمة عليهم (٤).

وبالرغم من وضوح الآيه، ومن تواتر بيان النبى لها: إلا أن عمر بن الخطاب أبى أن يعطى بنى هاشم كل سهمهم (٥)، بحجة أن قريشا كلها ذات قربى (٦).

قال ابن عباس: سهم ذوى القربى لقربى رسول الله، قسمه لهم رسول الله، وقد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً فرأيناه دون حقنا فرددناه عليه، وأبيناً أن نقبله (٧).

وقد ندم عمر على ما كان منه، إذ قال: ليت أم عمر لم تلده (٨).

ومن المؤكد أن عمر على الأقل اعترف بأنه قد أخطأ عندما رفع حكم الله سبحانه، وألغى سنة رسوله (ص) التى ساوت بين الناس فى العطاء، ووضع بدلاً منهما سنته الشخصية التى فضلت بالعتاء، وعبر عن هذا الندم بقوله: إن عشت هذه السنة ساويت بين الناس، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر.

١ - تاريخ يعقوبى ٧ / ٢، وابن أبى الحديد ١ / ١١١، وتاريخ الطبرى ٥ / ٢٢.

٢ - تاريخ الطبرى ص ٢٢ سيرة عمر باب حملة الدرر!!.

٣ - سنن أبى داود ٢ / ٥٠، والطبرى فى تفسيره ١ / ٥٠، وأحمد فى مسنده ٤ / ٨١، والمغازى للواقدى، غزوة خيبر.

٤ - صحيح مسلم ٣ / ١٢ باب قبول النبى الهدية، وصحيح البخارى ١ / ١٨١، وصحيح مسلم ٣ / ١١٧، وسنن أبى داود ١ / ٢١٢ باب الصدقة على بنى هاشم، وسنن الدارمى ١ / ٣٨٣، ومجمع الزوائد للهيثمى ٣ / ٨٩، والبحار ٦٦ / ٧٦ حرمة الزكاة على بنى هاشم.

٥ - صحيح مسلم ٥ / ١٩٥، ومسند أحمد ١ / ٢٤٨ و ٢٩٤ و ٣٠٤، وسنن الدارمى ٢ / ٢٢٥، ومسند الشافعى ص ١٨٣، وحلية أبى نعيم ٣ / ٢٠٥.

٦ - تفسير الطبرى ١٠ / ٥، والأحوال لأبى عسير ص ٢٣٣.

٧ - مسند أحمد ١ / ٢٤٤ و ٣٢٠، وسنن أبى داود ٢ / ٥١، وسنن النسائى ١٧٧٢، وسنن البيهقى ٦ / ٣٤٤.

٨ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينورى، ١ / ١٥ وما فوق.

(٦٤)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، عبد الله بن عباس (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، بنو هاشم (٤)، الحج (١)، الخمس (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (٣)، ابن أبى الحديد المعتزلى (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، الحافظ أبو نعيم (١)، كتاب تفسير الطبرى (١)، كتاب سنن أبى داود (٣)، معركة خيبر (١)، كتاب صحيح البخارى (١)، كتاب صحيح مسلم (٣)، كتاب تاريخ الطبرى (٢)، الزكاة (١)، التصدق (١)

صفحة ٦٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٦٥

على الرغم من ندم الخليفة عمر على تعطيله لحكم الله، وعلى إلغائه لسنة رسول الله، وإعلانه صراحة لهذا الندم، واعترافه بخطأ ما فعل أو اجتهد برأيه: فإنهم بعد مماته أخذوا يزدادون بحب الرجل، ويلتمسون له أعذاراً عجيباً لا يقرها العقل!!.

يقول القوشجى فى معرض اعتذاره عن رفع سنه الله التى تأمر بالمساواة بين الناس فى العطاء، وإعطاء خمس الخمس لبنى هاشم وبنى عبد المطلب، وإحلال سنه عمر التى تقضى بالمفاضلة بدلا من المساواة بين الناس، ومنع الهاشميين حقهم، يقول: .
وأجيب عن هذه الوجوه بأن ذلك ليس مما يوجب قدحا فيه، فإنه من قبيل مخالفة المجتهد لغيره فى المسائل الاجتهادية (١)!!
عندما آلت الخلافة إلى عمر قرر العدول عن اجتهاد الرسول، وإيجاد اجتهاد بديل عنه، رأى، عمر أنه أفضل!! وهذا العمل لا يشكل قدحا فى عمر بأى وجه من الوجوه: لأنه من قبيل مخالفة مجتهد (وهو عمر) لمجتهد آخر وهو (رسول الله)!! ولا حرج على عمر من مخالفته لرسول الله، لأن كليهما مجتهد!! (٢).

قال ابن أبى الحديد: لم يخرج عمر بحكمه عن طريق الاجتهاد، وما أدى إليه اجتهاده!!
وقال فى معرض اعتذاره عن تخلف أبى بكر وعمر عن جيش أسامة: إن الرسول كان يبعث السرايا عن اجتهاد لا- عن وحى يحرم مخالفته (٣) وباختصار، لقد تحولت تلك الإشاعة إلى قناعة عامة، وصار الرسول مجرد مجتهد، ليس إلا، ومن حق الخليفة فى أى زمان - حسب رأيهم - أن يأتى باجتهاد يغير اجتهاد الرسول، ويبدو أن مزية التنافس بين النبى المجتهد وبين غيره محصورة بالخلفاء الثلاثة أبى بكر وعمر خاصة، وعثمان بدرجة أقل، وبمستوى أدنى ملوك بنى أمية، بوصفهم صحابة كرام!!!
وأخيرا برأيهم أن النبى (ص) مجتهد، والقاعدة العامة تقول: إن المجتهد مأجور خطأ أم أصاب، والفرق أن المصيب له أجران وللمخطئ أجر واحد، ومن حق المجتهد، أى مجتهد كان، أن يخالف مجتهدا آخر!! (٤).
والأهم من ذلك أن الاجتهاد وارد حتى فى العبادات - حسب رأيهم -، فزيادة الأذان الثالث

١ - شرح التجريد للقوشجى ص ٤٠٨.

٢ - شرح النهج لابن أبى الحديد ٢ / ١٥٣ و ٣ / ٨٠.

٣ - شرح النهج لابن أبى الحديد ٢ / ١٥٣ و ٣ / ٨٠.

٤ - شرح التجريد للقوشجى ص ٤٠٨، وشرح النهج لابن أبى الحديد ٤ / ١٧٨ و ٢ / ١٥٣ و ٣ / ١٨٠ ومنهاج السنه لأبى تيمية ٣ / ٢٠٣ وتاريخ ابن كثير ١٤ / ١٣٥ ومنهاج السنه ٣ / ١٣٩ والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١١٢.
(٦٥)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، ابن أبى الحديد المعتزلى (١)، بنو أمية (١)، بنو هاشم (١)، الكرم، الكرامة (١)، الخمس (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى (٣)

صفحة ٦٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٦٦
يوم الجمعة من قبيل الاجتهاد (١)!! والاجتهاد قد يقع فى حد من حدود الله، وقال القوشجى فى معرض الاعتذار عن إسقاط عثمان القود عن عبيد الله بن عمر: إنه اجتهاد ورأى أنه لا يلزمه حكم هذا القتل: لأنه وقع قبل عقد الإمامة له (٢).
والاجتهاد قد يستفيد منه أعداء الله، فالحكم بن العاص عدو لله كان يؤذى رسول الله فى الجاهلية والإسلام، لعنه الرسول، ولعن أولاده (٣).

وأصدر الرسول أوامره بتغريب الحكم وولده، وقال (ص): لا يساكننى ولا ولده، وعندما تولى أبو بكر الخلافة، راجعه عثمان للسماح بعودة الحكم بن العاص فرفض أبو بكر، وبعد تولية عمر راجعه عثمان لنفس الغاية فرفض عمر، وعندما تولى عثمان الخلافة أدخله معززا مكرما، وألبسه جبة من طيلسان (٤)، وأعطاه صدقات المسلمين البالغة ٣٠٠ ألف درهم (٥).

ولما مات الحكم ضرب عثمان على قبره فسطا (٦) حزنا عليه، ولما قيل لشيعه عثمان:

لم فعل عثمان ذلك؟ قالوا: أذاه إجتهاده إلى ذلك لأن الأحوال تتغير (٧).

روى الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي (ص) فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال الرسول: هذا الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون (٨).

ومع هذا أصبح هذا الولد بالاجتهاد رئيساً لوزراء المسلمين!!! وأعطى هذا الولد فدكا، وهي التي أخذت من بنت رسول الله!! (٩). كل هذه التناقضات قد جرت بدعوى الاجتهاد!!!، وكثيرة من ثمرات الشائعات التي أطلقها قادة التحالف، والتي تضافرت معا وخلقت وضعاً حقوقياً لا مثيل له!!.

وعلى فرض أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد قال للناس: إن علي بن أبي طالب هو وليكم من بعدى، و... الخ، فأقوال الرسول هذه ليست ملزمة للأسباب الواردة، وبالشائعات الآنفه الذكر، وإن أقوال الرسول من قبيل الاجتهاد، وليست وحياً تحرم مخالفتها!!! وهذه هي المرامي البعيدة لتلك الشائعة المشؤومة. إشاعتان متلازمتان، هما:.

١ - منهاج السنة ٣ / ٢٠٤.

٢ - شرح التجريد ص ٤٩، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٢٤٣.

٣ - أنساب الأشراف للبلاذري ٥ / ٢٧ و ٢٨، ومستدرک الحاكم ٤ / ٤٧٩ - ٤٨١.

٤ - تاريخ يعقوبى ٢ / ١٦٤.

٥ - المصدر نفسه ٢ / ١٦٨.

٦ - أنساب الأشراف ٥ / ٢٧.

٧ - شرح النهج لعامة المعتزلة ١ / ٢٣٣.

٨ - مستدرک الحاكم ٤ / ٤٧٩ - ٤٨١.

٩ - شرح النهج لابن أبي الحديد ١ / ٦٧، والمعارف لابن قتيبة ص ٨٤.

(٦٦)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، مروان بن الحكم (١)، عبد الرحمن بن عوف (١)، علي بن أبي طالب (١)، عبيد الله بن عمر (١)، الموت (١)، القبر (١)، القتل (١)، الضرب (١)، الحزن (١)، الجهل (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى (٢)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى (٢)، كتاب انساب الأشراف للبلاذري (٢)، مدرسة المعتزلة (١)

صفحة ٦٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٦٧

١ - إن الرسول (ص) لم يستخلف أحداً، إنما خلى على الناس أمرهم.

٢ - إن الرسول (ص) لم يجمع القرآن، والخلفاء الثلاثة هم الذين جمعوه.

أطلقت هاتان الإشاعتان معا ومفادهما الترك، فعلى المستوى القيادى فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خلى للناس أمرهم، ولم يستخلف أحداً من بعده، لا- على بن أبي طالب ولا غيره، بل ترك أمته بلا راع ولا قائد، ولا بين لها كيف تختار ولا من تختار. فجاء الخلفاء الثلاثة ورتبوا أمر القيادة من بعد النبي، وتلافوا بعقريتهم الفذة ما أغفله النبي!! هذا على الصعيد القيادى.

أما على الصعيد القانونى فإن الرسول (ص) قد انتقل إلى جوار ربه، وترك القرآن الكريم فى صدور الرجال ولم يجمعه، وخشى

الخلفاء الثلاثة أن يضع القرآن بعد أن يقتل حفظته أو يموتوا، لذلك شمروا عن سواعدهم وجمعوا القرآن، ولولا بعد نظر أولئك الخلفاء لضاع القرآن واندثر، وهكذا تلافى الخلفاء ما أغفله النبي، وبخطوتهم تلك حفظوا القرآن من الضياع!! يقول أبو بكر: إن الله بعث محمدا نبيا، وللمؤمنين وليا، فمن الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتى اختار الله له ما عنده، فخلي على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم ما فيه مصلحتهم متفقين لا مختلفين، فاختاروني عليهم وليا ولأمورهم راعيا (١).

فأبو بكر هو أول من أشاع بأن الرسول قد خلى على الناس أمرهم، أى ترك أمته بعده بغير راع، وترك للأمة حرية اختيار هذا الراعى فى ما بعد، وبيان كيفية اختيارهم له!!.

وجاء فى تاريخ الطبرى أن أبا بكر قال فى مرضه الذى توفى منه: وددت أنى سألت رسول الله لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد!! ووددت أنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب؟! (٢) وأخرج أبو نعيم فى حليته، ومسلم فى صحيحه، والبخارى فى صحيحه، والبيهقى فى سننه، وابن الجوزى فى سيرة عمر واللفظ للأول ما يلى:.

إن ابن عمر قال لأبيه: إن الناس يتحدثون أنك غير مستخلف، ولو كان لك راعى إبل أو راعى غنم، ثم جاء وترك رعيتيه، رأيت أنه قد فرط، ورعاية الناس أشد من رعاية الإبل والغنم!! ماذا تقول لله عز وجل إذا لقيته ولم تستخلف على عبادته؟ قال ابن عمر: فأصابت كآبه، ثم نكس رأسه طويلا، ثم رفع رأسه وقال: وأى ذلك أفعل فقد سن لى - إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف، وإن أستخلف فقد استخلف أبو بكر!! (٣).

وروى المسعودى فى مروج الذهب أن عبد الله بن عمر دخل على عمر بن الخطاب وهو

١ - ابن قتيبة الدينورى فى الإمامة والسياسة ١ / ١٥.

٢ - تاريخ الطبرى ٤ / ٥٣، وفى العقد الفريد ٢ / ٢٥٤٣ - حلية الأولياء ١ / ٤٤.

(٦٧)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، الحافظ أبو نعيم (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، كتاب صحيح مسلم (١)، عبد الله بن عمر (١)، كتاب تاريخ الطبرى (٢)، القرآن الكريم (٦)، المرض (١)، الإختيار، الخيار (٢)، كتاب حلية الأولياء لأبى نعيم (١)

صفحة ٦٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٦٨

يجود بأنفاسه، فقال له: يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد، فإنه لو جاءك راعى إبلك أو غنمك، وترك إبله أو غنمه لا راعى لها للمته، وقلت له:

كيف تركت أمانتك ضائعة؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟ فأجابه عمر: إن أدع فقد ودع من هو خير منى - يعنى الرسول - وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى - يعنى أبا بكر - (١).

وروى ابن قتيبة: أن عمر لما أحس بالموت قال لابنه عبد الله: إذهب إلى عائشة وأقرأها السلام، واستأذنها أن أقبر مع رسول الله ومع أبى بكر. فأتاها عبد الله، فأعلمها فقالت: حبا وكرامة، ثم قالت: يا بنى أبلغ عمر سلامى وقل له لا تدع أمة محمد بلا راع،.. استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هم، فانى أخشى عليهم الفتنة!! فأتى عبد الله عمر فأعلمه فقال عمر: ومن تأمرنى أن أستخلف لو أدركت؟ .. الخ (٢).

وأخرج البلاذرى فى أنساب الأشراف عن ابن عباس قال، قال: عمر لا أدرى ما أصنع بأمة محمد، وذلك قبل أن يطعن؟ فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه؟ (٣).

وقد رأينا أن عبد الله بن عمر وصف حاله ترك الأمة بدون راع بأنها تضيع للأمانة، وأنها تفريط، وأنها محل لوم يترفع عن الوقوع فيها راعى الإبل أو راعى الغنم، وأن ترك الأمة بدون راع يعنى تركهم هم، على حد تعبير عائشة، ويؤدى إلى الفتنة حسب توقعها!!!
 فهل يعقل بربكم أن يكون راعى الغنم أو الإبل، أو عبد الله بن عمر، أو أم المؤمنين أبعد نظرا، وأدرك لعواقب الأمور من رسول الله (ص)، وهو صفوة الجنس البشرى؟! وهل يعقل أن يكون ابن عمر أو أبوه أو أم المؤمنين أو ابن أبى قحافة أكثر رحمة من النبى بأتمته؟!!!

ثم إن فكرة ترك الرسول للأمة دون أن يعين خليفه من بعده، أو يبين على الأقل طريقة تعيينه: فكرة تتعارض مع كمال الدين وتام النعمة!! وهل يعقل أن يبين الرسول المهم ويترك الأهم؟! (٤).

أخرج الطبرى فى الرياض النضرة (٥)، كما أخرج أبو ذر عن ابن عمر أنه قال:

لما طعن عمر قلت: يا أمير المؤمنين لو أجهدت نفسك وأمرت عليهم رجلا؟ فقال عمر: والذى نفسى بيده لأردنها للذى دفعها إلى أول مرة، - ويقصد به عثمان - : حيث كلفه أبو بكر بكتابه عهدة فقال لعثمان: أكتب - إنى قد وليت عليكم - ثم أغمى على أبى بكر من شدة الوجع، فكتب عثمان -

١ - مروج الذهب ٢ / ٢٥٣.

٢ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٢٢، وأعلام النساء ٢ / ٧٨٦.

٣ - أنساب الأشراف للبلاذرى ٥ / ١٦.

٤ - راجع الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية ص ٣٧١ وما فوق: تجد التنظير المنطقى لهذه الشائعة.

٥ - الرياض النضرة لمحّب الدين الطبرى ج ٢ ص ٧٤.

(٦٨)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، أزواج النبى (ص) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله بن عباس (١)، كتاب كمال الدين وتام النعمة (١)، كتاب انساب الأشراف للبلاذرى (٢)، عبد الله بن عمر (٢)، الموت (١)، الجود (١)، كتاب الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية لأحمد حسين يعقوب (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، محّب الدين الطبرى (١)

صفحة ٦٩٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٦٩

عمر - أى أكملها عثمان من تلقاء نفسه، ولما أفاق أبو بكر طلب من عثمان أن يقرأ له ما كتب، فسر الخليفة وقال لعثمان: لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها، بمعنى أن الذى ردها إليه هو عثمان، وبالفعل فقد بر الخليفة بقسمه فولى عثمان عمليا: بالرغم من - الديكور - أو طريقة الإخراج.

وهنا يجدر بنا أن نسأل: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك الناس بلا راع، أو بتعبيرهم خلى على الناس أمرهم: فلماذا لم يقتد الخليفان به؟!

ولماذا لم يخليا على الناس أمرهم؟! فقد استخلف أبو بكر عمر، واستخلف عمر عثمان عمليا، والستة نظريا؟! ومن العجب العجاب أن عملية استخلاف أبى بكر لعمر، واستخلاف عمر لعثمان تمت بأمر الرجلين، وهما على فراش الموت، فأبو بكر يأمر والرعية تنفذ، وعمر يأمر، والرعية تجرى وتنفذ وصيته، وبالمناسبة - لست أدرى - لماذا لم يعامل الرسول بمثل هذه المعاملة؟! ولم يحترم مثل هذا الاحترام؟! فما أن قال الرسول: قربوا، أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا: حتى تصدى له عمر فقال: إن الرسول قد هجر، حسبنا كتاب الله!!! إنه من العجب العجاب حقا أن تعلق مكانة الخليفة على مكانة النبى، وأن يكرم الصحابى أكثر مما يكرم النبى، ومع هذا لا

أحد يعتذر!! ولا أحد يقف عند هذه القاصمة، ولا أحد يوجه أى لوم لفاعلها!! بل أزد: أنهم يبررون لهم أفعالهم تلك!!
(سريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (١).

الأسماء المباركة التى توسل بها نوح (ع).

بسم الله الرحمن الرحيم (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).

إن لمحمد (ص) ولأهل بيته (ع) مكانة عند الله تعالى لم يتوصل إليها أحد، ولم يعرف قدرها إلا الرسل والأنبياء المعصومون (عليهم السلام).

فلقد دلت الأخبار الواردة عن أهل البيت (ع): بأن الأنبياء توسلوا إلى الله تعالى بالخمسة أصحاب الكساء فى ساعات المحن التى تعرضوا لها، فلقد توسل بهم آدم (ع) بعد خروجه من الجنة، ونوح (ع) عند الطوفان، وإبراهيم عليه السلام، عند ما ألقاه النمرود فى النار، وهكذا بقية الأنبياء (ع).

وقد أنجاهم الله تعالى من المحن التى تعرضوا لها بواسطة هؤلاء الخمسة المعصومين (ع).

وأخيرا ظهرت هذه الحقيقة نتيجة للبحث والتنقيب: حيث نشرت [البذرة] النجفية التى تصدرها ثانوية منتدى النشر الأهلية فى عديها الثانى والثالث بتاريخ شوال - ذى

١ - سورة فصلت: آية ٥٣.

(٤٩)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، النبى إبراهيم (ع) (١)، النبى نوح عليه السلام (٢)، الأنبياء (ع) (١)، النبى آدم عليه السلام (١)، أهل الكساء (١)، شهر شوال المكرم (١)، الموت (٢)، سورة فصلت (١)

صفحة ٧٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٧٠

القعدة ١٣٨٥ هـ بحثنا مترجما عن كتاب - إيليا - والذى نشرته دار المعارف الإسلامية بلاهور ب (باكستان) (١).

الأسماء المباركة.

التي توسل بها نوح (ع).

فى تموز عام ١٩٥١ م حينما كان جماعة من العلماء السوفيت (الاتحاد السوفيتى سابقا) المختصين بالآثار القديمة ينقبون فى منطقة بوادى قاف، عثروا على قطع متناثرة من أخشاب قديمة متسوسة وبالية، مما دعاهم إلى التنقيب والحفر أكثر وأعمق، فوقفوا على أخشاب أخرى متحجرة وكثيرة، كانت بعيدة فى أعماق الأرض!!

ومن بين تلك الأخشاب التى توصلوا إليها نتيجة التنقيب: خشبة على شكل مستطيل، طولها ١٤ عقدا وعرضها ١٠ عقود، سببت دهشتهم واستغرابهم حيث لم تتغير، فلم تتسوس ولم تتناثر كغيرها من الأخشاب الأخرى.

وفى أواخر سنة ١٩٥٢ أكمل التحقيق حول هذه الآثار، فظهر أن اللوحة المشار إليها كانت ضمن سفينة النبى نوح (ع)، وأن الأختاب الأخرى هى أخشاب جسم سفينة نوح.

ومما يذكره المؤرخون أن سفينة نوح (ع) استوت على قمة جبل قاف.

وشهد أن هذه اللوحة قد نقشت عليها بعض الحروف التى تعود إلى أقدم لغة.

وهنا ألفت الحكومة السوفيتية لجنة بعد الانتهاء من الحفر عام ١٩٥٣، قوامها سبعة من علماء اللغات القديمة، وأهم علماء الآثار، وهم:

- ١ - سوله نوف أستاذ الألسن فى جامعة موسكو.
- ٢ - ايفاهان خنيو عالم الألسن القديمة فى كلية لولوهان بالصين.
- ٣ - ميشانن لو مدير الآثار القديمة.
- ٤ - تانمول گورف أستاذ اللغات فى كلية كيفزو.
- ٥ - دى راكن أستاذ الآثار القديمة فى معهد لينين.
- ٦ - أيم أحمد كولاى مدير التنقيب والاكتشافات العام.
- ٧ - ميگر كولتوف رئيس جامعة ستالين.

وبعد ثمانية أشهر من دراسة تلك اللوحة والحروف المنقوشة عليها: اتفقوا على أن هذه اللوحة كانت مصنوعة من نفس الخشب الذى صنعت منه سفينة نوح (ع)، وأن النبى نوح عليه السلام كان قد وضع هذه اللوحة فى سفينة للتبرك والحفظ. وكانت حروف هذه اللوحة باللغة السامانية، وقد ترجمها إلى الإنجليزية العالم البريطانى ايف ماكس أستاذ الألسن القديمة فى جامعة مانجستر، وهذا نصها مع تعريبها:

١ - نقلا عن ما نشرته الجمعية الخيرية الإسلامية بكرىلاء المقدسة.

(٧٠)

مفاتيح البحث: النبى نوح عليه السلام (٤)، باكستان (١)، السفينة (٥)، مدينة كرىلاء المقدسة (١)

صفحة ٧١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٧١

يا إلهى ويا معينى O my God my helper

برحمتك وكرمك ساعدنى Keep my hands With mercy

ولأجل هذه النفوس المقدسة And With your holy bodies

محمد Mohamed

إيليا Alia

شبير Shabbar

شبير Shabbir

فاطمة Fatma

الذين هم جميعهم عظماء ومكرمون They are all Biggest and

Honourables العالم قائم لأجلهم The world established for them

ساعدنى لأجل أسمائهم Help me by their names

أنت فقط تستطيع أن توجهنى نحو الطريق المستقيم you can reform to

Right وأخيراً، بقى هؤلاء العلماء فى دهشة كبرى أمام عظمة هذه الأسماء الخمسة، ومنزلة أصحابها عند الله تعالى، حيث توسل بها

نوح (ع) إليه تعالى.

واللغز الأهم الذى لم يستطع تفسيره أى واحد منهم هو عدم تفسخ هذه اللوحة رغم مرور آلاف السنين عليها، وهذه اللوحة موجودة

الآن فى متحف الآثار القديمة فى موسكو.

(سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (١).

ورأيت بهذه المناسبة أن أنقل هنا نموذجاً من الأحاديث التي تناسب المقام: بشأن أهل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام: ١ - أخرج ابن المغازلي بسنده عن سلمان الفارسي (رض)، قال: سمعت حبيبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كنت أنا وعلى نورا بين يدي الله عز وجل يسبح، الله ذلك النور ويقده قبل أن يخلق الله آدم (ع) بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم، أودع ذلك النور في صلبه: فلم نزل أنا وعلى شيئاً واحداً، حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، ففي النبوة وفي علي الإمامة (٢).

عميد البيت العلوي المطهر علي بن أبي طالب (ع).
حياته: في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب المرجب، وقبل بعثه النبي الأكرم محمد بن عبد الله (ص) باثنتي عشرة سنة: ولد علي بن أبي طالب في الكعبة المشرفة.

١ - سورة فصلت، آية ٥٣.

٢ - ينابيع المودة: ١٠ (الطبعة الأولى).

(٧١)

مفاتيح البحث: مبعث النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، النبي نوح عليه السلام (١)، النبي آدم عليه السلام (١)، شهر رجب المرجب (١)، ابن المغازلي (١)، سلمان المحمدي (الفارسي) رضوان الله عليه (١)، علي بن أبي طالب (١)، الكرم، الكرامة (٢)، الصلاة (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، سورة فصلت (١)

صفحة ٧٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٧٢

فقد ابن المغازلي بإسناده عن محمد بن علي بن الحسين عليهم الصلاة والسلام.

قال: كنت جالسا مع أبي ونحن زائرون قبر جدنا (ع)، وهناك نسوان كثيرة، إذ أقبلت امرأة منهن فقلت لها: من أنت يرحمك الله؟ قالت: أنا زيدة بنت قريبة بن العجلان من بني ساعدة، فقلت لها: فهل عندك شيء تحدثينا؟ فقالت: إي والله، حدثني أمي أم عمارة بنت عباد بن فضله بن مالك بن العجلان الساعدي: أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزينا، فقلت له: ما شأنك يا أبا طالب؟ قال: إن فاطمة بنت أسد في شدة المخاض، ثم وضع يديه على وجهه، فبينما هو كذلك، إذ أقبل محمد (ص) فقال له: ما شأنك يا عم؟ فقال: إن فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، فأخذ بيده وجاء وهي معه، فجاء بها الكعبة فأجلسها فيها، ثم قال: إجلسي علي اسم الله، قال:

فطلقت طلقه فولدت غلاما مسرورا نظيفا منظفا، لم أر كحسن وجهه فسماه أبو طالب عليا، وحمله النبي (ص) حتى أداه إلى منزلها (١).

عن يزيد بن قعنب قال: كنت جالسا مع العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين (ع)، وكانت حاملا به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: يا رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل (ع)، وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني: إلا ما يسرت علي ولادتي.

قال يزيد بن قعنب: فرأيت البيت قد انشق عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، وعاد إلى حاله، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى، ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (٢).

جدير ذكره هنا، أن الفضل الذي ناله أمير المؤمنين (ع) عبر ولادته في جوف الكعبة، لم ينله أحد في تاريخ الإنسانية على الإطلاق، وهكذا كان علي (ع) أول مولود في الكعبة المشرفة، ولم يولد فيها بعده سواه، [فهو الفريد في ولادته داخل لكعبة المعظمة]: تعظيما له من الله سبحانه وإجلال.

وأسرع البشير إلى أبي طالب وأهل بيته فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم، وتقدم من بينهم محمد المصطفى (ص): فضمه إلى صدره، وحمله إلى بيت أبي طالب (٣)، وأقام

١ - ابن المغازلي / مناقب علي بن أبي طالب ص ٧، وابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة ص ٣٠.

٢ - الإربلي / كشف الغمة ط بيروت ج ١ ص ٦٠.

٣ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٣.

(٧٢)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٤)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، النبي إبراهيم (ع) (١)، السيدة فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليهما السلام (٢)، ابن المغازلي (٢)، العباس بن عبد المطلب (١)، القبر (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (٢)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، مدينة بيروت (١)، علي بن أبي طالب (١)

صفحة ٧٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٧٣

أبو طالب وليمه علي شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام (١).

أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وكانت من رسول الله (ص) بمنزلة الأم، وربى في حجرها، وكانت من سابقات المؤمنات إلى الايمان، وهاجرت معه إلى المدينة، وكفنها النبي (ص) عند موتها بقميصه. فكان أمير المؤمنين (ع) هاشميا من هاشميين، وأولد من ولده هاشم مرتين (٢).

أسمائه (ع) في كتب الله تعالى المنزلة كثيرة، وكنيته المشهورة: أبو الحسن، وقد كنى أيضا بأبي الحسين، وأبي السبطين، وأبي الريحانتين.

وكناه رسول الله (ص) بأبي تراب لما رآه ساجدا معفرا وجهه في التراب (٣).

وقد لقبه رسول الله (ص): سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وسيد الأوصياء، وسيد العرب (٤).
حصيلة الإعداد النبوي.

أشار علي (ع)، إلى أبعاد التربية التي حظى بها من لدن سيد البشر ومربيه الرسول الأعظم (ص)، وذلك في خطبته القاصعة، حيث قال: وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعتني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمني، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به (ص) من لدن أن كان فطيما - أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاعتداء به.

ولقد كان يجاورني كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة (٥).

ولهذا وذاك، فإن اختيار علي (ع) من لدن الرسول (ص) يوم أملق أبو طالب، كان مخططا هادفا ابتداء، لكي يأتي علي (ع) صورة

مجسده لشخصية رسول الله (ص) في فكره ومواقفه

١ - بحار الأنوار للمجلسي ج ٣٥ ص ١٨، نقلا عن المناقب. ٢ المستدرک للحاکم ج ٣ ص ١٨٠، ومناقب ابن المغازلي ج ٦ ص ٢ و ٣ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥١٧.

٣ - أنظر مسند أحمد ج ٤ ص ٢٦٣، ومستدرک الحاکم ج ٣ ص ١٤٠ ومناقب ابن المغازلي ج ٨ ص ٥، والرياض النظره ج ٣ ص ١٠٥.

٤ - مناقب الخوارزمي ص ٤٢ و ٢٣١.

٥ - نهج البلاغه / تبويب د. صبحي الصالح ص ٣٠٠.

(٧٣)

مفاتيح البحث: قبر النبي (ص) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٤)، السيدة فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٧)، يوم عرفة (١)، الإختيار، الخيار (١)، الوصية (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاکم النيسابوري (٢)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب نهج البلاغه (١)، ابن المغازلي (٢)، كتاب بحار الأنوار (١)، الخوارزمي (١)

صفحة ٧٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٧٤

وشتي ألوان سلوكه، بل حتى في مشيته (١)، وإذا كان الإمام (ع) قد عاش ست سنوات في أحضان والديه وإخوته فقد كان لرسول الله (ص) الدور البارز لرعايته وصقله طوال تلك السنوات الندية من عمره (ع).

الإرهاصات التي أحسها قلب علي (ع) وروحه الطاهرة.

أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن علي (ع) ما يجسد هذه الحقيقة، حيث قال (ع): كنا مع رسول الله (ص) بمكة، فخرج في بعض نواحيها، فما استقبله شجر، ولا خيل إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله (٢).

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) قال: كان علي (ع) يرى مع النبي (ص) قبل الرسالة الضوء، ويسمع الصوت (٣).

إن هذا الإحساس العلوي المميز بعمق التحولات الغيبية التي تجرى لرسول الله (ص)، تكشف عن كيان روحى خاص لا يختص به غير الأنبياء (ع)، إلا أن ختم النبوة بمحمد (ص) اقتضى أن يكون علي (ع) وزيرا للنبوة.

ذكر أصحاب السنن بأسانيدهم عن النبي (ص) مخاطبا عليا (ع): أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي (٤)، وحين سأل علي (ع) رسول الله (ص) عن رنة الشيطان، أجابه النبي (ص): إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلي خير (٥).

وحين تلقى الرسول (ص) بيان التكليف الإلهي بحمل الرسالة، عاد إلى بيته فأطلع عليا (ع) على أمره، فاستقبله (ع) بالتصديق واليقين، كذلك فعلت خديجة الكبرى فانثقت من أجل ذلك أول نواة لمجتمع المتقين في الأرض (٦).

وحين بلغ رسول الله (ص) بأمر التكليف الإلهي لحمل الدعوة المباركة، بلغ كذلك، أن تنصب دعوته أولا على الخاصة من أهل بيته.

وقد أشار ابن هشام في سيرته لذلك بقوله: فجعل رسول الله (ص) يذكر ما أنعم الله به

١ - علي بن أبي طالب لعبد الفتاح مقصود ج ١ ص ٣٩.

٢ - كشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٨٦، نقلا عن البيهقي في دلائل النبوة.

٣ - شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣١٥.

٤ - المناقب للخوارزمي ص ٢٧ - ٣٧، وذخائر العقبى للطبري ص ٦٣.

٥ - نهج البلاغة / الخطبة القاصعة.

٦ - المستدرک ج ٣ ص ١٣٦، والتاريخ الكبير للخطيب البغدادي ج ٢ ص ٨١، وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٦.

(٧٤)

مفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٥)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١١)، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام (١)، الأنبياء (ع) (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)، كتاب نهج البلاغة (١)، علي بن أبي طالب (١)، الخطيب البغدادي (١)، الخوارزمي (١)

صفحة ٧٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٧٥

عليه، وعلى العباد به، من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله (١).

وقد أشار الإمام علي بن الحسين (ع) في حديث له حول إسلام جده علي بن أبي طالب (ع) بقوله ...: ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله (ص)، وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله وبرسوله، وإلى الصلاة ثلاث سنين (٢).

وحيثما أذن الله عز وجل لرسوله (ص) بدعوة عشيرته الأقربين من بني هاشم (وأندر عشيرتك الأقربين)، ودعا الرسول (ص) عشيرته الأقربين، وأبلغهم بالأمر.

ذكر البيهقي وغيره: نهض القوم من مجلسهم وهم يخاطبون أبا طالب: ليهنئك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميرا عليك (٣) وأخيرا لم يحظ رجل في الإسلام بما حظى به علي بن أبي طالب (ع) من ثناء وتكريم من قبل الرسالة الإسلامية، وحثها المتزايد على تقديره وانتهاج سبيله، حتى قال أحمد بن حنبل: ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله (ص) من الفضائل ما ورد لعلي (٤).

أخرج ابن عساکر عن ابن عباس قال: نزلت في علي ثلاثمئة آية (٥).

وقد أخرج ابن المغازلي بإسناده عن علي بن أبي طالب (ع) عن رسول الله (ص): مخاطبا عليا (ع): لولاك ما عرف المؤمنون من بعدى (٦).

وفي حديث لرسول الله (ص) يخاطب به عمار بن ياسر جاء فيه ...: وإن سلك الناس كلهم واديا وسلكك علي واديا، فاسلك واديا سلكه علي وخل الناس طرا (٧).

علي (ع) بعد النبي الأكرم (ص).

عن عائشة: فاضت نفس رسول الله (ص) في حجر علي (ع) (٨).

١ - السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٥٩.

٢ - الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١١١، والطبري في ذخائر العقبى ص ٦٠، والرياض النظر ج ٢ ص ١٥٨، وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٠٠، وابن ماجه، والطبري في تاريخه.

٣ - أخرجه البيهقي في سننه ودلائله، والتغلبى والطبري في تفسيريهما لسورة الشعراء، والطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٧، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨١، وغيرهم.

٤ - السيوطي / تاريخ الخلفاء ص ١٨٧.

٥ - السيوطي / تاريخ الخلفاء ص ١٨٧.

٦ - مناقب ابن المغازلي ص ٧٠.

٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٨٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ج ٧ ص ٢٣٨، والمتقى الهندي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٥، والمناقب للخوارزمي ص ٥٧، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

٨ - المناقب للخوارزمي، ومسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٠، وذخائر العقبى للطبري ص ٧٢.

(٧٥)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٥)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٦)، عبد الله بن عباس (١)، ابن المغازلي (٢)، ابن عساكر (١)، عمار بن ياسر (١)، بنو هاشم (١)، الصلاة (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٢)، كتاب ذخائر العقبى (٢)، ابن الأثير (١)، المتقى الهندي (١)، سورة الشعراء (١)، ابن ماجه (١)، نصر بن مزاحم (١)، الخوارزمي (٢)

صفحة ٧٦ •

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٧٦

رحل رسول الله (ص) إلى ربه، وهو قلق على مستقبل الرسالة والأمة، كما جسد ذلك بقوة قوله (ص) عند زيارته لقبور المؤمنين في البقيع في بداية مرضه الذي قضى فيه: السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه، مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع أولها آخرها (١).

ولعدم قناعة الإمام (ع) بما جرى في السقيفة وما بعدها: ظل مؤمنا بحقه في الخلافة، واعتزل الناس وما هم فيه ستة شهور، ولم يسمع له صوت في ما يسمى بحروب الردة، ولا سواها (٢). واشتد ساعد المنافقين وقويت شوكتهم في داخل المدينة، وكان الرومان والفرس للمسلمين بالمرصاد (٣).

ولقد تعامل الإمام علي (ع) مع الخلافة حسب ما تحكم به المصلحة الإسلامية، حفظا للإسلام وحماية للجماعة الإسلامية من التمزق والضياع، وتحقيقا للمصالح الإسلامية العليا التي جاهد من أجلها، وقد جاء في كتابه (ع) لأهل مصر مع مالك الأشر، حين ولاة إمارتها: فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد (ص)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله: أن أرى فيه ثلما أو هدمًا، تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتفشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهت (٤).

بعض من إرشاداته ومواقفه (ع) في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدموا وأخروا، ولم يقطعوا برأى، فاستشار عليا (ع) في الأمر فقال: إن فعلت ظفرت. فقال أبو بكر: بشرت بخير، وأمر أبو بكر الناس بالخروج بعد أن أمر عليهم خالد بن سعيد (٥).

عن محمد بن المنكدر، أن خالد بن الوليد كتب إلى الخليفة أبي بكر، أنه وجد رجلا في بعض ضواحي العرب، ينكح كما تنكح المرأة، وأن أبا بكر جمع لذلك ناسا من أصحاب رسول الله (ص)، وكان فيهم علي بن أبي طالب، أشدهم يومئذ قو، فقال (ع): إن هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة - يعني قوم لوط - فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقوه

١ - سنن النسائي ج ٤ ص ٩٣، وأخرجه أبو داود، وابن ماجه.

٢ - السقيفة لمحمد رضا المظفر ط ٤ بيروت ص ١٦٠.

٣ - المراجعات للسيد شرف الدين العاملي ص ٣٠٢.

٤ - راجع نهج البلاغة.

٥ - تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١١١.

(٧٦)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الخليفة أبو بكر بن أبي قحافة (١)، مقبرة بقيع الغرقد (١)، خلافة أبي بكر بن أبي قحافة (١)، على بن أبي طالب (١)، خالد بن الوليد (١)، مالك الأشتر (١)، خالد بن سعيد (١)، محمد بن المنكدر (١)، السقيفة (٢)، المرض (١)، النفاق (١)، القبر (١)، الشيخ محمد رضا المظفر (١)، كتاب نهج البلاغة (١)، مدينة بيروت (١)، ابن ماجه (١)

صفحة ٧٧٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٧٧

بالنار، فكتب أبو بكر بذلك إلى ابن الوليد (١).

و حين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم، راجع الإمام (ع) في الأمر، فنصحه الإمام ألا يقود الجيش بنفسه، قائلا: فابعث إليهم رجلا مجربا، واحفز معه أهل البلاد والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت رداء للناس، ومثابة للمسلمين (٢).
عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: إن ترك هذا المبلغ في جوف الكعبة لأخذه، وأقسمه في سبيل الله وفي سبيل الخير، وعلى بن أبي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر:

ما تقول يا بن أبي طالب؟ بالله لأن شجعتني عليه لأفعلن؟ فقال على: أتجعلنا فينا، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان؟! (٣)، فافتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلى الكعبة.

بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيساريه، فقال له معاذ بن جبل: أكتب إلى أمير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتثل، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر، فلما قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالأمر، فقال على (ع): مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فإذا فتحها الله، صرف وجهه إلى قيساريه، فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى، كذا أخبرنا رسول الله - ص -.

قال عمر: صدق المصطفى (ص) وصدقت أنت يا أبا الحسن، ثم كتب إلى أبي عبيدة بالذي أشار به على (ع) (٤).

بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور ابن الخطاب أصحاب رسول الله (ص) في سواد الكوفة، فقال بعضهم: تقسمها بيننا، ثم شاور عليا (ع) في الأمر، فقال (ع): إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا، فقال عمر لعلي: وفقك الله، هذا الرأي (٥).

عن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب، قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟ فقال على (ع): من يوم هاجر رسول الله (ص)، وترك أرض الشرك، ففعله عمر (٦).

١ - على والخفاء ص ٦٣، كنز العمال ج ٣ ص ٩٩.

٢ - راجع نهج البلاغة.

٣ - كنز العمال ج ٧ ص ١٤٧، صحيح البخاري ج ١٩ ص ٧٢٧، وعلى والخفاء لنجم الدين العسكري ص ٨٧.

٤ - على والخفاء لنجم الدين العسكري ص ١٣٣.

٥ - على والخلفاء ص ٢٣٩.

٦ - تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٥٣، وفى تاريخ اليعقوبى، وكنز العمال، ومستدرك الحاكم، والكامل فى التاريخ لابن الأثير. (٧٧)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، عبد الله بن عباس (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (٣)، مدينة الكوفة (١)، سعيد بن المسيب (١)، على بن أبى طالب (١)، آخر الزمان (١)، سبيل الله (١)، معاذ بن جبل (١)، الشام (١)، التصديق (١)، كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (٣)، كتاب صحيح البخارى (١)، كتاب نهج البلاغة (١)، ابن الأثير (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)

صفحة ٧٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٧٨

أتى إلى عثمان بامرأة قد ولدت لسته أشهر، فهم برجمها، فقال على (ع): إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)، ثم قال (ع): (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (١). فحولين مدة الرضاع، وستة أشهر مدة الحمل، فقال عثمان ردوها - أى لا ترجموها - (٢).

هذه أمثلة يسيرة مما كان ينهض بها الإمام على (ع) من مسؤوليات عظيمة فى عهد الخلفاء الذين سبقوه، وكان دافعه فى ذلك الإخلاص للرسالة المحمدية، وحفظ الوحدة الإسلامية ومسيرتها، من الإنحراف. رد الشمس كرامة حبا لله على بن أبى طالب (ع) بها:.

ابتداء أرى من الواجب الإشارة إلى أن كرامة رد الشمس قد حدثت مرة واحدة فى التاريخ - قبل الإسلام - كما هو مؤكد فى الكتب المعتمدة، ولكن هذه المعجزة نسبت إلى عدة أنبياء، فهناك من ينسبها للسيد المسيح (ع) (٣)، ومنهم من ينسبها للنبي حزقيال (ع) (٤)، وهو ذو الكفل الوارد ذكره فى القرآن. لكن معظم هذه المصادر تجمع على أن هذه المعجزة كانت للنبي يوشع بن نون (٥). وأما فى العهد الإسلامى فقد ميز الله تعالى وليه وصفيه على بن أبى طالب (ع) بهذه الكرامة الخارقة، فقد تواترت الأخبار أن الشمس ردت على الإمام أمير المؤمنين (ع) مرارا، ومنها: يوم البساط، ويوم الخندق، ويوم حنين، ويوم خير، ويوم قريساء، ويوم براتا، ويوم الغاضرية، ويوم النهروان، ويوم بيعة الرضوان، ويوم صفين، وفى النجف، وفى بنى مازن، وبوادي العقيق، وبعد أحد. وأما المعروف منها والمشهور فمرتان:

الأولى: فى حياة النبي الأكرم (ص)، وهو الحديث الذى نقله طائفة من المحدثين الثقات، عن أسماء بنت عميس (٦). عن أسماء بنت عميس: إن رسول الله (ص) صلى الظهر، ثم أرسل عليا فى حاجته، فجاء وقد صلى رسول الله العصر فوضع رأسه فى حجر على، ولم يحركه حتى غربت الشمس،

١ - البقرة، آية ٢٣٣.

٢ - تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٧، وسنن البيهقى ج ٧ ص ٤٤٢.

٣ - كما يظهر من إنجيل برنابا / الفصل ١٩١ ص ٣.

٤ - تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٦٤.

٥ - راجع يشوع ٦ ص ١٧ - ٢٦، وتاريخ الطبرى ج ١ ص ٤٤٠.

٦ - راجع سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٠٧، وأعلام النساء ج ١ ص ٤٦، وأسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٥، والإصابة ج ٤ ص ٢٢٥.

(٧٨)

مفاتيح البحث: حياة النبي (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٥)، النبي عيسى بن مريم عليهما السلام (١)، يوشع بن نون عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الثقات لابن حبان (١)، مدينة النجف الأشرف (١)، أسماء بنت عميس (٢)، خيبر (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، القرآن الكريم (١)، النهوض (١)، الرضاع (٢)، العصر (بعد الظهر) (١)، كتاب تفسير ابن كثير (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)

صفحة ٧٩٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٧٩

فقال رسول الله (ص): اللهم إن عبدك احتسب نفسه على نبيه، فرد عليها شرقها، قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى رفعت على الجبال، فقام على فتوضاً وصلى العصر، ثم غابت الشمس (١).

والمرّة الثانية: كانت زمن خلافة الإمام علي وذلك بعد رجوعه من قتال الخوارج، وكان ذلك في أرض بابل، وقد دعا الإمام علي (ع) الله تعالى فردها عليه (٢).

وهناك جمهرة من المحدثين والمؤلفين الذين أفردوا لذكر هذه المكرمة رسائل خاصة، وهذا دليل استئثار المسألة باهتمام أعلام المسلمين عامة ومنهم:

- ١ - أبو بكر الوراق، له كتاب: من روى رد الشمس (٣).
- ٢ - أبو الحسن شاذان الفضيلي له رسالة في طرق الحديث (٤) ذكر شطر منها السيوطي، وقال: أورد طرقه بأسانيد كثيرة وصححه بمالا مزيد عليه، ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله (٥).
- ٣ - أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الموصلی (٦).
- ٤ - أبو القاسم النيسابوري الحنفي، وله كتاب: مسألة في تصحيح رد الشمس (٧).
- ٥ - جمال الدين يوسف الدمشقي تلميذ ابن الجوزي له كتاب: مزيل اللبس عن حديث رد الشمس (٨).
- ٦ - جلال الدين السيوطي له كتاب: كشف اللبس عن حديث رد الشمس (٩)، وقد أشار الحافظ السيوطي للحديث ووثقه في أكثر من كتاب له.
- ٧ - الحافظ أبو جعفر الطحاوي الحنفي: أخرج الحديث بلفظين موضحة ثقة رواته.
- ٨ - والحافظ السيوطي: ذكر الحديث في كثير من كتبه، وخصه ببحث مستقل (مزيل الشمس)، ومن كتبه: جمع الجوامع، يذكر فيه الحديث (١٠)، وكذلك كتابه (كفاية الطالب اللبيب) (١١).
- ٩ - محمد بن عبد الرؤوف المناوي القاهري زين الدين: ذكر رد الشمس ليوشع (ع)، ثم لعلی
- ١ - ابن شهر آشوب المناقب ج ٢ ص ١٤٣، واللائلي المصنوعة ج ٢ ص ١٧٥، والكنجي في كفاية الطالب ص ٢٣٩.
- ٢ - المصدر نفسه.
- ٣ - المصدر نفسه.
- ٤ - المصدر نفسه.
- ٥ - المصدر نفسه.
- ٦ - الكنجي: كفاية الطالب ٢٣٩.
- ٧ - أنظر البداية والنهاية ج ٦ ص ٨٠، وتذكرة الذهبي ج ٣ ص ٢٦٨.

٨ - ذكره برهان الدين الكوراني المدني: الأمم لإيقاظ الهمم ص ٦٣.

٩ - هامش الصواعق ص ١٢٦.

١٠ - جمع الجوامع للسيوطي ج ٥ ص ٢٧٧.

١١ - كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ج ٢ ص ٨٢ ط الأولى الهند.

(٧٩)

مفاتيح البحث: حديث رد الشمس (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٥)، أبو بكر الوراق (١)، محمد بن الحسين (١)، جمال الدين (١)، محمد بن عبد (١)، الخوارج (١)، بابل (١)، القتل (١)، الصلاة (١)، العصر (بعد الظهر) (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، ابن شهر آشوب (١)، الهند (١)

صفحة ٨٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٨٠

وصححه، وأورد قول ابن الجوزي، وأشار إلى خطئه، ولمح إلى حبس الشمس لرسول الله (ص)، ونقل حديث رد الشمس لعلی (ع) بعد ذلك، كما رواه الطبراني في معجمه الكبير، والحاكم، والبيهقي في الدلائل (١).

إخبار رسول الله (ص) عن مقتله (ع).

قال ابن عبد البر: روى ابن الهاد، عن عثمان بن صهيب عن أبيه: إن رسول الله (ص) قال لعلی: من أشقى الأولين؟ قال: الذي عقر الناقة، قال (ص): صدقت، فمن أشقى الآخرين؟ قال: لا أدري، قال: الذي يضربك على هذا - يعني يافوخه - يخضب هذه - يعني لحيته - (٢).

وقال ابن حجر: أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر: إن النبي (ص) قال لعلی: أشقى الناس رجلان: أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه - يعني قرنه - حتى يبيل هذه - يعني لحيته.

إخباره بالغيب:

قال ابن حجر: أخرج عبد الرزاق عن حجر المرادي قال: قال لي علي: كيف بك إذا أمر بك أن تلعنني؟! قلت: أو كائن ذلك؟ قال: (نعم، قلت: فكيف أصنع؟).

قال: العنى ولا تبرأ مني. قال: فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج - وكان أميراً من قبل عبد الملك بن مروان على اليمن - أن ألعن علياً، فقلت: إن الأمير أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله، فما فطن لها إلا رجل - لأنه إنما لعن الأمير ولم يلعن علياً (٣).

وقال عليه السلام: أما أنه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبى والبراءة مني، فأما السب فسبوني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تبرأوا مني، فإنني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة (٤).

تصحيحه (ع) الإنحراف الذي أوقعه من سبقه.

لما قتل عثمان بن عفان وعاد للمسلمين أمرهم، وتحللوا من كل بيعة: تهافتوا على علي بن أبي طالب، يطلبون يده للبيعة (٥).

وروى أن المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، اجتمعوا فأتوا علياً فقالوا: يا أبا

١ - راجع الأعلام ج ٧ ص ٧٥ و ٧٦.

٢ - الإستيعاب بهامش الإصابة ج ٣ ص ٥٤.

٣ - الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٤٠٠.

٤ - نهج البلاغة خ ٥٧.

٥ - تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٥٢ و ١٥٣، وكنز العمال ج ٣ ص ١٦١، وتاريخ ابن أعثم ص ١٦٠ و ١٦١.

(٨٠)

مفاتيح البحث: حديث رد الشمس (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، المهاجرون والأنصار (١)، الخليفة عثمان بن عفان (١)، الطبرانى (١)، على بن أبى طالب (١)، عمار بن ياسر (١)، محمد بن يوسف (١)، القتل (٤)، الزكاة (١)، السب (١)، كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (١)، كتاب نهج البلاغة (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)

صفحة ٨١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٨١
الحسن هلم نبايعك، فقال على: لا- حاجة لى فى أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم رضيت به: فاختاروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك، فاختلّفوا إليه بعدما قتل عثمان، وأكثروا القول: بأنه لا يصلح الناس إلا بأمره (١).

ولما أكثروا اللّح عليه، ورأى أن المسلمين لا ولى لهم: قبل بالبيعة، وقال:

ففى المسجد، فإن بيعتى لا تكون خفية، ولا تكون إلا عن رضى المسلمين. فصعد على المنبر، وكان أول من صعد إليه وبايعه طلحة، وكانت إصبع طلحة شلاء، فشاءم على (٢).

وحين أذاع بيانه المتضمن لشروطه فى قبول الخلافة، قال فيه: واعلموا أنى إن أجبتكم ركبتم بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب (٣).

وسارعت الأمة مذعنة لشروطه، ومدت إليه يد البيعة على الطاعة، وقد كانت من أولى مهامه (ع) أن يزيل صور الإنحراف المختلفة التى طرأت على الحياة الإسلامية، وأن يعود بالأمة إلى أصالة المنهج الإلهى، وقد انصب منهاج حكومته على مواجهته مشاكل الرعية فقد حدد الإمام على (ع) مواصفات ولاية الأمر وموظفى الدولة، الذين يرشحهم الإسلام لإدارة شؤون الأمة الإسلامية ببيان جاء فيه: (انه لا- ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام، وإمامة المسلمين: البخيل، فتكون فى أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة) (٤).

ومن أجل ذلك رأينا أمير المؤمنين (ع) يبادر فوراً إلى عزل الولاة والعمال، الذين كانوا سبباً فى ظلم الناس وإشاعة الباطل، ويعود بالأمة إلى قاعدة المساواة فى توزيع العطاء، كما كان رسول الله (ص) يفعل (٥).

وكما عمد الإمام على (ع) إلى اصلاح الوضع السياسى والإدارى للدولة الإسلامية كذلك فعل بالنسبة للوضع الاقتصادى، فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور مباشرة إلى إلغاء طريقة العطاء التى كانت تفضل العرب على العجم.

فألغى الإمام (ع) كل أشكال التمييز فى توزيع المال على الناس، مؤكداً أن التقوى، والسابقة فى الإسلام والجهاد، والصحبة للرسول (ص): أمور لا- تمنح أصحابها مراتب أو مميزات فى الدنيا، وإنما لتلك المزايا ثوابها عند الله فى الآخرة، وإن الناس سواسية فى الحقوق المالية،

١ - راجع أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٥ ص ٧٠.

٢ - تاريخ الطبرى ج ٥ ص ١٥٣، والمستدرک للحاكم، ج ٣ ص ١٤.

٣ - نهج البلاغة خ رقم ٩٢.

٤ - نهج البلاغة خ ١٣١.

٥ - محمد عبده / شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٢٦٩.

(٨١)

مفاتيح البحث: صحابة (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الباطل، الإبطال (١)، القتل (١)، السجود (١)، الجهل (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١)، كتاب انساب الأشراف للبلاذري (١)، كتاب نهج البلاغة (٢)، كتاب تاريخ الطبري (١)

صفحة ٨٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٨٢
وأمام القضاء الإسلامي، وفي الواجبات والتكاليف: ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (ص)، يرى أن الفضل له على سواه: لصحبته، فإن الفضل النير غدا عند الله ثوابه، وأجره على الله.
وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، ولا يتخلفن أحد منكم، عربي ولا عجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن، إلا حضر إذا كان مسلما حرا (١).
ودعا (ع) كاتبه عبيد الله بن أبي رافع يوما، وقال له:.

إبدأ بالمهاجرين فنأدهم، وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثن بالأنصار، فافعل معهم مثل ذلك، ومن حضر من الناس كلهم، الأحمر والأسود: فاصنع به مثل ذلك، فقام سهل بن حنيف فقال: يا أمير المؤمنين، هذا غلامى بالأمس، وقد أعتقته اليوم، فقال (ع): نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير... إلخ (٢).

وقد حاول المتضررون من إجراءات أمير المؤمنين (ع) التي تعكس صورة الإسلام الأصيل:
التفاوض معه، فأرسلوا الوليد بن عقبه بن أبي معيط مندوبا، فجاء إليه وقال: يا أبا الحسن إنك وترتنا جميعا، ونحن إخوتك ونظراؤك من بنى عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال أيام عثمان، وأن تقتل قتلتته، وإنا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام، فرد عليهم الإمام (ع).

أما ما ذكرتم من وترى إياكم، فالحق وتركم، وأما وضعى عنكم ما أصبتم، فليس لى أن أضع عنكم ولا عن غيركم (٣).
قال إبراهيم الثقفي: إن طائفة من أصحاب على (ع) مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم، ومن تخاف خلفه من الناس وفراره.

فقال (ع): أتأمرنى أن أطلب النصر بالجور؟! والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم، والله لو كان مالهم لى لواسيت بينهم، فكيف وإنما هى أموالهم؟ (٤).

روى: أن امرأتين أتتا عليا (ع) عند القسمة إحداهما من العرب والأخرى من الموالى، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهما وكرا من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين إنى امرأة من العرب، وهذه امرأة من العجم، فقال على (ع):.

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى ج ٧ ص ٣٧.

٢ - شرح النهج لابن أبي الحديد ط ٢ ج ٧ ص ٣٧ و ٣٨.

٣ - المصدر نفسه ص ٣٨ و ٣٩، وثورة الحسين ص ٦١.

٤ - الثقفى، كتاب الغارات ج ١ ص ٧٥.

(٨٢)

مفاتيح البحث: صحابه (أصحاب) رسول الله (ص) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٣)، كتاب الأشراف للشيوخ المفيد (١)، عبيد الله بن أبى رافع (١)، الوليد بن عقبه (١)، سهل بن حنيف (١)، الشام (١)، القتل (٢)، الطعام (١)، الثورة الحسينية (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى (٢)، كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفى (١)

صفحة ٨٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٨٣

إنى والله لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا الفئ فضلا على بنى إسحاق (١).

وهذه نماذج من سيرته (ع) فى الرعية.

كان يلزم ولايته بالنصح لعباد الله، وإشاعة العدل بينهم، ومعاملتهم باللين والحب: ... فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وأبسط لهم وجهك، وآس بينهم، فإن الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم (٢).

سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب، فإنه طيرة من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار (٣).

بلغه (ع) أن عثمان بن حنيف واليه على البصرة دعاه بعض شخصيات أهلها إلى مأدبة، فخشى الإمام (ع) أن تستميل عماله تلك الوسائل أو سواها، فكتب إليه:

ي أما بعد يا بن حنيف، فقد بلغنى أن رج من فتيه أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرت إليها فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفضه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرّون على ذلك، ولكن أعينونى بورع واجتهاد وعفة و سداد (٤).

من وصاياه (ع) لجيوشه: لا- تقاتلوهم حتى يبدؤكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقتلوا مدبرا، ولا تصيبوا معورا (٥)، ولا- تجهزوا على جريح، ولا- تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم (٦).

أعتق على (ع) فى حياة رسول الله (ص) ألف مملوك مما عملت يده، وعرق جيئنه، ولقد ولى الخلافة، وأتته الأموال فما كان حلواه إلا- التمر، ولا ثيابه إلا الكرايس (٧) ولقد بلغ فى شدة زهده (ع) ونكرانه لذاته ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلى من عبارته: والله لقد رقت مدرعتى هذه حتى استحيت من راقعها، ولقد قيل لى: ألا تستبدل بها

١ - الثقفى، كتاب الغارات ج ١ ص ٧٠.

٢ - نهج البلاغة / باب الرسائل رقم ٢٦، من عهده (ع) إلى محمد بن أبى بكر، حين ولاه مصر.

٣ - نهج البلاغة رسالة رقم ٧٦ فى وصيته إلى عبد الله بن عباس، حين استخلفه على البصرة.

٤ - نهج البلاغة رسالة رقم ٤٥.

* المعور: الذى عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب.

٥ - نهج البلاغة، وصيته رقم ١٤.

٧ - شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٢ ص ٢٠٢.

(٨٣)

مفاتيح البحث: حياة النبي (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، مدينة البصرة (٣)، عثمان بن حنيف (١)، الكرم، الكرامة (١)، الحج (٢)، الغضب (١)، التمر (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (١)، عبد الله بن عباس (١)، كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي (١)، كتاب نهج البلاغة (٤)، محمد بن أبي بكر (١)، الحرب (١)

صفحة ٨٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٨٤

غيرها؟ فقلت للقائل: ويحك! أعزب فعند الصباح يحمد القوم السرى (١).

أما مناج أمير المؤمنين (ع) الذي سلّكه في أهل بيته وقرابته، فلم يكن بعيداً عن مناجه مع نفسه، فقد كان (ع) حريصاً على معاملته ذويه في مسألة الحقوق، كما لو كانوا من عامة الناس، فلا يفضلهم بعباء، ولا يميزهم بحق.

وروى هارون بن سعيد أن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قد قال له: يا أمير المؤمنين، لو أمرت لى بمعونته أو نفقته، فوالله مالى نفقة إلا أن أبيع دابتي، فقال الإمام (ع): لا والله ما أجد لك شيئاً، إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك (٢).

وقد جاءه عقيل أخوه وكان ضريراً يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين:

زيادة على حقه، وظل يكرر طلبه على على (ع)، فما كان من الإمام إلا وأحمى له حديده على النار وأدناها منه، ففرع منها عقيل، ثم وعظه: يا عقيل أتئن من حديده أحماها إنسانها لمدعبه، وتجرني إلى نار سجرها جبارها من غضبه، أتئن من الأذى ولا أتئن من لظى؟ (٣).

السياسة الإسلامية الأصلية للإمام على (ع):.

لقد صح ما توقعه الإمام على (ع) من أن تطبيقه للعدالة الإسلامية، سيثير غضب رجال قريش الذين دأبوا على العيش برفاهية: مما ينهبونه من أفواه الجياع والمحرومين، وكبر عليهم أن ينهج الإمام (ع) نهج المساواة في الحقوق، فلا يميز بين حر وعبد، وبين أسود وأبيض، وبين عربي وأعجمي، كان الجميع أمامه سواسية كأسنان المشط.

فقد أنكر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله على الإمام (ع) سياسته تلك، واعتبراها مخالفة للنهج الذي ألفه الناس، فقال لهما الإمام (ع): ما الذي كرهتما من أمرى حتى رأيتما خلافي؟ قالوا: إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله علينا بأسياقنا ورماحنا، وأرجفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً قهراً: ممن لا يرى الإسلام إلا كرها (٤). فقال الإمام (ع) لهما: لقد نعمتما سيرا وأرجأتما كثيراً، ألا تخبراننى أى شئ كان لكما فيه حق دفعتمكما عنه...؟ إلى أن قال (ع): رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فرده، وكان عوناً بالحق على صاحبه (٥).

١ - تذكرة الخواص لسبط بن الجوزى ص ١١٧.

٢ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.

٣ - البحار للمجلسي ج ٤٠ باب ٩٨ ص ٣٤٧، نقلاً عن أمالي الصدوق.

٤ - على بن أبي طالب / نظرة عصرية جديدة / د. محمد أحمد خلق الله ص ٣٢.

٥ - نهج البلاغة رقم النص ٢٠٥.

(٨٤)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٤)، جعفر بن أبي طالب عليهما السلام (١)، طلحة بن عبيد الله (١)، الزبير بن العوام (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزى (١)،

كتاب أمالي الصدوق (١)، كتاب نهج البلاغة (١)، على بن أبي طالب (١)

صفحة ٨٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٨٥

موقف معاوية من سياسة أمير المؤمنين (ع).

ما أن تناقلت الأنباء أمر استخلاف الإمام على ونهوضه بأعباء قيادة الأمة، حتى فزع معاوية، الذي كان يخطط منذ سنين لأن يكون الحاكم: حيث كان لا بد له من أن يدافع عن امتيازاته وثوراته بأى ثمن كان، حتى لو أدى ذلك إلى إبادة المسلمين، وتدمير الإسلام، وإراقة الدماء فى كل أنحاء الدولة الإسلامية، فالمهم عنده وعند أمثاله، وهم كثيرون، هو الملك والسلطان.

حاول الإمام (ع) أن يقضى على الفتنة التى بدأت تلوح فى الأفق بالطرق السلمية، فأرسل كتابا إلى معاوية يستقدمه فيه إلى المدينة، فلم يستجب معاوية، ولم يرد على كتاب الإمام (١).

وبعد مضى ثلاثة أشهر على مقتل عثمان، وقيام الإمام على (ع) بالأمر، تحرك معاوية شاهرا [سلاح المطالبة بدم عثمان]!! [، متخذاً منه ذريعة للخروج على إمام زمانه. وقد بدأت معارضته بنشر ثوب عثمان الدامى فى مسجد دمشق، وراح يستشير أهل الشام للنهوض والانتقام ممن قتله، ولما ورد كتاب معاوية، وعرف الإمام (ع) نواياه وخبثه:

أمر الإمام (ع) بتجهيز جيشه لإخماد حركة البغاة التى قادها معاوية فى الشام.

وحرى بنا أن نذكر بطانته السوء والولاء وأمرء الأجناد والمتنفذين فى حكم عثمان، والذين أصبحوا فيما بعد وبالاً وخطراً عظيماً على خلافة الإمام (ع) ومن هؤلاء:.

١ - الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو عم عثمان، وكان أشد الناس أذى لرسول الله (ص) - إطلع على رسول الله ذات يوم، وهو فى بعض حجر نسائه، فعرفه (ص) وخرج إليه وقال: من عذيرى من هذا الوزغ اللعين؟ ثم قال (ص): والله لا يساكننى ولا- ولده، فغربهم جميعاً إلى الطائف، فلما توفى رسول الله، كلم عثمان أبا بكر فيهم، فأبى أن يعيدهم إلى المدينة، وقال: ما كنت لأوى طرداء رسول الله، ثم لما استخلف عمر، كلمه عثمان فيهم، فقال مثل قول أبى بكر، فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة (٢).

وقد كان الحكم فقيراً مملقاً حتى أنه عندما دخل المدينة بعد سنى النفى والطرء، كان عليه ثوب خلق بال، وهو يسوق تيساً والناس ينظرون إليه، وقد كساه عثمان جبة خز وطيلسان، ثم ولاه على صدقات قبيلة قضاة، فبلغت ثلاثمئة ألف درهم فرجعها له (٣).

٢ - مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية، وهو ابن عم عثمان، أرسله عثمان مع الغزو

١ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ط النجف ص ٦٤، نهج البلاغة رقم خ ٧٥.

٢ - أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٥ ص ٢٧، أسد الغابة لابن الأثير ج ٢ ص ٣٤، والإصابة فى تمييز الصحابة للعسقلانى ج ١ ص ٣٤٥.

٣ - راجع تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢٨ و ١٦٤ و ١٦٨.

(٨٥)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مروان بن الحكم (١)، يوم عرفة (١)، الحكم بن أبى العاص (١)، الشام (٢)، دمشق (١)، القتل (٢)، السجود (١)، البول (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب أنساب الأشراف للبلاذرى (١)، مدينة النجف الأشرف (١)، كتاب نهج البلاغة (١)

صفحة ٨٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٨٦

المتجه إلى أفريقيا، فلما عاد الجيش ومعه الغنائم، أعطى عثمان ابن عمه خمس تلك الغنائم (١).

قال المؤرخون: وأقطع مروان فدكا، وهي صدقة النبي التي طلبتها فاطمة من أبي بكر (٢).

قال ابن حجر العسقلاني: إن مروان كان من أسباب قتل عثمان (٣).

٣ - الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وهو ابن عم عثمان وأخو مروان. قال ابن عبد ربه الأندلسي، وابن أبي الحديد: تصدق رسول الله (ص) بمهزور (٤) على المسلمين، فأقطعها عثمان للحارث بن الحكم (٥)، ثم زوجه ابنته عائشة، فأعطاه مئة ألف من بيت المال (٦).

٤ - الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وهو أخو عثمان لأمه، وكان أبو عقبة أشد الناس أذى لرسول الله (ص)، وعداوة للمسلمين، عمد إلى مكنت فجعل فيه عذرة (غائط)، وجعله على باب رسول الله (٧).

أما هو فقد اشتهر أنه كان زانيا، شريب خمر (٨)، وكان له نديم نصراني (٩).

ولاه عثمان على الكوفة بعد أن عزل عنها سعد بن أبي وقاص، وكان يشرب مع ندمائه ومغنياته من أول الليل إلى الصباح، فخرج منفصلا في غلائله، فصلى بهم الصبح أربعاء، وقال: أزيدكم؟ ونقل عن المسعودي، أنه قال في سجوده: إشراب واسقني (١٠).

٥ - عبد الله بن أبي سرح القرشي، وهو ابن خالة عثمان وأخوه من الرضاعة، وكان كاتباً لرسول الله (ص)، فظهرت خيانتة في الكتابة فطرده رسول الله (ص)، فارتد عن الإسلام

١ - الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٩١، فتوح أفريقيا لابن عبد الحكم ص ٥٨ - ٦٠، أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٢٥، للسيوطي في تاريخ الخلفاء ط مصر ص ١٥٦.

٢ - تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ٢٣٢، والعقد الفريد ج ٤ ص ٢٨٣، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٤٩، وسنن البيهقي ج ٦ ص.

٣ - الإصابة للعسقلاني / دار إحياء التراث العربي ج ٣ ص ٤٧٨.

* مهزور: وادي بني قريظة بالحجاز وكان خصبا.

٥ - العقد الفريد ج ٤ ص ٢٨٣، ونهج البلاغة ج ١ ص ١٩٨.

٦ - المصدر نفسه.

٧ - الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٧٤.

٨ - الأغاني لأبي الفرج الإصهاني ج ٥ ص ١٢٦.

٩ - تاريخ المدينة لعمر بن شبة ج ٣ ص ٩٧٤، والأغاني لأبي الفرج الإصهاني ج ٥ ص ١٣٥.

١٠ - الأعلام للزركلي ط بيروت ص ١٢٢، في الحاشية نقلا عن المسعودي.

(٨٦)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، الحافظ ابن حجر العسقلاني (١)، مدينة الكوفة (١)، الحكم بن أبي العاص (١)، الوليد بن عقبة (١)، السجود (١)، القتل (١)، الرضاع (١)، الصلاة (١)، التصدق (١)، الغنيمه (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، أبو الفرج الإصهاني (الإصهاني) (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (١)، كتاب تاريخ المدينة لابن شبة النميري (١)، كتاب أنساب الأشراف للبلاذري (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، كتاب سنن أبي داود (١)، كتاب نهج البلاغة (١)، مدينة بيروت (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٨٧

ولحق بأهل مكة وأخبرهم: إني كنت أصرف محمدا حيث أريد، كان يملئ على (عزيز حكيم)، فأقول: عليم حكيم، فأنزل الله فيه: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي)، فأهدر الرسول دمه، وبعد فتح مكة استأمن له عثمان من النبي (ص) (١).

٦ - عبد الله بن عامر بن كريز الأموي وهو ابن خالة عثمان، وقد ولاه البصرة وعمره خمس وعشرون سنة (٢).

على أية حال، فقد كان عثمان مجبا لأقاربه من بني أمية، ونقل عنه أنه قال:

والله لو أن مفتاح الجنة بيدي: لأدخلت بني أمية إليها (٣).

ويبدو أن حب عثمان لأقربائه وتقربهم حتى أن عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاة، وسمى أهل الشورى وذكر أوصافهم: قال عن عثمان: والله لئن كان الأمر إليه ليحملن بني أبي معيط - أي بني أمية - على رقاب الناس (٤) شئ من حرب البصرة.

على الرغم من أن طلحة والزبير كانا من أشد الناقمين على سياسة عثمان، ومع أنهما سبقا الناس في البيعة للإمام على (ع) بعد قتل عثمان، فإن الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام (ع) لم تجد هوى في نفسيهما، فبدأ العمل للخروج على الإمام، وإثارة المسلمين عليه، فكانت حصيلة ذلك فتنة عمياء كبدت الأمة خسارة فادحة: حيث أقنعا عائشة بنت أبي بكر بالخروج معهما، لقيادة المعارضة لحكم أمير المؤمنين (ع)!

وما دام القوم قد رفعوا قميص عثمان للمطالبة بدمه، فلننظر موقف القيادات التي تزعمت حركة المطالبة بدمه - كيف كان موقفها من عثمان نفسه - عند ما كان حيا.

روى أن الزبير كان يقول: اختلط عثمان، فقد بدل دينكم، فقالوا له: إن ابنك يحامي عنه بالباب - وكان ذلك أثناء الحصار الذي فرضه الثائرون على بيت عثمان - فقال الزبير: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني، إن عثمان جيفه على الصراط غدا (٥).

وأما طلحة، فقد ذكر المؤرخ الواقدي: إنه لما قتل عثمان وتذاكروا أمر دفنه والمكان

١ - مستدرک الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٠٠، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ١٧٣، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٤٩.

٢ - تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣١٩، وأسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ١٩١.

٣ - البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١٧١، ومسنند أحمد ج ١ ص ٦٢، وفي الغدير ج ٨ ص ٢٩١ باختلاف يسير.

٤ - تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة ج ٣ ص ٨٨١.

٥ - ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٠٤.

(٨٧)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، عائشة بنت أبي بكر زوجة النبي (ص) (١)، عبد الله بن عامر (١)، بنو أمية (٣)، مدينة البصرة (٢)، القتل (٣)، الحرب (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (٢)، كتاب تاريخ المدينة لابن شبة النميري (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)

صفحة ٨٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٨٨

الذي يدفن فيه، قال لطلحة: يدفن بدير سلع - يعني مقابر اليهود (١)، وقال ابن أبي الحديد: كان طلحة أشد الناس تحريضا على عثمان، وكان الزبير دونه في ذلك.

وأما عائشة بنت أبي بكر، فقد كانت أشد القوم في حربها لعثمان، ونظرا لمكانتها في النفوس فقد كان الرواة والركبان يتناقلون فوراً ما

كانت تتفوه به ضده، حتى قالت لمروان: يا مروان وددت والله أنه - أي عثمان - في غرارة من غرائري هذه، وإني طوقت حمله حتى ألقيه في البحر (٢)، كما التقت وهي في طريقها إلى الحج بالصحابي الجليل عبد الله بن عباس فنهته عن نصره عثمان قائلة: يا بن عباس، إنا لله قد آتاك عقلا وفهما وبيانا، فإياك أن ترد الناس عن هذا الطاغية (٣)، وكانت تطلق شعارا ضد عثمان: أقتلوا نعتلا فقد كفر (٤)، وتعنى بنعتل الخليفة عثمان، وهي كلمة تعنى الذكر من الضباع: والشيخ الأحقق، ويهوديا كان بالمدينة (٥).

أما عمرو بن العاص، فبعد أن عزله عثمان عن ولاية مصر (٦): تحصب عليه وخرج يحرض الناس ضد عثمان، وكان من أشد الناس طعنا على عثمان، وقال: أبغض عثمان وحرصت عليه حتى الراعى في غنمه (٧).

وأما معاوية، فقد أرسل مجموعة من الجند لنصرة عثمان، إلا أنه أمر قائدهم بالتوقف خارج المدينة، وكان الهدف من ذلك، أنه ينتظر عقبى الصراع (٨).

إلا- أن مقتل عثمان ومبايعه المسلمين للإمام على (ع) جعل الأمور تتخذ مجرى آخر، كما أسلفنا: حيث أن عدالة على وتمسكه بالإسلام لا تروق لأولئك الذين اكتنزوا الكنوز وامتلكوا الضياع، وبنوا القصور من أموال المسلمين، فقاموا متحدّين تدفعهم أحقادهم الدفينه وعقيدتهم المهلهله لمقاومة رمز العدالة أمير المؤمنين (ع)، وقد بذل الإمام جهدا كبيرا

١ - تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٧٦، والغدير للأمينى ج ٩ ص ٧٨ نقلا عن أنساب الأشراف للبلاذرى.

٢ - تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٧٦، والغدير للأمينى ج ٩ ص ٧٨ نقلا عن أنساب الأشراف للبلاذرى.

٣ - الغدير ج ٩ ص ٧٨ نقلا عن البلاذرى، وتاريخ الطبرى، وشرح ابن أبى الحديد.

٤ - عن تاريخ الطبرى، وتاريخ ابن أعثم، وتاريخ ابن الأثير، والنهائة لابن الأثير، وأحاديث أم المؤمنين عائشة ص ١٠٥.

٥ - راجع النهائة لابن الأثير، وتاج العروس، ولسان العرب.

٦ - تاريخ المدينة المنورة ج ٣ ص ١٠٨٨، والطبرى ج ٣ ص ٣٩٢.

٧ - المصدر نفسه ص ١٠٨٩.

٨ - على إمام المتقين لعبد الرحمن الشرقاوى ج ١ ص ٢٠٧.

(٨٨)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٢)، الخليفة عثمان بن عفان (١)، عبد الله بن عباس (١)، عائشة بنت أبى بكر زوجة النبى (ص) (١)، عمرو بن العاص (١)، الحج (١)، الهدف (١)، القتل (١)، الدفن (٢)، القبر (١)، أمهات المؤمنين، ازواج النبى (ص) (١)، ابن أبى الحديد المعتزلى (١)، كتاب الغدير للعلامة الأمينى (٢)، كتاب تاريخ المدينة لابن شبة النميرى (١)، كتاب انساب الأشراف للبلاذرى (٢)، ابن الأثير (٣)، كتاب تاريخ الطبرى (٢)

صفحة ٨٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٨٩

لتحاشى فتنة الجمل، فلم يأل جهدا فى بذل النصح للخارجين عليه، وتحميلهم مغبة وعواقب الحرب، فقد أرسل للناكثين رسولا يدعوهم للصلح ورأب الصدع.

كما التقى (ع) بالزبير وذكره بأمر جرت لهما فى عهد رسول الله (ص)، منها قوله:

ما حملك على ما صنعت يا زبير؟ قال: حملنى على ذلك الطلب بدم عثمان. فقال الإمام (ع): إن أنصفت من نفسك أنت وأصحابك قتلتموه، ولكنى أشدك الله يا زبير، أما تذكر، قال لك رسول الله (ص): يا زبير أتحب عليا؟ فقلت: وما يمنعنى من حبه وهو ابن خالى؟ فقال لك (ص): أما أنك ستخرج عليه وأنت ظالم له؟ فقال الزبير: اللهم بلى قد كان ذلك ... اللهم بلى، ولكنى قد نسيت

ذلك، وبعد أن ذكر تنيه لأنصرفن! (١).

الإمام وفتنة أهل الشام.

على الرغم من الهزيمة الساحقة التي منى بها الناكثون لبيعة أمير المؤمنين (ع) في البصرة، فقد أطل قرن جديد للفتنة في بلاد الشام، قاده معاوية ضد الخليفة الشرعي والإمام (ع)، وحقاً يقال: ما تجرأ معاوية على حماقاته هذه إلا حينما رأى عائشة والزبير وطلحة وقد أحدثوا وتسببوا في مقتل الآلاف المؤلفة من النفوس المسلمة.

بدأ الإمام ببذل مساعيه لإصلاح الموقف بالوسائل السلمية، فأرسل وفداً ثلاثياً إلى معاوية يدعوهُ إلى تقوى الله، والحفاظ على وحدة الصف، والدخول في إجماع الأمة (٢)، فما كان من معاوية إلا أن قال: انصرفوا عنى فليس عندى إلا السيف (٣)، ولما لاحت تباشير النصر لمعسكر الإمام (ع)، وأوشكت القوى الباغية على الإنهزام: دبروا خدعة رفع المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف، مما نجم عن تلك الخطة الماكرة تغير جوهرى فى الموقف العام، وكان لرفع المصاحف من قبل معسكر معاوية صدى عميق فى معسكر الإمام (ع): إذ سرعان ما سارت كثرة كاثرة من جيشه مطالبة بإيقاف القتال، فكثرت اللغظ بين الصفوف وآثر الآلاف ترك الحرب.

ومع أن الإمام تصدى لكشف خلفيات رفع المصاحف، واستعمل كل وسائله الإقناعية فى البرهنة على كونها خدعة، يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذى بات وشيكا لجيش الإمام (ع)، إلا أن المطالبين بإيقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة فى هذا المضمار، ولعل بعضهم استعمل لغة التهديد للإمام (ع) (٤)، ثم تلى ذلك الفصل الثانى من المأساة، فاختارت

١ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٧٩، وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزى ص ٧٧.

٢ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٨٧.

٣ - المصدر نفسه.

٤ - تذكرة الخواص لسبط بن الجوزى ص ٩٦.

(٨٩)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، صلح (يوم) الحديبية (١)، مدينة البصرة (١)، الشام (٢)، القتال (٣)، الحرب (٢)، الظلم (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (٢)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط بن الجوزى (٢)

صفحة ٩٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٩٠

الغوغاء أبا موسى الأشعري لتمثيل معسكر الإمام (ع)، بينما اختار معاوية ابن العاص، على أن الإمام (ع) قد رفض فكرة تمثيل الأشعري لمعسكره: باعتبار أن الأشعري كان معتزلاً للإمام، ولم يكن يرى فى الإمام (ع) أهلاً لتولى الخلافة بعد عثمان (١)، هو وآخرون ممن اعتزلوا الإمام (ع)، وكان يخذل الناس عن نصرته الإمام: مما حمل الإمام على عزله من ولاية الكوفة (٢).

وتشير بعض الروايات إلى أن التمزيق فى جيش الإمام (ع) بلغ ذروته، حتى هدده بعض المتنفذين من جنده أن يفعلوا به ما فعلوا بعثمان، أو يدفعوه إلى معاوية؟ (٣).

شئ من معركة النهروان.

وهكذا ثم نرى كيف غدر عمرو بن العاص بالأشعري بعد أن استغفله وخلع أمير المؤمنين (ع)، إلا أن الإمام (ع) ورغم اصراره على الحرب: فقد رأى من الضرورى أن يطوق الفتنة التى أحدثها الخوارج أولاً.

بعد واقعة التحكيم عاد الإمام (ع) بجيشه إلى الكوفة، ففوجئ بخروج طائفة من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف معلنه تمرداً على

الإمام (ع) فلم تدخل معه الكوفة، وإنما سلكت سبيلها إلى حروراء،] وكان قوامها من الفئات التي أرغمتها على التحكيم في حرب صفين (٤).

وقد كان الإمام (ع) عازماً على عدم التعرض لهم ابتداءً: ليمنحهم فرصة التفكير جدياً بما أقدموا عليه، غير أنهم بدأوا يشكلون خطراً حقيقياً على دولة الإمام (ع) من الداخل وبدأ خطرهم يتعاظم، فقتلوا بعض الأبرياء والأمينين: سيما الصحابي الجليل عبد الله بن خباب، وبقروا بطن زوجته وهي حامل، وقتلوا نسوة من طيء، فلما بلغ أمرهم أمير المؤمنين (ع)، أرسل إليهم الحارث بن مرة العبدى، ليتعرف على حقيقة الموقف، غير أنهم قتلوه كذلك (٥)، وبعث الإمام (ع) إليهم الصحابي الجليل قيس بن سعد فوعظهم وحذرهم مغبة موقفهم الأحمق، وأهاب بهم للرجوع عما يرون من جواز سفك دماء المسلمين، وتكفيرهم دون وجه حق (٦)، وقد نجحت المحاولات المستمرة للإمام (ع) في رأب الصدع وتفادي إراقة الدماء، بعد أن تفرق قسم كبير من جيش الخوارج، حتى انخفض عددهم إلى أربعة آلاف، بعد أن بلغ عددهم اثني عشر ألفاً.

١ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٩٦، وتذكرة الخواص ص ٩٦.

٢ - المصدر نفسه.

٣ - تذكرة الخواص ص ٩٥.

٤ - يوليوس فلهوزن / الخوارج والشيعة ص ٣٢.

٥ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٠٨.

٦ - المصدر نفسه ص ١٠٩

(٩٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، مدينة الكوفة (٣)، عبد الله بن خباب (١)، عمرو بن العاص (١)، قيس بن سعد (١)، الخوارج (٣)، الزوجة (١)، القتل (١)، الحرب (٢)، الجواز (١)، الرفض (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (٢)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (٢)

صفحة ٩١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٩١

وقد بدأ الباقون منهم بمهاجمة جيش الإمام (ع)، وحينها طوقتهم قوات الإمام (ع) وتحقق الظفر لراية الحق.

حين انتهى التحكيم الذي اقترحه المخدوعون برفع المصاحف في معركة صفين، وكما أسلفنا، حين رجع جيش الإمام (ع) لمقاتلة الخوارج المارقين في النهروان: بدأ معاوية بن أبي سفيان يتصرف وكأنه الملك الذي تنبغى اطاعته، وراح يجبي أموال الزكاة والخراج وغيرهما له، على الرغم من وجود الإمام (ع)، خليفة المسلمين الشرعي، واتبع أساليب بمنتهى الخسة والقدارة، ولا تمت إلى الإسلام بصله، ومنها:

١ - أرسل عام ٤٠ للهجرة بسر بن أرطأة على رأس جيش من ثلاثة آلاف مقاتل، ووجهه إلى اليمن، وأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال: لا تنزل على بلد أهله على طاعة على إلا بسطت عليهم لسانك (١)، حتى يروا أنه لا نجا لهم منك وأنتك محيط بهم، ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبي فاقته، واقتل شيعة على حيث كانوا (٢)، وقد نفذ بسر أوامر سيده معاوية بحذافيرها، وزاد عليها فضائع وجرائم يندى لها الجبين، فأخذ يتتبع كل من كان له بلاء مع علي، أو من أصحابه، وكل من يرفض البيعة لمعاوية، فأخذ يحرق دورهم ويخربها وينهب أموالهم، وقد أحصى عدد الذين قتلوا على يد بسر ثلاثين ألفاً. وعند ما توجه إلى حضرموت قال: أريد أن أقتل ربع حضرموت (٣).

٢ - أمر معاوية سفيان بن عوف الغامدي ان يدخل العراق منحدرًا مع نهر الفرات وأوصاه أن يغير وينهب ويحرق ويقتل من يوالى عليا (ع)، وقد أرسل معه جيشًا تعداده ستة آلاف مقاتل.

٣ - أرسل معاوية الضحاك بن قيس الفهري مع ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف مقاتل وأوصاه بالسير بناحية الكوفة. والغريب أن هذا السفاك كان يتباهى بأعماله الإجرامية تلك، فقد خطب على منبر الكوفة بعد تلك الواقعة بسنين مفتخرًا ومخوفًا أهل الكوفة: أما إنى لصاحبكم الذى أغرت على بلادكم، فكنتم أول من غزاها فى الاسلام، أعاقب من شئت وأعفو عمن شئت، لقد ذعرت المخدرات فى خدورهن، وان كانت المرأة ليكى ابنها فلا ترهبه ولا تسكتة الا بذكر اسمى، أنا الضحاك بن قيس، انا أبو أنيس، أنا قاتل عمرو بن عميس (٤).

كما أرسل معاوية الكثير من أذنا به اللثام وأحدثوا مقتله عظيمة فى أكثر الثغور الاسلامية.

١ - أى تخويفهم وارعابهم وتهديدهم.

٢ - الغارات للثقفى ص ٥٩٨.

٣ - المصدر نفسه ص ٦٣١.

٤ - شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٢ ص ١٢١ والغارات للثقفى ص ٤٣٧.

(٩١)

مفاتيح البحث: دولة العراق (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (٣)، نهر الفرات (١)، الضحاك بن قيس (٢)، الخوارج (١)، القتل (٧)، الزكاة (١)، الموت (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى (١)، كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفى (١)

صفحة ٩٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٩٢

حين انهى الامام حركة المارقين والقاسطين أمر بتعبئة جيشه وأعلن حالة الحرب لاستئناف القتال مع أهل الشام الذين عاثوا فسادا فى الأرض وقال من ضمن خطبه.

الجهاد، الجهاد عباد الله ألا وانى معسكر فى يومى هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج (١).

وبينما كان أمير المؤمنين يواصل تعبئة قواته من أجل ان ينهى حركة البغى التى يقودها معاوية فى بلاد الشام، كان يجرى فى الخفاء تخطيط لئيم من أجل اغتيال الإمام (ع) وفعلا فقد اغتيل الإمام (ع) وهو فى أفضل ساعة حيث يقوم بين يدي الله فى صلاة خاشعة وفى أشرف الأيام حيث كان يؤدى صوم شهر رمضان المبارك، وفى بقعة مباركة من مسجد الكوفة الشريف، حيث امتدت يد الأئيم المرادى إلى خير أولياء الله، فضربه بسيفه وهو فى سجوده عند صلاة الفجر فى صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٤٠ للهجرة وبهذا خسرت الأمة الاسلامية مسيرة وحضارة وأمة، كلها تمثل فى شخص أمير المؤمنين (ع) ولقد بقى الإمام (ع) يعانى من علته ثلاثة أيام، عهد خلالها بالإمامة إلى ولده الحسن السبط (ع) ليمارس بعده مسؤولياته فى قيادة الأمة الاسلامية. فسلام على أمير المؤمنين يوم ولد ويوم قضى شهيدا ويوم يبعث حيا.

فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

ولادتها:.

فى ظلال أبيها رسول الله (ص) وأحضان أمها الطاهرة، خديجة بنت خويلد بن أسد، ولدت فاطمة الزهراء فى مكة المكرمة، فى يوم الجمعة فى العشرين من شهر جمادى الآخرة (٢)، فاستقبل رسول الله (ص) ابنته الحبيبة بالفرح والرضا، وسماها (فاطمة) (٣).

لقد أثمرت شجرة النبوة المباركة، وأذن الله لدوحة الرسول (ص) أن تمتد فرووعها، و تستطيل آفاقها بميلاد فاطمة في أجيال هذه الأمة. إذ لم يكن في الدنيا أحد يماثل الرسول في صفاته وشمائله كفاطمة، ولقد لفتت هذه المزاي والعلاقة، والآصرة المتينة بين رسول الله (ص) وابنته فاطمة أنظار الذين عايشوها، فتحدثوا عن ذلك الشبه وأكثروا القول فيه، فهذه عائشة زوج رسول الله (ص) تتحدث عن

١ - نهج البلاغة. / خ رقم ١٨٢.

٢ - المجالس السنية للسيد محسن الأمين ط ٦ ج ٥ ص ٥٣، وقال بعض المؤرخين أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين، غير أن معظم روايات أهل البيت (ع) تذهب إلى أنها (ع) ولدت بعد البعثة بخمس سنين، ومما يؤكد ذلك ما ذكرته كتب التاريخ من أن كل ولد خديجة (ع) ولدوا بعد البعثة النبوية الشريفة.

٣ - عيون أخبار الرضا (ع) ج ٢ ص ٤٦، ووردت روايات متعددة في علّة تسميتها بالزهراء:

منها ما روى عن جعفر بن محمد بن عماره عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن فاطمة لم سميت الزهراء؟ فقال: لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء، معاني الأخبار ص ٦٤.

(٩٢)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، ازواج النبي (ص) (١)، صلاة الفجر (الصحيح) (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (١)، شهر رمضان المبارك (٢)، الشام (٢)، السجود (١)، التعباء، العباء (١)، الإخفاء (١)، البعث، الإنبعاث (٢)، القتل (١)، الصيام، الصوم (١)، الصلاة (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، مبعث النبي صلى الله عليه وآله (١)، كتاب نهج البلاغة (١)، محمد بن عماره (١)

صفحة ٩٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٩٣

هذه الوشائج والرابطة الجسدية والروحية والأخلاقية بين خير البشرية وابنته فاطمة فتقول:..

ما رأيت أحدا أشبه سمتا ود وهديا برسول الله (ص) في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله (ص)، وقالت: وكانت إذا دخلت على النبي (ص): قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (ص) إذا دخل عليها، قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها (١)، وقالت عائشة: ما رأيت أحدا كان أشبه كلاما وحديثا من فاطمة برسول الله (ص) (٢).

حياتها:..

ولدت فاطمة ودرجت في بيت النبوة، وترعرت في ظلال الوحي، ورضعت مع لبن خديجة، حب الايمان ومكارم الأخلاق، وحنان الأب الأكرم الرسول الأعظم (ص)، فقد عاشت في جو روي وسمو العائلة القدسي، وشاء الله تعالى أن تبدأ فاطمة طفولتها الطاهرة في مرحلة من أشد مراحل الدعوة الإسلامية ضراوة ومحنة، وأكثرها قسوة وأذى لأمها وأبيها، فقد ولدت في أوج الصراع بين الاسلام والجاهلية المقيتة، وفتحت عينيها في ضراوة الجهاد بين الطليعة المؤمنة، وبطنون قريش الوثنية، وهاهي قريش تفرض المقاطعة والحصار على رسول الله (ص) وأعمامه وسائر بني هاشم، والثلة المؤمنة من الدعاة وطلائع الجهاد: فيدخل الرسول (ص) شعب أبي طالب، وتدخل معه رفيقة حياته وشريكته في جهاده، زوجته المجاهدة، وتدخل معها فاطمة، ومعهم الطليعة المسلمة، فتحاصرهم قريش ثلاث سنين، وبدا عايشت الزهراء الحصار، وذات في طفولتها مرارة الجهاد وشظف العيش.

وتمر سنون الحصار صعبة ثقيلة، ويخرج رسول الله ومن معه من الحصار، وقد كتب الله تعالى لهم النصر والغلبة، وتخرج أم المؤمنين خديجة الكبرى، وقد أثقلت السنون، وأرهقها عناء الحصار والحرمان، وقد بلغت الخامسة والستين من عمرها الشريف، وشاء الله أن

يختارها لجواره: فتوفيت في ذلك العام الذي خرج فيه المسلمون من الحصار، وكان العام العاشر من البعثة الشريفة، كما وتوفى في العام ذاته حامى الدعوة الاسلامية وناصرها أبو طالب (ع)، عم الرسول (ص)، فكان هذا العام حقا عام فراق الأحبة، فسمى بعام الحزن، إذ ليس الرسول (ص) وحده الذي رزى: بل وفاطمة الصبية الصغيرة التي لم تترتب بعد من حنان الأمومة وعطفها، فقد شعرت بغمامة الحزن واليتم والفراق قد خيمت على حياتها.

ويحس الرسول الأكرم (ص) بوطأة الحزن على نفس فاطمة (ع)، فلقد أحبها (ص) وأحبتة، وحنا عليها، وحنّت عليه، فلم يكن أحد أحب إلى قلبه ولا- انسان أقرب إلى نفسه من فلذة كبده فاطمة (ع)، فكان صلوات الله عليه وآله وسلم يؤكد على محبته واحترامه لفاطمة، وعظيم قدرها، ليعرف المسلمون مقامها ومكانة الأئمة الأطهار من ذريتها، وها هو رسول الله (ص) يعرف فاطمة، ويؤكد على عدم إغضابها:

١ - فضائل الخمسة للفيروز آبادي ج ٣ ص ١٥٧، ومستدرك الصحيحين ج ٤ ص ٢٧٢.

٢ - المستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٣ ص ١٥٤، وكشف الغمّة للإربلي ج ٢ ص ٧٩.

(٩٣)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، أزواج النبي (ص) (١)، مكارم الأخلاق (١)، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام (١)، أبو طالب عليه السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١١)، شعب أبي طالب (ع) (١)، بنو هاشم (١)، الزوجة (١)، الكرم، الكرامة (١)، البعث، الإنبعاث (١)، الحزن (٣)، الصلاة (١)، كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (١)، كتاب كشف الغمّة للإربلي (١)

صفحة ٩٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٩٤

فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبتني (١).

إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها (٢).

وتكبر فاطمة (ع) وتشب، ويشب معها حب أبيها لها، ويزداد حنانه عليها، وتبادلها فاطمة هذا الحب، وتملأ قلبه بالعطف والرعاية فيسميها أم أبيها (٣)، وقد عايشت وشهدت - وهي لما تزال صبية - محنة أبيها وأذى قريش واستهزاءهم به، فساهمت هذه المواقف الصعبة في صنع شخصيتها، وعلمتها كيف تواجه الحياة بجلادة، وكيف تنتصر على المحن التي تنتظرها، فلقد كانت هذه الشدائد تمر على الزهراء (ع) بمثابة تأهيل نفسي: لتستقبل وتتهيا لما ينتظرها من عزائم الأمور. وبعد الهجرة المباركة من مكة إلى يثرب تحل فاطمة بدار هجرتها، وتنضم إلى بيت أبيها المتواضع، فتتمتع بعنايته وحبه ورعايته التي لم يحظ أحد من الناس بها، وحتى أزواجه اللاتي جنن بعد خديجة، سواها.

عن أم سلمة أنها قالت: تزوجني رسول الله (ص) وفوض أمر ابنته إلي، فكنت أؤدبها، وكانت والله أأدب مني، وأعرف بالأشياء كلها (٤).

ولما كانت فاطمة (س) ذات الشرف والمجد الرفيع تعيش في كنف أبيها، فقد اتجهت الأنظار إليها، وكل يحدث نفسه بأن يحظى بالاقتران بها، لينال شرف الانتساب إلى أشرف خلق الله، فهي أعظم امرأة في شرفها ودينها ومكانتها عند بارئها.

وحين اعتذر رسول الله [ص] عن تزويج فاطمة لأبي بكر ولعمر: ذهابا إلى علي (ع) وهو يسقى في بستان نخل فقالا: قد عرفنا قرابتك من رسول الله، وقدمك في الإسلام، فلو أتيت إلى رسول الله (ص) فخطبت إليه فاطمة: لزادك الله فضلا إلى فضلك، وشرفا إلى شرفك، فإنا نرجو أن يكون الله ورسوله إنما يحسانها عليك، فانطلق وأقبل إلى النبي (ص)، وكان في منزل أم سلمة فسلم عليه فرد

عليه السلام، وجلس بين يديه، ينظر إلى الأرض، فقال له النبي (ص): أتيت لحاجة؟ قال: نعم أتيتك خاطبا ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوجى يا رسول الله؟ قالت أم سلمة: فرأيت وجه رسول الله يتهلل فرحا و سرورا، ثم يتسم فى وجه على، ودخل على فاطمة فقال لها: إن على بن أبى طالب قد عرف قرابته، وفضله وإسلامه وإنى قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه، وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئا، فما ترين؟ فسكتت، فخرج رسول الله (ص) وهو يقول: الله أكبر، سكوتها إقرارها، فقال: يا على هل معك شئ أزوجك به؟ قال: سيفى ودرعى وناضحى، فقال: أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به فى سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك،

١ - البخارى ج ٢ ص ١٨٥، ومسنند أحمد ج ٤ ص ٣٣٢، والإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٣٧٨، وغيرها.

٢ - سنن الترمذى ج ٥ ص ٦٩٩، وفضائل الخمسة للفيروز آبادى ج ٣ ص ١٨٥، وغيرهما.

٣ - أسد الغابة لابن الأثير ج ٥ ص ٥٢٠، والاستيعاب لابن عبد البر ج ٤ ص ٣٨٠.

٤ - راجع دلائل الإمامة باسناده عن ابن عباس، وبحار النوار للمجلسى ج ٤٣ ص ١٠.

(٩٤)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٦)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (٣)، مدينة مكة المكرمة (١)، يوم عرفة (١)، المدينة المنورة (١)، على بن أبى طالب (١)، سبيل الله (١)، الغنى (١)، الزوج، الزواج (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، عبد الله بن عباس (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)

صفحة ٠٩٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٩٥

وتحمل عليه رحلك فى سفرك، ولكنى قد زوجتك بالدرع (١).

فانطلق على وباع درعه إلى عثمان بن عفان بأربعمئة وثمانين درهما، فصبتها بين يدي النبي (ص) (٢).

وبعد أن قرّت عين الزهراء بهذه الخطبة السعيدة، وزوج الله فاطمة عليا (ع)، أراد رسول الله، أن يعلن لعامة المسلمين هذا النبأ العظيم، فأمر أنس بن مالك أن يجمع فئه من الصحابة ليعلن عليهم نبأ تزويج فاطمة لعلى، قال أنس: فدعوتهم، فلما اجتمعوا عنده كلهم، وأخذوا مجالسهم، ثم قال (ص): إن الله قد أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمئة مثقال فضة إن رضيت بذاك، فقال (ع): قد رضيت بذلك يا رسول الله.

قال أنس بن مالك: فقال النبي (ص): جمع الله شملكما، وأسعد جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيرا طيبا، قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب (٣) وهذا الموقف النبوى المرتبط بالمشيئة الإلهية والوحى يلفت أنظارنا، ويلقى على أسماعنا هذه الأسئلة المهمة:

١ - لماذا لم يرخص لفاطمة بتزويج نفسها؟

٢ - ولم لم يرخص لرسول الله، وهو أبوها ونيها بتزويجها - والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم - إلا بعد أن نزل القضاء بذلك؟.

٣ - ولماذا أخص زواج فاطمة دون النساء بهذه الميزة؟ فلا بد إذا وأن يكون هناك سر وحكمة إلهية ترتبط بهذا الزواج، وتتوقف على هذه العلاقة الإنسانية الخطيرة علاقة فاطمة بنت رسول الله (ص) بابن عمه و (أخيه على بن أبى طالب (ع)، كما كان يسميه رسول الله نفسه، وهو الذى تربى فى بيت رسول الله (ص) وعاش معه وشب فى ظلال الوحى، ونما فى مدرسه النبوة: حتى قال عليه السلام: وقد علمتم موضعى من رسول الله (ص) بالقرابة، والمنزلة الخصيصة، ... ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله (ص)

وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة (٤).

إن هذا السر والإعداد لم يكن غامضاً، وهذه العناية لم تكن مجرد علاقة رحم وقرابة، فالأمر ذو علاقة بحياة هذه الأمة، وهذه العلاقة ترتبط بامتداد فرع النبوة والإمامة. سئلت عائشة: أى الناس أحب إلى رسول الله (ص)؟ قالت: فاطمة، قيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، أن كان - ما علمت - صواماً قواماً (٥).

روى عن أبي الحمراء أنه قال: رابطة [فى] المدينة سبعة أشهر، كيوم (٦)، فكان النبي (ص)

١ - فاطمة من المهدي إلى اللحد للسيد محمد كاظم القزويني ص ١٧١.

٢ - المجالس السنية للسيد محسن الأمين ج ٣ ص ٧٣ و ٧٤.

٣ - ذخائر العقبى للطبرى ص ٣٠ و ٣١، وأخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي.

٤ - الإمام على (ع) نهج البلاغة لمحمد عبده ص ٤١٧، ط مصر.

٥ - ذخائر العقبى للطبرى ص ٦٢، وأخرجه الترمذى وابن عبد البر فى الاستيعاب ج ٤ ص ٣٧٨.

* كيوم: أى انقضت عليه كيوم واحد.

(٩٥)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٦)، الخليفة عثمان بن عفان (١)، أنس بن مالك (٢)، الزوج، الزواج (٥)، السيد محمد كاظم القزويني (١)، كتاب ذخائر العقبى (٢)، كتاب نهج البلاغة (١)

صفحة ٩٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٩٦

يأتى عليا وفاطمة كل غداة، فيقول: الصلاة، الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا (١).

روى ابن عباس قال: كنت أنا والعباس جالسين عند رسول الله (ص)، إذ دخل على بن أبى طالب فسلم، فرد عليه رسول الله السلام، وقام إليه وعانقه وقبل بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحب هذا؟ فقال رسول الله (ص):

يا عم والله، لله أشد حبا له منى، إن الله جعل ذرية كل نبي فى صلبه، و جعل ذريتي فى صلب هذا (٢).

روى: إن النبي (ص) عاد فاطمة وهى مريضة، فقال لها: كيف تجدينك يا بنية؟ قالت:

انى لوجعة، وإنه ليزيدنى أنى مالى طعام آكله، قال: يا بنية، أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت: يا أبت فأين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، أما والله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا والآخرة (٣).

قالت عائشة: كنت جالسة عند رسول الله (ص) فجاءت فاطمة تمشى، كأن مشيتها مشية رسول الله (ص) فقال: مرحبا يا بنتى فأجلسها عن يمينه، أو عن شماله ثم أسر إليها شيئا فبكت، ثم أسر إليها، فضحكت، قالت قلت: ما رأيت ضحكا أقرب من بكاء، أستخصك رسول الله (ص) بحدِيثه ثم تبكين؟ قلت: أى شئ أسر إليك رسول الله (ص) قالت: ما كنت لأفشى سره، فلما قبض (ص) سألتها،

قالت [ع] [قال: إن جبرئيل (ع) كان يعارضنى فى كل عام مرة، وإنه عارضنى بهذا العام مرتين، ولا أراه إلا قد حضر أجلي، وإنك أول] أهل [بنتى لحوقا بى، ونعم السلف أنالك، فبكيت لذلك، فقال: ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أو نساء المؤمنين؟

قالت: فضحكت لذلك (٤).

ولم تعش الزهراء طويلا بعد أبيها، وكما أخبرها (ص) أنها أول أهل بيته لحوقا به، فقد اختلف المؤرخون فى المدّة التى عاشتها فاطمة بعد أبيها، فذهب بعضهم إلى أنها عاشت خمسة وسبعين يوما، وذهب آخرون إلى أنها عاشت ثلاثة أشهر، وقال غيرهم:

إنها عاشت ستّة أشهر، ولقد عاشت فاطمة هذه المدّة الوجيزة صابرة محتسبة، قضتها بالعبادة والانقطاع إلى الله، كما ساهمت قضية الخلافة والبيعة مساهمة مؤلمة ومؤثرة في حياتها و غيرها.

الطاهرة إلى الملكوت الاعلى صابرة محتسبا سلام الله عليها وهي غاضبة على الحكام الجدد في سلب حقها في قدك وغيرها، بعد أن كان رسول الله قد أعطها إياها وتصدق بها عليها، وبما أفاء الله على أبيها (ص) بالمدينة ومن خمس خبير. فقد رفض أبو بكر أن يعطيها شيئا ورد شهادة على والحسين (ع).

١ - تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٣٢١.

٢ - ذخائر العقبي للطبري ص ٦٧، وأخرجه أبو الخير الحاكمي في الأربعين.

٣ - الاستيعاب لابن عبد البر ج ٤ ص ٣٧٢ المطبوع بهامش الإصابة.

٤ - طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٤٧، والاستيعاب لابن عبد البر ج ٤ ص ١٨٩٤، ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٨٢، ومسند مسلم ج ٧ ص ١٤٢، وابن ماجه ج ١ ص ٥١٨، وتاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٢٦ (٩٦)

مفاتيح البحث: مريم بنت عمران عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، عبد الله بن عباس (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، خبير (١)، البكاء (١)، الزوج، الزواج (١)، الشهادة (١)، الطعام (١)، الصلاة (٢)، الصّلب (١)، الرفض (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (١)، كتاب ذخائر العقبي (١)، ابن ماجه (١)

صفحة ٩٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٩٧

مظلوميتها، وكانت سببا مهما وبلغا في عروج روحها الطاهرة إلى الملكوت الأعلى صابرة محتسبة سلام الله عليها، وهي غاضبة على الحكام الجدد في سلب حقها في قدك وغيرها، بعد أن كان رسول الله قد أعطها إياها وتصدق بها عليها، وبما أفاء الله على أبيها (ص) بالمدينة وبخمس خبير، فقد رفض أبو بكر أن يعطيها شيئا، ورد شهادة على والحسين (ع). قضية فدك:.

إن الحديث عن ميراث الزهراء (ع) طويل ومتشعب وذو شجون، ولا بد لنا من الإحجام عن التوسع والإفاضة، ولكننا نلم به بما لا يمكن تجاوزه.

[فإن الله تعالى [اختص حبيبه محمدا (ص) بملكية قسم من الأموال ومن تلکم الأموال ما يصطّح عليه ب (الفى)، وهو غنيمه أموال المشركين مصالحة، من غير حرب أو مشاركة، من مقاتلى المسلمين، فتكون خالصه لرسول الله (ص) وفقا لما وردت عليه فى القرآن الكريم، حيث قال تعالى: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى، فله وللرسول ولذی القربى والیتامى والمساكين وابن السبيل) ... (١).

وقد قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك بعد أن فرغ النبى من خبير، فصالحوه، فملك ما ملك منها خالصا له، لأنه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.

وفى شواهد التنزيل للحسكاني، وميزان الاعتدال للذهبي، ومجمع الزوائد للهيثمى، والدر المنثور للسيوطى، ومنتخب كنز العمال، واللفظ للأول عن أبى سعيد الخدرى: لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) (٢)، دعا النبى (ص) فاطمة وأعطها فدكا.

ولما قبض رسول الله (ص)، وجلس أبو بكر مجلسه، بعث إلى وكيل فاطمة (ع) فى أرض فدك فأخرجه منها، وصادر سائر ما أفاء الله على رسوله فى المدينة، وما بقى من سهم رسول الله (ص) بخبير.

ولتبيان آية الخمس وذوى القربى التى نزلت على الرسول (ص)، ينبغى لنا إيضاحها أولاً، فقد نصت آية الخمس، على أن الخمس لله ولرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، ولنقف الآن على كلمة (ذى القربى).

إن شأن ذى القربى، والقربى، وأولى القربى، فى الكلام، شأن الوالدين فيه، فكما أن ذكر الوالدين أين ما جاء فى الكلام قصد منه والدا المذكورين قبله، ظاهراً أو مضمراً، أو مقدراً، كذلك القربى، وأولوه وذووه.

فمثال المذكور منها ظاهراً قبله: (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) (٣).

فالمراد من أولى قربى هنا، هم أولو قربى النبي (ص)، وأولو قربى المؤمنين المذكورين ظاهراً قبل أولى قربى.

وأما المثال المذكور مضمراً فقوله تعالى: (وإذا قُتِلْتُمْ فاعدِلوا ولو كان ذا قربى) (٤).

١ - سورة الحشر / الآية ٧.

٢ - الإسراء: الآية ٢٦.

٣ - التوبة: ١١٣.

٤ - الأنعام: الآية ١٥٢.

(٩٧)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى (١)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، أبو سعيد الخدرى (١)، القرآن الكريم (١)، خبير (٢)، الحرب (١)، الشهادة (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، الخمس (٣)، الرضى (١)، سورة الحشر (١)

صفحة ٩٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٩٨

فالمراد من ذى القربى هنا، هو قربى مرجع الضمير فى قُتِلْتُمْ واعدلوا.

وأما المثال المذكور مقدراً فقوله تعالى: (وإذا حضر القسمة أولوا القربى) - (١).

والمراد قربى الميت المقدر ذكره فيما سبق من الآية.

إذا لما قال الله سبحانه فى آية الخمس: (واعلموا أنما غنمتم من شئ فأَن لله خمسُه وللرسول ولذى القربى): فلا بد أن يكون المراد من ذى القربى هنا قربى الرسول المذكورين بلافاصله بعده (ص)، وكذلك المقصود من ذى القربى فى قوله تعالى: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى) (٢):

هم قربى الرسول (ص)، وكذلك المقصود من القربى فى قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) (٣):

هم قربى الضمير، فاعل أسألكم وهو الرسول (ص).

قال القاضيان الماوردى وأبو يعلى: صدقات رسول الله التى أخذها بحقيه: فإن أحد حقيه الخمس من الفئ والغنائم، والحق الثانى أربعة أخماس الفئ الذى أفاء الله على رسوله: مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب ... إلى قولهما: فأما صدقات النبي (ص) فهى ثمانية!

الصدقة الأولى: وهى أول أرض ملكها رسول الله (ص): وصية مخيريق اليهودى (الحوائط السبعة).

الصدقة الثانية: أرضه من أموال بنى النضير بالمدينة.

الصدقة الثالثة والرابعة والخامسة: ثلاثة حصون من خيبر.

الصدقة السادسة: النصف من فدك.
الصدقة السابعة: الثلث من أرض وادي القرى.
والصدقة الثامنة: موضع سوق بالمدينة، يقال له مزور (٤).
وقال القاضي عياض: إنها صارت إليه بثلاثة حقوق.
أحدها: ما وهب له (ص)، وذلك وصية مخيريق اليهودي له عند إسلامه يوم أحد.
والثاني: حقه من الفئ من أرض بني النظير حين أجلاهم، كانت له خاصة لأنها لم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب.
وأما منقولات بني النظير، فحملوا منها ما حملته الإبل، غير السلاح كما صالحهم، ثم قسم (ص) الباقي بين المسلمين، وكانت الأرض لنفسه، ويخرجها في نوائب المسلمين.
وكذلك نصف أرض فدك، صالح أهلها بعد فتح خيبر على نصف أرضها، وكانت أيضا خالصة له، وكذلك ثلث أرض وادي القرى، أخذه في الصلح حين صالح أهلها اليهود، وكذلك حصنان من حصون خيبر، وهما الوطيح والسلالم، أخذهما صلحا.
١ - النساء: ٨ / ٢ - الحشر: الآية ٧.
٣ - الشورى: الآية ٢٣.
٤ - راجع الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٦٨ - ١٧١، والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ١٨١ - ١٨٥ / (٩٨)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، صلح (يوم) الحديبية (١)، المودة في القربى (١)، خيبر (٣)، الموت (١)، الخمس (١)، الوصية (٢)

صفحة ٩٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٩٩
والثالث: سهمه من خمس خيبر، فكانت كلها ملكا للرسول (ص)، لا حق فيها لأحد (١).
وسوى ما ذكرنا، كان النبي (ص) قد ورث من أمه آمنه بنت وهب (رض) دارها التي ولد فيها بمكة المكرمة، وورث من زوجته خديجة (أم المؤمنين) بنت خويلد (رض) دارها، بمكة بين الصفا والمروة خلف سوق العطارين، فباعها عقيل بن أبي طالب بعد هجرة رسول الله (ص) إلى المدينة، فلما قدم مكة في حجة الوداع، قيل له: في أي داريك تنزل؟ فقال: هل ترك لنا عقيل من ربع؟ (٢) يقول الخليفة عمر: لما قبض رسول الله جئت أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا: ما تقول في ما ترك رسول الله (ص)؟ قال: نحن أحق الناس برسول الله، قال، فقلت: والذي بخيبر؟
قال: والذي بخيبر، قلت: والذي بفدك؟ قال: والذي بفدك، فقلت: أما والله حتى تحزوا رقابنا بالمناشير فلا (٣) وأما رحل رسول الله، فقد روى هشام الكلبي عن عوانة الحكم: إن أبا بكر الصديق دفع إلى علي آله رسول الله (ص) ودابته وحذائه، وقال: ما سوى ذلك صدقة (٤).
يقول البخاري: فغضبت فاطمة بنت رسول الله (ص)، فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرة حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله (ص) ستة أشهر، قالت عائشة: فكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة (٥).
فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي والعباس، وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله (ص) كانتا لحاجاته التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر بعده، قال: فهما علي ذلك إلى اليوم (٦).
وفي فتوح البلدان: إن فاطمة (ع) قالت لأبي بكر الصديق: أعطني فدكا فقد جعلها رسول الله (ص) لي، فسألها البيه فجاءت بأم أيمن

ورباح مولى النبي (ص) فشهدا لها بذلك، فقال: إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين (٧)، وفي رواية أخرى: شهد لها على بن أبي طالب فسألها شاهدا آخر فشهدت لها أم أيمن.

جاء في معجم البلدان - مادة فذك قال ياقوت: لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة - كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فذك إلى ولد فاطمة (ع)، وبعد هذا في شرح النهج: فكتب إليه أبو بكر بن حزم: إن فاطمة قد ولدت في آل عثمان وآل فلان وفلان فعلى من أرد منهم؟

١ - كتاب الجهاد / حكم الفئ بشرح النووى على صحيح مسلم.

٢ - راجع الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧١، وأبى يعلى ص ١٨٦.

٣ - راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٩ باب (في تركة الرسول)، وعن الطبراني في الأوسط.

٤ - المصدر نفسه.

٥ - راجع صحيح البخارى ج ٢ ص ١٢٤ من كتاب الخمس / فرض الخمس، وصحيح مسلم الحديث ٥٤ من كتاب الجهاد، وراجع تاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٣٤٦.

٦ - المصدر السابق من صحيح البخارى باب فرض الخمس.

٧ - فتوح البلدان ج ١ ص ٣٤ و ٣٥.

(٩٩)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، أزواج النبي (ص) (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٨)، مدينة مكة المكرمة (٣)، كتاب معجم البلدان (١)، عقيل بن أبى طالب عليه السلام (١)، على بن أبى طالب (١)، آمنه بنت وهب (١)، عمر بن عبد العزيز (١)، خبير (٣)، حجة الوداع (١)، الزوجة (١)، الصدق (٢)، الشهادة (٢)، الجواز (١)، التصدق (٢)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١)، كتاب صحيح البخارى (٢)، الطبراني (١)، كتاب صحيح مسلم (٢)، التاريخ الإسلامى (١)، الخمس (٣)

صفحة ١٠٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٠٠

فكتب إليه: أما بعد فإنى لو كتبت إليك أمرك أن تذبج شاة لكتبت إلى أجماء أم قرناء؟

أو كتبت إليك أن تذبج بقرة لسألتنى ما لونها؟ فإذا ورد عليك كتابى هذا فأقسمها فى ولد فاطمة (ع) من على (ع)، والسلام، قال: فنقمت بنو أمية ذلك على عمر بن عبد العزيز و عاتبوه فيه إلى أن قال، قال رسول الله (ص): فاطمة بضعة منى يسخطنى ما يسخطها، و يرضينى ما يرضيها، وإن عمر بن العزيز قال: إن فدكا كانت صافية على عهد أبى بكر وعمر ثم صار أمرها إلى مروان، فوهبها لعبد العزيز أبى فورثتها أنا وإخوتى عنه، فسألتهم أن يبيعونى حصتهم منها، فمن بائع وواهب حتى استجمعت لى، فرأيت أن أردّها على ولد فاطمة ... الخ (١).

قال أبو بكر: حدثنى محمد بن زكريا، قال: حدثنى مهدي بن سابق قال: جلس المأمون للمظالم، فأول رقعة وقعت فى يده نظر فيها وبكى، وقال للذى على رأسه، ناد: أين وكيل فاطمة؟ فقام شيخ عليه دراعة وعمامة وخف ثغرى فتقدم، فجعل يناظره فى فذك، والمأمون يحتج عليه وهو يحتج على المأمون، ثم أمر أن يسجل لهم بها، فكتب السجل و قرئ عليه فأنفذه (٢).

إذن فالزهراء (ع) فى مسألة فذك كانت - على رأى أبى بكر - تطالب بما ليس لها فيه حق، وهى بذلك تكون على أحد أمرين لا ثالث لهما أولهما: إنها كانت كاذبة - والعياذ بالله - تطمع بأخذ ما تعلم أنه ليس لها فيه حق!! وثانيها: إنها كانت جاهلة بالعلم الذى

يعلمه أبو بكر، وقد التبت عليها أحكام الميراث!! ولا أحسب أننا بحاجة إلى تفنيد الاحتمال الأول.

وأما الثاني فقد تكفلت عليها السلام نفسها بتفنيده: حين واجهت أبا بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار بالقول...: وأنتم الآن تزعّمون أن لا وارث لنا ولا حظ:

أفحكّم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يؤمنون (٣).

أفى كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبى؟ لقد جئت شيئا فريا، أعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول سبحانه: (وورث سليمان داوود) (٤).

وقال فيما اقتص من خبر زكريا: (فهب لى من لذنك ولىا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) (٥... إلى قولها: أخصكم الله بآية أخرج أبى منها؟! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن من أبى وابن عمى؟ أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان؟ (٦).

وبإمكانك أن تراجع كنز العمال، والمسند لابن حنبل، والدر المنثور للسيوطى، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد حول نزول: (وأت ذا القربى حقه)، فذهب الرسول الأعظم إلى ابنته فاطمة وقال: يا نبىء، إن الله قد أفاء على أبيك بفدك، واختصه بها، فهى له خاصة

١ - راجع شرح النهج ج ٤ ص ١٠٣.

٢ - فتوح البلدان - مادة فدك، وشرح النهج ج ٤ ص ٨١.

٣ - المائدة: الآية ٥٠.

٤ - النمل: الآية ١٦.

٥ - مريم: الآية ٦.

٦ - راجع منال الطالب لابن الأثير ص ٥٠١، وشرح النهج ج ١٦ ص ٢١١ - ٢١٣.

(١٠٠)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، ابن أبى الحديد المعتزلى (١)، المهاجرون والأنصار (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (١)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، كتاب نهج البلاغة (١)، عمر بن عبد العزيز (١)، بنو أمية (١)، عبد العزيز (١)، القرآن الكريم (١)، الجهل (٢)، العزّة (١)، الوراثة، التراث، الإرث (٢)، ابن الأثير (١)

صفحة ١٠١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٠١

دون المسلمين أفعل بها ما أشاء، وإنه قد كان لأمك خديجة على أبيك مهر، وإن أباك قد جعلها لك بذلك، وأنحكىها لك ولولدك بعدك. ثم دعا النبى (ص) على بن أبى طالب فقال: أكتب لفاطمة بفدك نحلة من رسول الله.

فيمكن لنا أن نستخلص من قضية فدك الدوافع التى دعت أبا بكر وعمر بعيد وفاة الرسول الأعظم (ص) إلى وضع أيديهما على ما ترك (ص)، حيث كانت الزهراء (ع) قد أخذت العهد على نفسها فى أن ترفع صوتها عاليا بوجه الحاكم: للتعبير عن مظلوميتها وغضب حقها، وهى التى باهل بها الرسول نصارى نجران، حيث كانت رمزا للمرأة المسلمة (ونساءنا و نساءكم)، وهى التى علمها الله وطهرها تطهيرا عن الشرك والمعاصى والكذب، حيث قال القرآن الكريم عنها وعن أهل بيتها: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١).

إذا لم تكن فاطمة (س) امرأة عادية يمكن أن تتعرض للأهواء والشهوات، أو تنحاز عاطفيا ضد الحق: فقد ترجمت رفضها للحكم منذ

الأيام الأولى لفقد أبيها (ص)، وقد سجل التاريخ أن الزهراء (ع) كانت تقف بصلابه ضد الانقلاب السياسي، والانهيال الكبير للذين حلا- بالمجتمع الإسلامي، وكانت تستخدم قضية فدك لإدانة الحاكم سياسيا وأمام الملأ، من خلال عرض تجاوزه للحق ومخالفته للقرآن، كما أن استنصارها الأنصار كان يحمل معنى سياسيا أيضا، وبكلمة أخرى كانت الساعد الأيمن لعلي (ع) في خوض معترك الخلافة لصالحه.

ومن هنا يمكن لنا تلخيص المواقف والأهداف التي تنبأها أبو بكر وعمر بعد وفاة النبي (ص)، فضلا عن فدك التي تركت أكبر الأثر في تاريخ الإسلام والمسلمين بما يلي:

١ - وضع مبدأ إبعاد الهاشميين عن مراكز الدولة، وعن الوظائف العامة، حتى لا يستغل الهاشميون مناصبهم، ويحاولوا الاستيلاء على الخلافة.

٢ - عمل عمر على أن يحسم بسرعة خلافه مع أبي سفيان - الذي كان كما يبدو خارج اللعبة - فأعطاه ما بيده من الصدقات، وفيها حقوق الفقراء والمساكين (٢).

٣ - لقد عين عمر يزيد بن أبي سفيان قائدا لجيوش الشام، وعين أخاه معاوية نائبا له مما أتاح للأمويين أن يتحينوا الفرص للاستيلاء على السلطة كلها.

٤ - كذلك عمد عمر إلى إغراق أصحاب الخطر بالعطايا والصلوات، بعد أن ألغى سنة رسول الله بالمساواة بين الناس في العطاء.

ومن نافله القول، يمكن لنا أن نذكر نقاطا عدة ترتبط أصلا بحيثيات القضية (قضية فدك)، ومنها:

أولاً: إن أبا بكر لم يكن حاكما في القضية، بل كان خصما.

ثانياً: إن الزهراء (ع) كانت صاحبة اليد، فلم يكن له أن يطالبها بالشهود

١ - الأحزاب، الآية ٣٣.

٢ - راجع العقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٧، وشرح النهج ج ٩ ص ٤٩.

(١٠١)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، القرآن الكريم (١)، علي بن أبي طالب (١)، التاريخ الإسلامي (١)، الشام (١)، الوفاة (١)

صفحة ١٠٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٠٢

: بل هو كان عليه إقامة البينة، ليجوز له الاستيلاء على ملكها.

ثالثاً: إذا أقام المدعى البينة، وجب على الحاكم أن ينظر فيها، فإن وجدها معتبرة ولا معارض: وجب عليه الحكم طبقاً لها.

رابعاً: إن النبي (ص) قضى باليمين مع وجود الشاهد الواحد (١).

فهلا طلب أبو بكر من الزهراء اليمين، وقد شهد لها علي (ع)؟.

خامساً: إن النبي (ص) قضى بالشاهد الواحد، وهو عبد الله بن عمر (٢).

فهلا قضى أبو بكر بأمر المؤمنين (ع) وحده؟.

وسادساً: هذا كله بغض النظر عن عصمة الزهراء (ع) - كما أسلفنا - وعصمة علي والحسين (ع)، وبغض النظر عن كون أم أيمن - التي شهدت للزهراء بأحقيتها بفدك - مشهودا لها بالجنة، كما في ترجمتها في (الإصابة) وغيرها.

٥ - من ناحية أخرى، عمد عمر بن الخطاب إلى النيل من شأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام علنا، وتصغير منزلته الرفيعة.

فحينما كان يتلوى من سكرات الموت تجاهل وجود الإمام تماما، وتمنى أن يكون أبو عبيدة أو سالم مولى أبي حذيفة أو خالد بن الوليد حيا، لكي يستخلفه (٣).

٦- وإن من أخطر الأسافين التي دقها عمر هو تقديمه الخمسة ينافسون عليا على الخلافة، بعد أن كان الإمام مرشح العناية الإلهية لخلافة رسول الإسلام (ص)! وعليه فالخطئة معدة أساسا ليكون عثمان خليفه من بعده، وترديد الأمر بين ستة أشخاص إنما هو مجرد خدعة، والدليل على ذلك أمران:

أولهما: إن عمر لما طعن قال له ابنه عبد الله: لو أجهدت نفسك وأمرت عليهم رجلا، فقال عمر: والذي نفسي بيده لأردنها للذي دفعها إلي أول مرة (٤).

ويقصد به عثمان، فإنه هو الذي كلفه أبو بكر بكتابة عهده. وثانيهما: إن عمر رتب الأمور بنحو يكون حصول عثمان على الخلافة حتميا: إذ قال: إن رضى ثلاثة منهم رجلا واحدا منهم، وثلاثة رجلا منهم فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس (٥).

وأخيرا فقد ذكر بعض المدافعين عن الخليفة في مسألة فدك، أن عليا (ع) لم يدفعها عن المسلمين أيام خلافته، بل اتبع فيها سيرة أبي بكر، فلو كان يعلم بصواب الزهراء (ع) و صحه دعواها: ما انتهج ذلك المنهج!!

١- راجع جامع الأصول ج ١٠ ص ٥٥٥، أخرجه مالك ومسلم وأبو داود الترمذى، وغيرهم.

٢- راجع جامع الأصول ج ١٠ ص ٥٥٥، أخرجه البخارى.

٣- راجع أعلام النساء ج ٣ ص ١٢٧ - ١٢٨، والإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٨، والعقد ج ٤ ص ٢٧٤.

٤- الرياض النظره للطبرى ج ٢ ص ٤١٤.

٥- أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٥ ص ١٨.

(١٠٢)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٢)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، سالم مولى أبي حذيفة (١)، على بن أبى طالب (١)، عبد الله بن عمر (١)، الشهادة (١)، الموت (١)، كتاب انساب الأشراف للبلاذرى (١)

صفحة ١٠٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٠٣

وللإجابة على هذا القول، نقول: إن أمير المؤمنين (ع) كان يرى فدكا لأهل البيت (ع) لما سجله التاريخ، وصرح به الإمام (ع) نفسه بوضوح فى رسالته إلى عثمان بن حنيف، إذ يقول (ع...): وسخت عنها نفوس آخرين.

ولما ولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة أمعن فى السرية، وأكثر من الاستخفاف بالحق المهضوم، فأقطع مروان بن الحكم ثلث فدك، وعمر بن عثمان ثلثها، ويزيد ابنه ثلثها الآخر، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم، ثم صفت لعمر بن عبد العزيز (كما أسلفنا فى أمره برد فدك)، ولما انقرضت دولة بنى أمية تلاقفها بنو العباس، فبعد أن صارت بيد أبى العباس السفاح، ردها على عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، ثم قبضها أبو جعفر المنصور من بنى الحسن، وردها المهدي بن المنصور على الفاطميين، ثم قبضها موسى بن المهدي من أيديهم، ولم تزل فى أيدي العباسيين حتى تولى المأمون الخلافة، فردها على الفاطميين سنة ٢١٠ هـ، كما أسلفنا.

فقد كتب المأمون إلى عامله على المدينة قثم بن جعفر، يأمره برد فدك على ورثة فاطمة (ع) بنت رسول الله (ص)، بحدودها وجميع

حقوقها المنسوبة إليها، وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، ولما تولى المتوكل الخلافة، انتزعا من الفاطميين، وأقطعها عبد الله بن عمر البازيار.

فالمسألة إذا ليست مسألة ميراث ونحل، إلا بالمقدار الذي يتصل بموضوع السياسة العليا. وليست مطالبة بعقار أو دار، فالمعنى في دراسة خطوات النزاع وتطوراتها، والمناحي التي نحاها لا يفهم منها أنها مجرد مطالبة بأرض: بل يتجلى له منها مفهوم أوسع من ذلك، ينطوي على غرض طموح يبعث إلى استرداد عرش مسلوب ومجد عظيم أجهض، و تقويم أمة انقلبت على أعقابها.

ويكفينا لإثبات ذلك أن نلقى نظرة على الخطبة التي خطبها الزهراء (ع) في مسجد الرسول (ص)، أمام الخليفة الأول وبين يدي الجمع المحتشد من المهاجرين والأنصار، فقد دارت هذه الخطبة حول امتداح علي والثناء على مواقفه الخالدة في الإسلام، وتسجيل حق أهل البيت الذين وصفتهم بأنهم الوسيلة إلى الله في خلقه، وخاصته، ومحل قدسه، و حجته على عباده، وورثة أنبيائه في الخلافة والحكم، وإلفات نظر المسلمين إلى حظهم العاثر، واختيارهم المرتجل وانقلابهم على أعقابهم، وورودهم غير مشربهم، وإسنادهم الأمر إلى غير أهله، والفتنة التي سقطوا فيها، والدواعي التي دعتهم إلى نبذ الكتاب، ومخالفته فيما يحكم به في موضوع الخلافة والإمامة.

ولم يؤثر عن نساء النبي (ص) أنهن خاصمن أبا بكر في شئ من ميراثهن. أكن أزهد من الزهراء (ع) في متاع الدنيا، وأقرب إلى ذوق أيها في الحياة؟! أو أنهن اشتغلن بمصيبة رسول الله (ص)، ولم تشتغلن بها الزهراء!؟.

ومذهب الشيعة في تفسير ما قام به رسول الله (ص) من تجنيد جيش أسامة معروف، وهو إنه (ص) أحس بأن ثمة اتفاقاً ما بين جملة من أصحابه على أمر معين، وقد يجعل هذا الاتفاق

(١٠٣)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، المهاجرون والأنصار (١)، معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (٢)، مروان بن الحكم (٢)، يحيى بن الحسين بن زيد (١)، علي بن أبي طالب (٢)، الخليفة أبو بكر بن أبي قحافة (١)، بنو أمية (١)، علي بن الحسين (١)، عثمان بن حنيف (١)، عمر بن عثمان (١)، عبد العزيز (١)، البعث، الإنبعاث (١)، الثناء (١)، الخلود (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)

صفحة ١٠٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٠٤

منهم جبهة معارضة لعلی (ع)، ونحن إن شككنا في هذا، فلا نشك في أن النبي (ص) قد جعل أبا بكر وعلياً في كفتي الميزان مرارا أمام المسلمين جميعاً ليروا بأعينهم أنهما لا يستويان جميعاً في الميزان العادل، وإلا فهل ترى إعفاء أبي بكر من قراءة التوبة على المشركين بعد أن كلف بذلك، أمراً طبيعياً؟ ولماذا انتظر الوحي وصول الصديق إلى منتصف الطريق، لينزل على رسول الله (ص) ويأمره باسترجاعه (أبي بكر)، وإرسال علي للقيام بالمهمة؟ أفكان عبثاً أو غفلة أو أمراً ثالثاً، وهو أن رسول الله (ص) أحس بأن المنافس المتحضر لمعارضة ابن عمه ووصيه هو أبو بكر، فشاء وشاء له ربه تعالى أن يرسل أبا بكر ثم يرجعه؟ طبعي أن يوضح الرسول (ص) مدى الفرق بين الشخصين، وقيمة هذا المنافس الذي لم يأت منه الله على تبليغ سورة إلى جماعته، فكيف بالخلافة والسلطنة المطلقة؟!.

وإليك ما جاء في كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر في اتهام أبيه وعمر، بالاتفاق على غضب الحق العلوي، والتنظيم

السرى لخطوط الحملة على الإمام، إذ قال له فيما قال: فقد كنا وأبوك نعرف فضل ابن أبي طالب وحقه لازماً لنا، مبروراً علينا، فلما اختار الله لنبيه (ص) ما عنده وأتم وعده، وأظهر دعوته فأبلج حجته وقبضه إليه (ص)، كان أبوك والفاروق أول من ابتزّه حقه وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم إنهما دعوا إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم ... الخ؟! (١).

إذن فلا- غرابه في أن ينتزع الخليفة من أهل البيت أموالهم المهمة: ليركز بذلك حكومته، أو أن يخشى من علي (ع) أن يصرف حاصلات فدك وغير فدك على الدعوة إلى نفسه، و معارضة نظام الحكم الجديد القائم على أسس غير صحيحة، وهذا ما حدا بأكثر الحكام والخلفاء الذين تلوه إلى العمل على سيرته.

ونحن لا- نريد أن نستعرض هنا سيرة الخليفين أبي بكر وعمر منذ اللحظة الأولى تجاه آل البيت، للقضاء على الفكرة التي أمدت الهاشميين بقوة على المعارضة، كما خنقوا المعارضة نفسها، لكننا نستطيع أن نصف هذه السياسة بأنها تهدف إلى إلغاء امتياز البيت الهاشمي، وإبعاد أنصاره والمخلصين له عن المرافق في جهاز الحكومة يومئذ، فمن سيرة الخليفة وأصحابه مع علي (ع) التي بلغت من الشدة أن عمر هدد بحرق بيته، وإن كانت فاطمة بضعة الرسول (ص) فيه، ومعنى هذا إعلان أن فاطمة وغير فاطمة من آل الرسول (ص)، ليست لهم حرمة تمنعهم عن أن يتخذ معهم نفس الطريقة التي سار عليها مع سعد بن عباد - سيد الخزرج -، حين أمر الناس بقتله، وما عزل الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجهه لفتح الشام بعد أن أسندها إليه، لا لشئ، إلا لأن عمر نبهه إلى نزعة الهاشمية.

وأخرى، فقد أظهر الخليفة الندم في ساعة وفاته - بعد فوات الأوان - على عدم تسليم فدك لفاطمة (ع) (٢).

١ - راجع مروج الذهب للمسعودي ج ٢ ص ٣١٥.

٢ - راجع الطبري، كما في ص ١٨ من سمو المعنى في سمو الذات، للأستاذ عبد الله العلائلي.

(١٠٤)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٣)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٧)، معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله (١)، محمد بن أبي بكر (١)، خالد بن سعيد (١)، سعد بن عباد (١)، الشام (١)، الصدق (١)، الغضب (١)، القتل (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)

صفحة ١٠٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٠٥

ولما كان الصديق يطلب من الزهراء (ع) بضعة رسول الله (ص) (التي خصت وأهل بيتها (ع) بآية التطهير) البينة على دعواها ويعترض على شهادة أم أيمن المشهود لها بالجنة، و سيد الأوصياء على قرين الزهراء في آية التطهير، والحسين أيضاً، فكيف غفل عن أخذ البينة من أبي بشير المازني لما جاء يطلب مالا كان قد أوعده النبي بذلك؟ فقد جاء في الطبقات لابن سعد عن أبي سعيد الخدري أنه قال: سمعت منادى أبي بكر ينادى بالمدينة حين قدم عليه مال البحرين: من كانت له عده عند رسول الله (ص) فليأت، فيأتيه رجال فيعطيه، فجاء أبو بشير المازني فقال: إن رسول الله (ص) قال: يا أبا بشير، إذا جاءنا شئ فأتنا، فأعطاه أبو بكر حفتين أو ثلاثاً فوجدوها ألفاً وأربعمئة درهم (١).

وفي صحيح البخاري: إن النبي (ص) لما مات جاء لأبي بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي، فقال: من كان له على دين أو كانت قبله عده فليأتنا، قال جابر: وعدني رسول الله (ص) أن يعطيني هكذا وهكذا، فبسط يده ثلاث مرات، فعد في يدي خمسمئة ثم خمسمئة ثم خمسمئة.

فإذا كان الصديق لا يطالب أحدا من الصحابة بالبينه على الدين أو العدة: فكيف طالب الزهراء ببينه على النحلة؟ وهل كان النظام القضائي يخص الزهراء وحدها بذلك؟ أو أن الظروف السياسية الخاصة هي التي جعلت لها هذا الاختصاص؟! إذن كان على الخليفة نظرا لملكية الزهراء لفسدك، أن لا يتصرف فيها بما تكره، ولا ينزعها منها، سواء أجاز له أن يحكم على وفق علمه أو لا، ثم إنه لم يكن في المسألة - منكر ينازع الزهراء (ع)، ليلزم طلب اليمين منه، واستحقاقه للمال إذا قسم: لأن الأموال التي كانت تطالب بها الزهراء (ع) إما أن تكون لها، أو أنها تكون للمسلمين.

الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع).

في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثالثة من الهجرة: أعلن البيت النبوي المطهر نبأ ميلاد سبط الرسول الأول الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، وزفت البشرية إلى المصطفى، والتفت الرسول (ص)، إلى علي (ع) قائلا: أي شيء أسميت ابني؟ قال:

ما كنت لأسبقك بذلك، فقال (ص): ولا أنا سابق ربي (٢).

ولم يكد هذا الحوار الكريم بين الرسول (ص) ووصيه، حول تسمية الوليد يصل نهايته حتى تنزل الوحي الإلهي المقدس على رسول الله (ص) يبلغه، بأن الله سبحانه قد سمى الوليد حسنا (٣).

إن المتتبع لحياة الحسن السبط وأخيه الحسين عليهما السلام: لا بد أن يصل إلى حد القطع في أنهما قد توافرت لهما من التربية والنشأة الروحية والفكرية ما لم يتسن لسواهما بعد جدهما (ص) وأبيهما (ع)، فبصمات الوحي والإعداد الإلهي، صارا طابعا مميزا لشخصيتهما

١ - راجع الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ١٨٠.

٢ - ذخائر العقبى للطبري ط القاهرة ص ١٢٠.

٣ - المصدر نفسه.

(١٠٥)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٣)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٧)، آية التطهير (٢)، أبو سعيد الخدري (١)، كتاب صحيح البخاري (١)، شهر رمضان المبارك (١)، الكرم، الكرامة (١)، الصدق (٢)، الكراهية، المكروه (١)، الموت (١)، الشهادة (١)، الوصية (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)

صفحة ١٠٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٠٦

في شتى الملامح والعناصر والمنطلقات، فقد تلقيا أرقى ألوان التربية الإسلامية بين أحضان جدهما وأبيهما وأمهما الزهراء (ع). بدأ دور الإمام الحسن (ع) يتألق في دنيا الإسلام مبكرا، وقبل أن يتلقى عهد الإمامة من أبيه أمير المؤمنين (ع)، فقد برز دوره بجلاء، منذ أن بايعت الجماهير المسلمة الامام عليا (ع) بالخلافة، وقد بلغ ذروته بعد رحيل أمير المؤمنين إلى الملكوت الأعلى، حيث هبت الكوفة إلى المسجد فرعة مذهولة لهول المصاب الأليم، فوقف السبط (ع) بين تلك الكتل البشرية الهائلة، يوجه أول بيان له بعد رحيل القائد العظيم أمير المؤمنين (ع).

لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون، ولم يدركه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله (ص) فقيهه بنفسه، وكان رسول الله (ص) يوجهه برايته فيكنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها عيسى بن مريم (ع)، وفيها قبض يوشع بن نون وصى موسى (ع)، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمئة درهم فضلت من

عطائه (١).

مواقفه (ع) منذ وفاة جده المصطفى (ص)، وفي حياة أبيه (ع).

١ - جاء الإمام الحسن (ع) يوماً إلى أبي بكر وهو يخطب على المنبر، فقال له: (إنزل عن منبر أبي)، فأجاب أبو بكر: صدقت، والله إنه لمنبر أبيك، لا منبر أبي، فبعث على أبي بكر: إنه غلام حدث، وأنا لم تأمره، فقال أبو بكر: إنا لم نتهمك (٢).
ولو تأملنا إلى قول أمير المؤمنين: إنا لم تأمره: فإنه لا يتضمن إنكاراً على الحسن، ولا إدانة لموقفه، بل يتضمن دعماً لمطالبته بالحق الموروث، وتذكراً لأبي بكر.

وموقفه عليه السلام في وداع أبي ذر الغفاري (رض)، حينما أبعده عثمان إلى الريدة، في قوله:

يا عماء لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيح أن ينصرف، لقصر الكلام، وإن طال الأسف، وقد أتى من القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك (ص) وهو عنك راض (٣).

٢ - في سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص طبرستان، وكان أهلها في خلافة عمر قد صالحوا سويد بن مقرن على مال بذلوه، ثم نقضوا، فغزاهم سعيد بن العاص، ومعه الحسن والحسين وابن عباس (٤) قال أبو نعيم بالنسبة إلى الإمام الحسن (ع): دخل أصبهان غازياً، مجتازاً إلى غزاة جرجان (٥).

١ - أعلام الوري للطبرسي ص ٢٠٨، وحياة الإمام الحسن للقرشي ج ٢ ص ٣١ نقلاً عن الفتوح.

٢ - تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨٠ و ١٤٣، وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٤١ عن أبي نعيم.

٣ - شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٢٥٣، والقدير ج ٨ ص ٣٠١.

٤ - الفتوحات الإسلامية ج ١ ص ١٧٥، والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٩، وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٢٣.

٥ - ذكر أخبار أصفهان ج ١ ص ٤٤ و ٤٣ و ٤٧.

(١٠٦)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٣)، النبي عيسى بن مريم عليهما السلام (١)، يوشع بن نون عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، أبوذر الغفاري (١)، عبد الله بن عباس (١)، الحافظ أبو نعيم (٢)، مدينة الكوفة (١)، سويد بن مقرن (١)، السجود (١)، الوفاة (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعمش الكوفي (١)، كتاب إعلام الوري بأعلام الهدى (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، مدينة إصفهان (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)

صفحة ١٠٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٠٧

وفي تاريخ ابن خلدون: إن عثمان جهز العساكر من المدينة، وفيهم جماعة من الصحابة، منهم ابن عباس، وابن عمر، وابن عمرو بن العاص، وابن جعفر، والحسن والحسين، وابن الزبير، وساروا مع عبد الله بن أبي سرح سنة ست وعشرين (١).

٣ - روى، أنه حينما حاصر الناثرون عثمان، بعث الامام أمير المؤمنين (ع) بولديه الحسن والحسين (ع) للدفاع عنه، وقد جرح الحسن (ع) وخضب بالدماء على باب عثمان من جراء رمي الناس عثمان بالسهم، ثم تسور الناثرون الدار على عثمان، وقتلوه. وجاء الإمام علي (ع)، كالواله الحزين، فلطم الحسن، وضرب صدر الحسين (ع) وشتم آخرين: منكرًا عليهم أن يقتل عثمان، وهم على الباب (٢).

روى أبو جعفر قال: قال ابن عباس: أول ذل دخل على العرب موت الحسن (ع) (٣)، وقال أبو الفرج: قيل لأبي إسحاق السبيعي: متى

ذل الناس؟ فقال: حين مات الحسن، وادعى زياد، وقتل حجر بن عدى (٤).

قال الإمام الحسن (ع): لم يكن معاوية بأصبر منى عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب منى (٥).

وصية الرسول (ص) بالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

عن أبي جعفر عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله (ص): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما (٦).

عن نافع عن عبد الله بن عمر، قال النبي (ص): ابناى هذان سيدا شباب أهل الجنة، و أبوهما خير منهما (٧).

عن يعلى بن مرة الصحابي: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله (ص) فضمهما إلى إبطيه وقال: هذان ريحائتاى من الدنيا، من أحببني فليحبهما (٨).

عن بريده الأسلمي عن أبيه قال: كان رسول الله (ص) يخطب، فأقبل الحسن والحسين (ع) عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فوضعهما بين يديه، ثم قال:

صدق

١ - تاريخ ابن خلدون (العبر) ج ٢ قسم ١ ص ١٢٨، وسيرة الأئمة الاثني عشر ج ٢ ص ١٦ - ١٨ وج ١ ص ٥٣٥، وعن الاستقصاء فى أخبار المغرب الأقصى للناصرى السلاوى ج ١ ص ٣٩.

٢ - الصواعق المحرقة ص ١١٥ و ١١٦، ومروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ وغيرهما.

٣ - شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ١٠.

٤ - مقاتل الطالبين ص ٧٦، وشرح النهج ج ١٦ ص ٥١.

٥ - شرح النهج للمعتزلى ج ١٦ ص ١٥.

٦ - ترجمة الإمام الحسن رقم ٢، من تاريخ بغداد ج ١ ص ١٤٠، عن تاريخ دمشق.

٧ - تاريخ دمشق / ترجمة الإمام الحسن ص ٧٨ رقم ١٣٥، كما رواه الطبرانى فى الحديث ٧١ من المعجم الكبير ج ٣.

٨ - المصدر نفسه رقم ح ١٤٤ ص ٨٥.

(١٠٧)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٢)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (٤)،

الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، عبد الله بن عباس (٢)،

كتاب تاريخ ابن خلدون لابن خلدون (٢)، على بن الحسين بن على (١)، حجر بن عدى الكندى (١)، إسحاق السبيعى (١)، عبد الله

بن عمر (١)، عمرو بن العاص (١)، يعلى بن مرة (١)، الموت (١)، القتل (٢)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب مقاتل

الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب الصواعق المحرقة (١)، الطبرانى (١)، دمشق (٢)

صفحة ١٠٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٠٨

الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة، رأيت هذين فلم أصبر، ثم أخذ فى خطبته (١).

وفى حديث ابن الحصين: قال (ص) لعلى وفاطمة والحسن والحسين (ع): أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم (٢).

عن الحسن بن أبى سفيان عن جابر، قال: قال رسول الله (ص) للحسن: إن ابنى هذا سيد يصلح الله عز وجل به بين فئتين من المسلمين

(٣).

عن أحمد بن منصور الرمادى قال: أنبأنا عبد الرزاق، قال: قال لى عبد الله بن مصعب:

كان رجل عندنا قد انقطع فى العبادة، فإذا ذكر عبد الله بن الزبير بكى، وإذا ذكر على نال منه!! قال، فقلت: ثكلتك أمك، لروحه من على أو عدوة] منه [فى سبيل الله خير من عمر عبد الله بن الزبير حتى مات، ولقد أخبرنى أبى أن عبد الله بن عروة أخبره قال: رأيت عبد الله بن الزبير قعد إلى الحسن بن على فى غداة من الشتاء باردة، قال: فوالله ما قام حتى تفصد جبينه عرقا! قال: فغاطنى ذلك فقمتم إليه فقلت: يا عم، قال: ما تشاء؟ قلت: رأيتك قعدت إلى الحسن بن على فما قمت] من عنده [حتى تفصد جبينك عرقا! قال: يا بن أخى إنه ابن فاطمة، لا والله ما قامت النساء عن مثله (٤).

عن جویریة بن أسماء قال: لما مات الحسن بن على بكى مروان فى جنازته، فقال له حسين:

أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه؟ فقال: إنى كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا، وأشار بيده إلى الجبل (٥) ما ذكر عن الإمام الحسن (ع):.

١ - عن الحسن (ع): إن أبا بكر وعمر عمدا إلى هذا الأمر، وهو لنا كله، فأخذاه دوننا، وجعلنا لنا فيه سهما كسهم الجدة، أما والله لتهمنهما أنفسهما يوم يطلب الناس فيه شفاعتنا (٦).

٢ - وعنه (ع): ولولا محمد (ص) وأوصياؤه، كنتم حيارى لا تعرفون فرضا من الفرائض ... الخ (٧).

وقد كتب (ع) لمعاوية، بعد ذكره مجاهدة قريش لهم، بعد وفاة النبى (ص):

وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا (ص ...) فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزا يتلمونه به ... إلى أن قال: وبعد،

١ - المصدر نفسه رقم ح ١٥ ص ٨٩.

٢ - المصدر نفسه رقم ١٦١ ص ٩٧.

٣ - المصدر نفسه ح رقم ٢٠٠ ص ١٢٥، وجاء فى مسند أبى بكره من كتاب المسند ج ٥ ص ٤٧، وعبد الرزاق فى الحديث رقم ٢٠٩٨١ من كتاب المصنف ج ١١ ص ٤٥٢ ط ١.

٤ - حياة الإمام الحسن من تاريخ دمشق ح رقم ٢٢٨ ص ١٣٧.

٥ - المصدر نفسه ص ١٥٦، رقم ٢٦٦.

٦ - أمالى المفيد ص ٤٩، وبهج الصياغة ج ٤ ص ٥٦٩.

٧ - ينابيع المودة للقندوزى ص ٤٨٠، وأمالى الطوسى ص ٥٦.

(١٠٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (٢)، عبد الله بن الزبير (٣)، جویریة بن أسماء (١)، عبد الله بن مصعب (١)، الحسن بن على (٣)، سبيل الله (١)، الموت (٢)، الحرب (١)، النفاق (١)، الوفاة (١)، كتاب أمالى الصدوق (٢)، الشيخ سلمان البلخى القندوزى (١)، كتاب كتاب المسند للإمام الشافعى (١)، كتاب المصنف لعبد الرزاق الصنعانى (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، دمشق (١)

صفحة ١٠٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٠٩

فإن أمير المؤمنين على بن أبى طالب لما نزل به الموت ولانى الأمر بعده (١).

وفى موقف له مع حبيب بن مسلمة، قال له: رب مسير لك فى غير طاعة الله، فقال له حبيب: أما مسيرى إلى أبيك فليس من ذلك،

قال: بلى والله، ولكنك أظمت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك، ولو كنت إذ فعلت شرا قلت خيرا... الخ (٢).

إن المتتبع لحياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام بعد أبيه أمير المؤمنين علي (ع) و دوره الايجابي في تلك الفترة العصيبة التي عاشها المسلمون، في استنفار الجماهير، لنصرة الحق والذود عن الإسلام المحمدي الأصيل: يجد أن الإمام السبط (ع) قد صعق لواقع المسلمين، وأصيب بخيبة أمل، حين تكشف له الأمر بتشتت أفكار الناس، وإصابتها بالذهول والارتباك والوهن إثر دعوته للجهاد والتجهز للحرب وتحمل المسؤوليات.

فقد برزت معالم ضعف الرصيد الإيماني للكثير من الناس، والانقياد المتذبذب لأمره، والخضوع للإشاعات الملققة والدسائس التي كان يحيكها معاوية وأذناؤه.

كل تلك الأسباب وما سببها قد دفعت الإمام السبط (ع) إلى وضع مصلحة الإسلام العليا فوق كل اعتبار، من دماء الناس وغيرها، بعد أن واجه الإمام السبط (ع) كل محاولات معاوية التي سبقت الحرب بنفس متعاليه، لا تعرف إلا الحق ولا تطأطئ للباطل رأساً طرفه عين.

فالجيش الذي يقوده الإمام الحسن (ع) سادته البلبلة ودب فيه المرجفون والأذئاب، حتى كاد أن يسلم الإمام (ع) لعدوه. وإليكم أهم الحوادث الأليمة التي ألمت بالإمام (ع) عبر مواجهته لغدر معاوية:.

١ - خيانة قائده على خط المواجهة - عبيد الله بن العباس - والتحاقه بمعاوية، ومعه ثلثا الطليعة التي كلفت بمواجهة العدو الزاحف: مما أثار موجة من الاضطراب والتفكك في معسكر الإمام (ع).

٢ - إن القوات التي يقودها الإمام (ع) ذاته، كانت تتوزعها الشعارات والأهواء والمصالح والأفكار (٣)، ومن بين هؤلاء أيضاً الحاقدون على أهل البيت (ع)، الذين يتظاهرون بعكس ذلك، ومنهم أيضاً عدد كبير من المتعاطفين مع الأمويين طمعا بالعود المعسولة من جانب معاوية، وإلى جانب تلك الأمور، هو سريان السأم من القتال في معسكر الإمام (ع)، سيما وإن قطعاته المقاتلة سبق أن خاضت حروبا ثلاث مع أبيه الإمام علي (ع)، وهي لما تندمل جراحاتها بعد.

٣ - إغداق معاوية الأموال الوفيرة على زعماء القبائل وأصحاب الحل والعقد في المجتمع العراقي، فتمكن من نقض عزائمهم وتثيبتها على مسيرة الامام السبط (ع) في مواجهة

١ - مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣٢، والفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ١٥١، والمناقب ج ٤ ص ٣١.

٢ - شرح النهج للمعتزلي ج ١٦ ص ١٨.

٣ - راجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٦١.

(١٠٩)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٤)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٤)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، عبيد الله بن العباس (١)، الموت (١)، القتل (٢)، الحرب (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب الفتوح لأحمد بن أعمش الكوفي (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)

صفحة ١١٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١١٠

معاوية.

- ٤ - حرص الامام السبط (ع) على حقن دماء الأمة سيما المخلصين فيها من الصحابة والتابعين.
- ٥ - بالنظر لتوفر عامل الطاعة لدى جيش معاوية، ترى العكس في جيش الإمام (ع) الذي ساد التمزيق والانشقاق بسبب المصالح المتضاربة والأهواء.
- ٦ - أراد أن يكشف الامام للناس بعد الذي حصل، حقيقة معاوية عن كذب حينما تؤول السلطة بيده، بهدف كشف البون الشاسع بينه وبين التطبيق المثالي لأحكام الاسلام للإمام، و من قبله أبيه (ع).
- ٧ - فضلا عن الأموال الطائلة التي أرسلها معاوية لضعاف النفوس والايمان: فقد بات سلاح الدعاية والتشويش يستخدم لزعرعه عن أمر الوحدة في جيش الإمام (ع)، فمن جملة إشاعات الأمويين يوم جاء الوفد الأموي يطلب الصلح من الإمام (ع)، وقد رفض الامام مطالب معاوية، خرج الوفد المفاوض وأشاع في الناس أن الحسن قد أجاب إلى الصلح، فحقن الله به الدماء!!.
- والممتنع - عبر كتب التاريخ - لمبررات صلح الإمام الحسن (ع)، مع معاوية، يجد أن الوثيقة التي أبرمها الإمام (ع) مع معاوية جاءت لحرص الامام على الإسلام من التمزيق، وإسالة الدماء، وحفظ الشريعة المحمدية، وضمان ديمومتها، وتبيانها فيما تبقى من حياته، وهذا نص من الوثيقة التي أراد بها الإمام السمو والشموخ للإسلام: هذا ما اصطلح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب، معاوية بن أبي سفيان، صالحه علي:.

- ١ - أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله (ص)، وسيرة الخلفاء الصالحين.
- ٢ - ليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا، بل يكون الأمر بعده شورى بين المسلمين.
- ٣ - إن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله، في شامهم وعراقهم وتهامهم وحجازهم.
- ٤ - إن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم و أموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه... وغيرها من النقاط التي وردت في الوثيقة، وبعد أن تم التوقيع على الصلح، قدم معاوية إلى الكوفة للاجتماع بالإمام الحسن (ع)، حيث ارتقى المنبر ليعلن متحديا كل القيم والأعراف الإسلامية، والوعد الذي قطعه في وثيقة الصلح مع الامام، ليعلن وأمام الأمة في مسجد الكوفة، أنه يسحق بقدميه كل الشروط التي صالح الحسن عليها، وقال: والله إنى ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون!!.

ألا وإن كل دم أصيب في هذه الفتنة فهو مطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين (١).

وتعتبر هذه الوثيقة أقصى ما كان بإمكان الامام أن يحققه للأمة ولرسالتها، فقد صرح

١ - أنظر فتوح أعثم ج ٤ ص ١٦١.

(١١٠)

- مفاتيح البحث: السنة النبوية الشريفة (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبي (عليهما السلام) (٢)، مسجد، جامع الكوفة (١)، معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله (٣)، الدولة الأموية (١)، مدينة الكوفة (١)، صلح (يوم) الحديبية (٥)، الحسن بن علي بن أبي طالب (١)، الرفض (١)

صفحة ١١١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١١١

الإمام بعد استئثار معاوية بمقدرات المسلمين، قال لمالك بن زمرة عند ما كلمه بشأن الوثيقة: إنى خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين داع، وقال عليه السلام مخاطبا أبا سعيد:

يا أبا سعيد، علّة مصالحتي لمعاوية، علّة مصالحة رسول الله (ص) لبني ضمره وبني الأشجع ولأهل مكة، حين انصرف من الحديبية (١).

ولأهمية تلك الوثيقة وآثارها الايجابية المرجوة لمصلحة الإسلام والمسلمين: أشار الإمام محمد الباقر (ع) إليها بقوله: والله للذي صنع الحسن بن علي (ع) كان خيرا لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس (٢).

وكما أسلفنا، قد سحق معاوية كل العهود والمواثيق تحت قدميه وأوغل في ايدائه لأهل البيت (ع) وشيعتهم، منها: مطاردة القيادات المؤمنة الموالية لأهل البيت (ع) في كل الأمصار الاسلامية، وقتل وتشريد الكثيرين منهم: سيما قتل الصحابي الجليل حجر بن عدى الكندي و أصحابه (رض)، وكذلك قطع العطايا والأرزاق، وهدم الدور والمساكن، ونهب أموالها وإعطائها غنائم لعملاء السلطة.

ومن بين أخطر الموبقات التي ارتكبتها معاوية، الاستعانة ببعض الوعاظ المحترفين ذوى النفوس الوضيعة، الموالين له: لتشويه سيره أهل البيت وسيدهم علي بن أبي طالب (ع)، وشتمه (ع) على المنابر، إلى جانب وضع الأحاديث والروايات الملفقة من قبل وعاظ السلطة، التي من شأنها أن ترفع من معاوية وتؤكد شرعية حكمه.

الإمام الحسن (ع) بعد وثيقة الصلح.

بعد توقيع الوثيقة، بقي الإمام الحسن (ع) في الكوفة أياما قليلة، والألم يعتصر قلبه للذي حصل، ثم تهيأ للسفر إلى مدينه جده رسول الله (ص)، وعندما تحرك موكبه الشريف، خرجت الكوفة برمتها، شيبا وشبابا، وهم يندبون حظهم العاثر، والأسى يعلو نفوسهم على ما آلت إليه الأمور، وما قد يصيبهم بعد أن تركهم إمامهم.

وقد بدأ معاوية بنقل دار الخلافة والقيادة العامة من الكوفة إلى دمشق، بعد أن دخل جيش معاوية الكوفة وشدّد قبضته عليها، وأثار الهلع في نفوس الناس، وصار من أمر الناس في الكوفة بعد رحيل الحسن (ع) إلى المدينه، أنه من كان يدهن السلطة وينافق يجزل له العطاء، ومن يعارض يقتل، ومن يشم منه ولاؤه إلى علي وأهل بيته عليهم السلام: يصرف عنه العطاء أو يسجن أو يقتل أو ينفى.

وما ان استقرت الدار بأبي محمد الحسن وأهل بيته (ع) في مدينه الرسول (ص): حتى أخذ يمارس مسؤولياته في خدمة الاسلام، ليقود السفينة إلى شاطئ السعادة والخير والهدى، حيث أنشأ مدرسة وقيادة فكرية كبرى لتكون محطة اشعاع للهدى، تهتدى الأمة من

١ - اعتمدنا في نقل كلام الإمام الحسن (ع) على كتاب (حياة الإمام الحسن) للقرشي ج ٢ ص ٢٧٧.

٢ - الكافي للكلييني ط ٢ ح ١٣٨٩ ج ٨ ص ٣٣٠.

(١١١)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٢)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٤)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، مدينه مكة المكرمة (١)، مدينه الكوفة (٥)، صلح (يوم) الحديبية (١)، مالك بن ضمره (١)، دمشق (١)، القتل (٤)، السفينة (١)

صفحة ١١٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١١٢

خلالها إلى صراط الله المستقيم ورسالته الخاتمة، ولقد كان لتلك المدرسة دور فعال في بلورة الذهنية العامة وإنقاذها من الانحراف والدسائس التي قادها معاوية و أذناؤه، لإفراغ الدين الإسلامي عن محتواه، وقد آتت مدرسة الإمام (ع) أكلها ضعفين، حين تخرج في أروقتها جهابذة العلماء والرواة، أمثال الحسن المثنى، والمسيب بن نجبة الفزاري، وسويد بن غفلة، والشعبي، والأصمغ بن نباته وأبي يحيى النخعي وغيرهم، وقد صار بمقدور الإمام الحسن ورجال الفكر الإسلامي الذين تخرجوا في مدرسته، أن يوجدوا أمة واعية سياسيا، ومعارضة للحكم الأموي البغيض.

ومما جاء في حديث حاشية معاوية له: إن الحسن قد أحيا أباه وذكره، قال فصدق، وأمر فأطيع، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسئ إلينا (١). وهذا الحديث على وجازته، يعتبر أخطر تقرير يقدم أقطاب البيت الأموي وقادته إلى ولي نعمتهم معاوية حول نشاط الإمام الحسن (ع)، فقولهم: خفقت النعال خلفه، لهو أصدق وأدق تعبير على أن الإمام (ع) قد أعد أمه من الناس، يسيرون خلفه ويجتمعون به، ويوضح لهم معالم الطريق القويم، وحقيقة الإسلام.

وكان آخر جرائم معاوية بحق الإمام الحسن (ع)، أن دس السم إليه من خلال زوجته جعدة بنت الأشعث، وأوصى الإمام الحسن (ع) وهو في مرضه الذي مات فيه، أن يدفن إلى جوار قبر جده رسول الله (ص)، إلا أن بنى أمية ووالى المدينة منعوا من ذلك!! (٢). فاضطر أهل البيت (ع) أن يدفنه في البقيع، إلى جنب أمه فاطمة الزهراء (ع).

وكانت شهادته (ع) في السابع من صفر أو الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة خمسين للهجرة، كما جاء في بعض الروايات. وهكذا رحل الامام السبط (ع) إلى ربه وهو في ميدان من ميادين الجهاد، من أجل الرسالة والدعوة المحمدية. الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع). ولادته وحياته.

بعد حول من ميلاد الحسن السبط (ع)، وفي اليوم الثالث من شهر شعبان المبارك، للسنة الرابعة من الهجرة، زفت البشرية إلى الرسول (ص) بميلاد الحسين (ع)، فأسرع إلى دار علي والزهراء (ع) فقال لأسماء بنت عميس: يا أسماء هاتي ابني فحملته إليه، وقد لف في خرقة بيضاء، فاستبشر (ص) وضمه إليه و أذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم وضعه في حجره، وبكى، فقالت أسماء: فداك أبي وأمي مم بكاؤك؟ قال (ص): من ابني هذا، قالت: إنه ولد الساعة، قال ص: يا أسماء، تقتله

١ - أهل البيت / توفيق أبو علم ص ٣٤٣، نقلا عن شرح النهج.

٢ - قال ابن أبي الحديد: قال أبو الفرج: دفن الحسن (ع) في قبر فاطمة بنت رسول الله (ص) في البقيع، وقد كان أوصى أن يدفن مع النبي (ص)، فمنع مروان بن الحكم من ذلك، وركبت بنو أمية في السلاح، وجعل مروان يقول: يا رب هيجا هي خير من دعة، راجع شرح نهج البلاغة ج ١٦ ص ٥٠.

(١١٢)

مفاتيح البحث: مولد الإمام الحسين (ع) (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابى طالب عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٤)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، مقبرة بقيع الغرقد (٢)، شهر شعبان المعظم (١)، شهر ربيع الأول (١)، الأصبغ بن نباتة (١)، أسماء بنت عميس (١)، بنو أمية (٢)، سويد بن غفلة (١)، مسيب بن نجبة (١)، القبر (٢)، المرض (١)، الأكل (١)، الموت (١)، القتل (١)، الشهادة (١)، الدفن (٣)، الوصية (٢)، الجنابة (١)، ابن أبي الحديد المعتزلي (١)، كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١)، مروان بن الحكم (١)، الفرج (١)

صفحة ١١٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١١٣

الفئة الباغيّة من بعدى، لا أنالهم الله شفاعتي!، ثم قال: يا أسماء، لا تخبرى فاطمة، فإنها حديثه عهد بولادته (١)، ثم إن الرسول (ص) قال لعلي (ع): أي شئ سميت ابني؟ فأجابه علي (ع): (ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله)، وهنا نزل الوحي المقدس على النبي (ص) حاملا اسم الوليد من الله تعالى.

وإذ تلقى الرسول (ص) أمر الله بتسميته وليده الميمون، التفت إلى علي (ع)، قائلاً:

سمه حسينا.

مر [الحسين (ع)] بمساكين وهم يأكلون كسرا لهم على كساء، فسلم عليهم، فدعوه إلى طعامهم، فجلس معهم، وقال: لولا أنه صدقة لأكلت معكم، ثم قال (ع): قوموا إلى منزلي، فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدرهم (٢).

عن شعيب بن عبد الرحمن قال: وجد على ظهر الحسين بن علي يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين (ع) عن ذلك فقال: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين (٣).

ارتكب غلام له ما يستوجب التأديب، فأراد تأديبه، فقال له الغلام: يا مولاي:

والكاظمين الغيظ، قال الامام: خلوا عنه. قال الغلام: والعافين عن الناس، فقال الامام: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي والله يحب المحسنين، قال (ع): وأنت حر لوجه الله، لك ضعف ما كنت أعطيك (٤).

هذه سجاياه (ع)، وهي غيظ من فيض، ولننظر ما في خصمه من خسة ودناءة وردالة.

موبات حاكم عصره.

قال البلاذري: كان ليزيد قرد يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك مما يصنع، وكان يحمله على أتان وخشبة ويرسله مع الخيل (٥).

قال ابن كثير:

روى أن يزيد كان قد اشتهر بالمعازف وشرب الخمر والغناء والصيد واتخاذ الغلمان والقيان والكلاب، والنطاح بين الكباش، والدباب والقروء، وما من يوم إلا- يصبح فيه مخمورا، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويلبس القرد قلانس الذهب، وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه، وقيل: إن سبب موته أنه حمل قرده وجعل ينقزها (٦) فعضته (٧).

١ - ذخائر العقبى ص ١١٩، ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٨٧ و ٨٨.

٢ - مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٦٦.

٣ - المصدر نفسه.

٤ - كشف الغمة للإربلي ج ٢ ص ٢٤٣.

٥ - أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ١ و ٢.

* - ينقز: يجعله يقفز أو يرقص.

٧ - البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ٢٣٦.

(١١٣)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٣)، شرب الخمر (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، يوم عاشوراء (١)، مدينة الكاظمين (١)، الحسين بن علي (١)، الموت (٢)، الغناء (١)، التصدق (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، كتاب انساب الأشراف للبلاذري (١)، كتاب البداية والنهاية (١)، كتاب مناقب آل أبي طالب عليه السلام (١)، كتاب ذخائر العقبى (١)

صفحة ١١٤

يقول المسعودي: وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب، وكان له قرد يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته وي طرح له متكأ، وكان قردا خبيثا، وكان يحمله على أتان وخشبة قد ريضت وذلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم الحلبه، فجاء في بعض الأيام سابقا، فتناول القصبه ودخل الحجره قبل الخيل، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشمر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من الألوان (١).

نماذج من شعارات الإمام الحسين: قبيل ثورته (ع).

ولم ينته الموقف إلى هذا الحد، حيث بدأت الحملة تشتد على أهل البيت (ع)، وعلى أتباعهم ومواليهم أيضا، فقد جاء في نص رسالة الإمام (ع):

لم أخرج أشرا ولا بطرا، ولا مفسدا ولا ظالما: وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله (ص)، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي (٢...٠٠٠) ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمه، معلى بالفسق، ومثلى لا يبايع مثله (٣...٠٠٠) وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص)، فإن السنة قد أميتت، والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي، أهدكم إلى سبيل الرشاد (٤).

أيها الناس، إن رسول الله (ص) قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله (ص)، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله: ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا عبادة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله (٥).

كان القرآن الكريم يؤكد أمرا لا بد منه، وهو اتباع سنة الرسول (ص) الشاملة لقوله وعمله ورضاه، والولاء المطلق للخلفاء الراشدين الهادين، الذين نص عليهم الرسول (ص) بأسمائهم، المطهرين من الرجس، عدول القرآن الكريم.

ولما لم يكن في صريح القرآن كل التعاليم التي تغطي حاجة المؤمنين، فكان لا بد من إحالتها إلى الاقتباس من سنة الرسول (ص) وأهل بيته الأطهار، أو صيائه وخلفائه، وكان لا بد للرسول (ص) من التأكيد على هذا الأمر بالنسبة إلى خلفائه الحقيقيين، طالما لم يتفقه أغلب المسلمين بجميع أبعاد الرسالة، لقصر فترة حياته (ص)، فقد ورث النبي (ص) علمه كله خلفائه الذين نص عليهم، وأكد على الرجوع إليهم في كل شاردة وواردة حول الكتاب

١ - مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٦٧.

٢ - مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٨٨.

٣ - مقتل الحسين لابن طاووس ص ١١.

٤ - مقتل الحسين للمقرم ص ١٤١ و ١٤٢.

٥ - المصدر نفسه.

(١١٤)

مفاتيح البحث: السنة النبوية الشريفة (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، شرب الخمر (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٨)، مدينة مكة المكرمة (١)، القرآن الكريم (٣)، القتل (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (٣)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)

والسنة، ولما آلت أمور المسلمين إلى أبي بكر بعد حادثه سقيفة بني ساعدة، انطلق الكثير من المسلمين آنذاك في اتباع كل من اعتلى مسند الخلافة، بغض النظر عن هويته و صدور النص عليه أو عدم صدوره، وصار المسلمون في دوامة من أمرهم بعد أن فقدوا رشدهم، مما أدى بهم إلى الخضوع في نهاية المطاف إلى حكام جور وظلمة متسلطين، همهم المال والجاه والكرسى، بعد أن وقفوا موقفا سلبيا من الإسلام والدعوة، وكانوا أعدى أعداء الرسالة المحمدية، وكان من أمرهم أن وضعوا الإسلام في جانب وأعادوا أمجاد الجاهلية، التي كانوا يفتخرون بها ويتجحون بها، وإذا بالمسلمين جميعا والمؤمنين من الصحابة والتابعين أمام معاوية الطليق ابن الطليق، ومن ثم ولده يزيد.

ولما كان الإمام الحسين (ع) الخليفة الحقيقي المنصوص عليه من قبل جده رسول الله (ص)، والمسؤول الأول - في عهده - عن صيانة الرسالة وحفظ الشريعة: كان عليه القيام بكامل مسؤولياته تجاه هذه الأوضاع المتردية التي حلت بعامة المسلمين: للحيلولة دون القضاء على الرسالة المحمدية: كان عليه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يصرخ في وجه الحكام الظلمة، ويقتلع جذور الظلم والجاهلية والتبعية العمياء لكثير من أبناء الأمة لكل من تسلط وجلس على منبر الخلافة.

وملحمة الطف العظيمة بكل أبعادها تعتبر من أعظم ما حفل به تاريخ الأمة الإسلامية، فلها ثقلها الكبير، وحجمها الضخم، وهي لم تظهر على الساحة مبالغته وبدون مقدمات ودون بواعث ومحركات، بل سبقتها - كما أسلفنا - عوامل كثيرة من حوادث وخطوب و شجون، أدت بالتالي إلى هذه الوثبة الفريدة، والتضحية الفذة، ووقوع هذه المجزرة الرهيبة الدامية.

إذن فالبواعث لنهضة الإمام الحسين (ع)، ومجزرة الطف كانت نتيجة ليوم تحول مجرى الحكم عن خط الرسالة، وانفصام عرى الإسلام آنذاك، وكان الذي يقلق الأمويين ويؤرقهم أن ينبري لملكهم العضوض، من يعكر عليهم صفو جوهم ويفوت عليهم الأمر، بعد أن عمت جرائمهم وانتشرت مخازيهم وورثوا عن معاوية بطانة السوء من ولاية وقضاة وقواد، وقد أحكم معاوية أمرهم كما أحكموا أمره.

وحقا كما قال الإمام الحسين: على الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد.

روى البلاذري قال: لما قتل الحسين (ع) كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أما بعد فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين، فكتب إليه يزيد: أما بعد يا أحمق فإننا جئنا إلى بيوت منجدة، وفرش ممهدة، ووسائل منضدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فأبوك أول من سن هذا، وابتز واستأثر بالحق على أهله. ومن الصور المعبرة لموقف الإمام الحسين (ع) من الحكام قبل نهضته المباركة:

١ - في جوابه [عليه السلام] للوليد بن عتبة والى المدينة حينما استدعاه لأخذ البيعة ليزيد، بعد هلاك معاوية: إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا يفتح الله، وبنا يختم، ويزيد رجل شارب الخمر، وقاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع

(١١٥)

مفاتيح البحث: نهضة الحسين عليه السلام (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، يوم عاشوراء (٢)، الدولة الأموية (١)، يزيد بن معاوية لعنه الله (١)، عبد الله بن عمر (١)، السقيفة (١)، الظلم (١)، القتل (١)، الطواف، الطوف، الطائفة (١)

صفحة ١١٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١١٦

مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينما أحق بالخلافة (١).

٢ - جوابه لمروان حينما نصحه بأن في بيعه يزيد خير الدنيا والآخرة، فاسترجع الامام وقال: على الاسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد... الخ (٢).

٣ - وفي جوابه لأخيه محمد بن الحنفية: يا أخي، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية (٣).

٤ - وهذه وصيته المكتوبة لأخيه محمد بن الحنفية:..

...وإني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا مفسدا، ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص)، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي (ص) و أبي علي بن أبي طالب (ع)، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا، أصبر حتى يقضى الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين (٤).

٥ - وهذه رسالته [الشريفة] [إلى رؤساء الأخماس بالبصرة:..

...ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص)، فإن السنة قد أميتت، والبدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي أهدكم إلى سبيل الرشاد (٥).

٦ - جوابه لرسائل أهل الكوفة [بيد رسوله وابن عمه] [مسلم بن عقيل (ع):

...فإن كتب أنه قد اجتمع رأي ملئكم، وذوى الفضل والحجى منكم، على مثل ما قدمت على به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الامام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله (٦).

٧ - وهذا خطابه التاريخي العام في المسجد الحرام، وقد كانت مكة مجمع الناس يومذاك، فقام الامام فيهم خطيبا مصرحا بدعوته وغايته ومصيره قبل رحيله إلى العراق.

...الحمد لله، وما شاء الله ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لى مصرع أنا لاقية، كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس و كربلاء، فيمألن منى أكراشا جوفاء وأجرية سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم... إلى أن قال: ألا ومن كان فينا باذلا مهجته، مواظبا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنى راحل مصبحا إن شاء الله.

تنبؤات باستشهاد الحسين (ع).

١ - خبر رأس الجالوت.

روى الطبرى، والبلاذرى، وابن سعد، واللفظ للأول، عن رأس الجالوت عن أبيه قال:

ما مررت بكربلاء، إلا وأنا أركض دابتي حتى أخلف المكان، قال: قلت: ولم؟ قال:

كنا

١ - أنظر مقتل الحسين للمقرم ص ١٣٩.

٢ - المصدر نفسه ص ١٤٢.

٣ - المصدر نفسه ص ١٤٦.

٤ - المصدر نفسه ص ١٥١.

٥ - المصدر نفسه ص ١٥٤.

٦ - المصدر نفسه ص ١٦٠.

(١١٦)

مفاتيح البحث: السنة النبوية الشريفة (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي

طالب عليهما السلام (١)، مسلم بن عقيل عليه السلام (١)، دولة العراق (١)، مدينة كربلاء المقدسة (٢)، محمد بن الحنفية ابن الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، مسجد الحرام (١)، الصلاة (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (١)

صفحة ١١٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١١٧

نتحدث أن ولد نبى مقتول فى ذلك المكان، وكنت أخاف أن أكون أنا، فلما قتل الحسين قلنا: هذا الذى كنا نتحدث، وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض (١).

٢ - حديث أسماء بنت عميس:..

عن على بن الحسين (ع) قال: حدثتني أسماء بنت عميس قالت...: فلما ولد الحسين فجاءني النبي (ص) فقال: يا أسماء، هات ابني فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم وضعه في حجره وبكى، قالت أسماء: فقلت فداك أبي وأمي مم بكاؤك؟ قال: على ابني هذا، قلت: إنه ولد الساعة، قال: يا أسماء، تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي، ثم قال: يا أسماء، لا تخبرى فاطمة بهذا، فإنها قريبة عهد بولادته (٢).

٣ - رواية زينب بنت جحش في بيتها:..

فى تاريخ ابن عساکر، ومجمع الزوائد وابن كثير وغيرها، واللفظ للأول عن زينب [بنت جحش]، قالت: بينا رسول الله (ص) فى بيتي وحسين عندي حين درج فغفلت عنه، فدخل على رسول الله (ص) فقال: دعيه... إلى قولها ثم قام فصلى، فلما قام احتضنه إليه، فإذا ركع أو جلس وضعه ثم جلس فبكى ثم مد يده، فقلت حين قضى الصلاة: يا رسول الله أرانى رأيتك اليوم صنعت شيئا ما رأيتك تصنعه؟ قال: إن جبريل أتانى فأخبرنى، أن هذا تقتله أمتى، فقلت: فأرنى تربته، فأتانى بتربة حمراء (٣).

٤ - رواية أم سلمة:..

عنه صالح بن أربد، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت، قال رسول الله (ص): إجلسى بالباب، ولا يلجن على أحد، فقامت بالباب، إذ جاء الحسين رضى الله عنه فذهبت أتناوله فسبقنى الغلام فدخل على جده، فقلت: يا نبى الله جعلنى الله فداك أمرتنى أن لا يلج عليك أحد، وإن ابنك جاء فذهبت أتناوله فسبقنى، فلما طال ذلك تطلعت من الباب فوجدتك تقلب بكفيك شيئا ودموعك تسيل، والصبي على بطنك!.

قال: نعم أتانى جبريل (ع) فأخبرنى: أن أمتى يقتلونه، وأتانى بالتربة التى يقتل عليها، فهى التى أقلب بكفى (٤).

٥ - رواية عائشة:..

١ - راجع تاريخ الطبرى ط أوربا ج ٢ (ص) ٢٨٧، وترجمة الإمام الحسين بمعجم الطبرانى الكبير، تأليف أبى القاسم سليمان بن أحمد ج ٦١ ص ١٢٨.

٢ - مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٨٧، وذخائر العقبى ١١٩، ولعل الصحيح غير أسماء بنت عميس - سلمى بنت عميس زوجة حمزة سيد الشهداء - ترجمتها بأسد الغابة ج ٥ ص ٤٧٩.

٣ - تاريخ ابن عساکر ح ٦٢٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٨، وكنز العمال ج ١٣ ص ١١٢، وأشار إليه ابن كثير بتأريخه ج ٨ ص ١٩٩.

٤ - ترجمة الحسين فى المعجم الكبير للطبرانى ج ٥٤ ص ١٢٤، وطبقات ابن سعد ح ٢٦٨، ومقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٥٨، وكنز العمال ج ١٦ ص ٢٢٦.

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (٢)، ابن عساكر (٢)، أسماء بنت عميس (٢)، زينب بنت جحش (١)، القتل (١)، الفدية، الفداء (٢)، الصلاة (٢)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (١)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، كتاب ذخائر العقبى (١)، الطبراني (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)، سليمان بن أحمد (١)، الخوارزمي (١)، الزوج، الزواج (١)، الشهادة (١)

صفحة ١١٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١١٨

وفي طبقات ابن سعد عن عائشة، قالت: بينا رسول الله (ص) راقد إذ جاء الحسين يحو إليه، فنحيت عنه ثم قمت لبعض أمري، فدنا منه فاستيقظ يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال:

إن جبريل أرانى التربة التى يقتل عليها الحسين، فاشتد غضب الله على من يسفك دمه، وبسط يده، فإذا فيها قبضة من بطحاء فقال: يا عائشة، والذى نفسى بيده إنه ليحزننى، ... الحديث (١).

٦ - رواية ابن عباس:.

فى مقتل الخوارزمي: عن أبى الضحى، عن ابن عباس قال: ما كنا نشك أهل البيت - وهم متوافرون - أن الحسين بن على يقتل بالطف (٢) ٧ - عن ابن عباس، قال: أوحى الله تعالى: يا محمد، إنى قد قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفا، وإنى قاتل بابتك سبعين ألفا، وسبعين ألفا (٣).

٨ - فى مقتل الخوارزمي:.

إن أمير المؤمنين عليا (ع) لما سار إلى صفين نزل بكربلاء وقال لابن عباس: أتدرى ما هذه البقعة؟ قال: لا، قال: لو عرفتها لبكيت بكائى، ثم بكى بكاء شديدا، ثم قال:

مالى ولآل أبى سفيان؟ ثم التفت إلى الحسين وقال: صبرا يا بنى، فقد لقي أبوك منهم مثل الذى تلقى بعده (٤).

سبب استشهاد الإمام الحسين عليه السلام:.

ينبغى أن نبحت فى هذا المقام فى أمرين، هما:

الأول: الإمام الحسين، لماذا اختار طريق الشهادة؟

الثانى: قاتل الإمام الحسين، لماذا أقدم على قتله؟

يه عفوا (٥).

روى الطبرى: بويح ليزيد بالخلافة بعد وفاة أبيه، ولم يكن ليزيد همه حين ولى - إلا بيعه النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة إلى بيعه يزيد ...، فكتب إلى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة، يخبره بموت معاوية، وكتب إليه فى صحيفة كأنها أذن فأرة: أما بعد، فخذ حسينا وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذنا شديدا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام.

فأشار عليه مروان أن يبعث إليهم فى تلك الساعة ويدعوهم إلى البيعة والدخول فى الطاعة، فإن فعلوا قبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا قدمهم فضرب أعناقهم، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل منهم فى جانب وأظهر الخلاف والمنازعة، ودعا إلى نفسه، عدا ابن عمر، فإنه لا يرى القتال إلا أن يدفع الأمر إل

١ - راجع طبقات ابن سعد، وتارى.

٢ - مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٦٠ / ٣ - تاريخ ابن عساکر ح ٦٨٤، وتهذيبه ج ٤ ص ٣٤٢، وأمالی الشجری ص ١٦، ٣٢.

٤ - مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٦٢.

٥ - باب خلافة يزيد بن معاوية ج ٦ ص ١٨٨.

(١١٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، يوم عاشوراء (١)، عبد الله بن عباس (٤)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، عبد الله بن الزبير (١)، يحيى بن زكريا (١)، عبد الله بن عمر (١)، الحسين بن علي (١)، الخوارزمي (٤)، البكاء (١)، القتل (١٠)، الشهادة (٢)، البعث، الإنبعث (١)، العفو (١)، الوفاة (١)، كتاب أمالي الصدوق (١)، ابن عساکر (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)

صفحة ١١٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١١٩

فأرسل الوليد عبد الله بن عمرو بن عثمان إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما، فوجدهما في المسجد فدعاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس. فقالوا: انصرف، الآن تأتيه، فقال الحسين لابن الزبير: أرى طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفسوا في الناس الخبر، فقال: وأنا ما أظن غيره، فقام الحسين (ع) وجمع إليه مواليه وأهل بيته، وسار إلى باب الوليد وقال لهم: إنني داخل، فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فافتحموا علي، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم، فدخل على الوليد ومروان جالس عنده، فأقرأه الوليد الكتاب ودعا إلى البيعة، فاسترجع الحسين وقال: إن مثلي لا يعطى بيعته سرا، ولا أراك تجتزئ بها مني سرا، دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية، قال: أجل، قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس، فكان أمرا واحدا، فقال له الوليد وكان يحب العافية -: انصرف على اسم الله، فقال له مروان: والله لئن فارقتك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها، حتى تكثر القتلى بينكم وبينه: إحبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين، فقال: يا بن الزرقاء أنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت (١).

إذن فالإمام الحسين (ع) رجل عقائدي وصاحب مبدأ وحامل رسالة، وهو على استعداد للتضحية والبذل والفداء من أجل إعلاء كلمة الله، وقد تجسد هذا المفهوم في منهج الحسين، فهو سبط الرسول الأكرم (ص) الذي عرض عليه المشركون الدنيا بأبعادها، قائلين لأبي طالب عمه وناصره، مؤمن قريش: قل لابن أخيك إن كان يريد مالا أعطيناها مالا لم يكن لأحد من قريش، وإن كان يريد ملكا توجناه على العرب... الخ، فما كان من النبي (ص) إلا أن رد برباطه جأش وعزيمة لا تلين على مقارعة الكفار، وإقامه حكم الله في الأرض، وإيمان بالله: يا عماء، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه: ما تركته (٢).

وهل أبوه إلا - علي بن أبي طالب الفدائي الأول للإسلام ولنبيه محمد (ص) في كل الحروب والمواطن؟ أو ليس عمه جعفر الطيار الذي نصر الإسلام بكل ما يملك وحمزة سيد الشهداء؟

فالحسين ينطلق من مفهوم جده وأبيه وأعمامه الخيرين: إذ رأى أنه لا بد أن يفك الخناق الذي فرضه الأمويون على الإسلام، وأن يغذي شجرة الإسلام التي كادت أن تنضب وتجف.

جدير بالذكر أنه التزم بمواقف أخيه الحسن مدة إمامته، لأن الحسين ممن تجب عليه طاعته والانقياد له، لما هو من الثابت أن الإمام إنما يتصرف حسب المصالح اللازمة، وطبقا للموازين الشرعية التي تمليها عليه الظروف، وقد استغل معاوية، حلم الإمام الحسن (ع)، ليتماذى في غيه وتجاوزاته وتعديه على كل القيم الإسلامية، فخطط لموبقاته خططا جهنمية، أدت نتائجها إلى هدم كيان الإسلام

واجتثا قواعده، فبدأ بتحريف الحقائق ونشر البدع، ومنع الحديث النبوي، وإبطال السنّة وأخزى نفسه بمخالفته كثيرا من بنود

١ - الطبري ج ٦ ص ١٨٨ - ١٩٠.

٢ - أنظر الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٤٣.

(١١٩)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، علي بن أبي طالب (١)، عبد الله بن عمرو (١)، السجود (١)، القتل (١)، الإقامة (١)، الهلاك (١)، الشهادة (١)، الإبداع، البدعة (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)

صفحة ١٢٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢٠

الصلح مع الإمام الحسن (ع)، ونقضه العهد، وكان من أخطر ما قام به هو الفتك بالصلحاء من الشيعة، الذين كانوا يتصدون لمنكره، وللأحاديث الموضوعة التي كان يذيعها على أسنّة ولاته ووعاظ بلاطه.

إذن كانت المواقف الأخيرة التي وقفها الإمام الحسين (ع)، في وجه معاوية (ومن ثم ولده يزيد): تعتبر تبشير التحرك المضاد لعملية تنصيبه يزيد خليفة، وإلزامه الناس بالبيعة له، لا ريب أن إنكار الحسين (ع) لمسألة البيعة، وخروجه من مدينة الرسول (ص) إلى مكة متخفيا: لم يرض الدولة ولا- أجهزتها، لذلك عزموا على محاولة اغتيال الحسين في مكة - على اعتباره الخطر الأول والأعظم في المعارضة على الأمويين، وقد جاء في بعض المصادر: إن يزيد بث من يغتاله ولو كان متعلقا بأستار الكعبة!! لذلك عرج الحسين إلى أرض العراق: لئلا يجر إلى المواجهة المسلحة مع رجال الدولة في منطقة الحرم، ذلك الأمر الذي لا يريده الحسين (ع)، بل يربأ بنفسه أن يقع فيه، ولا بد أن عيون بني أمية كانت تلاحق الحسين وتراقب تحركاته، في محاولة لصدّه عن ما يريد، وهو توجهه إلى الكوفة في العراق، التي تعتبر بنظر الأمويين قاعدة مهمة، للمعارضة الشيعية المتوترة من البيت الأموي، فقد صمم الحسين (ع) على التوجه إلى الكوفة، ولم تنه العراقيل التي وضعت في طريقه، ولم تشبه الاحتمالات، بل سار يسوقه الواجب الإلهي المفروض عليه، لكونه إماما للأمة، يجب عليه القيام بتلبية نداءها، لإتمام الحجّة الظاهرة.

وأما المصير الغيبي المجهول، فكان يعلمه وينظره بمنتهى الايمان بالله وقدره، ليس هذا فقط، بل كل من سمع جده النبي (ص) يتحدث عن كربلاء، أو شاهده وشاهد أباه عليا (ع) وهما يشمان تربتها ويتناولانها ويتعاطيانها ويستودعانها: كان يعلم بما تؤول إليه نهضة الحسين المباركة عليه السلام، وكان هذا المصير هو الدافع والقدر الإلهي الذي دفع الإمام الحسين إلى ذلك بكل ثبات، وغريب أمر أولئك الذين ينظرون إلى الموقف من زاوية المظاهر الحاضرة، ويحذفون من حساباتهم الأمور غير المنظورة، ويريدون أن يلقوا الكثير من علامات الاستفهام على حركته (ع) وخروجه إلى العراق ونهضته، على أساس أنه إمام عالم بالمصير، بل لا بد أن يعرف كل شيء من خلال الغيب!

فكيف يقدم على ما أقدم عليه وهو عالم بما يحدث؟!.

والجواب، إن الإمام الحسين (ع) لو عمل طبقا لما يعلمه من أبناء الغيب التي علمها إياه جده رسول الله (ص)، لعاب عليه كل من يسمع الأخبار ويرى مجريات الأمور ويقرأ التاريخ.

إنه ترك دعوة الأمة له في التظاهر بالولاء ليزيد والطاعة له والمضى سرا في الوقوف بوجه حكام الجور، واستئصال شأفتهم، وذلك من خلال آلاف الكتب والعهود التي وصلته منهم، استنادا إلى احتمالات الخيانة والتخاذل، التي لم تظهر بوادرها إلا بالتخمين، حسب ماضي أهل الكوفة، وسيرتهم مع أبيه الإمام علي (ع)، وأخيه الإمام الحسن (ع).

فلو أطاع الإمام الحسين (ع) أولئك الناصحين له بعدم الخروج: لكان مطيعاً لمن لم تجب عليه طاعتهم، وتاركا لنجدة من تجب عليه نجدتهم.

ورغم كل ذلك، فإن الواجب الإلهي المحتم عليه، يحدد مسيرته ويرسم له الخطط للقيام (١٢٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٦)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، الدولة الأموية (٢)، دولة العراق (٤)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، مدينة الكوفة (٣)، الأحاديث الموضوعية (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، بنو أمية (١)، السلاح (١)

صفحة ١٢١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢١
بأمر الأمة، فإذا تمت الحجّة بوجود الناصر، كان هذا دافعه الأول، والأساس على الإقدام، دون الاحجام على أساس الاحتمالات والتوقعات الظاهرية.

ومن نافلة القول، إن الذين لديهم مكانة اجتماعية مرموقة، ويرون في أنفسهم المؤهلات والإمكانات التي يمكن أن تدفعهم نحو الزعامة والقيادة، كثيرا ما يتخذون سلوكا ملتويا، وهو مسايرة السلطة القائمة، وغض الطرف عن زلات وعبث الحكم القائم ومحاباته، وإظهار الليونة والتسلل خلسة، ومن ثم التسلق إلى المراكز الحساسة في السلطة: ليتحينوا الفرصة التي تسمح لهم بالانقضاض على سدة الحكم وقيادة المجتمع، وبشهادة التاريخ، لو أن الإمام عليه السلام كان قد حابى الحكام الأمويين في بداية الأمر، لما كانوا يتركونه فحسب، بل كانوا مستعدين لمنحه منصبا ومقاما رفيعا، لسكوته وإعراضه عما يجري، ولو كان الإمام (ع) طالبا للرئاسة والحكم - سواء عن طريق التدرج في المناصب أو عن طريق الثورة - لكان عليه أن يسالم الحكام أو، لا أن يعبر عن رفضه أمام الملأ، وبثبات وصلابة، رغم تحذيرات محبيه والكثير من الوجوه المعروفة آنذاك له بضرورة مبايعة يزيد وتجنب إراقة الدماء.

ولو كان الدافع الحقيقي للإمام (ع) هو طلب الحكم والرئاسة، فماذا يعنى المكوث في كربلاء وإبداء التصلب أزاء مختلف المقترحات التي قدمت له؟ ولو كان أصحاب الحسين (ع) قد جاؤوا من أجل حياة أفضل، ومن أجل نيل الحكم، فلماذا لم يتركوا الحسين ليلة عاشوراء، بعد أن شاهدوا الموت بأعينهم؟.

إن مصيبة الإمام الحسين (ع) تكمن في ارتقاء منبر رسول الله (ص) من لم يكن يؤمن به، إن مصيبة الامام تكمن في تفشى المنكر والظلم، وضياح شريعة جده رسول الله (ص)، إن مصيبة الإمام (ع) تتمثل في أن المقدسات الاسلامية قد سحقت، وقد اكتسبت الممارسات الوضيعة صفة قانونية، وباتت أمرا طبيعيا لدى الحكام الأمويين، ولم تلق أية معارضة تذكر من الكثير من الصحابة، لدواع كثيرة.

وإن الحسين (ع) لم يمض طالبا الكوفة إلا بعد توثق من القوم، وعهود وعقود، وبعد أن كاتبوه طائعين غير مكرهين، ومبتدئين غير مجيبين، وقد كانت المكاتبات ترده من وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرائها، وقد وردته أيام حكم معاوية، وبعد الصلح الذي جرى بين الإمام الحسن (ع) ومعاوية، وكذلك بعد وفاة الإمام الحسن (ع).

وبمجرد انتشار خبر وصول الإمام الحسين (ع) مكة المكرمة لدى أهل الكوفة، فقد أقيمت اجتماعات سرية لكبار شيعته ومحبيه، وكان سليمان بن صرد الخزاعي صاحب هذه الفكرة وهذا الحشد الكبير من الشيعة، وهذا الرجل معروف بورعه وحبه لأهل البيت (ع)، و معارضته للبيت الأموي.

وكانت الكوفة ككتلة من النار المتوقدة غضبا من تسلط الأمويين على رقاب الناس، وإماتتهم للدين، ومحققهم لكل القيم الإنسانية، ومتلهفة غبطة وسرورا لمقدم أبي عبد الله (ع) ونصرتهم له، وقد أرسلوا الكثير من الرسائل يدعونه إلى الإسراع في القدوم إليهم. فما كان الإمام (ع) إلا أن أرسل سفيره وابن عمه ومؤتمنه مسلم بن عقيل، لعلمه بكفاءةه و (١٢١)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٣)، مسلم بن عقيل عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، يوم عاشوراء (١)، الدولة الأموية (٣)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، سليمان بن صرد الخزاعي (١)، مدينة الكوفة (٤)، صلح (يوم) الحديبية (١)، البيعة (١)، الموت (٢)، الوفاة (١)

صفحة ١٢٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢٢
إيمانه وشجاعته وشخصيته، فقد غادر مكة المكرمة يوم الرابع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٦٠ للهجرة، قاصدا الكوفة، وسلمه كتابا منه إلى أهل الكوفة، وكتب فيه إليهم:.

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى الملاء من المسلمين، أما بعد، فإن هانيا وسعيدا قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكّرتم، ومقاله جلّكم أنه ليس علينا امام فأقبل لعل الله يجمعنا بك علي الهدى، وأنا باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إلي أنه قد أجمع رأي أحداثكم وذوي الفضل منكم، علي مثل ما قدمت به رسلكم وتواترت به كتبكم، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله، ولعمري ما الامام إلا الحاكم القائم بالقسط، الدائن بدين الله، الحابس نفسه علي ذات الله (١).

ولما وصل سفير الحسين (ع)، مسلم بن عقيل، (ع) الكوفة: اجتمع إليه كبار الشيعة، وبايعوه فور معرفتهم بكتابه (ع)، واستقبلوه استقبالا لم يعهد من قبل مثله، وأخذ عدد المبايعين يزداد يوما بعد آخر، وبسبب الأوضاع الطارئة وانقلابها علي يزيد و حكمه، وتصاعد الغليان في الكوفة: فقد كتبت رسالتان: إحداهما للحسين بن علي (ع)، والأخرى ليزيد بن معاوية.

فقد كتب مسلم بن عقيل إلى الحسين (ع) يدعوه بالتعجيل في القدوم: أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفا، فعجل حين يأتيك كتابي.

فيما كتب أعوان يزيد: أما بعد فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة وبايعته الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك الكوفة حاجة فابعث إليها رجلا قويا، ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف، وأصبحت هاتان الرسالتان سببا لإجراءين.

فالرسالة الأولى لمسلم بن عقيل (ع) قد شخصت طريق الحسين (ع)، وحسنت قراره، وأعدت المقدمات لحركته (ع) نحو الكوفة: حيث أن التحرك في ذلك الوقت بالذات ومن مكة المكرمة، تلك البقعة التي يقصدها الناس من أقصى البلاد الإسلامية، للظفر بذلك الموسم المقدس، غير معهود أبدا، ويشير الدهشة فيما لو قام به مسلم عادي، ناهيك عن ابن رسول الله (ص).

لذلك فقد انتشر خبر رحيل الامام من مكة المكرمة وتوجهه إلى العراق في غضون برهة و جيزة من الوقت، وأصبح حديث الساعة، فأينما اجتمع نفر من الناس كان حديثهم عن هذا التحرك المفاجئ وأسبابه، وقد عرف أهل مكة فيما بعد، أن الحسين (ع) - بتركة المدينة حال موت معاوية، ومن ثم ترك مكة أثناء الموسم - أنه (ع) لا يعترف بحكومة يزيد، وقد خشى علي نفسه هنا: حفاظا علي حرمة بيت الله لئلا تنتهك، وكذلك علمهم بتصميم يزيد علي قتل الحسين في مكة، ولو كان معلقا بأستار الكعبة!!

١ - راجع المناقب ص ٨٩.

(١٢٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٥)، مسلم بن عقيل عليه السلام (٤)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، دولة العراق (١)، مدينة مكة المكرمة (٦)، مدينة الكوفة (٨)، شهر رمضان المبارك (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، النعمان بن بشير (١)، الحسين بن علي (١)، القتل (١)

صفحة ١٢٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢٣

وأما الرسالة الثانية: فقد تسببت في عزل والي الكوفة السابق، النعمان بن بشير، و تعيين آخر محله، وهو عبيد الله بن زياد - المعروف بقسوته وبطشه بشيعة علي بن أبي طالب (ع)، وولائه المطلق للحكم الأموي، ناهيك عن ماضيه الأسود -، وترقيته إلى رتبة أعلى، فقد نال الولاياتين، إذ أصبح واليا على الكوفة، إضافة إلى ولاية البصرة.

ولما كان ابن زياد يعرف أن الكوفة تعيش حالة الهيجان والترقب والانتظار للإمام الحسين (ع)، وقد احتشد الناس في المسجد معلنين ولاءهم ويعتهم للحسين عند سفيره مسلم بن عقيل عليهما السلام، فقد كان لزاما عليه أن يدخلها متكررا، لكي لا يعلم به أحد من الشيعة، وجاء بفكرة شيطانية غادرة، بأنه إتخذ لنفسه هيئة جديدة، وتنقب وارتدى بزى أشرف بنى هاشم، لإيهام الناس والجموع المحتشدة لاستقبال ابن بنت رسول الله (ص) بأن القادم هو الحسين (ع)، وليبدأ بتنفيذ خطته الآتية:

فعلى مشارف المدينة أوعز إلى أعوانه بأن يتجهروا وينادوا بأعلى أصواتهم، و يعرفوه على أنه الحسين بن علي ويرحبوا به، وقد نجحت خطته الخسيسة هذه في انتحال صفة وشخص الإمام الحسين (ع)، فكان كلما يتقدم نحو المدينة ترداد الجموع عددا، وقد ظن الناس أنهم يستقبلون الحسين (ع)، وأخذت الكوفة بالتحرك شيئا فشيئا، فدخل ابن زياد المدينة دون أن يتحدث إلى أحد من الناس أو يزيل النقاب عن وجهه، وتوجه نحو دار الإمارة مباشرة، وقد ظن الناس أنه هو الحسين الذي قصد مقر الأمير، ويريد أن ينهي أمر والي الأمويين حينذاك النعمان بن بشير، وقد كان غضب الأمة على الأجهزة التابعة لحكومة يزيد بنحو كأنهم كانوا يريدون اقتلاع قصر الإمارة، وتحصن ابن زياد في القصر، وأوعز بأن تغلق جميع الأبواب، وقد تأكد من محبة الناس الشديدة لإمامهم، واشمئزازهم من أتباع يزيد: ليعمل بما ينسجم مع هذا الحب والاشمئزاز في سياسته اللاحقة.

ولما تبين للناس حجم المكيدة والخطأ التي جاء بها ابن زياد وظهوره المفاجئ، اعتراهم الذهول والحيرة جراء هذا المشهد والخطأ الوضيعة التي أخذوا فيها على حين غرة، فتفرقوا بعدها، وقد دب الوهن فيهم.

وأول شئ اتخذته هذا الطاغية هو دخول المسجد وأمره الناس بالصلاة جامعة، وقد أفصح عن نيته والأمر الذي دعاه إلى التوجه إلى الكوفة، ونزل من المنبر وأمر بإحضار الشخصيات البارزة، ودعا من لديهم معرفة بأحوال الناس، وتشدد عليهم بإحضار كل من يعرف بمعارضته للنظام، وموافاته بمن يوافق النظام، وأخذ العهود والمواثيق منهم بعدم معارضة أي من أبناء عشيرتهم للنظام، وقال: ليعرف كل من خالف بأننا سنأخذ الولي بالولي.

ومن الخطط التي ابتدعها عبيد الله بن زياد - وهي ما لم تكن مألوفة في السابق - استحداث منظمة رهيبة تأخذ على عاتقها التسلل إلى صفوف المعارضين: لاستلال الأخبار منهم، وإشاعة الأخبار التي من شأنها الحد من فورة المنتفضين، وإحباط معنوياتهم، والتحرك الحثيث على بعض الوجوه لاستمالتهم إلى نظام الحكم، أو على أقل تقدير تحييدهم، فقد دعا معقلا- غلامه، وأعطاه ثلاثة آلاف درهم، وأمره أن يلتقي مسلما أو أحد أنصاره، على أنه

(١٢٣)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٤)، مسلم بن عقيل عليه السلام (١)، الدولة الأموية (١)، مدينة الكوفة (٥)، عيد الله بن زياد لعنه الله (٢)، النعمان بن بشير (٢)، مدينة البصرة (١)، الحسين بن علي (١)، بنو هاشم (١)، الإبداع، البدعة (١)، السجود (٢)، الظن (١)، الشهادة (١)

صفحة ١٢٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢٤

رجل من أهل الشام وأن يعطيه هذا المبلغ ليستعينوا به على عدوهم - ابن زياد - وأمره بأن يوجههم بولائه لأهل البيت (ع)، وتطيره من البيت الأموي، وأن يتسلل إلى خلائهم ليعرف أحوالهم، سيما أحوال مسلم وأصحابه.

وفعلا- فقد مضى هذا الجاسوس بتدبير متقن، وتمكن من معرفة الكثير عن المجتمعين، وأفلح في الإيقاع بالكثير منهم، ومن ثم إجهاض حركة الناس، وتمزيق وحدتهم، ولا يخفى، فقد كانت تلوح في الأفق أمور عدة للسيطرة على الأوضاع، وإضعاف حماس الناس، ولقد جاء القدر بما لم يكن في الحسبان، ويقع ما لم يكن متوقعا من سوء الوضع و سرعة التحول، بهذه الصورة المفاجئة، وأمام هذه المفاجأة الغريبة والمفجعة، يقف الإنسان متسائلا: كيف استطاع ابن زياد السيطرة على الموقف، وإخماد ذلك الهياج الذي غمر الكوفة ضد سلطان الأمويين الغاشم؟ وكيف أصبح البلد بعد ذلك الوضع الثوري يستسلم ويفقد كل إمكانياته ومستلزمات نهضته؟ في الوقت الذي كان مسلم بن عقيل (ع) تسانده جبهة قوية تضم أجمع الشخصيات العربية - وهو سفير الحسين (ع) وممثله - فكيف انهارت الجبهة؟ وأين الزعماء الذين ساندوه، ليصبح وحيدا فريدا، يبحث عن ملجأ يؤويه في ذلك البلد الذي بايعه فيه ثمانية عشر ألفا؟

ويبدو الجواب واضحا، وتأمل وإلقاء نظرة فاحصة مجردة، على كل عوامل الانحراف عن المسيرة الحقة. فنلقى الأضواء على مجتمع الكوفة، لتتعرف على العناصر المختلفة فيه، والآراء المتفرقة بين أهلها، والقوميات المتعددة، والمتناحرة، والعصبيات القبلية التي تحكمت في ذلك المجتمع، فنقول:..

إن ابن زياد لم يدخل بلدا متماسك القوى، متحد الاتجاه، متفقا في الآراء، فضلا عن وجود أهل الأديان المختلفة فيها، والمذاهب المتفرقة، وكانت الكوفة مرتعا خصبا لدسائس اليهود الذين سكنوها أيام الفتح، والتحق بهم من أجلاهم عمر بن الخطاب من المدينة، وفيها أيضا للخوارج مركز اجتماعي ولهم ثقلهم في ذلك البلد، وقد انضم الخوارج إلى شيعة الحسين (ع)، لاتحاد الهدف في بغض الأمويين، واشتركوا في مراسلة الحسين، وعند قدوم ابن زياد استسلموا بدافع الخوف من بطشه، ولضعف عقيدتهم وخواتمها فرجحت كفه ابن زياد باستعماله خطة إرهابية للقضاء على المعارضة وإجهاضها.

وإلى جانب ذلك فقد عمد ابن زياد إلى البطش والإرهاب، وإنزال أقسى العقوبات، ونشر الدعايات في البلد، حتى بلغت حد الأساطير: لغرض السيطرة على الأوضاع وتفتيت معنوية الناس.

وكانت الكوفة مركزا لتجمع القوميات كما أسلفنا، فقد كان فيها بقية الفرس الذين زال ملكهم عن العراق، والنبط الذين كانوا تحت سيطرة الفرس، فضلا عن اليهود والصابئة والنصارى، والأمر الذي لاشك فيه ولا خلاف حوله، هو أن الوضع في الكوفة كان يتسم بالقبلية والعشائرية، تسوده العصبيات كما قال شوقي منيف في كتاب التصور والتجديد في الشعر الأموي ...: وتمضى الحياة في الكوفة قبلية، كما بدأ فيها الإحساس بالقبلية، وفيها

(١٢٤)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، مسلم بن عقيل عليه السلام (١)، الدولة الأموية (٢)، دولة العراق (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، مدينة الكوفة (٦)، الشام (١)، الخوارج (٢)، الخوف

(١)، الهدف (١)

صفحة ١٢٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢٥
 غلبت روح القبلى على كل شىء، ومن هنا غلب على الحياة فيها [الكوفة] طابع الجاهلية (١).
 وعلى هذا فالكوفة كانت [تتصف بطابع الخلافات، لضعف الروابط بين أهلها، واختلاف العناصر والقوميات، و تحكم العصبية الجاهلية.

وحسبى من البيان ما قدمت فى هذا العرض، لإعطاء صورة عن مجتمع الكوفة فقد رسم لنا المؤرخون لها صورة تمثل التقلبات، ووسموها بطابع الغدر والنفاق والخيانة، وجعلوا ذلك وسيلة للتعن فى الشيعة، بعد أن أهملوا كل جانب من جوانبها الاجتماعية، ولم يلتفتوا إلى العوامل المهمة التى أدت بمجتمع الكوفة إلى انحلال الروابط، وازدياد الفتن والفوضى، وتباين الاتجاهات.
 وعليه: فإن الكوفة لم تكن شيعية محضة، ولم تكن نزعتها العامة نزعة علوية، وإن ذلك الإطلاق فى التسمية جاء متأخرا عن ذلك العصر، يوم اشتد الصراع العقائدى بين المذاهب، واستطاعت السياسة أن تفصل الشيعة عن المجتمع الإسلامى، وسار بعض علماء الحديث والفقهاء فى ركاب الدولة، فمنعوا قبول رواية الشيعى: لأنه مبتدع - كما يقولون - وقسموا الشيعى إلى معتدل، ومخترق، ورافضى (٢).

وكان إلحاح أهل الكوفة على الحسين (ع) بالقدوم إليهم، هو غاية ما يصبو إليه ذلك البلد، وكانت قد لاحت فى الأفق علائم النصر على الأمويين إثر ورود كتاب سفيره ورائده مسلم بن عقيل (ع)، فضلا عن كتب أهل الكوفة ورسلمهم، ولم يبلغه (ع) خلاف نشأ فى الكوفة، وكما قلنا حينما شاع نبأ عزم الحسين (ع) على الخروج إلى العراق: اهتم يزيد لذلك الأمر، فاتخذ شتى الوسائل للحيلولة دون وصول ركبه إلى الكوفة. فأخذ يرأسل جماعة من أعيان الصحابة لعرض وجهة نظرهم على الحسين فى خروجه إلى العراق، ومنعه عن ذلك.

فكتب إلى ابن عباس كتابا جاء فيه: وجاءه [أى الحسين (ع)] رجال من أهل هذا المشرق فمناه الخلفاء، وعندك منهم خبرة وتجربة: فإن كان فعل فقد قطع أو اشج القرابة، و أنت كبير أهل بيتك والمنظور إليهم، فاكفهم عن السعى فى الفرقة... الخ (٣).
 ولما شاع نبأ توجه الحسين (ع) إلى العراق فى تلك اللحظة الحرجة - أصبحت السلطة أمام أهم مشكلة تقف أمام نفوذها، وذهبت المحاوله التى اتخذوها فى مكة المكرمة هباء، إذ فشلت المؤامرة التى دبروها لقتله (ع) غيلة، وهذا الحادث هو أقوى وسيلة إعلام للثورة ضد الأمويين وحكمهم الجائر، ولم يك ذلك من باب المغامرة السياسية، ولا وسيلة عاجز عن إدراك ما يصبو إليه فى مهمته، ولا حركة من الحركات التى يأمل القائمون بها الوصول من خلالها إلى أغراضهم الدنيوية: إنما هى حركة إصلاح دينية وغاية يتحقق فيها للمسلمين أعظم عوامل الظفر.

١ - التصور والتجديد فى الشعر الأموى لشوقى منيف ج ٨٠ ص ٨١.

٢ - مع الحسين ونهضته لأسد حيدر ص ١٣٩.

٣ - تاريخ ابن عساکر ج ٤ ص ٢٢١.

(١٢٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (٤)، مسلم بن عقيل عليه السلام (١)، عبد الله بن عباس (١)، الدولة الأموية (٢)، دولة العراق (٣)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (٩)، القتل (١)، الجهل (١)، الغل (١)، النفاق (١)، العصر (بعد الظهر) (١)، ابن عساکر (١)

صفحة ١٢٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢٦

وإليك ممن نعى الامام في المدينة حين مقتله (ع):

عن سلمى، قالت: دخلت على أم سلمة تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله (ص) - تعنى في المنام - وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: مالك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً (١).

وقال اليعقوبى: وكانت أول صارخة صرخت في المدينة أم سلمة زوج رسول الله [ص]، كان دفع إليها قارورة فيها تربة وقال لها: إن جبريل أعلمنى أن أمتى تقتل الحسين و أعطانى هذه التربة، وقال لى: إذا صارت دما عبيطاً فاعلمى أن الحسين قد قتل، و كانت عندها، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كل ساعة، فلما رأتها قد صارت دما، صاحت وا حسيناها! يا بن رسول الله! وتصارخت النساء في كل ناحية: حتى ارتفعت المدينة بالرجة التي ما سمع بمثلها قط (٢).

وفى مسند أحمد عن عمار ابن أبى عمار عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله (ص) في المنام نصف النهار أشعب أغبر، معه قارورة فيها دم، فقلت بأبى وأمى يا رسول الله ما هذا؟

قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم، قال عمار: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل فيه (٣).
بعض آثار مقتله (ع):

أ - قال ابن كثير: لما قتل ابن زياد الحسين (ع) ومن معه، وبعث برؤوسهم إلى يزيد، سر بقتلهم أولاً، وحسنت بذلك منزلة ابن زياد عنده، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم وقال: بغضنى بقتله إلى المسلمين، وزرع فى قلوبهم العداوة، فأبغضنى البر والفاجر (٤)، وكذلك يظهر ندم ابن زياد وعمر بن سعد وسائر قتلة آل رسول الله (ص)، كما جاء فى كتب التاريخ وقد أعرضنا عن نقلها.

ب - إن غايتنا من إيراد خبر مقتل الإمام الحسين (ع) ليس فى استقصاء تحقيق حوادثه أو بيان زمانه ومكانه، بل توخينا آثار مقتله على الاسلام والمسلمين، سيما الثورات المستمرة ضد حكم آل أمية، وإليكم بعضها:.

١ - قال المسعودى: لما شمل الناس جور يزيد وعماله، وعمهم ظلمه وما ظهر من فسقه بقتله ابن بنت رسول الله (ص) وأنصاره، وما أظهر من شرب الخمر، وسيره بسيرة

١ - من سنن الترمذى ج ١٣ ص ١٩٣ و ١٩٤، ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ١٩، وسير النبلاء ج ٣ ص ٢١٣، والرياض النضرة ص ١٤٨، وتاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ٣٨، وابن كثير ج ٨ ص ٢٠١، و تاريخ السيوطى ص ٢٠٨.

٢ - تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٤٧ و ٢٤٨.

٣ - مسند أحمد ج ١ ص ٢٤٢ و ٢٨٢، وفضائل أحمد / ٢٠ و ٢٢ و ٢٦، والمعجم للطبرانى ح ٥٦، ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٩٨، وقال: على شرط صحيح مسلم، و سير النبلاء ج ٣ ص ٣٢٣، و الرياض النضرة ص ١٤٨.

٤ - ابن كثير ج ٨ ص ٢٣٢، وتاريخ الاسلام للذهبي ج ٢ ص ٣٥١، وغيرهما.

(١٢٦)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، ازواج النبى (ص) (١)، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله (١)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، كتاب مسند أحمد بن حنبل (٢)، عبد الله بن عباس (١)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (٢)، القتل (١٠)، كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى (٢)، جلال الدين السيوطى الشافعى (١)، كتاب صحيح مسلم (١)، ابن الأثير (١)، التاريخ الإسلامى (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢٧

فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في رعيته، وأنصف منه لخاصته وعامته (١)، فامتنع ابن الزبير عن بيعه يزيد، وكان يسميه السكير الخمير، وكتب إلى أهل المدينة ينتقصه، ويذكر فسوقه، ويدعوهم إلى معاضدته على حربته (٢).

٢ - وقال الطبري: لما قتل الحسين (ع) قام ابن الزبير في أهل مكة، وعظم مقتله، وعب أهل الكوفة خاصة، ولام أهل العراق عامة، فقال بعد الحمد...: إن أهل العراق غدر فجر إقليلا، وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق، وإنهم دعوا حسينا لينصروه و يولوه عليهم: فلما قدم عليهم ثاروا إليه فقالوا له: إما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية سلما فيمضى فيك حكمه، وإما أن تحارب... إلى آخر الرواية فيما يخص ثورة ابن الزبير ضد بني أمية (٣).

٣ - ثورة أهل المدينة وبيعتهم لعبد الله بن حنظلة: اجتمعوا الناس [على عبد الله بن حنظلة وبايعهم على الموت، قال: يا قوم اتقوا الله، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد، والبنات، والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة (٤).

٤ - استباحة جيش الخلافة الأموية حرم الرسول (ص...): وأباح مسلم بن عقبة (قائد جيش يزيد على أهل المدينة) المدينة ثلاثا، يقتلون الناس، ويأخذون الأموال. ففي تاريخ ابن كثير: قتل يوم الحرّة سبعمئة رجل من حملة القرآن، وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله (ص).

وقال: قتل بشر كثير حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وقال: ووقعوا على النساء حتى قيل: إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج!! (٥).

وقال الطبري: فدعا للبيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء (٦).

٥ - قال الدينوري: فلما كان اليوم الرابع جلس مسلم بن عقبة، فدعاهم إلى البيعة، فكان أول من أتاه يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود، وجدته أم سلمة زوج النبي (ص) فقال له مسلم: بايعني، قال: أباعك على كتاب الله وسنة نبيه (ص)، فقال مسلم: بل بايع على أنك في لأمر المؤمنين، يفعل في أموالكم وذرائعكم ما يشاء، فأبى أن يبايع على ذلك، فأمر

١ - مروج الذهب ج ٣ ص ٦٨، وتاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢١٩.

٢ - التنبيه والإشراف ص ٢٦٣.

٣ - ط أوربا ج ٢ ص ٣٩٦ و ٣٩٧، وط مصر ج ٥ ٢٧٤ و ٢٧٥.

٤ - فقد نقل الذهبي في تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٣٥٦.

٥ - قال الطبري في تاريخه ج ٧ ص ١١، وابن الأثير ج ٣ ص ٤٧، وابن كثير ج ٨ ص ٢٢٠، وغيرهم، وفي تاريخ ابن كثير ج ٦ ص ٢٣٤.

٦ - الطبري ج ٧ ص ١٣، وغيره.

(١٢٧)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، ازواج النبي (ص) (١)، السنة النبوية الشريفة (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الدولة الأموية (١)، دولة العراق (٣)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (٢)، عبد الله بن حنظلة (١)، مسلم بن عقبة المري (٢)، عبد الله بن ربيعة (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، بنو أمية (١)، القرآن الكريم (١)، القتل (٥)، الموت (١)، الصلاة (١)، الزوج، الزواج (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، ابن الأثير (١)، التاريخ الإسلامي (١)

صفحة ١٢٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢٨

به، فضربت عنقه (١).

٦ - جيش الخلافة يحرق الكعبة في حرب ابن الزبير. (٢) ٧ - الحجاج يرمى الكعبة ثانية: قال ابن الأثير: أرسل عبد الملك بن مروان الحجاج لحرب ابن الزبير بمكة فنزل الطائف، وأمدّه بطارق فقدم المدينة في ذي القعدة سنة ٧٢ هـ، وأخرج عامل ابن الزبير عنها، وجعل عليها رجلا من أهل الشام اسمه ثعلبة، فكان ثعلبة يخرج المخ على منبر النبي (ص) يأكله ويأكل عليه التمر: ليغيظ أهل المدينة (٣).

قال الذهبي ...: واستوسق الأمر لعبد الملك بن مروان، واستعمل على الحرمين الحجاج بن يوسف، فنقض الكعبة التي أعاد بناءها ابن الزبير، بعد رميها من قبل جيش يزيد، وكانت تشعثت من المنجنيق، وانفلق الحجر الأسود من المنجنيق فشعبوه (٤). هكذا انتهت ثورة الحرمين فقد أوجزناها لكم، واثارت معها وبعدها بلاد أخرى، مثل ثورة التوابين سنة ٦٥ في الكوفة، الذين خرجوا ينادون: (يا لثارات الحسين)، وقاتلوا الجيش الأموي بعين الورد حتى استشهدوا، ثم ثورة المختار في الكوفة سنة ٦٦ هـ، وقيامه بقتل قتله الحسين (ع)، ثم ثورات العلويين: مثل زيد الشهيد وابنه يحيى، وأخيرا ثورة العباسيين وقيامهم باسم الدعوة لآل محمد (ص) وإسقاطهم [الخلافة الأموية، وإقامتهم الخلافة العباسية] على أنقاضها (٥).

وهكذا ينتهي ركب آل محمد (ص) بعد تلك الرحلة الشاقة، ذات الفجائع والمآسى ولكن حصيلة ذلك الجهاد، وحصاد ذلك البذر، أن أصبحت الثورة شعلنة تتأجج، ونورا يزيل الحجب التي ضربها أولئك الطغاة في طريق دعوة الإصلاح، لقد نجحت الثورة وإلى الأبد، وكان نصيب أولئك الذين تورطوا بانتحال الإمرة على المسلمين، وحاولوا القضاء على دعاة الإسلام، وحملة رسالته: أن تفرق شملهم وخسرت صفقتهم، وكان جميع الذين اشتركوا في قتل الحسين (ع) قد نالهم الذل والهوان وماتوا أسوأ ميتة، وديست جيفهم بالأقدام بعد أن شردوا وأصبحوا مطاردين، فابن زياد على قوته وتجبره ونفوذ سلطانه: أصبح مشردا، وبعد أن عاد إلى البصرة طلبه أهلها فاستجار بأحد الزعماء فأخفاه، ثم هرب ليلا على حمار حتى قتله الثوار، وعمر بن سعد قتل على فراشه...، وبقي الحسين خالدا، والدنيا كلها تلهج بذكره (ويموت يزيد، ويخلفه ابنه معاوية الثاني، و

١ - تاريخ الطبري ج ٧ ص ١١ و ١٢، وط أوربا ج ٤ ص ٤١٨ - ٤٢٠.

٢ - راجع تاريخ الخميس، ٢ / ٣٠٣، وتاريخ الطبري: ٧ / ١٤ - ١٥، وابن كثير: ٨ / ٢٢٥، وابن الأثير: ٤ / ٤٩ و ٣ / ١٣٥. ٣ - راجع تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٠٣، وص ٩ للسيوطي، وتاريخ الطبري ج ٧ ص ١٤ و ١٥، وابن كثير ج ٨ ص ٢٢٥، وابن الأثير ج ٤ ص ٤٩، وابن الأثير ج ٣ ١٣٥، وغيره.

٤ - الذهبي في تاريخ الإسلام ج ٣ ص ١١٥.

٥ - راجع تاريخ الطبري وابن الأثير، وابن كثير في ذكرهم حوادث سني ٦٥، ٦٦، ٦٧، و ١٢١، ١٢٢، ١٢٥.

(١٢٨)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، الدولة الأموية (١)، ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي (١)، شهر ذي القعدة (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (٢)، ابن الأثير (٤)، يا لثارات الحسين (١)، مدينة البصرة (١)، الحجر الأسود (١)، الشام (١)، القتل (٥)، الشهادة (١)، الحرب (١)، الأكل (١)، الموت (١)، التمر (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، التاريخ الإسلامي (١)، كتاب تاريخ الطبري (٤)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٢٩

هنا يوجه القدر الحكيم أذكي ضرباته، فيقف ابن يزيد نفسه ليحمل شعله الحسين (ع) و يزيد الجدوة ضراما: حين يجمع الناس ليوم مشهود، ثم يعلن فيهم أن جده وأباه اغتصب الحق من أهله!!!، وأنه يبرأ إلى الله مما جنت أيديهما!! وأنه يربأ بنفسه وبتقواه من أن يجلس على العرش الملوث بالجريمة!! ثم يعلن عليهم اعتزاله منصبه، ويعتكف الناس في بيته، حتى يأتيه الموت، فيلقى الله تقيا نقيا سعيدا (١).

وبعد ذلك كله، لو أن الإمام لم يلبى دعوة أهل الكوفة، وباع يزيد، أو أنه لم يبايع يزيد، ولكنه استشهد بمكان آخر: كان عندئذ قد فرط في حق أهل الكوفة، وكان الناس - أبد الدهر وجيلا بعد جيل - يسجلون لأهل الكوفة الحق على الإمام، وفي يوم القيامة كانت لهم الحجة.

إذن فما فعله (ع) مع أهل الكوفة كان من باب إتمام الحجة عليهم، وكان الإمام (ع) يعلم - بالبداهة، وبحسب حكم طبائع الأشياء، وبصرف النظر عما كان قد علمه من الأمور الغيبية بإنباء رسول الله عن الله عز اسمه بمقتله -: يعلم أن عليه أن يختار أحد اثنين لا ثالث لهما: إما البيعة، وإما القتل.

إذن فإن نهضة الإمام الحسين (ع) وثورته على طواغيت عصره: لم تكن مشكلته تسلط الحاكم الجائر، لكي يعالج بتبديله بحاكم عادل: بل كانت مشكلة ضياع الأحكام الإسلامية، و تدين المسلمين بطاعة الخليفة، مهما كانت أوامره، حيث كان المسلمون في عاصمتي الاسلام، مكة المكرمة والمدينة المنورة، وعاصمتي الخلافة، الكوفة والشام، يرون التمسك بالدين في طاعة الخليفة مهما كانت صفاته، وفي كل ما يأمر، ويرون في الخروج عليه شقا لعصا المسلمين، ومروقا من الدين.

وعليه فإن الإمام (ع) كما قلنا إن بايع يزيد، حظى بعيش رغيد في الدنيا، مع بقاء حب المسلمين له، فضلا عن المغريات الدنيوية المادية: لكن الإمام يعلم أن بيعته ليزيد، أولا - إقرار منه ليزيد على كل فجوره وكفره وتظاهره بهما، وثانيا - إقرار منه للسواد الأعظم من المسلمين فيما يعتقدونه في أمثال يزيد، ممن ترع على دست الخلافة بالبيعة، بأنهم الممثلون الشرعيون لله ولرسوله (ص)، وأن طاعتهم واجبة، وفي كلا الإقرارين قضاء على شريعة جده سيد المرسلين، ويكون مصيرها بعد ذلك مصير شريعة موسى وعيسى وشرائع سائر النبيين عليهم السلام جميعا.

الإمام الرابع: زين العابدين علي بن الحسين (ع):.

ولادته وحياته:.

في ظل حكم ورعاية الإمام علي بن أبي طالب (ع) حين كان خليفة للأمة الإسلامية وربان سفيتها وقائد مسيرتها، ولد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام بالمدينة المنورة، في يوم الخميس، الخامس من شهر شعبان من سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، قبل وفاة جده أمير المؤمنين (ع) بستين، أمه أم ولد، اسمها غزاة، وقيل:

كان اسمها (شاه زنان)

١ - خالد محمد خالد: أبناء الرسول في كربلاء ص ١٩٣.

(١٢٩)

مفاتيح البحث: نهضة الحسين عليه السلام (١)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٣)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، السيدة شاه زنان بنت يزجرد زوجة الإمام الحسين عليه السلام (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة

(٥)، شهر شعبان المعظم (١)، المدينة المنورة (٢)، على بن الحسين (١)، الشام (١)، الموت (١)، القتل (١)، الشهادة (١)، الوفاة (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)

صفحة ١٣٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣٠

بنت كسرى يزجرد، أحد ملوك الفرس من سلالة الأكاسرة.

وكان يقال له (ع): ابن الخيرتين لقول رسول الله (ص): إن الله من عباده خيرتين، فخيرته من العرب قريش، ومن العجم فارس.

عن سهل بن القاسم، قال: قال لى الرضا (ع) بخراسان: إن بيننا وبينكم نسب قلت: وما هو أيها الأمير؟ قال: إن عبد الله بن عامر بن كرز لما افتتح خراسان، أصاب ابنتين ليزجرد بن شهريار ملك الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان بن عفان، فوهب إحداهما للحسن والأخرى للحسين (ع)، فماتتا عندهما نفساوين، وكانت صاحبة الحسين (ع) نفست بعلى بن الحسين (ع).

فكفل عليا [زين العابدين (ع)] [بعض أمهات ولد أبيه، فنشأ وهو لا يعرف أما غيرها، ثم علم أنها مولاته، وكان الناس يسمونها أمه... الخ (١).

وحين زفت البشرية لأمر المؤمنين (ع) سجد لله شكرا، وأسماه عليا (٢)، وكان مقدرًا لهذا الوليد المبارك أن يتولى منصب الإمامة المبارك: وتكون الأئمة من ذريته المباركة، وهذه مسألة لا تقال اعتباطا وإفراطا في المحبة والولاء: وإنما نستقيها من الأمين على وحى الله ورسوله محمد (ص)، فعن الحسين بن علي (ع) قال: دخلت على جدى رسول الله (ص) فأجلسنى على فخذه، وقال لى: إن الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة، تاسعهم قائمهم، وكلهم فى الفضل والمنزلة عند الله سواء (٣).

وحيث أن الله تعالى قد بارك فى ذرية الحسين (ع) من خلال ولده على (ع): فنمت وأثمرت به دون سواه من أولاده الذين استشهدوا فى الطف، فلم يكن على وجه الأرض حسيني إلا من نسله (٤)، سواء كان من الأئمة أم من سواهم.

روى الكليني عن الإمام الصادق (ع): إن الحسين (ع) لما سار إلى العراق: استودع أم سلمة الكتب والوصية، فلما رجع على بن الحسين (ع) دفعها إليه (٥)، وعن الزهري قال: لم أدرك أحدا من أهل هذا البيت [سلام الله عليهم] [أفضل من على بن الحسين (٦)]. كناه وألقابه:.

قال الامام مالك: سمى زين العابدين لكثرة عبادته (٧).

وروى عن الإمام زين العابدين (ع) أنه إذا فرغ من وضوئه للصلاة، وصار بين وضوئه و صلاته، أخذته رعدة ونفظة، فقليل له فى ذلك، فقال [ع]: (ويحكم! أتدرون إلى من أقوم؟

١ - عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٢٨ بتفاوت يسير.

٢ - أهل البيت: توفيق أبو علم / موضوع أولاد الإمام الحسين (ع).

٣ - ينابيع المودة للقندوزى ط ٨ ج ٢ ص ٤٤٥.

٤ - أهل البيت لتوفيق أبى علم / موضوع أولاد الإمام الحسين (ع).

٥ - أعلام الورى للطبرى ص ٢٥٢، ومناقب آل أبى طالب ج ٤ ص ١٧٢ لابن شهر آشوب.

٦ - الإرشاد للمفيد ص ٢٥٧.

٧ - نور الأبصار للشبلنجى ص ٢٠٠.

(١٣٠)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٣)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام

(٢)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٨)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، يوم عاشوراء (١)، الخليفة عثمان بن عفان (١)، دولة العراق (١)، عبد الله بن عامر (١)، علي بن الحسين (١)، خراسان (٢)، الصلاة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب إعلام الوري بأعلام الهدى (١)، كتاب مناقب آل أبي طالب عليه السلام (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، ابن شهر آشوب (١)

صفحة ١٣١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣١

ومن أريد أن أناجي؟ (١).

روى الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس: أن رسول الله (ص) قال: إذا كان يوم القيامة ينادى فينا: وأين زين العابدين، فإني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين يخطر بين الصفوف (٢).

أما سبب تسميته (ع) ب (ذى الثفّنات) فإن مواضع سجوده كانت كثفّنات البعير، وهي المواضع التي تقع من البعير على الأرض إذا استناخ، كالركبتين وغيرهما، حيث تكون سميكة.

عن أبي جعفر (ع) قال: إنه كان يخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب على ظهره حتى يأتي بابا فيقرعه، ثم يناول من كان يخرج إليه، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيرا لثلا يعرفه (٣).

دخل علي بن الحسين (ع) علي محمد بن أسامة بن زيد في مرضه يعود، فجعل يبكي ويقلق، فقال له علي [ع]: [ما شأنك؟] فقال: علي دين، قال [ع]: [كم هو؟] قال: خمسة عشر ألف دينار، فقال [ع]: [هو علي] (٤).

وقد بلغ من اهتمامه بالثفّنات المستضعفة في الأمة أن حرر مئآت الأرقاء من أسيادهم، فكان يشتري في كل عام عددا كبيرا منهم من أجل تحريرهم، وخصوصا في العيدين، وكانت معاملته لهم معاملته الند للند، فلم يكلف أحدا فوق طاقته، ولم يؤذ أحدا أبدا، وقد أسماه بعض [الناس] [من أجل ذلك] (محرر العبيد)، ولقد أعتق مرة عبدا من عبيده، و كان قد أعطى فيه مبلغا ضخما لبيعه، فرفض وأعتقه (٥).

شتم رجل زين العابدين (ع) فقصدته غلمانته، فقال: دعوه، ثم قال للرجل: ألك حاجة فحجل الرجل، ثم أعطاه ثوبا وأمر له بألف درهم، فانصرف الرجل، وهو يقول: أشهد أنك ابن رسول الله (ص) (٦).

روى يوما أن الحسن بن الحسن نال منه فشتمه، فلم يكلمه [ع]، فلما انصرف، قال [ع] [لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، وأنا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا ردى عليه، فقالوا له: نفع، وقد كنا نحب أن تقول له ونقول، فمشى وهو يتلو الآية الكريمة:

(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (٧)، فلما بلغ منزله وناداه، خرج إليه متوثبا للشر وهو لا يشك أنه إنما جاءه [ع] [مكافيا علي بعض ما كان منه، فقال له علي

١ - حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٣ ص ١٣٣.

٢ - أهل البيت لأبي علم: موضوع أولاد الحسين، والمجالس السنية ج ٢.

٣ - المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٥٣.

٤ - تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ٣٣١.

٥ - قيل: إن المبلغ كان عشرة آلاف درهم أو ألف دينار، أنظر حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٣ ص ١٣٦.

٦ - تذكرة الخواص ص ٣٣١.

٧ - آل عمران: الآية ١٣٤.

(١٣١)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، عبد الله بن عباس (١)، مدينة الكاظمين (١)، سعيد بن المسيب (١)، أسامة بن زيد (١)، علي بن الحسين (١)، الحسن بن الحسن (١)، المرض (١)، السجود (١)، الكرم، الكرامة (١)، الشهادة (١)، العتق (١)، كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم (٢)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسير بن الجوزي (٢)، ابن شهر آشوب (١)

صفحة ١٣٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣٢

بن الحسين] ع: [يا أخي إن كنت قلت ما في فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس في، يغفر الله لك، فقبل الحسن ما بين عينيه، وقال: بلى، قلت ما ليس فيك وأنا أحق به (١).

ومن مصاديق إنسانيته المثلى (ع)، أنه كان له ابن عم فكان علي بن الحسين (ع) يأتيه بالليل سرا متنكرا فيناوله شيئا من الدنانير، فيقول له: لكن علي بن الحسين لا يواصلني، لا جزا الله خيرا، فيسمع الإمام (ع) ذلك، ويتحمل ويصبر ولا يعرفه بنفسه، فلما رحل الإمام (ع) إلى ربه تعالى، فقد الرجل تلك الصلة المعتادة، فعلم أنها منه، فجاها إلى قبره باكيا.

وروى الطبري: إن هشام بن إسماعيل كان أميرا على المدينة، فأظهر القسوة وأشاع الإرهاب، وتحمل منه علي بن الحسين (ع) وأهل بيته الشيء الكثير، وقد عزله الوليد بن عبد الملك، وأمر بإيقافه أمام الناس ليجلد، فمر به علي بن الحسين (ع) وهو واقف عند دار مروان فسلم عليه، وأمر أتباعه بعدم التصدي له بمكروه، وقد أرسل إليه:

أنظر إلى ما أعجزك من مال تؤخذ به، فعندنا ما يسعك، فطب نفسا منا ومن كل من يطيعنا. فنادى هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالته (٢).

وعلى أثر قيام ثورة الحرّة ولى بنو أمية الأدبار هارين من بطش الثورة، وكان في طليعة الهاربين مروان بن الحكم، فاستغاث بعبد الله بن عمر بن الخطاب أن يؤدي له عياله، وفي طليعتهم زوجته عائشة بنت عثمان، فأبى عليه ابن عمر، فاستغاث بالإمام السجاد (ع) فما كان من الإمام إلا أن أغاثه، وأضاف أهله إلى أهله، وقابل إساءة بني أمية التاريخية لأهل البيت (ع) بمنتهى الإحسان (٣).

وأما الجانب الفكري الذي - يتسم به الإمام (ع)، فقد أشرنا في حديث سابق إلى أن الرسول الأكرم (ص)، والأئمة الهداة من أهل بيت النبوة (ع)، قد تسنموا قمة التسلسل في درجات العلا في الشخصية الإسلامية، ومن هنا فإن الإمام السجاد (ع)، وجميع الأئمة الهداة (ع) قد توفر لهم من السمو العقلي الرائد، ما لم يتوفر لسواهم من البشر ممن هم دون الأنبياء (ع)، إذ لم يحدثنا تاريخ حياتهم قط أن أمرا قد أشكل عليهم في باب من أبواب المعرفة، أو أنهم قد تعذرت عليهم الإجابة عن سؤال أو استفسار أو إشكال، سواء في أمر فكري أو تشريعي أو علمي أو نحو ذلك.

وهذه فقرات من تراثه الفكري الخالد المعروف (برسالة الحقوق) إلى بعض أصحابه، وهي لائحة قانونية من الطراز الأول، تبرز ما للناس من حقوق، وما عليهم من واجبات، ثم تشخص الحقوق المتبادلة بين الأفراد والحاكم، إلى غير ذلك من مسائل حقوقية هي في مضمون الحضارة لحمتها وسداها، وهذه فقرات من تلك الرسالة الخالدة، نطرحها كمثال

١ - المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٥٧.

٢ - المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٦٣، والإرشاد للقيّد نقلا عن الطبري، وتذكرة خواص لسبط بن الجوزي / أحوال علي بن

الحسين.

٣- زين العابدين للمقرّم ص ٣٦٧ نقلا عن الطبري، والكامل لابن الأثير، ط بولاق مصر ج ٤ ص ٤٨.

(١٣٢)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٥)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الأنبياء (ع) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، مروان بن الحكم (١)، بنو أمية (١)، علي بن الحسين (٢)، الزوجة (١)، القبر (١)، الخلود (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (١)، ابن شهر آشوب (٢)

صفحة ١٣٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣٣

على السمو الفكري الشاهق الذي بلغه الإمام علي بن الحسين (ع):.

... فأما حق الله الأ-كبر عليك: فأن تعبدته لا تشرك به شيئا، فإذا فعلت ذلك بإخلاص، جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحب منها.

وأما حق نفسك عليك: فأن تستعملها بطاعة الله عز وجل، فتؤدي إلى لسانك حقه، وإلى سمعك حقه، وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقه، وإلى رجلك حقه، وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله على ذلك.

وأما حق اللسان: فأكرامه عن الخنا (١)، وتعويدته على الخير، وحمله على الأدب، وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفاؤه من الفضول الشنعئة، القليلة الفائدة، التي لا يؤمن ضررها مع قلّة عائدتها، ويعد شاهد العقل والدليل عليه، وترين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه، ولا قوة إلا بالله العظيم.

وأما حق رعيتك بالسلطان: فأن تعلم أنهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوتك، فيجب أن تعدل فيهم، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعجلهم بالعقوبة، وتشكر الله على ما أولاك، وعلى ما آتاك من القوة عليهم.

وحق جليستك: أن تلين له كنفك، وتطيب له جانبك، وتنصفه في مجاراة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلاته، وتحفظ خيراته، ولا تسمعه إلا خيرا.

وأما حق الجار: فحفظه غائبا، وكرامته شاهدا، ونصرتة ومعونته في الحالين جميعا، لا تتبع له عورة، ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها، فإن عرفت منها عن غير إرادة منك ولا تكلف، كنت لما علمت حصنا حصينا وسترا ستيرا.

وأما حق الصلاة: فأن تعلم أنها وفادة إلى الله، وأنتك قائم بها بين يدي الله، فإذا علمت ذلك كنت خليقا أن تقوم فيها مقام الدليل الراغب الراهب الخائف، الراجي المسكين المتضرع، المعظم من قام بين يديه بالسكون والإطراق، وخشوع الأطراف، ولين الجناح، وحسن المناجاة له في نفسه، والطلب إليه في فكاك رقيبتك التي أحاطت بها خطيبتك، واستهلكتها ذنوبك، ولا قوة إلا بالله العظيم.

وأما حق الصوم: فأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك: ليسترك به من النار، وهكذا جاء في الحديث: الصوم جنّة من النار، فإن سكنت أطرافك في حجبها رجوت أن تكون محجوبا، وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها وترفع جنبات الحجاب، فتطلع إلى ما ليس لها بالنظر الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حد التقيّة لله: لم تأمن أن تحرق الحجاب وتخرج منه.

وأما حق الصدقة: فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سرا أوثق بما استودعته علانية، وكنت جديرا أن لا تكون أسررت إليه أمرا أعلنته، وكان الأمر بينك وبينه سرا على كل حال، ولم

١ - الخنا: الفحش من الكلام.

(١٣٣)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الضرب (١)، الخوف (١)، الشهادة (٢)، الصلاة (١)، الصيام، الصوم (٢)، الجواز (١)، التصدق (١)، الحاجة، الإحتياج (١)

صفحة ١٣٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣٤

تستظهر عليه فيما استودعته منها بإشهاد الأسماع والأبصار عليه بها، كأنها أوثق في نفسك وكأنك لا تثق به في تأديته وديعتك إليك، ثم لم تمتن بها على أحد لأنها لك، فإذا امتنت بها لم تأمن أن يكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه، لأن في ذلك دليلا على أنك لم ترد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد، ولا قوة إلا بالله.

وأما حق الشريك: فإن غاب كفيته، وإن حضر ساويته، ولا تعزم على حكمك دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، وتنفي عنه خيانتته فيما عز أو هان، فإنه بلغنا: (إن يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا) (١).

المواقف السياسية للإمام السجاد (ع):.

قبل التحدث عن دور الإمام على بن الحسين زين العابدين (ع) في حركة الإسلام التاريخية، حرى بنا أن نعيد إلى الأذهان مجددا أن الإمام - أي إمام من أئمة أهل البيت (ع) - كان يراعى الظروف النفسية والاجتماعية والفكرية والسياسية، التي تعيشها الأمة الإسلامية، عند ما كان يخطط لمسيرة الحركة الاصلاحية الإسلامية، فقد ألفتنا عند أبي الأئمة أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع)، وولديه الحسن والحسين (ع)، وما سنجده عند على بن الحسين (ع) أيضا، فعلى بن أبي طالب (ع) مر بثلاث مراحل في دوره في الحركة الاصلاحية: إذ أنه في عهد الرسول (ص) نجده جنديا مطيعا بأعلى درجات الطاعة، وأسمى معاني الانقياد والانضباط: ممارسا القتال حيناً، ومبعوثاً في مهمة من أجل الرسالة حيناً آخر.

أما في عهد الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه تاريخيا في إدارة دفة الحياة الاسلامية، فقد اختط (ع) طريق الحفاظ على أصالة الشرع الاسلامي، وبذل وسعه لتحقيق أكبر قدر من الممارسات في السياسة العامة والمجرى العام لمسار الحياة الاجتماعية، فهو يجمع القرآن الكريم، ويرشد الحكام، ويعظ المتجاوز، ويحذر من الانحراف، ويهدي إلى حيث الرشاد والحق.

وأما حين ألفت الأمة الاسلامية زمام أمرها بين يديه: فقد نهض بالأمر وقاد المسيرة وفقا للسنة النبوية الصحيحة، فألغى ما جرى من الانحرافات عن الرسالة، و غير الولاة، ووضع برامجه الاصلاحية في الحكم والإدارة، والاقتصاد وفقا لما تتطلبه طبيعة المسيرة الاصلاحية، ثم مارس سياسة العنف مع المنفلتين عن طاعته كإمام وخليفة للمسلمين.

وكما كان على (ع) كان الحسن السبط عليه السلام، فالإمام الحسن (ع) في عهد أبيه غيره - في أساليبه التغييرية - في بداية حكمه، وكذا الحال في مرحلة ما بعد إبرام وثيقة الصلح.

إذن فإن دور أي امام، إنما تساهم الظروف والأحوال العامة في صنعه، فمثلا- يقول الإمام الحسن (ع): يا أبا سعيد علة مصالحتي لمعاوية: علة مصالحة رسول الله (ص) لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية. وأما الإمام الحسين (ع) فقد قال قبيل ثورته المباركة، بعد أن أجلى الغموض المحيط بأسباب نهضته المظفرة:

شاء الله أن يراني

١ - راجع الخصال للصدوق / رسالة الحقوق، وهي خمسون حقا، وتحف العقول للحراني، وغيرهما.

(١٣٤)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٣)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (٣)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، القرآن الكريم (١)، صلح (يوم) الحديبية (١)، القتل (١)، كتاب الخصال للشيخ الصدوق (١)

صفحة ١٣٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣٥

قتيلا.

أما الإمام السجاد (ع) فقد قال له عباد البصري، وهو في طريق مكة: تركت الجهاد و صعوبته، وأقبلت على الحج ولينه و (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) (١).

فأجابه الإمام السجاد (ع): إقرأ ما بعدها: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) (٢)، ثم قال (ع): إذا ظهر هؤلاء - يعنى المؤمنين، حسب مواصفاتهم فى الآية الكريمة - لم تؤثر على الجهاد شيئا (٣).

الإمام السجاد (ع) يستكمل الدور الرسالى الذى بدأه الحسين (ع):.

لحكمه إلهية بالغه، بقى الإمام السجاد (ع) حيا بعد المجزرة الأموية الدموية التى حلت بآل محمد (ص) فى كربلاء، فقد سأله المنهال: كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ قال (ع):

أمسينا كمثل بنى إسرائيل فى آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم (٤).

بعد أحداث كربلاء الدامية بدأ السجاد (ع) يقود الحركة الاصلاحية وفقا لمقتضيات المصلحة الاسلامية العليا، فقد تبنى الإمام (ع) وكرائم أهل البيت (ع) كزيب وأم كلثوم وغيرهما سياسة إسقاط الأتفة التى غطى الأمويون وجوه سياساتهم البشعة الخطيرة بها، وتحميل الأمة كذلك مسؤوليتها التاريخية أمام الله والرسالة، فقد كان دور أسارى آل محمد (ص) منصبا على إلفات نظر الناس إلى جسامه الخطر الذى أحاق بهم بعد شهادة الإمام الحسين (ع)، وإلى حجم الجرم الذى ارتكبه بنو أمية بحق رسالة الله، وهذا ما نلمسه فى الخطب كافة التى ألقى بين جموع الناس فى الكوفة والشام، ومن بينها الخطبة السجادية فى جموع أهل الكوفة عندما وقفوا ينظرون إلى ركب آل محمد (ص)، مقيدى فى الأغلال، فى طريقهم إلى الشام: أيها الناس، من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا على بن الحسين بن على بن ابي طالب، أنا ابن من انتهكت حرمة، وسلبت نعمته، وانتهب ماله، وسبى عياله، أنا ابن المذبوح بشط الفرات، من غير ذحل ولا تراث، أنا ابن من قتل صبرا، وكفى بذلك فخرا.

أيها الناس: ناشدكم الله، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبى وخذتموه، وأعطتموه من أنفسكم العهود والميثاق والبيعة، وقالتتموه؟ فتبا لكم لما قدمتم لأنفسكم، وسوأه لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله (ص)، إذ يقول لكم قتلتم عترتى، وانتهكتم حرمتى، فلستم من أمتى (٥)، بيد أن مضامين الخطب وطبيعة الأحاديث قد تغيرت فى الشام، فهى وإن

١ - التوبة: الآية ١١١.

٢ - التوبة: الآية ١١٢.

٣ - المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٥٩، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق ج ٢ ص ١٤١ باختلاف يسير فى الألفاظ.

٤ - الاحتجاج للطبرى ج ٢، ومقتل الحسين للمقرم ص ٣٦٠.

٥ - مقتل الحسين للمقرم ص ٣١٦.

(١٣٥)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٥)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٤)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، واقعة الطف (١)، الدولة الأموية (٢)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (٢)، نهر الفرات (١)، علي بن الحسين بن علي (١)، بنو أمية (١)، عباد البصرى (١)، آل فرعون (١)، الشام (٣)، الحج (١)، الكرم، الكرامة (١)، القتل (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (٢)، كتاب فقيه من لا يحضره الفقيه (١)، الشيخ الصدوق (١)، ابن شهر آشوب (١)

صفحة ١٣٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣٦

كانت تهدف إلى التوعية العامة بأهداف الحسين (ع) - كسابقتها - وإظهار مظلومية آل الرسول (ص)، وتكثيف الولاء لهم: إلا أن الأفكار التي أذيعت في الكوفة كانت منصبه على مخاطبة وجدان الناس وضمائرهم، وتحميلهم المسؤولية كاملة. ومن أجل ذلك وقف الإمام السجاد (ع) في دار الحكم الأموي، وبحضور يزيد بن معاوية وجميع أقطاب حكمه من رؤوس الظلال، وألقى بيانه الخالد معرّيا سياسة الأمويين الضالّة، ومبيناً من هم السبايا، وأى مقام رفيع يمثلون في أمة الاسلام وقد جاء في خطبته: ..أيها الناس: أعطينا ستاً وفضلنا بسبع، أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار، والصدّيق، والطيار، وأسد الله وأسد رسوله، ومنا سيده نساء العالمين فاطمة الزهراء، وسبطا هذه الأمة... أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائترت وارتدى، وخير من طاف وسعى، وحج ولبى، أنا ابن من حمل على البراق وبلغ صدره المنتهى، فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن فاطمة الزهراء سيده النساء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن المرملة بالدماء، أنا ابن ذبيح كربلاء (١).

وحيث بلغ الإمام السجاد (ع) هذه الفقرة من خطابه، استولى الذعر على الحاضرين وضح كثير منهم بالبكاء، بعد أن فوجئوا بالحقيقة: مما اضطر يزيد أن يأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة، ليقطع على الامام خطبته، وخشية انقلاب الأمور بعد كشف الحقيقة عن طبيعة حكم آل أبي سفيان، أما عقائل آل محمد (ص) فقد مرغن أنوف بنى أمية في الوحل، وأسقطن كبرياءهم وجبروتهم أمام مرأى أهل الشام، وستجد ذلك في خطبة عقيلة البيت العلوي زينب الكبرى (ع) التي ألقته في مجلس الطاغية يزيد في دمشق، بعد انتهائنا من موضوع الإمام السجاد (ع).

وبعد مغادرة الإمام السجاد (ع) وأهل البيت الشام إلى العراق، ومن ثم إلى المدينة المنورة، اختط الامام منهجا جديدا لحركة الاسلام الاصلاحية، وشم عن ساعدى الجد لبدء ثورة روحية وثقافية، وقد ساهمت الظروف التي تلت استشهاد الحسين (ع) وأهل بيته وصحبه الكرام في إنجاح خطته مبكرا، ويمكن حصر تلك الظروف تحت عاملين توافرا معا، ليكونا أرضية خصبة لنشر علوم أهل البيت (ع)، وإيضاح حقيقة الحكام، و سبل التصدى لهم:.

فالعامل الأول: الاضطراب السياسى والاجتماعى، الذى تفجر فى أكثر مراكز العالم الاسلامى أهمية وتأثير، بعد مأساة الطف مباشرة، وأهم وقائعه:.

(١) ثورة أهل المدينة عام ٦٣ هـ بقيادة عبد الله بن حنظلة الأنصارى، التي قامت بعد استشهاد الإمام الحسين (ع) مباشرة، حيث كانت تعبيراً عن رفض الأمة العملى للحكم

(١٣٦)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٤)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، يوم عاشوراء (١)، السيدة زينب بنت أمير المؤمنين علي عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، دولة العراق (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (١)، عبد الله بن حنظلة (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، بنو أمية (١)، الشام (٢)، دمشق (١)، الكرم، الكرامة (١)، الطواف، الطوف، الطائفة (١)، الحج (١)، الصلاة (١)، الشهادة (١)، الأذان (١)، الرفض (١)، كتاب مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي (١)

صفحة ١٣٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣٧

الأموي، فقد طرد الثوار بني أمية من المدينة، وفي طليعتهم مروان بن الحكم، ولكن الحاكم الأموي في دمشق يزيد بن معاوية، سارع بإرسال القائد السفاك مسلم بن عقبة على رأس جيش عظيم، فحاصر المدينة وأزهد نفوسا كثيرة، وسالت الدماء، ودنست حرمة المدينة المنورة.

(٢) ثورة مكة بقيادة عبد الله بن الزبير، الذي كان ينتظر ما يتمخض عنه موقف الإمام الحسين آنذاك، فقد أفاد كثيرا من النعمة التي نجمت عن قتل الحسين، فأعلن ثورته، وانضم إليه بعض الخوارج والفارين من المدينة وسواهم، بيد أن الأمويين بادروا إلى محاصرة مكة المكرمة، بقيادة المجرم الحصين بن نمير السكوني، وضربوا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها (١): مما أثار حفيظة المسلمين، فحظي ابن الزبير منهم بمزيد من الإلتفاف والتأييد.

وفي الوقت الذي كان فيه الموقف يبلغ ذروة التأزم: أعلن البيت الأموي هلاك الطاغية يزيد، فخف الضغط عن ابن الزبير، فبادر إلى استقطاب البصرة ومصر والكوفة، وأخضعها جميعا لزعامته.

(٣) بعد هلاك يزيد نشبت أزمة سياسية حادة في البيت الأموي حول من يتولى بعد هذا الطاغية، إذ أن ابنه معاوية الثاني لم يمكث خليفة لأبيه غير أربعين يوما، ثم أعلن تنازله عن الحكم، ومات بعدها في ظروف غامضة، فانشقت القيادات المؤيدة لبني أمية على نفسها إلى كتلتين: كتلة أيدت زعامة مروان بن الحكم، وقد مثل هذا الاتجاه القبائل اليمانية بقيادة حسان الكلبى، بينما أيدت قوى القيسيين بقيادة الضحاك بن قيس الفهري، عبد الله بن الزبير.

وقد بادرت القوى اليمانية إلى مبايعة مروان سلطانا على الأمة عام ٦٤ هـ، وبذا وقعت معركة مرج راهط، في دمشق كرد فعل على ذلك بين القوتين المتنازعتين، وانتهت بفوز مروان وعصبته على خصومهم.

(٤) قيام ثورة التوابين عام ٦٥ بقيادة القائد سليمان بن صرد الخزاعي، وبالفعل غزا أولئك بلاد الشام، وتصدى لهم الأمويون بقوات تفوقهم عددا خمس مرات، فكانت معركة (عين الوردة) (٢)، وتمخضت عن مقتل أغلب التوابين.

(٥) ثورة المختار الثقفي عام ٦٦ هـ، وهو زعيم مؤمن طموح قاد انتفاضة الكوفة فاستولى على الحكم، وطرد والى عبد الله بن الزبير، وأباد جميع قتلة الإمام الحسين (ع) الذين حظوا بحماية سلطة ابن الزبير، وتصدى لغزو أموي عات فدرأ خطره، وقتل عبيد الله بن زياد والى الكوفة آنذاك، بيد أن الحكم الثقفي لم يدم طويلا، حيث زحفت قوات عبد الله بن الزبير إلى الكوفة وأسقطت حكومة المختار وقتلته.

إن كل هذه الثورات والحركات جعلن من الإمام (ع) أن يتخذ موقفا دون أن يثير حفيظة

١ - راجع تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣٨٣ حوادث سنة ٦٤ هـ، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٢٤.

٢ - راجع مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٩٢.

(١٣٧)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الدولة الأموية (٢)، ثورة المختار بن أبى عبيدة الثقفى (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، سليمان بن سرد الخزاعى (١)، مدينة الكوفة (٤)، مروان بن الحكم (٢)، المدينة المنورة (١)، عبد الله بن الزبير (٤)، مسلم بن عقبه المرى (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، بنو أمية (٢)، مدينة البصرة (١)، حصين بن نمير (١)، الشام (١)، الخوارج (١)، دمشق (٢)، القتل (٤)، البيعة (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير (١)، ابن الأثير (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)

صفحة ١٣٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٣٨

السلطة الحاكمة، حيث تسنى له عامل آخر للمضى فى نشر علوم آل محمد (ص) واستقطاب الناس.

العامل الثانى: التجاوب النفسى مع أهل البيت (ع) من قبل قطاعات واسعة من الأمة، لا سيما فى الولايات والمدن الاسلاميه التى تتمتع بأهميه وتأثير فى الوجود الاسلامى، مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة، وحتى الشام، وذلك لشعور عام وعارم لدى الناس بمظلومية أهل البيت (ع)، وقد أفادت مظاهر التعاطف مع أهل البيت (ع) الإمام كثيرا. موقف الإمام السجاد (ع) من محمد بن الحنفية:.

لقد اشتدت الضغوط على الإمام السجاد (ع) من قبل النظام الأموى، حيث أخذ يراقب تحركاته، ونشاطاته، بل حتى عبد الله بن الزبير كان يراقب تحركات الإمام زين العابدين (ع)، وينظر بعين الخوف إلى علاقاته مع شيعته ومريديه، لعله يظفر بشاهد على نشاطه السياسى، ونتيجة لخوف الحكم الأموى من تحركات الإمام السجاد (ع): اقترح الحجاج على عبد الملك قتل الإمام (ع)، للتخلص منه، حيث كتب الحجاج لعبد الملك تعبيراً عن شعوره بوجود علاقة بين الإمام السجاد (ع) وبين حركات الرفض للبيت الأموى: إن أردت أن يثبت ملكك، فاقتل على بن الحسين (ع) (١).

وهكذا وجد الإمام السجاد (ع) نفسه مطوقاً من قبل ولاة الحكم الأموى فى المدينة، ومن قبل حركة ابن الزبير فى مكة، ومن قبل الأجواء العامة التى عاشتها الساحة الاسلاميه عقيب شهادة الإمام الحسين (ع).

كل هذه الحوادث استدعت أن ينزل الامام فترة عنها، وينصرف خارج المدينة فى خيمة يتأمل فى أوضاع الأمة، وما سوف تأتى من أمور.

وحيث أن شيعه أهل البيت (ع) يحتاجون إلى بيان المواقف المرتبطة بالأمور الشخصية، والقضايا العامة التى تصدر من الإمام (ع)، لتحديد مسؤولياتهم الشرعيه تجاه الحوادث، فإن محمد بن على بن أبى طالب تصدى لهذه المهمه، فلا بد من معرفة هل أن الإمام السجاد (ع) يكمن خلف نشاط محمد بن الحنفية؟ أم أن تلك النشاطات جاءت بمبادرة شخصية من قبله؟ فسوف يكون بين أيدينا موقف مهم للإمام (ع).

موقف الإمام السجاد (ع) من محمد بن الحنفية:.

ليس ثمة شك فى أن محمد بن الحنفية قد تصدى لبعض الأمور، وكان يشكل قطبا أساسيا من أقطاب الهاشميين تجاه الخطوط الأخرى، إلى حد أن بعضا ادعى إمامته (٢)، وقد وردت رواية صحيحة السند (٣)، لا بد من نقلها، ثم نسجل الاحتمالات والوجوه التى يمكن أن تذكر

٢ - يراجع فرق الشيعة ص ٢٦ و ٢٧.

٣ - رواها الكافي في ج ١ ص ٣٤٨ عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن علي بن رثاب عن أبي عبيدة وزرارة جميعا، عن أبي جعفر (ع)، وهذا السند صحيح، ويوجد سند آخر للرواية نقله الكافي في ذيل الرواية وهو: علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر مثله، وهذا السند صحيح، ورواها الاحتجاج في ج ٢ ص ٣١٦ مرسلا، ويروها بصائر الدرجات بسندين صحيحين عن الصادق وعن الباقر (ع) في ص ٥٢٢ - يختلفان بعض الشيء عن سند الكافي في أول السند، فالرواية صحيحة.

(١٣٨)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٩)، شيعة أهل البيت عليهم السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٤)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٣)، مدينة مكة المكرمة (٢)، مدينة الكوفة (١)، المدينة المنورة (١)، عبد الله بن الزبير (١)، علي بن أبي طالب (١)، الشام (١)، القتل (١)، الشهادة (١)، الخوف (١)، الوسعة (١)، الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٢)، علي بن إبراهيم (١)، محمد بن يحيى (١)، أحمد بن محمد (١)، الصدق (١)

صفحة ١٣٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٣٩

في بيان نشاط محمد بن الحنفية السياسي:.

عن أبي جعفر (ع) قال:

لما قتل الحسين (ع) أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين (ع) فخلا به فقال له:

يا بن أخي قد علمت أن رسول الله (ص) دفع الوصية والإمامة من بعده إلى أمير المؤمنين (ع) ثم إلى الحسن (ع) ثم إلى الحسين (ع)، وقد قتل أبوك رضي الله عنه و صلى على روحه ولم يوص، وأنا عمك وصنو أبيك، وولادتي من علي (ع) في سني وقدامتي أحق بها منك في حدائقك، فلا تنازعني في الوصية والإمامة، ولا تحاجني.

فقال له علي بن الحسين (ع): يا عم، اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق، إنني أعظك أن تكون من الجاهلين، إن أبي يا عم صلوات الله عليه أوصى إلى قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إلى في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله (ص) عندي، فلا تتعرض لهذا فإنني أخاف عليك نقص العمر وتشئت الحال، إن الله عز وجل جعل الوصية والإمامة في عقب الحسين (ع)، فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك.

قال أبو جعفر (ع): وكان الكلام بينهما بمكة، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود فقال علي بن الحسين لمحمد بن الحنفية: إبدأ أنت فابتهل إلى الله عز وجل، وسله أن ينطق لك الحجر الأسود ثم سل، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر الأسود فلم يجبه، فقال علي بن الحسين (ع): يا عم لو كنت وصيا وإماما لأجابك، قال له محمد:

فادع الله أنت يا بن أخي وسله، فدعا الله علي بن الحسين (ع) بما أراد ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء، وميثاق الأوصياء، وميثاق الناس أجمعين، لما أخبرتنا من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي (ع) قال: فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربي مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي (ع) إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب [ع]، وابن فاطمة بنت رسول الله (ص) قال: فانصرف محمد بن علي وهو يتولى علي بن الحسين (ع) (١).

وفي ضوء هذه الرواية يمكن تسجيل الوجوه التالية: -

الوجه الأول: إن محمد بن الحنفية ادعى الإمامة، حيث انتهز فرصة انقطاع الإمام السجاد (ع) عن العمل السياسي المباشر، وعدم وجود شخصية علوية ذات نفوذ قوى فى الساحة لطرح شخصيته، رغم علمه بامامة السجاد (ع) وكان غاصبا لحق الإمام (ع).

وهذا الوجه بعيد، وذلك لأن محمد بن الحنفية أحد المحمدين الذين لا يعصون الله، كما ورد

١ - الكافي ج ١ ص ٣٤٨.

(١٣٩)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (٢)، الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٧)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٣)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (٥)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، دولة العراق (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٥)، مدينة مكة المكرمة (١)، على بن الحسين (٢)، الحجر الأسود (٤)، محمد بن على (١)، الشهادة (١)، القتل (٢)، الصلاة (١)، الوصية (٤)

صفحة ١٤٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٤٠

عن الإمام على (ع) (١)، وكذلك قد مدحه الإمام الحسن (ع) وهو على فراش الموت، حيث وصاه بالامام من بعده (٢)، فمن البعيد أن يدعى الإمامة لنفسه الذى يمثل عصيانا عظيما، وتعديا على حقوق الامام والأمة.

الوجه الثانى: حيث أن الإمام السجاد (ع) كان يعيش فترة انعزالية بعد شهادة الإمام الحسين (ع)، فإنه أعطى لمحمد بن الحنفية صلاحية تولى أمور الشيعة، وتكون نهاية هذه الفترة بانتها العزلة التى فرضها الإمام السجاد (ع) على نفسه خارج المدينة.

الوجه الثالث: إن محمد بن الحنفية تصدى لأمر الشيعة بأمر الإمام السجاد (ع) من أجل حماية الإمام من بطش النظام، حيث أن النظام يبحث عن ذريعة للفتك به، فأوعز الإمام السجاد (ع) إلى عمه بالظهور على المسرح بعد شهادة الإمام الحسين (ع): لكونه أبعد من أن تناله يد النظام لنفوذه أو لسوابقه التاريخية.

الوجه الرابع: إن محمد بن الحنفية كان يعلم أن تولى الامام اللاحق إنما يتم بنص من الامام السابق، وهذا من سجلته الرواية المنقولة عن الإمام الحسن (ع) فى فراش شهادته، حيث استدعى محمد بن الحنفية ونص على إمامة أخيه الحسين بن على (ع) (٣)، وحيث أن الإمام الحسين قتل فى ساحة المعركة، ولم يبق أحد من الرجال الكبار لكى يتصور إمكان الوصية له وتعيين الامام بعده: فإن هذا يعنى عدم النص من قبل الإمام الحسين (ع) على الامام اللاحق، وحيث أنه (أى محمد بن الحنفية) أكبر العلويين سنا، فلا بد أن يكون هو الامام، لأن الإمامة للأكبر سنا من أهل البيت، كما هو الحال بالنسبة لتقدم امامة الحسن على امامة الحسين (ع)، والرواية التى تقدمت فى احتجاجه مع الإمام السجاد (ع) تشير إلى هذا المعنى، حيث قال للإمام:.

يا بن أخى قد علمت أن رسول الله (ص) كان جعل الوصية والإمامة من بعده لعلى بن أبى طالب (ع)، ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين، وقد قتل أبوك رضى الله عنه وصلى الله عليه، ولم يوص، وأنا عمك، وصنو أبيك، وأنا فى سنى وقدامتى أحق بها منك فى حدثتك، فلا تنازعنى الوصية والإمامة، ولا تخالفنى (٤).

وهذا الوجه يرد عليه: إن هذا خلاف المعلوم عن الرسول (ص) وعن الإمام على (ع)، حيث نص على أسماء الأئمة جميعا دفعة واحدة، فلا بد أن يكون محمد بن الحنفية عارفا بذلك، وهو من الذين لا تخفى عليه هذه المسألة كما جاء عن الإمام الحسن فى حديثه مع محمد بن الحنفية (٥).

ولكن يمكن الجواب على هذا بالقول:.

حتى لو فرض علم محمد بن الحنفية بأسماء الأئمة جميعا، إلا أنه قد يقال: بأنه كان يعتقد

١ - راجع الكشي ص ٧٠.

٢ - راجع أصول الكافي ج ١ ص ٣٠٠. ٣ - راجع أصول الكافي ج ١ ص ٣٠٠.

٤ - البحار ج ٤٦ ص ١١١.

٥ - أصول الكافي ج ١ ص ٣٠١.

(١٤٠)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٥)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٧)، القتل (٢)، الموت (١)، الشهادة (٢)، الصلاة (١)، الوصية (٣)، كتاب أصول الكافي للشيخ الكليني (٣)

صفحة ١٤١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤١

بوجوب النص التفصيلي على الإمام اللاحق من قبل نفس الإمام السابق، وحيث أن الإمام الحسين (ع) لم يوص - حسب ظنه - فلم يستحق علي بن الحسين (ع) منصب الإمامة.

إلا أن هذا التسلسل من التفكير رده الإمام السجاد (ع) على عمه محمد بن الحنفية، وأثبت له إمامته بعدة طرق وهي:

١ - إثبات خطأ اعتقاده بأن الإمام الحسين (ع) لم يوص، فهو قد وصاه مرتين، الأولى قبل الذهاب إلى العراق، حيث كان الإمام الحسين (ع) يعلم أنه السفر الأخير، فلزم أن يوصي للإمام السجاد بالإمامة، ولا يقال: فلماذا لم يستحضر محمد بن الحنفية ليخبره بموضوع الإمامة، كما فعل الإمام الحسن (ع)، فإن الجواب هو: إن ذلك يستدعي الكشف عن أشياء غيبية لا ينبغي كشفها لأحد في ذلك الوقت.

والثانية: قبل شهادته (ع) بساعه، كما نص الإمام السجاد (ع) على ذلك.

٢ - أبرز الامام دليلا على صحه قوله (ع)، وهو وجود سلاح رسول الله عنده، إذ أن وجود السلاح وبعض الأشياء الأخرى المختصة بالرسول: دليل على أن علي بن الحسين (ع) هو الامام، لأن هذه الأشياء تنتقل من الامام السابق إلى الامام اللاحق مع الوصية بشخصه، وحيث أن محمد بن الحنفية ليس عنده شيء من ذلك: فلا يكون هو الامام.

٣ - إن الإمامة إنما هي في عقب الحسين (ع)، حيث دلت النصوص على ذلك، وعلي (ع) هو ابن الحسين، فلا بد أن يكون هو الامام: تطبيقا لتلك النصوص.

٤ - المعجزة، وهي الحل النهائي والحاسم، حيث أن جريان المعجزة على يد الامام دليل على أنه هو الامام، وخصوصا في مقام الاحتجاج، وقد اقترح الإمام السجاد (ع) على عمه أن يتحاكما إلى الحجر الأسود ويسأل الله أن ينطق باسم الإمام الشرعي، لهذا ذهبا إلى مكة ليحتكما عند الحجر الأسود.

وهكذا رجع محمد بن الحنفية من مكة وهو مؤمن بإمامة السجاد (ع)، وقد رتب على ذلك الآثار اللازمة على هذا الكشف الإعجازي:.

فقد قال (له) أبو خالد الكابلي: أتخاطب ابن أخيك بما لا يخاطبك بمثله؟ فقال: إنه حاكمني إلى الحجر الأسود، وزعم أنه ينطقه فصرت معه إلى الحجر فسمعت الحجر يقول:

سلم الأمر إلى ابن أخيك، فإنه أحق به منك، فصار أبو خالد إماميا (١).

٥ - الوجه الخامس إن محمد بن الحنفية كان عارفا بمقام السجاد (ع)، ولكنه أراد إظهار ذلك الحوار وتحكيم الحجر الأسود أمام الناس، لإثبات الحجّة على سائر الناس بشهادة الحجر الأسود على إمامة السجاد (ع)، فإن إثبات الإمامة بالمعجزة مارسه الأئمة (ع) في بعض الظروف، وأمام بعض الأشخاص.

وعلى كل حال فإن هذا الوجه ينفي أن يكون محمد بن الحنفية قد تنكر لإمامة السجاد (ع)، بدعوى أنه لا يمكن أن تخفى عليه إمامة السجاد (ع)، لأنه من أهل البيت العارفين بهذه

١ - الإمام زين العابدين ص ١١٣.

(١٤١)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١٢)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٦)، مدينة مكة المكرمة (٢)، أبو خالد الكابلي (١)، الحجر الأسود (٥)، الشهادة (١)، الظن (١)

صفحة ١٤٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤٢
الأمر (١).

٦ - الوجه السادس إن الإمام السجاد (ع) قد أناط بعمه محمد بن الحنفية مسؤولية قيادة العمل العسكري المضاد للحكم الأموي، الذي كان على أشده في الكوفة بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، والمختار بن أبي عبيدة الثقفي، وهذا الوجه يدل عليه قول الإمام السجاد (ع) لمحمد:

يا عم، لو أن عبدا زنجيا تعصب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت (٢) ولعل هذا الوجه هو أنسب الوجوه السابقة، لخبرة محمد بن الحنفية في العمل العسكري، ومهارته في هذا الميدان، التي اكتسبها من المعارك التي خاضها في حياة أبيه (ع)، ولموقعه بين الهاشميين.

وعلى كل حال، فالرواية المذكورة تدل على إخلاص محمد بن الحنفية، ودأله على إيمانه وقوله بإمامة علي بن الحسين (ع) (٣).
مواقف الأمويين ضد الإمام السجاد (ع):.

رغم النزاع العسكري الذي شهدته الساحة الإسلامية على امتداد وجودها، فإن الحاكم الأموي كان دائما يراقب بدقة تحركات الإمام السجاد (ع)، ويحسب لكل سلوك يصدر عنه حسابا سياسيا: وذلك لأنه الشخص الوحيد القادر على قيادة المجتمع، وفق سيرة الرسول (ص) وسيرة أمير المؤمنين (ع) التي وفرت لهم العدل والمساواة.

وفيما يلي أهم الاجراءات التي مارسها الحاكم الأموي ضد الإمام السجاد (ع) وضد شيعته، وأنصاره المنتشرين في العراق وغيره، من الولايات الإسلامية:

أولا محاولة قتل الإمام (ع):.

فقد كتب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى عبد الملك بن مروان: إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين (ع)، فكتب عبد الملك إليه: أما بعد، فجنبني دماء بني هاشم، واحقنها، فإني رأيت آل أبي سفيان لما أولعوا فيها لم يلبثوا إلى أن أزال الله الملك عنهم (٤).

ثانيا: استقدام الإمام (ع) بين فترة وأخرى إلى الشام:.

حيث كانت تصل عبد الملك أخبار حول تعاطف نفوذ الامام، وتكاثر أنصاره، لذلك كان عبد الملك يستدعيه إلى الشام مقيدا بالحديد، والهدف من ذلك هو الضغط عليه (ع) و تحجيم نشاطه، حيث كان يجبر على البقاء هناك تحت ستار معرفة النوايا، وكان الهدف الحقيقي هو عرقلة عمل الإمام (ع)، ومعرفة الأشخاص الذين يتصلون به، وكان الامام في كل مرة يبرهن على أنه لم يمارس معارضة سياسية علنية ضد عبد الملك.

وفي إحدى المرات استدعاه عبد الملك إلى الشام، والتقى مع الزهري، ثم جاء الأخير إلى

١ - راجع كتاب الإمام زين العابدين ص ٣١٧.

٢ - الإمام السجاد / هامش ص ٨٧.

٣ - معجم رجال الحديث ج ١٦ ص ٥٠.

٤ - البحار ج ٤٦ ص ٢٨.

(١٤٢)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٩)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (١)، دولة العراق (١)، المختار بن أبي عبيدة الثقفي (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٣)، مدينة الكوفة (١)، بنو هاشم (١)، الشام (٣)، القتل (١)، الشهادة (١)

صفحة ١٤٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤٣

عبد الملك بن مروان وحاول أن يعطيه انطباعة عن الامام، بوصفه إنسانا عابدا زاهدا، فقال لعبد الملك: ليس على بن الحسين (ع) حيث تظن، إنه مشغول بنفسه، فقال: حبذا شغل مثله فنعم ما شغل به (١). ويقصد بذلك الشغل كثرة العبادة.

ولكن مع ذلك كان الحاكم الأموي لا يطمئن بحركات الإمام (ع)، ولذلك كان يستدعيه بين فترة وأخرى للتأكد من ذلك، كان عبد الملك يحثه على المجئ إليه إلى الشام والاتصال به، كما هو الحال بالنسبة إلى الشخصيات المشهورة في المدينة! ففي ذات مرة قال عقيب الطواف حول الكعبة:.

يا على بن الحسين، إنى لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إلى؟.

فقال على بن الحسين (ع): إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون كهو فكن. فقال: كلا، ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا (٢).

فرفض الإمام (ع) هذا الاقتراح، وكشف له أنه لا يحتاج إلى دنيا عبد الملك، فما أعطاه الله له خير من عطيته التي يريد أن يعطيها إلى الإمام (ع).

ثالثا: مراقبة الإمام (ع):.

كان الحاكم الأموي يخشى من تحركات الإمام السجاد (ع) ونشاطاته واتصالاته مع أهل الكوفة، لذلك وضع جاسوسا عليه (ع)، ينقل إليه جميع أعماله وأقواله ونشاطاته، فكانت تصل إلى عبد الملك تقارير مفصلة عن جميع نشاطات الإمام (ع) وأعماله، سواء منها الشخصية أو الاجتماعية أو العبادية، حتى أن هذا الجاسوس كتب إليه ذات مرة.

إن على بن الحسين (ع) أعتق جارية ثم تزوجها! (٣).

وكان عبد الملك يحلل جميع هذه المعلومات، ويحاول أن يستفيد منها في صراعه غير المعلن مع الإمام السجاد (ع)، وإلى جانب جواسيس عبد الملك الذين يراقبون الإمام (ع):

وضع عبد الله بن الزبير عيوناً لمراقبة الإمام (ع) ومتابعة حركاته، وبشكل خاص صلواته وعلاقاته مع أهل الكوفة، حيث كان يعتقد أن ثمة صلةً سياسية بين الإمام (ع) وبين شيعته في الكوفة.
رابعاً: قتل مواليه وأنصاره:.

وإلى جنب سياسة الضغط على الإمام (ع)، ومراقبة نشاطاته وتهديده بالقتل، فإن النظام الأموي نشط في التصفيات الدموية في صفوف قواعد الإمام (ع) ومريديه: حيث كان الحجاج في العراق يقتل من ثبت ولاؤه لأهل البيت (ع)، كل ذلك لحرمان الإمام (ع) من الامتداد الشعبي الضروري لممارساته السياسية والاجتماعية والفكرية.
خامساً: الطعن بشخصية الإمام (ع):.

لقد سعى الحكام الأمويون لإضعاف هيبة الامام بين الناس: من خلال تفسير سلوكه (ع)

١ - البحار ج ٤٦ ص ١٢٣.

٢ - البحار ج ٤٦ ص ١٢١.

٣ - البحار ج ٤٦ ص ١٦٤.

(١٤٣)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٥)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (١)، دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (٣)، عبد الله بن الزبير (١)، علي بن الحسين (١)، الشام (١)، القتل (٥)، الطعن (١)، المنع (١)، العتق (١)، الجنازة (١)

صفحة ١٤٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤٤

بصورة لا تليق بمقامه وجلالته قدره، فمن ذلك القدح بأنه زوج أمه، ولم يكن واقع الحال كذلك إنما كانت هذه المرأة مولاته، ربه صغيراً، فكان الناس يسمونها أمه.

فلما زوجها بناء على طلبها ورغبتها في الزواج، استغل عبد الملك هذه القضية، وراح يشيع في الناس أنه زوج أمه (١)، وكذلك حاول عبد الملك استغلال زواج الإمام السجاد (ع) من مولاته بعد أن عتقها، حيث كتب إلى الإمام (ع) رسالة قائلاً:.

أما بعد، فبلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تمجد به في الصهر، وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت والسلام.

فرد عليه الإمام السجاد (ع) بجواب قاله فيه:

وإنما كانت ملك يميني خرجت مني، أراد الله عز وجل مني بأمر التمسست به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنته، ومن كان زكياً في دين الله، فليس يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالاسلام الخسيسه، وتمم به النقيصه، وأذهب اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلم، إنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام.

فلما قرأ الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقراه، فقال: يا أمير المؤمنين، لشد ما فخر عليك علي بن الحسين (ع)!! فقال: يا بني لا تقل ذلك فإنها ألسن بني هاشم التي تفلق الصخر، وتغرف من بحر، إن علي بن الحسين - يا بني - يرتفع من حيث يتضع الناس (٢).

موقف الإمام السجاد (ع) من ثورة المختار:.

لكي نعرف موقف الإمام السجاد من ثورة المختار: ينبغي أن نلقى ضوءاً سريعاً على الولاء السياسي لقائد الثورة ورجالاتها وأفرادها وأهدافها، ثم ندرس بعض الشبهات التي أثّرت حول شخصية المختار بشكل إجمالي: لنصل في النهاية إلى موقف الإمام السجاد (ع) منها.

الولاء السياسي للثورة..

هناك من يشكك في الهوية السياسية الموالية لأهل البيت (ص) في شخصية المختار، على أساس بعض المواقف التي اتخذها، والتي سنتناولها بالبحث، إلا أن ثمة شواهد عديدة تجعل الباحث يقطع بولاء المختار لأهل البيت، وللإمام السجاد (ع)، وفيما يلي هذه الشواهد:

١ - مبايعته الإمام الحسين (ع) على يد مسلم بن عقيل.

٢ - إيواؤه مسلم بن عقيل، وفتح بابه أمام الشيعة، حيث تحول منزله إلى مقر لأخذ البيعة للإمام الحسين (ع) (٣).

٣ - موقف عبيد الله بن زياد منه حيث استدعاه إلى مقر الامارة، وعنفه في إعطاء البيعة للإمام الحسين (ع)، وضرب عينه بقضيب وأودعه السجن إلى أن فرغ من الإمام الحسين (ع)، حيث توسط له عبد الله بن عمر عند يزيد بن معاوية بتحريك من زوجته، عبد الله بن عمر هي أخت المختار [، فأرسل يزيد رسالة إلى عبيد الله يأمره بإطلاق

١ - البحار ج ٤٦ ص ٨.

٢ - البحار ج ٤٦ ص ١٦٥.

٣ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٣٦.

(١٤٤)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٧)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، مسلم بن عقيل عليه السلام (٢)، ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي (٢)، عبيد الله بن زياد لعنه الله (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، عبد الله بن عمر (٢)، علي بن الحسين (١)، بنو هاشم (١)، الزوجة (١)، الزوج، الزواج (٥)، الجهل (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (١)

صفحة ١٤٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤٥

سراحه (١).

٤ - موقفه الحذر من عبد الله بن الزبير، الذي يكشف عن عدم اعتقاده بزعامته، ومع إضافة مواقفه من أهل البيت (ع) يتضح إيمانه بخطهم.

٥ - موقفه من محاصرة عبد الله بن الزبير، لمحمد بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن العباس في شعب أبي طالب: حيث رفضا البيعة له، وطالباه بالانتظار إلى أن تنقش الغيوم السياسية، فحاصرهما ابن الزبير وضرب لهما أجلا لإعطاء البيعة له، فاستنجد محمد بن الحنفية بالمختار الذي كان قد سيطر على الكوفة، فبعث إليه سرية عسكرية وصلت في الوقت المناسب [حيث أنقذهما من السجن ومن معهما]، وقد استأذن قائد السرية في الهجوم على ابن الزبير، فرفض محمد بن الحنفية ذلك (٢).

٦ - قيادة الثورة ضد الشام، وضد ابن الزبير، والسيطرة على الكوفة، والانتقام من قتلة الحسين (ع)، حيث تتبعهم في منازلهم وطاردهم حتى قتل عبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، وحرمله الكاهلي، وكل من ثبت اشتراكه في قتل الحسين (ع).

وفي الواقع يكفي فخرا للمختار أنه قاد حركة الشيعة في أخرج ظروفهم، وتصدى بجيشه الشيعي القليل العدة والعدد بقيادة إبراهيم

الأشتر، لجيش الأمويين الكثير العدة والعدد بقيادة عبيد الله بن زياد، حيث انتصر جيشه بفضل تلك الروح العلوية التي كان ينطوى عليها شعار (يا لثارات الحسين) الذي أخذ جنود إبراهيم بن الأشتر يطلقونه في وسط ميدان الحرب.

٧ - موقفه من الإمام السجاد (ع)، حيث كان دائم الصلّة معه، وكان يرسل له بين الفترة والأخرى الهدايا والأموال الكثيرة.

٨ - الدعوة لمحمد بن الحنفية وأخذ البيعة له، أما موقف ابن الحنفية من تصرفات المختار هذه وبالخصوص من الدعوة إليه، فإنه لم ترد روايات حول هذه النقطة بالذات، إنما الذي ورد أن ابن الحنفية قد استنجد بالمختار في محنته مع ابن الزبير.

وهذا يكشف أن محمد بن الحنفية لم يتخذ موقفا سلبيا من مواقف المختار في الدعوة إليه، وإلا لم يستنجد به.

ومن الواضح أنه بناء على أن محمد بن الحنفية تصدى للعمل السياسي بناء على طلب من الإمام السجاد (ع)، لا يرد إشكال على دعوة المختار لمحمد بن الحنفية، في حين أن الإمام الشرعي هو الإمام السجاد (ع).

هذه المؤشرات كافية للدلالة على ولاء المختار السياسي للإمام السجاد (ع)، ولخط أهل البيت الذي يقوده الإمام (ع). الأدلة على مشروعية ثورة المختار.

إن ولاء الثورة السياسي للإمام (ع) وحده لا يكفي لإثبات مشروعيتها، إنما لابد من إحراز إذن الإمام، أو أمره بالعمل أو بالفعل الثوري.

١ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢١١.

٢ - تاريخ المسعودي ج ٣ ص ٧٧.

(١٤٥)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٤)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الدولة الأموية (١)، ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٤)، مدينة الكوفة (٢)، يا لثارات الحسين (١)، حرمله الكاهلي لعنه الله (١)، عبيد الله بن زياد لعنه الله (٢)، عبد الله بن الزبير (٢)، علي بن أبي طالب (١)، شمر بن ذى الجوشن لعنه الله (١)، شعب أبي طالب (ع) (١)، الشام (١)، القتل (١)، الحرب (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (١)

صفحة ١٤٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤٦

وهنا عدة أدلة يمكن ذكرها لإثبات مشروعية حركة المختار الثقفي وهي:

الدليل الأول - النص الصادر من الإمام السجاد (ع):.

كان الإمام السجاد (ع) يعيش ظرفا سياسيا خاصا، دعاه إلى أن يسلك نهجا محددًا في العمل السياسي، يتجنب فيه الممارسات السياسية المباشرة ضد النظام، فلا نتوقع أن نعثر على نص صادر منه يدعو مريديه إلى الالتحاق بقوات المختار في الكوفة، لأن ذلك مخالف لأسلوبه في العمل، إنما ينبغي أن نبحت عن نص يؤيد عمل المختار، ويمدحه في حدود خاصة، وهذا النص قد صدر من الإمام السجاد (ع)، وذلك بعد أن أرسل إليه المختار رأسى ابن زياد وابن سعد، حيث قال (ع):.

الحمد لله الذي أدرك لى ثارى من أعدائى، وجزى الله المختار (١).

هذا الكلام يشهد بأن عمل المختار وقع مرضيا عنه من قبل الإمام (ع)، ولا يقال بأن مدح الإمام (ع) في حدود قتل ابن زياد، وابن سعد فحسب: وذلك لأن المختار إنما سعى في ثورته إلى تتبع قتله الحسين (ع) والذين شاركوا في صنع تلك الفاجعة، كافه، فلا يمكن القول أن قتل شمر بن ذى الجوشن أو حرمله بن كاهل أو غيرهما، من الذين لم يبعث المختار برؤوسهم إلى المدينة، لم يقع مرضيا

عنه من قبل الإمام السجاد (ع)، كما أن المختار سعى في مواجهة الحكم الأموي، لأنه هو المدبر الرئيس لفاجعة كربلاء، فلا محالة تكون مشموله برضا الامام ومدحه للمختار.

الدليل الثاني - وهو النص الصادر من الإمام الباقر (ع):

حيث ورد في الحديث، عن عبد الله بن شريك:

قال: دخلنا على أبي جعفر (ع) يوم النحر وهو متكئ، وقد أرسل إلى الحلاق، فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثم قال: من أنت؟

قال: أنا أبو الحكم بن المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان متباعدا من أبي جعفر (ع) فمد يده إليه حتى كاد يقعه في حجره بعد منعه يده، ثم قال: أصلحك الله إن الناس قد أكثروا في أبي وقالوا والقول والله قولك.

قال (ع): أي شئ يقولون؟

قال: يقولون كذاب، ولا تأمرني بشئ إلا قبلته.

فقال (ع): سبحان الله، أخبرني أبي والله، أن مهر أمي كان مما بعث به المختار، أولم بين دورنا، وقتل قاتلنا، وطلب بدمائنا؟ فرحمه الله، وأخبرني والله أبي، أنه كان ليمر عند فاطمة بنت علي يمهدا الفراش، ويثنى لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث، رحم الله أبائك، ما ترك لنا حقا عند أحد إلا طلبه، قتل قتلنا وطلب بدمائنا (٢).

وهذه الرواية تدل بوضوح على مدح المختار، وعلى سلامة أهدافه التي رفعها.

وإلى جانب تلك النصوص التي تدل على مشروعية ثورة المختار، توجد ثمة مؤيدات عامة يمكن إضافتها إلى تلك النصوص الصريحة في دلالتها وهي:

١ - رجال الكشي ص ١٢٧.

٢ - رجال الكشي ص ١٢٥.

(١٤٦)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٣)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٤)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، المختار بن أبي عبيد الثقفي (١)، مدينة الكوفة (٢)، الحكم بن المختار (١)، عبد الله بن شريك (١)، شمر بن ذي الجوشن لعنه الله (١)، فاطمة بنت علي (١)، القتل (٥)، الشهادة (١)، كتاب رجال الكشي (٢)

صفحة ١٤٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤٧

١ - ما ورد عن الإمام الباقر (ع) قال:

لا تسبوا المختار، فإنه قتل قتلنا، وطلب بئارنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة (١).

وما ورد عن أبي عبد الله (ع) قال:

ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين (ع) (٢).

٢ - ما ورد عن محمد بن الحنفية من المديح للمختار.

٣ - ما ورد عن عبد الله بن العباس حين قال له ابن الزبير: ألم يبلغك قتل الكذاب؟

قال: ومن الكذاب؟

قال: ابن أبي عبيد (ويقصد به المختار).

قال: قد بلغنى قتل المختار.

قال: كأنك نكرت تسميته كذابا، ومتوجع له.

قال: ذاك رجل قتل قتلنا وطلب ثأرنا، وشفى غليل صدورنا، وليس جزاؤه منا الشتم، والشماتة (٣) ٤ - ما ورد من أن عبد الله بن الزبير قوى على محمد بن الحنفية، وعلى عبد الله بن العباس بعد قتل المختار (٤)، حيث كان المختار أيام حياته يقف إلى جانبهما، ويدافع عنهما أمام ضغوط ابن الزبير لأخذ البيعة منهما.

٥ - وقوف أمثال إبراهيم بن مالك الأشتر، وهو الشيعي المعروف، إلى جانب المختار، وهذا بحد ذاته له دلالة على نوعيه مسار المختار السياسي.

٦ - وقوفه (المختار) ضد ابن الزبير وخوضه الحرب ضده، وهذا الأمر يشير إلى اتجاهه السياسي الموالي لأهل البيت، حيث عرف من ابن الزبير عداوته وحقده على الهاشميين.

وهذه المؤيدات إضافة إلى تلك الأدلة تجعل الباحث يقطع بالهوية الشيعية لحركة المختار.

شبهات حول شخصيه ومواقف المختار:.

الأمر الأول: بيعته لعبد الله بن الزبير:.

فقد ورد في كتب التاريخ أن المختار بايع عبد الله بن الزبير (٥): حيث قال له:.

أبايعك على أن لا تقضى الأمور دوني، وعلى أن أكون أول داخل، وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك. فقال ابن الزبير: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله فقال (المختار): وشر غلmani تباعه على ذلك. والله لا أبايعك أبدا إلا على ذلك، فبايعه، فأقام عنده وشهد معه قتال الحصين بن نمير وأبلى أحسن بلاء، وقاتل معه أشد قتال، وكان أشد الناس على

١ - المصدر نفسه.

٢ - رجال الكشي ص ١٢٧.

٣ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٧٨.

٤ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٥٤.

٥ - تاريخ الكامل ج ٤ ص ١٧٠، وراجع نفس المصدر ص ٢٤٧.

(١٤٧)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، عبد الله بن عباس (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٢)، إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي (١)، عبد الله بن الزبير (٣)، حصين بن نمير (١)، القتل (٧)، الحرب (١)، كتاب رجال الكشي (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢)

صفحة ١٤٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤٨

أهل الشام (١).

ولا ريب أن هذه البيعة وقعت بعد أن أخرج عبيد الله بن زياد المختار من السجن، بعد شهادة الإمام الحسين (ع)، حيث ذهب المختار إلى مكة وهناك بايع لعبد الله بن الزبير.

فلا بد من علاج هذه النقطة، إذ لو كان مواليا لأهل البيت (ع)، كيف يبايع عبد الله بن الزبير المعروف بمواقفه المعادية لأهل البيت؟.

وهنا توجد عدة تفسيرات لهذه البيعة وهي:

١ - إنكار وجود مثل هذه البيعة، حيث يستبعد أن يبايع المختار مع وجود الإمام السجاد (ع) في المدينة.
٢ - إن البيعة التي أعطاها المختار لعبد الله بن الزبير، توفر له فرصة لتحقيق أهدافه في الانتقام من بنى أمية، وقتله الحسين (ع)، حيث أن هذا الهدف قد ملك عليه شغاف قلبه، ولهذا ينقل عنه أنه كان يقاتل إلى جانب عبد الله بن الزبير الجيش الأموي، الذي بعثه يزيد بن معاوية لحصار مكة والقضاء على ابن الزبير، بقيادة الحصين بن نمير، بضراوة بالغه ونشاط ملحوظ (٢).
وكان من ضمن الشروط التي وضعها المختار للبيعة: أن لا يمضى ابن الزبير أمرا من دون أن يعرضه على المختار، وأن يستعمله في أفضل أعماله لو ظهر، وهذه الشروط تتيح للمختار صلاحيات كبيرة يستطيع أن يتحرك من خلالها، لتحقيق أهدافه التي تختلف عن أهداف ابن الزبير.

ويبدو أن ابن الزبير قد أدرك غرض المختار، ولذلك رفض أن يستعمله في شئ رغم ظهوره النسبي، واتساع سلطانه في العالم الاسلامي، مما دفع بالمختار إلى ترك المدينة والتوجه نحو الكوفة، بهدف قيادة الحركة الشيعية التي برزت فيها (٣).
٣ - إن هذه البيعة كانت بحكم الأمر المفروض عليه، حيث أن سلطان ابن الزبير اتسع، وقد فرض عليه أن يعيش تحت هذا السلطان، وهو ليس من القوة بحيث يرفض البيعة لابن الزبير، فهي بيعة مفروضة عليه ولم يكن مقتنعا بها، ولهذا نجده ينقضها في أقرب فرصة سنحت له، وهذا اللون من المبايعه قد حصل من كبار الشخصيات المعروفة، كالزبير بن العوام الذي نقض بيعته للإمام علي بن أبي طالب (ع)، فليس فيه حرج على المختار.

٤ - إن المختار بايع ابن الزبير بيعة مشروطة، وهي كما ينقلها ابن الأثير في تاريخه:
فلو وفي عبد الله بن الزبير بشروط هذه البيعة، فهذا معناه أن المختار يحقق أهدافه السياسية، إلا أن ابن الزبير كان يعلم بحقيقته نوايا المختار ومذهبه السياسي، و لذلك لم يطمئن إلى جانبه، ويقول عن المختار حين طلب منه مبلغا من المال:
إلى متى أماكر كذاب ثقيف ويماكرنى، وكتب إليه جوابا على طلبه: والله ولا درهم (٤).
والواقع، أن العلاقة بين المختار وبين ابن الزبير كانت علاقة حذرة، يسعى كل واحد منهما

١ - تاريخ الكامل ج ٤ ص ٢٤٧.

٢ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٧٠.

٣ - المصدر نفسه.

٤ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٤.

(١٤٨)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، مدينة الكوفة (١)، ابن الأثير (١)، عبيد الله بن زياد لعنه الله (١)، عبد الله بن الزبير (٤)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، بنو أمية (١)، الشام (١)، القتل (١)، الوسعة (١)، البعث، الإنبعث (١)، الهدف (١)، الرفض (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢)

صفحة ١٤٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٤٩

للوصل إلى أهدافه على أكتاف الآخر.

الأمر الثاني: علاقته مع محمد بن الحنفية:

ثمّة تصرفات تشير إلى وجود تفاهم مشترك بين محمد بن الحنفية، وبين المختار حول بعض القضايا السياسية، ومن هذه التصرفات أن ابن الحنفية كتب للمختار بعد أن ظهر أمره في الكوفة يطلب منه النجدة: حيث أن ابن الزبير كان قد جمع بنى هاشم، فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل، والإحراق، وإعطاء الله عهداً: إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً (١). وقد أنجده المختار بسريته أنقذته وسائر بنى هاشم من قبضة ابن الزبير.

فلما قتل المختار تضعضوا واحتاجوا (٢).

وكان المختار حين يتصل بأحد من أهل الكوفة، يخاطبه بإمامة محمد بن الحنفية (٣).

وحين اتصل المختار بإبراهيم الأشتر، عرض عليه كتاب من محمد بن الحنفية جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد المهدي إلى إبراهيم ابن الأشتر سلام عليك. قد بعثت إليك المختار ومن ارتضيته لنفسى، وقد أمرته بقتال عدوى والطلب بدماء أهل بيتى، فامض معه بنفسك وعشيرتك، وشهد جماعة على صحة صدور هذا الكتاب من محمد بن الحنفية، فقبل الأشتر ذلك (٤).

موقف الإمام السجاد (ع) من حركة التوابين:

ظهرت حركة التوابين مباشرة بعد شهادة الإمام الحسين (ع) حيث أن الشيعة بالكوفة تلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين (ع) فلم يغيثوه، ورأوا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيراً، بدعاء الحسين إياهم، ولم يجيبوه، ولمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه، ورأوا أنهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم إلا قتل من قتله، أو القتل فيه، ففرغوا إلى خمسة نفر منهم: سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وال التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي (٥).

وكان هدفها (حركة التوابين) الرئيسية هو طلب التوبة من الله: لتقصيرهم في نصره الإمام الحسين (ع)، وقد ظلت تعمل في السر خلال مدة طويلة من الزمن، حتى تجمعت لها قوات كافية انطلقت باتجاه الشام: لتحقيق هدفها في القضاء على الحكم الأموي.

ولقد انتهت حركة التوابين بفاجعة أخرى للشيعة، حيث استشهد في المعركة قادة الحركة وأغلب أفرادها.

مشروعية حركة التوابين.

إن حركة التوابين تلتقيت من قبل الوسط الشيعي قاطبة بالقبول، حيث كتب سليمان بن صرد إلى الشيعة في الأمصار ينبئهم بخبر التوابين.

١ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٥٠.

٢ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٥١.

٣ - المسعودي / ج ٣ / ص ٧٤.

٤ - البحار ج ٥ ص ٣٦٦.

٥ - تاريخ المسعودي ج ٣ ص ٩٣.

(١٤٩)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٤)، سليمان بن صرد الخزاعي (١)، رفاعة بن شداد البجلي (١)، مدينة الكوفة (٣)، عبد الله بن وال (١)، بنو هاشم (٢)، مسيب بن نجبة (١)، الشام (١)، القتل (٧)، الغسل (١)، الشهادة (٢)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٥٠

فكان، يجيهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر (١).

وحيث أن مدة الاستعدادات للعمل العسكري استغرقت أكثر من ثلاث سنوات، فلا بد أن الشيعة قد اتصلوا بالامام (ع)، وأخبروه بعزم الحركة فلم يمنعهم من نشاطهم، فيدل ذلك على رضا الإمام (ع) من حركة التوابين.

إذ من المستبعد عدم معرفة الإمام السجاد (ع) بنشاطهم، ومن المستبعد أن لا يشير بكلمة، أو بموقف عملي محدد يفهم منه قبوله لتلك الحركة، أو رده لها، وحيث أن الشيعة قد تجاوزت مع حركة التوابين، فهذا يكشف عن وجود موافقة من قبل الإمام السجاد (ع)، وإن لم يصلنا نص في هذا المجال، إذ لو صدر من الامام شئ ضد الحركة لوصل إلينا، كما وصل مثلا القدح بالمختار من قبل نفس الإمام السجاد (ع) على حسب ما يرويه المسعودي (٢).

حيث أن طبيعة تفكير قيادات الحركة وأشخاصها مؤثرة في مسار الحركة، إذ أنها تتجه باتجاه تفكير قياداتها، وحيث أن تلك القيادات من الطراز الشيعي الذي أثبت ولاءه للإمام على (ع) وللإمام الحسن (ع)، وقد خاض التجارب القاسية دفاعا عن هويته الشيعية، إذ فضلا عن الأشخاص الخمسة الذين تقدم ذكرهم، والذين عرفوا بتشيّعهم الشديد، فقد انضم تيار الشيعة إلى هذه الحركة، فقد حدث أبو مخنف قال:.

حدثني حميد بن مسلم قال: والله إنني لشاهد بهذا اليوم، يوم ولوا سليمان بن صرد و أنا، يومئذ لأكثر من مئة رجل من فرسان الشيعة ووجوههم في داره (٣).

أقول: حيث كل ذلك متوفر في الحركة فلا بد أن يكون نشاطها وأهدافها، ينطبق مع العقلية الشيعية الموالية لأهل البيت (ع) فتكون مرضية للإمام (ع)، وإن لم يصدر من عنده.

إن طبيعة أهداف تلك الحركة تفضي الشرعية عليها، فقد خطب سليمان بن صرد وهو يحدد هدف الحركة قائلا:.

إننا كتبنا إلى الحسين بن علي فجاء وأخذ يستصرخ ويسأل النصف فلا يعطاه، اتخذ الفاسقون غرضا للنبل، ودرية للرمح حتى أقصدوه، وعدوا عليه فسلبوه، ألا انهضوا فقد سخط ربكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله، والله ما أظنه راضيا دون أن تنجزوا من قتله أو تبيروا (تهلكوا)، ألا لا تهابوا الموت، فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذل (٤).

فهذا الهدف الذي طرحه قادة الحركة، وتجمعت القوات الشيعية على أساسه: يكشف عن رضا الامام بها، فالتأثر لدم الحسين (ع) الذي سعت الحركة للأخذ به كاف لإثبات مشروعيتها، إذ لا شك في أن قيادات الحركة وجنودها كانوا مخلصين في رفع هذا الشعار، والقضاء على قتلة الإمام الحسين ورموز فاجعة كربلاء.

ومن جهة أخرى فإن التحرك في إطار هذا العنوان مما يرضى عنه الإمام السجاد (ع)، إذ طالما دعا الله في القضاء على قتلة أبيه وأهله.

١ - تاريخ الطبري ج ٧ ص ٥١.

٢ - تاريخ المسعودي ج ٣ ص ٧٤.

٣ - تاريخ الطبري ج ٧ ص ٤٨.

٤ - تاريخ الطبري ج ٧ ص ٤٩.

(١٥٠)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٤)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، سليمان بن صرد الخزاعي (٢)، الحسين بن علي (١)، حميد بن مسلم (١)، القتل (٣)، الموت (١)، الهدف (٢)، كتاب تاريخ الطبري (٣)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٥١

فمن المنهال بن عمرو قال:.

دخلت على علي بن الحسين (ع) عند [منصرفي من مكة فقال لي: يا منهال، ما صنع حرملة بن كاهل الأسدي؟]. فقلت: تركته حيا بالكوفة.

قال: فرجع يديه جميعا ثم قال (ع): اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر الحديد (١). وعن عمر بن علي بن الحسين (ع) قال:.

إن علي بن الحسين (ع) لما أتى برأس عبيد الله بن زياد ورأس عمر بن سعد خر ساجدا، وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى الله المختار خيرا (٢).

وقال الإمام السجاد (ع):.

دخلت على ابن زياد، وهو يتغدى ورأس الحسين أبي (ع) بين يديه فقلت: اللهم لا تمتني حتى تربني رأس ابن زياد وأنا أتغدى (٣). بل يبدو أن محمد بن الحنفية كان مأمورا من قبل الإمام السجاد (ع) بتوجيه حركة الشيعة، للأخذ بثأر الحسين (ع) وأهله، فقد كتب صاحب بحار الأنوار:.

وكان محمد بن الحنفية أكبر من زين العابدين سنا، ويرى تقديمه عليه فرضا، ودينا، ولا يتحرك حركة إلا بما يهواه، ولا ينطق إلا عن رضاه، ويتأمر له تأمر الرعية للوالي، ويفضله تفضيل السيد على الخادم والموالي، وتقلد محمد (رض) أخذ الثأر لإراحة لخطره الشريف (أي خاطر زين العابدين (ع))، من تحمل الأثقال والشدة والترحال (٤).

فإذا كان الثأر لدم الإمام الحسين (ع) مما يسعى إليه الإمام السجاد (ع)، وقد كلف عمه لمتابعة هذا الأمر: فإنه حينئذ سوف يرضى على حركة الثوابين، لأنها حركة تستهدف الثأر للإمام الحسين (ع)، وقد أخذوا يجمعون العدة والعدد خلال مدة طويلة، حتى إذا اجتمعت قوتهم اندفعوا لقتال عبيد الله بن زياد، ولكنهم لقتلهم خسروا المعركة بعد أن أبلوا بلاء حسنا، وكبدوا الجيش الأموي خسائر فادحة (٥) موقف الإمام السجاد (ع) من حركة ابن الزبير:.

لا توجد روايات كافية صادرة من الإمام السجاد (ع) تلقى ضوءا على طبيعته موقفه من حركة ابن الزبير، إنما ثمة رواية واحدة أطلق الإمام السجاد (ع) فيها وصف الفتنة على حركة

١ - البحار ج ٤٥ ص ٣٣٢.

٢ - البحار ج ٤٥ ص ٣٤٧.

٣ - إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ج ٣ ص ١٢.

٤ - البحار / ج ٤٥ / ص ٣٤٧.

٥ - إلا أن يقال: إن جواز رفع السلاح أمام الحاكم الجائر، وما يستلزم ذلك من إراقة الدماء، موقف على إذن خاص من الامام، ولا تكفي الأدلة اللبية لإثبات ذلك، والمفروض عدم وجود الإذن الخاص من الإمام السجاد (ع) لنشاط الحركة المسلحة.

(١٥١)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام)

(٣)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة

(١)، كتاب بحار الأنوار (١)، عبيد الله بن زياد لعنه الله (٢)، القتل (١)، السلاح (١)، الجواز (١)

صفحة ١٥٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٥٢

ابن الزبير (١)، سوف نقلها فيما يلي من أبحاث.

ولكى نحدد موقف الإمام السجاد (ع) من هذه الحركة، لابد أن نحلل شخصية ابن الزبير، واتجاهه السياسي والفكري بشكل مختصر، ثم نحاول معرفة موقف الإمام السجاد (ع) منه. شخصية عبد الله بن الزبير.

حين نستقرئ نشاط عبد الله بن الزبير السياسي نجده دائما ضد خط أهل البيت (ع)، حيث اتخذ ابن الزبير موقفا عدائيا ضد الإمام على بن أبي طالب (ع) وضد الحسين (ع)، و لعب دورا بارزا في حرب الجمل رغم أن أباه ترك المعركة، بعد أن اكتشف خطأ موقفه من الإمام على (ع)، بل إن عبد الله بن الزبير نجح في جر أبيه إلى صف الناكثين لبيعة الإمام على (ع)، حتى نسب إلى الإمام على (ع) قوله بحق عبد الله بن الزبير:

كنا نحسب الزبير معنا أهل البيت، حتى نشأ ابنه عبد الله فصرفه عنا.

ولا نعلم بالدقة سبب كراهية ابن الزبير لأهل البيت، ولعل منشأ نزاع نسائي بين فاطمة الزهراء (ع) وبين عائشة وأسماء بنت أبي بكر. وكان ابن الزبير لا يخفي كراهية لأهل البيت، فقد قال ذات مرة لعبد الله بن العباس: إنني لا أكنتم بغضكم أهل البيت منذ أربعين سنة (٢).

وقد ذكر مساور بن السائب: إن ابن الزبير خطب أربعين يوما (والظاهر أربعين جمعة) لا يصلى على النبي (ص) وقال: لا يمنعني أن أصلى عليه إلا أن تشمخ رجال بآنافها (٣).

والذى يبدو أن شخصية عبد الله بن الزبير ذات طابع حاد يسعى لتحقيق أهدافه بكل ثمن: فمثلا حين دعا ابن الزبير لأخذ البيعة لنفسه بشكل علني بعد أن كان يدعو لنفسه بالسرجاء الخوارج. فسر بمقدمهم، ونباهم أنه على رأيهم وإعطائهم الرضا من غير توقف ولا تفتيش، فقاتلوا معه حتى مات يزيد بن معاوية، وانصرف أهل الشام عن مكة. ثم إن القوم لقي بعضهم بعضا، فقالوا: إن هذا الذى صنعتم أمس بغير رأى ولا- صواب من الأمر، تقاتلون مع رجل لا- تدررون لعله ليس على رأيكم، إنما كان أمس يقاتلكم هو، وأبوه ينادى يا لثارات عثمان، فأتوه وسلوه عن عثمان، فإن برئ منه كان وليكم، وإن أبى كان عدوكم، ... فقال لهم عبد الله بن الزبير: وأنا أشهدكم ومن حضر أئى ولى لابن عفان فى الدنيا والآخرة، وولى أوليائه، وعدو أعدائه. قالوا: فبرئ الله منك يا عدو الله قال: فبرئ الله منكم يا أعداء الله، وتفرق القوم (٤).

وقد أدى هذا المسلك الحاد فى شخصية ابن الزبير تجاه الهاشميين، إلى أن يرفض كل من محمد بن الحنفية، وعبد الله بن العباس البيعة له كما تقدم، وخرجا إلى الطائف ابتعادا عنه.

والذى يبدو أن ملامح هذه الشخصية أثرت فى بعض المعاصرين له، فقد قال له عمرو بن العاص وهو يصفه:..

١ - الفصول المهمة فى معرفة أحوال الأئمة ص ٢٠٣.

٢ - تاريخ المسعودى ج ٣ ص ٨٠.

٣ - تاريخ المسعودى ج ٣ ص ٧٩.

٤ - الطبرى ج ٧ ص ٥٥ و ٥٦.

(١٥٢)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٢)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (٤)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله

عليه وآله (١)، عبد الله بن عباس (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، أسماء بنت أبي بكر (١)، عبد الله بن الزبير (٦)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، الشام (١)، الخوارج (١)، الموت (١)، الحرب (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)

صفحة ١٥٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٥٣
والله يا ابن الزبير، إنك ما علمت لمتجلبب جلايب الفتنة، فتأزر بوسائل التيه، تتعاطى الذرى الشاهقة، والمعالي الباسقة، وما أنت من قريش فى لباب جوهرها، ولا موفق حسبها (١).

وقال له معاوية بن أبى سفيان:.

أنت ثعلب رواج، كلما خرجت من جحر انجحرت فى آخر (٢).

وكان أخوه عمرو بن الزبير يبغضه أشد البغض، وقد استعمله عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته، لما كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة، فضربهم ضرباً شديداً لهوهم فى أخيه عبد الله، وقد طلب عمرو بن الزبير من عمرو بن سعيد أن يرسله إلى مكة لمحاربة أخيه عبد الله بن الزبير، وقال لعمرو بن سعيد فى ذلك:.

لا توجه إليه رجلاً أنكأ له منى (٣).

موقف الإمام السجاد (ع) من ابن الزبير.

لقد تولى عبد الله بن الزبير مقاليد السلطة بعد وفاة يزيد بن معاوية فى شطر من العالم الإسلامى، حيث بويع له بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان (٤)، فهل بايعه الإمام السجاد (ع) الذى كان يعيش فى المدينة؟.

لم ترد نصوص تثبت بيعته لابن الزبير، إنما ورد حديث عبر فيه الإمام (ع) عن خوفه من فتنة ابن الزبير.

فعن أبى حمزة الثمالى عن على بن الحسين (ع) قال:.

خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحايط، فاتكيت عليه فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر فى اتجاه وجهى، ثم قال: يا على بن الحسين، مالى أراك كئيباً حزينا، أعلى الدنيا حزنك؟ فرزق الله حاضر للبر والفاجر، قال: قلت: ما على هذا أحزن، وإنه لكما تقول.

قال: فعلى الآخرة، فهو وعد صادق يحكم فيه ملك قاهر.

قال: قلت: ولا على هذا أحزن، وإنه لكما تقول، قال: فعلام حزنك؟.

قلت: أتخوف من فتنة ابن الزبير، فضحكك ثم قال يا على بن الحسين، هل رأيت أحداً قط توكل على الله فلم يكفه؟

قلت: كلا. قال: يا على بن الحسين، هل رأيت أحداً قط خاف الله فلم ينجه؟.

قلت: لا.

قال: يا على بن الحسين، هل رأيت أحداً قط سأل الله فلم يعطه؟.

قلت: لا، ثم نظرت فإذا ليس قدامى شىء، فعجبت من ذلك، فإذا قائل أسمع صوته، ولا أرى شخصه يقول: يا على بن الحسين هذا الخضر ناجاك (٥).

١ - ناسخ التواريخ بالفارسية، قسم حياة الإمام زين العابدين ص ٢٠٦.

٢ - الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٨٨.

٣ - الكامل فى التاريخ ج ٤ ص ١٨.

٤ - تاريخ الخلفاء ص ٢١٢.

٥ - يراجع كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، وكتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات ج ٢ ص ٣٠، وقد روى هذا الحديث من كتب العامة كتاب: نور الأبصار ص ١٩٢، وكتاب الإتحاف بحب الأشراف ص ٤٩، وكتاب الفصول المهمة في معرفة الأئمة ص ٢٠٢، وكتاب كفاية الطالب ص ٣٠١.

(١٥٣)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٤)، معاوية بن أبي سفيان لعنهما الله (١)، دولة العراق (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، عبد الله بن الزبير (٢)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، علي بن الحسين (٥)، عمرو بن سعيد (٢)، خراسان (١)، الخوف (١)، الوفاة (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)

صفحة ١٥٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٥٤

إذن نرى أن الإمام السجاد (ع) لم يبايع ابن الزبير، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: الذي يظهر أن الهاشميين قد قرروا مقاطعة عبد الله بن الزبير، حيث رفض كل من محمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس البيعة له، فكان خروجهما إلى الطائف فمات ابن عباس فيها (١)، وكان ابن عباس قد أرسل ابنه إلى الشام ليطلب الأمن من عبد الملك بن مروان.

صحيح أنه ليست ثمة ملازمة بين عدم بيعه كل من محمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس لابن الزبير، وبين عدم بيعه الإمام السجاد (ع) له، إلا أنه من البعيد جداً أن لا يبايع الاثنان لابن الزبير، ويبايعه الإمام السجاد (ع) مع معرفته بعداوته لأهل البيت، ومع خوفه من فتنته كما أشارت إليه الرواية السابقة.

ثانياً: إن الإمام السجاد (ع) قد تنكب طريق السياسة بمعنى السعي نحو السلطة، وآثر أن يمارس إمامته ضمن اتجاهات أخرى، كتعميق مفهوم الإمامة، وتحصين الأمة من الاتجاهات الدنيوية المنحرفة، وتربية القواعد الموالية للإمام من أهل البيت، وهذه مسؤوليات لا تقل أهمية عن مسؤولية تولى السلطة، ولهذا فمن البعيد أن يبايع ابن الزبير، وخصوصاً أن ضغوط ابن الزبير على المدينة أقل بكثير من ضغوطه على مكة.

ثالثاً: اضطراب الأحوال السياسية في العالم الإسلامي، حيث كان يلي السلطة في الشام عبد الملك، وفي مكة ابن الزبير، وقد انفجر صراع عنيف وطويل بينهما إلى أن استطاع الحجاج القضاء على ابن الزبير عام (٧٣هـ)، وهذا القلق السياسي يسمح للإمام السجاد (ع) بعدم البيعة لأحد من الطرفين المتنازعين بذريعة الفتنة، وعدم اجتماع الأمة على شخص، وطالما تعذر الآخرون بمثل هذا الاعتذار لعدم البيعة لأحد.

رابعاً: لو كان الإمام السجاد (ع) قد بايع ابن الزبير، سواء في مكة، أو في المدينة لظهر ذلك وأشيع بين الناس، ولسجلته كتب التاريخ والروايات، مع الحرص على إثبات هذه البيعة من قبل جبهة ابن الزبير، وحيث لم يصل شئ من ذلك: فلهذا ينمو احتمال عدم بيعه الإمام السجاد (ع) له.

موقف الإمام السجاد (ع) من حركة المدينة:.

في هذا الفصل نتناول موقف الإمام السجاد (ع) من حركة المدينة ضمن أمرين:.

الأمر الأول: حول بواعث الحركة.

ما هي بواعث حركة المدينة التي انفجرت في وجه الحكم اليزيدي عام ٦٣هـ؟.

يمكن ذكر أهم بواعث الثورة كما يلي:.

أولاً: الآثار التي تركتها فاجعة كربلاء على أهل المدينة، وعلى عموم العالم الاسلامي، فإن أهل المدينة يعرفون الإمام الحسين (ع) حق المعرفة، ويكونون له احتراماً عميقاً حتى من قبل الأشخاص الذين يرون أنفسهم منافسين له، فقد قال له عبد الله بن الزبير لما عزم (ع) ١ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٥٣.

(١٥٤)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٩)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، عبد الله بن عباس (٣)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، محمد بن الحنفية ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (٢)، مدينة مكة المكرمة (٣)، عبد الله بن الزبير (١)، الشام (٢)، الرفض (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (١)

صفحة ١٥٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٥٥

على المضى إلى الكوفة:

أما أنك لو أقيمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ههنا لما خالفنا عليك وساعدناك، و بايعناك ونصحنا لك (١). ففاجعة الطف أخذت تتفاعل في الساحة حتى مزقت الأغطية الشرعية التي كان يزيد يتستر بها، وكشفت مقدار انحرافه عن الاسلام، وشرعه القويم.

ثانياً: التهتك الأخلاقي، والمجون الجنسي الذي تميز به يزيد بن معاوية، والذي أخذ ينتشر في صفوف المجتمع بدون رادع، فقد أرسل عثمان بن محمد بن أبي سفيان وفداً من المدينة إلى يزيد، وفيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، فلما رجعوا قالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويضرب بالطناير ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب (وهم اللصوص)، وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه.

وقال عبد الله بن حنظلة: جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدته بهم (٢). ويقول:.

والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد، والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة (٣).

هذه أهم بواعث الحركة، التي أدت بأهل المدينة إلى خلع يزيد بن معاوية ومبايعة عبد الله بن حنظلة، تبعاً للنفر الذي وفد إلى الشام (٤).

وقد طرد أهل المدينة عامل يزيد عليها، والأمويين الذين يقطنونها، وكان عددهم زهاء ألف رجل (٥)، وهكذا تطورت الأحداث، فبعث يزيد بن معاوية جيشاً كثيفاً إلى المدينة بقيادة مسلم بن عقبة، الذي أسرف بدماء المسلمين ونواميسهم، بعد القضاء على تلك الحركة.

الأمر الثاني: موقف الإمام السجاد (ع) من حركة المدينة:.

تشير الروايات الواردة في أحوال الإمام السجاد (ع) أثناء ثورة المدينة عام ٦٣ هـ، أنه اعتزل المدينة، والسؤال هو: لماذا اتخذ الامام هذا الموقف مع أن قادة الحركة، وخصوصاً عبد الله بن حنظلة من المعروفين بالورع والعبادة؟.

توجد عدة وجوه يمكن تفسير موقف الإمام السجاد (ع) في ضوءها: وقبل بيان ذلك ينبغي أن نشير إلى حقيقة مهمة وهي:.

إن الإمام (ع) ليس واجبا عليه أن يشارك في كل عمل ثوري ضد السلطة، فمثلاً لم يشترك الإمام علي بن أبي طالب في الثورة ضد

عثمان بن عفان، بل بعث ولديه الحسن والحسين (ع) لإيصال الماء إليه. وقد حاول الإمام (ع) إصلاح الأمر بين الثوار وبين الخليفة، و لم يفلح في ذلك.

١ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٣٨.

٢ - الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٠٣.

٣ - تاريخ الخلفاء ص ٢٠٩.

٤ - راجع الطبري ج ٧ ص ٤.

٥ - الطبري ج ٧ ص ٥.

(١٥٥)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٣)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، يوم عاشوراء (١)، الخليفة عثمان بن عفان (١)، مدينة الكوفة (١)، عبد الله بن حنظلة (٤)، عثمان بن محمد بن ابي سفيان (١)، مسلم بن عقبة المرمي (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (٣)، علي بن أبي طالب (١)، الشام (١)، الصلاة (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢)

صفحة ١٥٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٥٦

صحيح أن للإمام الحق في رفع السلاح ضد الحاكم: ولكن قد تبرز مسائل تحول دون أن يقوم الإمام بهذا الفعل. بعد هذا ينبغي أن نتناول الدوافع التي قد يكون واحد منها أو جميعها سببا لموقف الإمام السجاد (ع) من الحركة:

فالدافع الأول: إن الإمام السجاد (ع) كان يعلم أن ثورة المدينة سوف تؤدي إلى فجاج كبيرة، وقتل النفوس الكثيرة، وهتك الحرمات، وذلك لأنه شاهد بنفسه ما فعله الأمويون في كربلاء بحق الإمام الحسين (ع)، وأهله وأنصاره، ولم يقف دون أفعالهم الوحشية مقام الحسين (ع) وصلته برسول الله (ص)، فلو أعلن أهل المدينة الخروج على الشام، فإن يزيد سيسحقهم بلا رحمة، وقد حصل هذا على يد مسلم بن عقبة.

وفي الواقع أن الإمام كان يعلم أن نتائج الثورة الفاشلة ستكون شاملة وقاسية، ولهذا لم يشترك فيها خوفا على صحابة رسول الله، وعلى أعراض المسلمين ونفوسهم.

وكان النعمان بن بشير قد حذر القائمين بالثورة من مغبة تلك الثورة، وخوفهم بأن الفتك، والتهتك سيكون شاملا ورهيبا، فجاء يكلمهم في جدوى الثورة.

فقال له عبد الله بن مطيع العدوي: ما يحملك يا نعمان على تفريق جماعتنا، وفساد ما أصلح الله من أمرنا؟ فقال النعمان: أم والله كأنني بك لو قد نزلت تلك التي تدعو إليها (أي الثورة)، وقامت إليها الرجال على الركب تضرب مفارق القوم وجباههم بالسيوف، ودارت رحي الموت بين الفريقين، وقد هربت على بعلتك تضرب جنبها إلى مكة، وقد خلفت هؤلاء المساكين (يعني الأنصار) يقتلون في سلكهم، ومساجدهم، وعلى أبواب دورهم، فعصاه الناس فانصرف، وكان والله كما قال (١).

والدافع الثاني: ان حركة المدينة كانت متأخرة، إذ كان ينبغي أن تتحرك، حيث رفض الإمام الحسين (ع) البيعة ليزيد أثناء حكم معاوية، أو تتحرك بعد وفاة معاوية، إلا أن شيئا من ذلك لم يحصل، حتى استقر الوضع لصالح يزيد بن معاوية.

فحركة المدينة متأخرة زما عن وقتها المناسب، فلا فائدة من الاشتراك فيها.

والدافع الثالث: إن أية حركة لا ترتبط بالامام الشرعي، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لا يمكن أن تحقق أهدافها الاسلامية، فقد

تستطيع أن تقوض بعض معالم الانحراف، ولكنها قاصرة عن إيجاد البديل الشرعى ما دامت لم ترتبط بالامام (ع) و حركة المدينة، وإن كانت ذات بواعث سليمة، وقام بها الأنصار والمهاجرون، ولكنها حيث لم ترتبط بالامام الشرعى، فلا يمكن أن توصل إلى الأهداف المرجوة.

والدافع الرابع: إن أهل المدينة لم يتقدموا للبيعة إلى الإمام الحسين (ع) بعد وفاة معاوية، وليس معنى ذلك أن الإمام الحسين طلب البيعة فرفض أهل المدينة بيعته، إنما المقصود أنهم لم يبادروا إلى بيعه الإمام الحسين (ع) مع علمهم بحقه، وعلمهم بيزيد وسلوكه، وهذا الموقف ترك أثره بعد شهادة الإمام الحسين (ع) فى نفس على بن الحسين (ع)، فلم يشترك الامام فى

١ - تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٤.

(١٥٦)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٢)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (٧)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، عبد الله بن مطيع العدوى (١)، مسلم بن عقبة المرى (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، النعمان بن بشير (١)، الشام (١)، الموت (١)، القتل (٢)، الشهادة (٢)، الوفاة (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)

صفحة ١٥٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٥٧

حركة المدينة.. إذ كيف يساهم الامام فى معركة لم يبذل قادتها جهدا فى معرفة الإمام الشرعى، والوقوف إلى جانبه؟ فلذلك تنحى عن الفتنة وابتعد عن شررها المتطائر، فكان فيه الإبقاء على كيان الإمامة، ومن انضوى إلى بيته من آل عبد مناف زهاء أربعمئة ما بين رجل وامرأة و صبى، وعدد كبير من أهل المدينة، فقام (ع) بما يحتاجون إليه إلى أن ارتحل الجيش الفاتك (١). والدافع الخامس: حيث أن الإمام السجاد (ع) هو الإمام الشرعى للأمة، وأن اشتراكه فى الحركة قد يؤدى إلى قتله، مما يؤدى ذلك إلى فراغ قيادى وسياسى، إذ أن ابنه محمد بن على الباقر (ع) بعد لم يتجاوز الخمس سنوات، فقتله - إذن - سوف يترك فراغا قد يمتد إلى بضع سنين، وهذا معناه انحسار الغطاء المبدئى عن الأمة، وسقوطها فى قبضة التيارات الفكرية، والشهوات الدنيوية، ونزاعات طواغيت الزمان. لذلك كله لم يشترك الإمام السجاد (ع) فى حركة المدينة: حرصا على منصب الإمامة الذى هو حصن الأمة، و بالتالى حرصا على كل الأمة الإسلامية.

والدافع السادس: لما مات الحسن بن على (ع) تحركت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحسين بن على (ع) فى خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم وذكر أن بينه وبين معاوية عهدا وعقدا ولا يجوز له نقضه حتى تمضى المدّة، فإذا مات معاوية نظر فى ذلك (٢).

صحيح أن مثل يزيد بن معاوية الذى اشتهر بفساده وكفره، لا معنى للوفاء بالبيعة له إذ لا يستحقها، فكيف يحسن الوفاء له، إلا أن الخروج على الحاكم الظالم الفاسق له شروط أهمها:

أن لا يؤدى ذلك الخروج إلى خسائر هى أهم من فوت حق الإمام الشرعى، فلو كان الأمر كذلك فإن الامام يختار موقفا سياسيا آخر غير موقف الحرب، وهذا الموقف ليس إقرارا بسلطان الظالم، وليس قبولاً بأفعاله، إنما هو من باب دفع أكبر الضررين.

والدافع السابع: رغم أن قادة الحركة من الأشخاص الورعين أمثال عبد الله بن حنظلة، إلا أن ثمة خيوط زبيريّة تواجدت فى الحركة أمثال المنذر بن الزبير، الذى ذهب إلى الشام مع الوفد ثم رجع إلى الكوفة، وتكلم على يزيد ثم ذهب إلى المدينة، واشترك مع الوفد فى القدح بيزيد وأفعاله.

ومن الواضح أن المنذر هو أخو عبد الله بن الزبير، فليس من المستبعد أن يكون اتفاقا خاصا قد جرى بين الاثنين، لتحريك المدينة

لحساب عبد الله بن الزبير، وإضافة إلى اشتراك المنذر بن الزبير في القيادة المباشرة في الحركة، يوجد شخص آخر اشترك في قيادة الحركة، وهو عبد الله بن المطيع العدوي وهو زبيرى الهوى، وقد فر من المعركة بعد قدوم مسرف بن عقبة، والتحق بعبد الله بن الزبير في مكة، بعد أن رفض العرض الذى تقدم به النعمان بن بشير، لتسوية الموقف بين قادة الحركة وبين يزيد بن معاوية.

وأما الدافع الثامن: إن أغلب الظن أن نهاية حركة المدينة لو كانت هي الغالبة، فسوف تكون

١ - الإمام زين العابدين ص ٣٦٩.

٢ - الإرشاد ص ٢٠٠.

(١٥٧)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (١)، الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٣)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، معرفة الإمام (١)، مدينة الكوفة (١)، عبد الله بن حنظلة (١)، عبد الله بن الزبير (٣)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، النعمان بن بشير (١)، الشام (١)، القتل (١)، الموت (٢)، الظن (١)، الظلم (٢)، الوقوف (١)، الحرب (١)، الجواز (١)، الخمس (١)

صفحة ١٥٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٥٨

لصالح عبد الله بن الزبير، الذى كان نفوذه قويا فى مكة والمدينة، فقد قال عمرو بن سعيد ليزيد بن معاوية (وكان واليه فى الحجاز)، وهو يصف له نفوذ عبد الله بن الزبير فى الحجاز: إن جل أهل مكة وأهل المدينة قد كانوا مالوا إليه (أى لعبد الله بن الزبير)، وهو وأعطوه الرضا، ودعا بعضهم بعضا سرا وعلانية (١). وحينئذ فإن جهود الحركة سوف يستثمرها ابن الزبير لتعميق نفوذه، ويكون هو الرابع الوحيد فيها، رغم أنه لم يخسر شيئا على الإطلاق، ولهذا لم يشترك الإمام السجاد (ع) فيها.

دلائل عظمة آل البيت (ع):

لقد أفاد الإمام السجاد (ع)، كثيرا من مظاهر التعاطف الجماهيرى مع أهل البيت (ع):

نتيجة للسياسة التى مارسها ورسمها، من أجل إنجاح استراتيجية حركة الإسلام التاريخية فى تلك المرحلة الحرجة، ويمكن لنا إيجاز ثلاثة أطر مهمة تبناها الإمام السجاد (ع) وهى:

١ - العمل على توسيع القاعدة الشعبية المخلصة والمالية لأهل البيت (ع).

٢ - إيجاد وتنشئة قيادات فكرية متميزة، تحمل الفكر الإسلامى الأصيل.

٣ - العمل على رفع مستوى الوعى الإسلامى والانفتاح العملى بين قطاعات الأمة المسلمة، وقد نجحت الخطة التى وضعها الإمام (ع) على شتى الأصعدة، وما يلى بعض المصاديق العملية على ذلك:

قال ابن خلكان فى ترجمته للشاعر الشهير الفرزدق: وتنسب إليه - للفرزدق - مكرمة ترجى له بها الجنة، وهى: إنه لما حج هشام بن عبد الملك فى أيام أبيه، فطاف وجهه أن يصل الحجر ليستلمه، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس، ومعه جماعة من أعيان أهل الشام، فبينما هو كذلك، إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب (رضى الله عنهم) وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا فطاف البيت، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبه؟ فقال هشام: لا أعرفه (مخافة أن يرغب فيه أهل الشام) وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه، فقال الشامى:

من هذا يا أبا فراس؟ قال:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم.
 هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم.
 هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا.
 وليس قولك: من هذا بظائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم.
 كلتا يديه غياث عم نفعهما * يستوكفان ولا يعرفهما عدم.
 سهل الخليفة لا تخشى بواده * يزينه اثنان: حسن الخلق والشيم.
 حمال أثقال أقوام إذا امتدحوا * حلوا الشمائل تحلو عنده نعم.
 ما قال لا قط إلا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاءه نعم.
 ١ - الطبرى ج ٧ ص ٣.

(١٥٨)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٣)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (٣)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، الشاعر الفرزدق (٣)، عبد الله بن الزبير (٣)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، هشام بن عبد الملك (١)، على بن الحسين (١)، الشام (٣)، الشهادة (٢)، الحج (١)

صفحة ١٥٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٥٩

عم البرية بالإحسان فانقشعت * عنها الغياهب والإملاق والعدم.
 إذا رأته قريش قال قائلها: * إلى مكارم هذا ينتهى الكرم.
 يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم إلا حين يتسم.
 بكفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرينه شمم.
 يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم.
 الله شرفه قدما وعظمه * جرى بذاك له فى لوحه القلم.
 أى الخلائق ليست فى رقابهم * لأوليه هذا أوله نعم.
 من يشكر الله يشكر أوليه ذا * فالدين من بيت هذا ناله الأمم.

فلما سمع هشام هذه القصيدة، غضب وحبس الفرزدق، وأنفذ له الإمام زين العابدين (ع) اثنى عشر ألف درهم، فردها، وقال: مدحته لله تعالى لا للعطاء، فقال زين العابدين (ع): إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده، فقبلها (١).
 زينب الكبرى (ع)، بنت الإمام أمير المؤمنين (ع):.

ولادتها: لما ولدت زينب (ع) جاءت بها أمها الزهراء (س) إلى أبيها أمير المؤمنين (ع) وقالت: سم هذه المولودة، فقال: ما كنت لأسبق رسول الله (ص) - وكان فى سفر له - ولما جاء النبى (ص) وسأله على (ع) عن اسمها، فقال: ما كنت لأسبق ربى تعالى، فهبط الأمين جبرئيل يقرأ على النبى السلام من الله، وقال له: سم هذه المولودة زينب، فقد اختار الله لها هذا الاسم، ثم أخبره بما يجرى عليها من المصائب فبكى النبى (ص) وقال: من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين (ع).
 كناها وألقابها: تكنى بأبى كلثوم، كما تكنى بأبى الحسن أيضا، ويقال لها زينب الكبرى، للفرق بينها وبين من سميت باسمها من أخواتها،

كما أنها تلقب بالصديقة الصغرى، للفرق بينها وبين أمها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (س).

وتلقب بالعقيلة، وعقيلة بنى هاشم، وعقيلة الطالبين. وهى أول بنت لفاطمة (س) فى أشهر الروايات، ومما يدل على أنها أكبر بنات فاطمة: أن الرواة فى أيام الاضطهاد الأموى كانوا إذا أرادوا الرواية عن على (ع) يقول الرجل منهم: هذه الرواية عن أبى زينب، كما نقل ذلك ابن أبى الحديد فى شرح النهج، ولم يكن يعرف الإمام بهذه الكنية عند أعدائه.

كانت الولادة الميمونة لهذه الطاهرة العقيلة زينب (س) فى الخامس من شهر جمادى الأولى فى السنة الخامسة أو السادسة للهجرة، وقيل فى شعبان فى السنة السادسة للهجرة، وقيل فى السنة الرابعة، وقيل فى أواخر شهر رمضان المبارك فى السنة التاسعة للهجرة.

والراجح، هو أن ولادة زينب كانت فى الخامسة من الهجرة، وقد روى صاحب ناسخ التواريخ فى كتابه: إن زينب أقيمت عند وفاة أمها

وهى تجر رداءها وتنادى: يا أبتاه يا رسول الله، الآن عرفنا الحرمان من النظر إليك، وعليها برقعَةٌ تجر ذيلها متجلببة برداء عليها

١ - القصيدة طويلة، وقد جاء ذكرها فى الكثير من المصادر التاريخية والأدبية، أنظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٦ ص ٩٦، والإمام زين العابدين للمقرم ص ٣٩٥.

(١٥٩)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام

(٤)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، السيدة زينب

بنت أمير المؤمنين على عليهما السلام (٣)، ابن أبى الحديد المعتزلى (١)، شهر جمادى الأولى (١)، معرفة الإمام (١)، شهر رمضان

المبارك (١)، شهر شعبان المعظم (١)، الشاعر الفرزدق (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، بنو هاشم (١)، الشكر (٢)،

الكرم، الكرامة (٢)، الوفاة (١)

صفحة ١٦٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٦٠

تسحبهما.

لقد كانت نشأة هذه الطاهرة الكريمة فى حضن النبوة، ودرجت فى بيت الرسالة، ورضعت لبان الوحي من صدر أمها الزهراء البتول

(ع)، وغذيت بغذاء الكرامة من كف ابن عم الرسول (ص) فنشأت نشأة قدسية، وربيت تربية روحانية.

ولما غربت شمس الرسالة، وغابت الأنوار الفاطمية، وتزوج أمير المؤمنين بأمامة بنت أبى العاص، وأمها زينب بنت رسول الله، بوصية

من فاطمة الزهراء، إذ قالت ...: و أوصيك أن تتزوج بأمامة بنت أختى زينب، لتكون لولدى مثلى.

قامت أمامة بشؤون زينب (س) خير قيام، وكانت من النساء الصالحات القانتات العابدات.

شرفها ومجدها (س):.

قال النبى الأكرم (ص): كل بنى أم ينتمون إلى عصبتهم، إلا ولد فاطمة: فإنى أنا أبوهم وعصبتهم (١).

وهذا الشرف الحاصل لعقيلة البيت العلوى (س) لا مزيد عليه، فإذا ضمنا إلى ذلك أن أباه على المرتضى، وأمها فاطمة الزهراء،

وجدتها خديجة الكبرى، وعمها جعفر الطيار فى الجنة، وأخويها سيديا شباب أهل الجنة، وأخواتها وخالاتها أبناء رسول الله (ص)،

فماذا يكون هذا الشرف؟ وإلى أين ينتهى شأوه.

ومن الشرف الذى لم يقابله شرف لزينب (ع) أن الحسين (ع) ائتمنها على أسرار الإمامة، كما فى الخبر الذى رواه الصدوق (٢).

قال ابن الأثير: إنها [ع] [ولدت فى حياة النبى (ص)]، وكانت عاقلة لبيبة جزلة، زوجها أبوها عبد الله بن جعفر، فولدت له أولادا، وكانت

مع أخيها الحسين (ع) لما قتل، فحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد بن معاوية، وكلامها ليزيد بن معاوية - حين طلب الشامى أختها

فاطمه - مشهور يدل على عقل وقوة جنان.

وعن الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته الزينية: ولدت زينب في حياة جدها رسول الله (ص)، وكانت لبيبة جزلة عاقلة لها قوة جنان، فإن الحسن ولد قبل وفاة جده بثمان سنين، والحسين بسبع سنين، وزينب الكبرى بخمس سنين.

وعن النيسابوري في رسالته العلوية: كانت زينب ابنة علي (ع) في فصاحتها وبلاغتها وزهدا وعبادتها كأبيها المرتضى (ع) وأمها الزهراء (س).

وقال عمر أبو النصر اللبناني في كتابه - فاطمة بنت محمد (ص) -: وأما زينب بنت فاطمة (س) فقد أظهرت أنها من أكثر آل البيت جرأة وبلاغة وفصاحة، وقد استطارت

١ - أورده النبهاني في الشرف المؤبد ص ٥١، وقال الصباني في إسعاف الراغبين: هذه الخصوصية لأولاد فاطمة دون أولاد بقية بناتها (ص)، ورواه الطبراني وغيره بأسانيدهم المختلفة.

٢ - إكمال الدين وإتمام النعمة للصدوق ص ٢٧٥ ط إيران. (١٦٠)

مفاتيح البحث: حياة النبي (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٣)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، السيدة زينب بنت أمير المؤمنين علي عليهما السلام (٢)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، ابن الأثير (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (٢)، الشيخ الصدوق (٢)، دمشق (١)، الكرم، الكرامة (٢)، القتل (١)، الزوج، الزواج (١)، الوصية (١)، الوفاة (١)، كتاب إسعاف الراغبين لابن الصبان الشافعي (١)، دولة ايران (١)، الطبراني (١)

صفحة ١٦١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٦١

شهرتها بما أظهرت يوم كربلاء وبعده من حجة وقوة وجرأة وبلاغة، حتى ضرب بها المثل، وشهد لها المؤرخون والكتاب.

وأخيرا قال العلامة السيد جعفر آل بحر العلوم في تحفة العالم المطبوع بالنجف: زينب الكبرى زوجة عبد الله بن جعفر، تكنى أم الحسن، ويكفي في جلاله قدرها ونباله شأنها ما ورد في بعض الأخبار من أنها دخلت على الحسين (ع)، وكان يقرأ القرآن، فوضع القرآن على الأرض وقام لها إجلالا.

خطبتها (ع) في أهل الكوفة.

تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث بأسانيدهم عن حذلم بن كثير قال: قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين عليهما السلام من كربلاء، ومعهم الأجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء، وجعلن نساء الكوفة يبكين وينشدن، فسمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول بصوت ضئيل: - وقد نهكته العلة، وفي عنقه الجامعة، ويده مغلولة إلى عنقه -: إن هؤلاء النسوة يبكين، فمن قتلنا؟!.

قال: ورأيت زينب بنت علي عليه السلام ولم أر خفرة أنطق منها، كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس و سكنت الأصوات.

فقلت: الحمد لله، والصلاة على محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل (١) والغدر، أتبكون؟! فلا رقأت الدمعة، ولا- هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا (٢)، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم (٣)، ألا وهل

فيكم إلا الصلف (٤) النطف (٥)، والكذب الشنف (٦)، وملق الإماء، وغمز الأعداء؟! أو كمرعى على دمنة (٧)، أو كفضة على ملحودة، ألا- ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون؟! إى والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم، ومدره سنتكم؟ ألا ساء ما تزرّون، وبعدا لكم وسحقا، فلقد خاب السعى، وتبت الأيدى، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أى كبد لرسول الله فريتم؟ وأى كريمه له أبرزتم؟ وأى دم له سفكتم؟

١ - الختل بالتحريك: الغدر والخديعة، أو أقبح الغدر.

٢ - أى: لا- تكونوا كالتى غزلت ثم نقضت غزلها، يقال: كانت امرأة حمقاء تغزل مع جواربها إلى انتصاف النهار، ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن، ولا يزال ذلك دأبها.

٣ - أى: خيانه ومكرا.

٤ - الصلف: الادعاء تكبرا.

٥ - النطف: التلطيخ بالعيب.

٦ - الشنف بالتحريك: البغض والتنكر.

٧ - الدمنة: ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها.

(١٦١)

مفاتيح البحث: السيدة زينب بنت أمير المؤمنين على عليهما السلام (١)، الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب عليه السلام (١)، واقعه الطف (١)، مدينه كربلاء المقدسه (١)، مدينه الكوفة (٥)، مدينه النجف الأشرف (١)، على بن الحسين (١)، القرآن الكريم (٢)، الحج (١)، الصلاة (١)، الضرب (١)، الزواج (١)، العذاب، العذب (١)

صفحه ١٦٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٦٢

وأى حرمة له انتهكتكم؟! ولقد جتتم بها صلعاء عنقاء (١)، سوداء فقماء، خرقاء شوها، كطلاع الأرض (٢)، أو ملاء السماء، أفعجتكم أن مطرت السماء دما؟ ولعذاب الآخرة أجزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفره البدار (٣)، ولا- يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد.

قال الراوى: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم فى أفواههم، ورأيت شيخا واقفا إلى جنبى يبكى حتى اخضلت لحيته بالدموع، وهو يقول:

بأبى أنتم وأمى، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، و نسلكم خير النسل، لا يخزى ولا ييزى (٤).

وكان حذلم بن كثير من فصحاء العرب، قد أخذته العجب من فصاحة زينب وبلاغتها، وأخذته الدهشة من براعتها وشجاعتها الأديبة، حتى أنه لم يتمكن أن يشبهها إلا بأبيها سيد البلغاء والفصحاء، فقال: كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين.

وهذه الخطبة رواها كل من كتب فى وقعه الطف أو فى أحوال الحسين عليه السلام.

ورواها الجاحظ فى كتاب (البيان والتبيين) عن خزيمه الأسدى قال: ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياما يندبن متهتكات الجيوب.

ورواها أيضا أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر طيفور فى (بلاغات النساء)، وأبو المؤيد الموفق بن أحمد الخوارزمى فى (الجزء الثانى من

كتابه مقتل الحسين عليه السلام)، و شيخ الطائفة في

١ - الصلحاء: الداهية، وما بعدها صفات لها في القبح والشدة.

٢ - طلاع الأرض: ملؤها.

٣ - الحفز: الحث والإعجال.

٤ - لا يیزی أی: لا يغلب ولا يقهر، وقد فهم من قولها: أفعجتهم أن مطرت السماء دما، أن القوم لما رأوا قطرات الدم النازلة من السماء يوم قتل الحسين عليه السلام كانوا يتعجبون من ذلك، ولم يلتفتوا إلى فعلتهم الشنعاء.

ففي كامل الزيارة عن حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطاب، عن محمد بن أبي عمير، عن الحسين بن عيسى، عن أسلم بن القاسم، قال: أخبرنا عمرو بن وهب، عن أبيه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: إن السماء لم تبك منذ وضعت إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليهم السلام، قلت: أي شيء كان بكاؤها؟ قال: كانت إذا استقبلت بثوب وقع على الثوب شبه أثر البراغيث من الدم.

وفى ينابيع المودة عن أبي سعيد الخدري: ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم عييط، ولقد أمطرت السماء دما، وبقي أثره في الثياب حتى تقطعت.

وفى ينابيع المودة، عن أبي سعيد الخدري: ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم عييط، ولقد أمطرت السماء دما وبقي أثره في الثياب حتى تقطعت.

وقال فيه: أخرج الثعلبي وأبو نعيم: أنه أمطرت السماء دما، وزاد أبو نعيم:

فأصبحنا وجابنا وجرارنا مملوءة دما.

قال: وفي رواية: أن السماء أمطرت الدم على البيوت والجدران بخراسان والشام والعراق.

(١٦٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٤)، يوم عاشوراء (١)، مدينة الكوفة (١)، الخوارزمي (١)، الطهارة (١)، الخوف (١)، القتل (٢)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الحافظ أبو نعيم (٢)، دولة العراق (١)، أبو سعيد الخدري (٢)، كتاب ينابيع المودة (٢)، حكيم بن داود بن حكيم (١)، يحيى بن زكريا (١)، الحسين بن عيسى (١)، أسلم بن القاسم (١)، سلمة بن الخطاب (١)، خراسان (١)، الشام (١)، الثعلبي (١)

صفحة ١٦٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٦٣

(أماليه)، وغيرهم من أكابر العلماء.

خطبتها (ع) في مجلس ابن زياد.

ومن بلاغتها وشجاعتها الأدبية: ما ظهر منها عليها السلام في مجلس ابن زياد.

قال السيد ابن طاوس وغيره ممن كتب في مقتل الحسين عليه السلام: إن ابن زياد جلس في القصر وأذن إذنا عاما، وجئ برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه، وأدخلت عليه نساء الحسين وصبياناه (١)، وجاءت زينب ابنة علي عليه السلام وجلست متنكرة، فسأل ابن زياد من هذه المتنكرة؟ ف قيل له: هذه زينب ابنة علي، فأقبل عليها فقال:

الحمد لله الذي فضحككم وأكذب ألدوثكم (٢).

فقال عليها السلام: إنما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق، وهو غيرنا.

فقال: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

فقالت: ما رأيت إلا خيراً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، و سيجمع الله بينك وبينهم، فتحتاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا بن مرجانة.

فغضب اللعين وهم أن يضربها، فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشئ من منطقتها.

فقال لها ابن زياد لعنه الله: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك.

فقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعى، واجتثت أصلي، فإن كان هذا شفاؤك فلقد اشتفيت.

١ - فى رواية المفيد: فأدخل عيال الحسين بن على عليهما السلام على ابن زياد، فدخلت زينب أخت الحسين فى جملتهم متكرة وعليها أردل ثيابها، ومضت حتى جلست ناحية و حفت بها إماؤها، فقال ابن زياد لعنه الله: من هذه التى انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية يسأل عنها فقالت له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... الخ.

٢ - يريد بالأحدوثة: دين جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت فى ابن زياد لكنة أعجمية يبدل الحاء هاء.

قال الجاحظ: كانت اللكنة فيه، لأنه نشأ بالأساورة مع أمه مرجانة، وكان زياد تزوجها من شيرويه الأسوارى.

وقال مرة: إفتحوا سيوفكم، يريد: سلوا سيوفكم، فقال يزيد بن مفرغ:

ويوم فتحت سيفك من بعيد - أضعت وكل أمرك للضياع.

وفى المعارف لابن قتيبة: كانت فى ابن زياد لكنة.

وفى كامل المبرد: كان ابن زياد الكن، يرتضخ لغة فارسية، وقال لرجل مرة: - واتهمه برأى الخوارج - أهرورى منذ اليوم؟ يريد: أحرورى.

(١٦٣)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، السيد ابن طاووس (١)، عمرو بن حريث (١)، الضرب (١)، القتل (٢)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الخوارج (١)

صفحة ١٦٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٦٤

فقال لعنه الله: هذه سجاعة، ولعمري لقد كان أبوها سجاعا شاعرا.

فقالت: يا بن زياد ما للمرأة والسجاعة، إن لى عن السجاعة لشغلا.

موقفها الصلب (ع) فى مجلس يزيد ومن ذلك: خطبتها فى مجلس يزيد بن معاوية فى الشام (١)، رواها جماعة من العلماء فى مصنفاتهم، وهى من أبلغ الخطب وأفصحها، عليها أنوار الخطب العلوية، وأسرار الخطبة الفاطمية (٢)، ونحن نقلها هنا من الإحتجاج للطبرسى.

قال: روى شيخ صدوق من مشائخ بنى هاشم وغيره من الناس: إنه لما دخل على بن الحسين عليهما السلام وحرمه على يزيد، وجئ برأس الحسين عليه السلام ووضع بين يديه فى طشت، وجعل يضرب ثناياه بمخصرة كانت فى يده وهو يقول:

ليت أشياخى بيدر شهدوا * جزع الخرج من وقع الأسل.

فقامت زينب بنت على بن أبى طالب، وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقالت: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله

على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: (ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزئون (٣)، أظننت يا يزيد - حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسراء - أن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة؟ و أن ذلك لعظم خطر ك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، تضرب أصدريك (٤) فرحا، و تنفض مذوريك مرحا، جذلان مسرورا حين رأيت الدنيا لك مستوسقة (٥)، والأمور متسقة، حين صفا لك ملكنا وسلطاننا؟ فمهلا (٦)، مهلا، أنسيت قول الله تعالى: (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)؟ (٧) أمن العدل يا بن الطلقاء (٨) تخديرك حرائك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبدت

١ - رواها أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في كتابه بلاغات النساء، والخوارزمي في المقتل.

٢ - المراد بها خطبة فدك التي قدمنا أسانيدھا عنها.

* الروم: الآية ١٠.

٤ - تضرب أصدريك أى: منكبيك، وتنفض مذوريك، المذوران: جانبا الأليتين، ولا واحد لهما، وقيل: هما طرفا كل شىء، يقال: جاء فلان ينفض مذوريه: إذا جاء باغيا يتهدد، و كذلك إذا جاء فارغا في غير شغل.

٥ - مستوسقة أى: مجتمعة، ومتسقة أى: منتظمة.

٦ - يقال: مهلا يا رجل، وكذا للأثى والجمع بمعنى أمهل، والمهلة بالضم: السكينة، وكذا المهل بالسكون والحركة.

* آل عمران، الآية ١٧٨.

٨ - الطلقاء هم: أبو سفيان ومعاوية وبقية الأمويين الذين أطلقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح، فقال: إذهبوا فأنتم الطلقاء، وبهذا صاروا عبيدا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم وذريتهم إلى يوم القيامة.

(١٦٤)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، كتاب الإحتجاج للطبرسى (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، على بن أبى طالب (١)، على بن الحسين (١)، بنو هاشم (١)، الشام (١)، الضرب (١)، الشهادة (١)، الصلاة (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (١)، يوم القيامة (١)، الخوارزمي (١)، الطهارة (١)

صفحة ١٦٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٦٥

وجوهن، تحذو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، و يتصفح وجوهن القريب والبعيد، والدى والشريف، ليس معهن من رجالهن ولى، ولا من حماتهن حمى؟ وكيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأركياء، و نبت لحمه من دماء الشهداء؟! وكيف يستبطنى فى بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحـن والأضغان؟! ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم.

لأهلوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تشل.

منحنيا على ثنايا أبى عبد الله - سيد شباب أهل الجنة - تنكنها بمخصرتك (١)، وكيف لا- تقول ذلك وقد نكأت القرحة (٢)، واستأصلت الشأفة (٣)، يارقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟ وتهتف بأشياحك زعمت أنك تناديهم، فلتردن وشيكا (٤) موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا، فوالله يا يزيد ما فريت (٥) إلا- جلدك، ولا حززت إلا

لحمك، و لتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما تحملت من دماء ذريته، وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم (ولا- تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)، وحسبك بالله حاكما، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم خصيما، وبجبرائيل ظهيرا، و سيعلم من سول لك وأمكنك من رقاب المسلمين، بش للظالمين بدلا، وأيكم شر مكانا و أضعف جندا، ولئن جرت على الدواهي (٦) مخاطبتك، إنى لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك: لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا- فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف (٧) من دماننا، والأفواه تتحلب (٨) من لحومنا، وتلك

١ - المخصرة بكسر الميم: كالسوط، وكلما اختصره الإنسان بيده فأمسكه من عصي ونحوها، وكانت الخلفاء تحمل هذه المخصرة.

٢ - نكأت القرحة بالهمزة من باب منع: كثر جراحها.

٣ - استأصلت الشأفة، استأصل الشئ: إذا قطعه من أصله، قال في القاموس: الشأفة قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى وتذهب، وإذا قطعت مات صاحبها، والأصل: استأصل الله شأفته: أذهب كما تذهب تلك القرحة، أو أزاله من أصله.

٤ - وشيكا، أى: سريعا.

٥ - الفرى: القطع.

٦ - الدواهي جمع داهية، وهى النازلة بالانسان من بلاء وغيره، ومخاطبتك إما بالرفع فاعل جرت، أى: ان أوقعت مخاطبتك على النوازل فلست أبالى بك ولا- أعظم قدرك، أو بالنصب مفعول، والفاعل الدواهي، أى: إن أوقعتى دواهي الزمان إلى الاحتياج لمخاطبتك:

فلست معظمة لقدرك.

٧ - تنطف بكسر الطاء وضمها أى: تقطر.

٨ - فى القاموس: تحلب عينه وفوه أى: سالا.

(١٦٥)

مفاتيح البحث: القتل، القتال فى سبيل الله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، حزب الله (١)، القتل (١)، الشهادة (١)، القرح (٣)، الموت (١)، المنع (١)

صفحة ١٦٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٦٦

الجث الطواهر الزواكى تنتابها العواسل (١)، وتعفرها أمهات الفراعل (٢)، ولئن اتخذتنا مغنما لتجدنا وشيكا مغرما، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، وما ربك بظلام للعبيد، وإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميم وحيننا، ولا تدرك أمدنا، ولا تدحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند (٣)، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادى المنادى: ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله رب العالمين، الذى ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، و يوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل. فقال يزيد:.

يا صيحة تحمد من صوائح * ما أهون النوح على النوائح (٤).

ومن شجاعتها الأدبية فى مجلس يزيد:.

ما نقله أرباب المقاتل وغيرهم من رواة الأخبار: إن يزيد لعنه الله دعا بنساء أهل البيت والصبيان فأجلسوا بين يديه فى مجلسه المشؤوم،

فنظر شامى إلى فاطمة بنت الحسين، فقام إلى يزيد وقال: يا أمير هب لى هذه الجارية تكون خادمة عندى، قالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام: فارتعدت فرائصى، وظننت أن ذلك جائر لهم، فأخذت بثياب عمى زينب، فقلت: عمته أومت وأستخدم؟ فقالت عمى للشامى: كذبت والله ولؤمت، ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك، فغضب يزيد وقال: كذبت والله، إن ذلك لى، ولو شئت أن أفعل لفعلت، قالت: كلا، والله ما جعل الله ذلك لك، إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا، فاستطار يزيد غضبا وقال: إياى تستقبلين بهذا الكلام؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، فقالت زينب: بدين أبى وأخى اهتديت أنت وأبوك وجدك، إن كنت مسلما، قال: كذبت يا عدوة الله، قالت: يا يزيد أنت أمير تشتم ظالما، وتقهر بسطانك، فكأنه استحيى وسكت، فأعاد الشامى كلامه: هب لى هذه الجارية، فقال له يزيد: أسكت وهب الله لك حتفا قاضيا.

وروى السيد ابن طاوس فى اللهوف هذه الرواية كما يأتى: قال نظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، هب لى هذه الجارية، فقالت فاطمة لعمتها زينب عليها السلام: أومت وأستخدم؟ فقالت زينب عليها السلام: لا، ولا كرامة

١ - العواسل: الذئاب السريعة العدو. ٢ - أمهات الفراعل: الضباع، جمع فرعل، وهو ولد الضبع، والتعفير معلوم.

٣ - الفند: الكذب، وهو بالتحريك، قيل: ويقال لضعف الرأى الفند أيضا.

٤ - قوله: يا صيحة تحمد، ... ليس هذا جواب مثل الخطبة الغراء الفريدة، ومثل يزيد الذى يقال عنه إنه كان من رجال الفصاحة والبلاغة، وإنه قال الشعر وهو ابن سبع سنوات، لا- يخفى عليه ذلك، لكن الخطبة الكريمة أجمته بأسلوبها البليغ، وبيانها الآخذ بالألباب، فلم يكن قادرا على أن يجيبها بشئ سوى هذا البيت الذى وصف الحالة ليس إلا. (١٦٦)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، السيدة زينب بنت أمير المؤمنين على عليهما السلام (٢)، السيد ابن طاووس (١)، كتاب اللهوف فى قتلى الطفوف (١)، الشام (١)، الكذب، التكذيب (٣)، الظلم (١)، الوسعة (١)، الشهادة (١)، الكرم، الكرامة (١)

صفحة ١٦٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٦٧

لهذا الفاسق، فقال الشامى: من هذه الجارية؟ فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين [عليه السلام] (١)، وتلك زينب بنت على بن أبى طالب، فقال الشامى: الحسين بن فاطمة، وعلى بن أبى طالب؟ قال: نعم، فقال الشامى: لعنك الله يا يزيد! أتقتل عتره نبيك وتسبى ذريته، والله ما توهمت إلا أنهم سبى الروم، فقال يزيد: لألحقنك بهم، ثم أمر به فضربت عنقه.

إن بلاغة زينب عليها السلام وشجاعته الأديبة ليست من الأمور الخفية، وقد اعترف بها كل من كتب فى وقعه كربلاء، ونوه بجلالته أكثر أرباب التاريخ.

ولعمري إن من كان أبوها على بن أبى طالب، الذى ملأته خطبه العالم، وتصدى لجمعها و تدوينها أكابر العلماء، وأمها فاطمة الزهراء، صاحبة خطبة فدك الكبرى، وصاحبة الخطبة الصغرى التى ألقته على مسامع نساء قريش، ونقلها النساء لرجالهن.

نعم، إن من كانت كذلك فحريه بأن تكون بهذه الفصاحة والبلاغة، وأن تكون لها هذه الشجاعة الأديبة.

ويزيد الطاغية يوم ذاك هو السلطان الأعظم، والخليفة الظاهرى على عامة بلاد الإسلام، تؤدى مختلف الفرق والأمم له الجزية، فى مجلسه الذى أظهر فيه أبهه الملك، وملاه بهيهه السلطان، وقد جردت على رأسه السيوف، واصطفت حوله الجلاوزة، وهو وأتباعه على كراسى الذهب والفضة، وتحت أرجلهم الفرش من الديباج والحريز.

وهي صلوات الله عليها في ذل الأسر، دامية القلب، باكية الطرف، حرى الفؤاد من تلك الذكريات المؤلمة والكوارث القاتلة، قد أحاط بها أعداؤها من كل جهة، ودار عليها حسادها من كل صوب.

ومع ذلك كله ترمز للحق بالحق، وللفضيلة بالفضيلة، فتقول ليزيد: - غير مكترثة بهيبة ملكه، ولا معتنية بأبهة سلطانه: أمن العدل يا بن الطلقاء، وتقول له أيضا:

ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك: إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك.

١ - فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام، هي من عالمات نساء أهل البيت عليهم السلام، تروى الحديث عن أبيها وعن أم سلمة وأم هانئ، وعن عمته زينب الكبرى، وعن أخيها زين العابدين، ويروى عنها ولدها عبد الله وغيره، استودعها أبوها الحسين عليه السلام موارث الأنبياء، وسلمتها إلى السجاد بعد برئه من المرض، وكان الله عز وجل صرف عن هذه الموارث أبصار الظالمين،. أم فاطمة هذه أم إسحاق بنت طلحة.

وفى الخبر: إن الحسن بن الحسن عليه السلام سأل عمه الحسين أن يزوجه إحدى ابنتيه، فاختر له الحسين عليه السلام فاطمة هذه، وقال له: هي أكثر شبيها بأمي فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام.

وخطبتها عليها السلام في الكوفة تنبئ أنها كانت على جانب عظيم من العلم والفضل، وفي بعض الأخبار أنها كانت عندها أشياء من آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

توفيت في المدينة على الأصح، وقيل: بمصر.

(١٦٧)

مفاتيح البحث: السيدة زينب بنت أمير المؤمنين على عليهما السلام (١)، واقعة الطف (١)، على بن أبي طالب (٢)، فاطمة بنت الحسين (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الصلاة (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، السيدة أم سلمة بنت أبي طالب (١)، الرسول صلى الله عليه وآله (١)، مدينة الكوفة (١)، نساء أهل البيت عليهم السلام (١)، الظلم (١)، المرض (١)، الوراثة، التراث، الإرث (١)

صفحة ١٦٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٦٨

فهذا الموقف العظيم الذي وقفته هذه السيدة الطاهرة مثل الحق تمثيلا، وأضاء إلى الحقيقة لطلابها سبيلا، وأفحمت يزيد ومن حضر مجلسه المشؤوم بذلك الأسلوب الراقى من البلاغة، وأبهتت العارفين منهم بما أخذت به مجامع قلوبهم من الفصاحة، فخرست الألسن وكمت الأفواه، وصمت الآذان، وصعقت تلك النفس النورانية القاهرة منها عليها السلام تلك النفوس الخبيثة الرذيلة، من يزيد وأتباعه، بصعقة الحق والفضيلة، حتى بلغ به الحال أنه صبر على تكفيره وتكفير أتباعه، ولم يتمكن من أن ينسب بنت شفه، يقطع كلامها، أو يمنعها من الاستمرار في خطبتها، وهذا هو التصرف الذي يتصرف به أرباب الولاية متى شاءوا وأرادوا، بمعونة الباري تعالى لهم، وإعطائهم القدرة على ذلك.

زهدها (س) وانقطاعها في سبيل نصره الدين..

كانت عليها السلام في بيت زوجها عبد الله بن جعفر الجواد، وهو من علمت في ثروته ويساره، وكثرة أمواله وخدمه وحشمه يوم ذاك، وكانت تخدمها العبيد والإماء والأحرار، ويظف حول بيتها ذوو الحوائج وطالبو المعونة، وكان بيتها الرفيع وحرما المنيع لا يضاويه في العز والشرف، وبعد الصيت إلابيوت الخلفاء والملوك.

فتركت ذلك كله لوجه الله، وانقطعت عن علائق الدنيا بأسرها في سبيل الله، وأعرضت عن زهرة الحياة من المال والبيت والزوج

والولد والخدم والحشم، وصحبت أخاها الحسين عليه السلام، ناصرة لدين الله، بأذلة النفس والنفيس لإمامها ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع علمها بجميع ما سيجرى عليها من المصائب والنوائب، كما سمعته في حديث أم أيمن، مؤثرة الآخرة على الدنيا والآخرة خير وأبقى.

ومن زهدا عليها السلام بالدنيا وعدم ركونها إلى نعيمها: هو ما رواه البكري وغيره: إن يزيد بن معاوية لعنه الله لما عزم على إرجاع سبايا آل الرسول (ص) من الشام إلى المدينة - بعد أن أحس بغضب الرأي العام عليه في قتله الحسين عليه السلام، و سببه بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يطاف بهن من بلد إلى بلد: خاف عاقبة أمره، وأظهر أن هذه الأعمال لم تكن يرضى منه، وصار يلعن عبيد الله بن زياد على رؤوس الأشهاد.

ومن جملة أعماله التي كان يراها بزعمه تبرئ أفعاله: أن صب الأموال العظيمة على الأنطاع، وأحضر أهل بيت النبوة، وقال لزينب: يا أم كلثوم، خذي هذه الأموال عوضا عن الحسين، واحسبي كأن قد مات، فقالت: يا يزيد ما أقسى قلبك، تقتل أخي وتعطيني المال، والله لا كان ذلك أبدا، وخرجت مع أهل بيتها، ولم تقبل منه شيئا، وقد رد عليهن بعض ما كان أخذ منهن، وفي ذلك مغزل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومقنعتها وقلادتها وقميصها عليها السلام.

وهذه الرواية رويت عن أبي مخنف أيضا بتغيير يسير.

ومن زهدا: ما روى عن السجاد عليه السلام من أنها صلوات الله عليها ما ادخرت شيئا من يومها لغدا أبدا.

وروى المجلسي وغيره: إن الرسول الذي سائر أهل البيت في طريقهم من الشام إلى المدينة كان قد أحسن صحبته لهم، ولما قربوا من المدينة قالت فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه (١٦٨)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، سبايا أهل البيت عليهم السلام (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وآله (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام (١)، العلامة المجلسي (١)، عبيد الله بن زياد لعنه الله (١)، يزيد بن معاوية لعنهما الله (١)، سبيل الله (١)، الشام (٢)، العزة (١)، القتل (٢)، الموت (١)، الزواج (٢)، الصلاة (١)، الصبر (١)، الجود (١)

صفحة ١٦٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٦٩

السلام لأختها زينب: قد وجب علينا حق هذا لحسن صحبته لنا، فهل لك أن تصليه؟ قالت:

والله ما لنا ما نصله به إلا أن نعطيها حلينا، قالت فاطمة: فأخذت سواري ودملجتي و سوار أختي ودملجها، فبعثنا به إليه واعتذرنا من قتلها. انقطاعها (ع) إلى الله رغم المصيبة:.

روى عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: إن عمتي زينب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إلى الشام ما تركت نوافلها الليلية.

وروى أن الحسين عليه السلام لما ودع أخته زينب عليها السلام وداعه الأخير قال لها: يا أختاه، لا تنسيني في نافلة الليل.

وفي مثير الأحزان للشيخ شريف الجواهرى: قالت فاطمة بنت الحسين عليهما السلام:

وأما عمتي زينب، فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة - أي: العاشرة من المحرم - في محرابها تستغيث إلى ربها، فما هدأت لنا عين، ولا سكنت لنا رنة.

وروى بعض المتتبعين عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من قيام الفرائض والنوافل

عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تصلى من جلوس، فسألته عن سبب ذلك فقالت: أصلى من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليل، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال، لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفا واحدا من الخبز في اليوم والليل.

أقول: فإذا تأمل المتأمل إلى ما كانت عليه هذه الطاهرة من العبادة لله تعالى والانقطاع إليه لم يشك في عصمتها صلوات الله عليها، وأنها كانت من القانتات اللواتي وقفن حركاتهن وسكناتهن وأنفاسهن للبارى تعالى، وبذلك حصلن على المنازل الرفيعة والدرجات العالية، التي حاكت برفعها منازل المرسلين ودرجات الأوصياء عليهم الصلاة والسلام. كراماتها (ع) لدى الله تعالى:.

قال الفاضل في الأسرار: لما قتل الحسين روى له الفداء، أمر عمر بن سعد لعنه الله أن تطأ الخيل عليه غدا، فسمعت فضة جارية الحسين عليه السلام فحكّت لزئب أخته فقالت:

ما الحيلة؟ قالت زئب: إن سفينة (١) عبد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجاه الأسد

١ - سفينة: مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اختلف في اسمه على أحد وعشرين قولاً، تجدها في الإصابة لابن حجر، والذي صححه أهل التحقيق أن اسمه مهرا، وكان أصله من فارس، فاشترته أم سلمة رضوان الله عليها، ثم أعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال ابن حجر: وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن أم سلمة وعلى، وعنه ولده عبد الرحمن وعمر وسالم بن عبد الله بن عمر وأبو ريحانة وغيرهم.

قال حماد بن سلمة: عن سعيد بن جهمان، عن سفينة: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر، فكان بعض القوم إذا أعبى ألقى على ثوبه، حتى حملت من ذلك شيئا كثيرا، فقال: (ما أنت إلا سفينة)، وكان يسكن بطن نخلة.

وأما قصته مع الأسد: إنه سافر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البحر، فانكسرت السفينة التي كان فيها بأهلها، فخرج سفينة إلى جزيرة من جزائر البحر يمشى وحده، فلما مشى ساعة لقي أسدا، فقال له: أيها الأسد أنا سفينة عبد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل الأسد نحوه وأشار إليه: إركب، فركب على ظهره، فأسرع في المشى حتى أتى به بلده، فرآه الناس على ظهر الأسد، فأنزله الأسد ورجع.

(١٦٩)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٢)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، السيدة زينب بنت أمير المؤمنين علي (عليهما السلام) (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، كتاب مثير الأحزان (١)، مدينة الكوفة (١)، الشام (٢)، الطعام (١)، القتل (١)، الصلاة (٢)، السفينة (٧)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (٢)، سالم بن عبد الله (١)، حماد بن سلمة (١)

صفحة ١٧٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٧٠

على ظهره لما قال له: أنا عبد رسول الله، وسمعت أن في هذه الجزيرة أسدا، فامضى إليه فقولى له: إن عسكر ابن سعد يريدون غدا أن يطأوا بخيولهم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهل أنت تاركهم؟ فلما مضت إليه الجارية وقالت ما قالته زينب، إلى قولها: (فهل أنت تاركهم)؟ أشار برأسه: لا، فلما كان الغد أقبل الأسد يأرأزا، والعسكر واقف فظن ابن سعد أنه جاء يأكل من لحوم الموتى، فقال: دعوه نرى ما يصنع، فأقبل يدور حول القتلى حتى وقف على جسد الحسين عليه السلام، فوضع يده على صدره، وجعل يمرغ خده بدمه ويبيكى، فلم يجسر أحد أن يقربه، فقال ابن سعد: فتنه فلا تهيجوها، فانصرفوا عنه.

قال: هكذا ذكروا مجيء الأسد إلى المصرع في كتب جمع من أصحاب المقاتل.

وفي المنتخب: لما قتل الحسين عليه السلام، أراد القوم أن يوطئوه الخيل، فقالت فضة (١)

١ - فضة: هي جارية الزهراء عليها السلام، اشتراها لها أمير المؤمنين عليه السلام، قيل: إنها كانت من بنات الملوك، ملك الهند كما قال البرسي، أو ملك الحبشة كما قال غيره، كانت عندها ذخيرة من الإكسير صنعت النحاس ذهباً، فأرته لأمر المؤمنين عليه السلام، فأراها عليه السلام كنوز الأرض، ثم قال: يا فضة، إنا ما خلقنا لهذا.

وفي البحار عن أبي القاسم القشيري في كتابه، قال بعضهم: انقطعت عن الطريق في البادية عن القافلة، فوجدت امرأة فقلت لها: من أنت؟ فقالت: (وقل سلام فسوف تعلمون)، فسلمت عليها وقلت: ما تصنعين هاهنا؟ قالت: (من يهدي الله فلا مضل له)، فقلت: أمن الجن أنت أم من الإنس؟ قالت: (يا بني آدم خذوا زينتكم)، فقلت: من أين أقيمت؟ فقالت:

(ينادون من مكان بعيد)، قلت: أين تقصدين؟ قالت: (ولله على الناس حج البيت)، فقلت:

متى انقطعت عن القافلة؟ قالت: (ولقد خلقنا السماوات والأرض في ستة أيام)، فقلت:

أتشتهين طعاماً؟ فقالت: (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام)، فأطعمتها، ثم قلت:

هرولي واستعجلي، قالت: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)، فقلت: أردفك؟ فقالت: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)، فنزلت فأركبتها، فقالت: (سبحان الذي سخر لنا هذا)، فلما أدركنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟ قالت (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)، (وما

محمد إلا رسول)، (يا يحيى خذ الكتاب)، (يا موسى إني أنا الله)، فصحت بهذه الأسماء فإذا أنا بأربعة شباب متوجهين نحوها، فقلت: من هؤلاء منك؟ قالت: (المال والبنون زيناً الحياة الدنيا)، فلما أتوها قالت: (يا أبتاه استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين)،

فكافؤني بأشياء، فقالت: (والله يضاعف لمن يشاء)، فزادوا على فسألتهم عنها، فقالوا: هذه أمنا فضة، جارية الزهراء عليها السلام، ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن.

(١٧٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، البكاء (١)، القتل (٢)، الموت (١)، الأكل (١)، الإمام أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، القرآن الكريم (١)، الهند (١)، الطعام (١)، الحج (١)

صفحة ١٧١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٧١

لزينب عليها السلام: يا سيدتي إن سفينة صاحب رسول الله كان بمركب، فضربته الريح فتكسر، فسبح فقدفه البحر إلى جزيرة، فإذا هو بأسد، فدنا منه فخشى سفينة أن يأكله، فقال: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهمهم بين يديه حتى أوقفه

على الطريق، فركب ونجا سالماً، وأرى أسداً في خلف مخيمنا، فدعيني أمضى إليه فأعلمه بما هم صانعون غداً، فقالت: (شأنك)، قالت: فمضيت إليه فقلت: يا أبا الحارث، فرفع رأسه، ثم قلت: أتدرى ما يريدون أن يعملوا غداً بأبي عبد الله عليه السلام؟ يريدون أن

توطئ الخيل ظهره، قالت: فقام الأسد فمشى حتى وضع يديه على جسد الحسين عليه السلام، وجعل يمرغ وجهه بدم الحسين عليه السلام ويبكي إلى الصباح، فلما أصبح بنو أمية أقبلت الخيل يقدمهم الأحنس لعنه الله، فلما نظروا إليه قال لهم عمر بن سعد: فتنه لا

تثيروها، انصرفوا: فانصرفوا.

قال الإسفرائيني: روى عن زينب أخت الحسين عليهما السلام عند هجوم القوم على الخيام أنها قالت: دخل علينا رجال وفيهم رجل أزرق العيون، فأخذ كل ما كان في خيمتنا التي كنا مجتمعين فيها... إلى أن قالت: فقلت له: قطع الله يديك ورجليك، وأذاقك الله

النار في الدنيا قبل الآخرة، قال: فما كان إلا قليل حتى ظهر المختار الثقفي طالبا بئثار الحسين عليه السلام، فوقع في يده ذلك الرجل - وهو خولى بن يزيد الأصبحي - فقال المختار: ما فعلت بعد قتل الحسين؟ فذكر أفعاله التي فعلها ودعوتها (ع) عليه، فقطع المختار يديه ورجليه وأحرقه بالنار.

تزوجها (ع) بعبد الله بن جعفر وشئ من حياته..

لما بلغت زينب صلوات الله عليها مبلغ النساء، ودخلت من دور الطفولة إلى دور الشباب، خطبها الأشراف من العرب ورؤساء القبائل، فكان أمير المؤمنين عليه السلام يرددهم، ولم يجب أحدا منهم في أمر زواجها.

وممن خطبها عليها السلام الأشعث بن قيس، وكان من ملوك كندة - على ما في الإصابة - فزبره أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: يا بن الحائك أغرك ابن أبي قحافة حين زوجك أخته؟ والحائك هنا: المحتمل أو الكذاب (١)، وكان أبو بكر زوج أخته أم فروة بنت أبي قحافة من الأشعث، وذلك أن الأشعث ارتد فيمن ارتد من الكنديين، وأسر فأحضر إلى أبي بكر، فأسلم وأطلقه وزوجه أخته المذكورة، فأولدها محمد بن الأشعث، وهو أحد قتلة الحسين عليه السلام.

إن الذي كان يدور في خلد أمير المؤمنين عليه السلام أن يزوج بناته من أبناء إخوته، ليس إلا امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢)، حين نظر إلى أولاد علي و جعفر، وقال:

١ - في المجمع: ذكر حائكك عند أبي عبد الله عليه السلام، وأنه ملعون، فقال عليه السلام: إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله ورسوله.

٢ - في البحار: عن الخزاز القمي: نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أولاد علي و جعفر، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (بناتنا لبنينا، وبنونا لبناتنا).

(١٧١)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٣)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (٥)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، السيدة زينب بنت أمير المؤمنين علي عليهما السلام (١)، عمر بن سعد لعنه الله (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام (١)، المختار بن أبي عبيدة الثقفي (١)، كتاب الأشراف للشيخ المفيد (١)، خولى بن يزيد الأصبحي (١)، بنو أمية (١)، محمد بن الأشعث (١)، الزوج، الزواج (٢)، البكاء (١)، القتل (٢)، الصلاة (١)، الأكل (١)، السفينة (٢)، الكذب، التكذيب (١)

صفحة ١٧٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٧٢

بناتنا لبنينا، وبنونا لبناتنا، ولذلك دعا بابن أخيه عبد الله بن جعفر، وشرفه بتزويج تلك الحوراء الإنسية إياه على صداق أمها فاطمة عليها السلام (أربعمئة وثمانين درهما)، ووهبها إياه من خالص ماله عليه السلام.

ويجدد بنا هاهنا أن نذكر شيئا من حياة عبد الله بن جعفر رضى الله عنه، فنقول:

هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف، يلقب بالجواد، ويكنى بأبي محمد، وأشهر كناه أبو جعفر.

أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، أخت ميمونة بنت الحرث - أم المؤمنين - لأمها، وهي أم ولد جعفر بن أبي طالب جميعا، ولما قتل عنها جعفر تزوجها أبو بكر، فولدت له محمدا، ولما توفى عنها تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام، فولدت له يحيى بن علي، توفى في حياة أبيه عليه السلام، هذا قول أبي الفرج الأصبهاني في مقاتل، وقيل: ولدت له يحيى ومحمدا الأصغر.

وفي مناقب ابن شهر آشوب: محمد الأصغر، كان يكنى أبا بكر، قتل يوم الطف، وقيل:

كانت أمه أم ولد، وقيل: إنه مات في حياة أبيه أيضا، وأبو بكر المقتول يوم الطف من ليلي بنت مسعود النهشلية، وهو الصحيح. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: ذكر ابن الكلبي: إن عون بن علي، أمه أسماء بنت عميس، ولم يقل ذلك غيره (١). وهاجرت أسماء مع زوجها جعفر إلى الحبشة، فولدت له أولاده هناك.

وكانت أسماء من القانتات العابدات، روت الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن علي والزهراء عليهما السلام، وروى عنها كثيرون، منهم: ابنها عبد الله ابن جعفر، وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر، وهو جد إمامنا الصادق عليه السلام لأمه، وروى عنها عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وهو ابن أختها لبابة بنت الحارث.

قيل: وكان عمر يسألها عن تفسير المنام، ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره.

وفي الإصابة: ويقال إنها لما بلغها قتل ولدها محمد بمصر قامت إلى مسجد بيتها، وكظمت غيظها حتى شخب ثديها دما.

وكان جعفر بن أبي طالب من المقربين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هاجر إلى الحبشة بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه.

قال الشعبي: وقدم المدينة عند فتح خيبر، فالتزمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل يقبل بين عينيه ويقول: ما أدري بأيهما أنا أشد فرحا: بقدم جعفر، أم بفتح خيبر؟

وكان اسلام جعفر بأمر أبيه أبي طالب في السنة التي بعث فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان يصلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وخديجة عليها السلام والناس عاكفون على الأصنام.

١ - ويروى، أن أسماء أول من تزوجها هو حمزة بن عبد المطلب، وأنها ولدت له بنتا تسمى أمه الله، وقيل: أمامة.

(١٧٢)

مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، ازواج النبي (ص) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، جعفر بن أبي طالب عليهما السلام (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٦)، يوم عاشوراء (٢)، عبد الله بن عباس (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام (٢)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، القاسم بن محمد بن أبي بكر (١)، أسماء بنت عميس (١)، خيبر (٢)، يحيى بن علي (١)، ابن شهر آشوب (١)، محمد الأصغر (١)، القتل (٣)، الموت (١)، الزوج، الزواج (١)، السجود (١)، حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء عليه السلام (١)

صفحة ١٧٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٧٣

وعن ابن إسحاق: أنه أسلم بعد خمسة وعشرين رجلا، وقيل: بعد واحد وثلاثين.

والذي يدل على صحته ما اخترناه: ما نقله عامه أهل السير، ورواه الرواة باسنادهم عن عمران بن حصين: أن أبا طالب قال لابنه جعفر: - حين رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلى وخلفه على عليه السلام - صل جناح ابن عمك.

وفي الأمالي للصدوق باسناده عن محمد بن عمر الجرجاني قال: قال الصادق عليه السلام:

أول جماعة كانت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام معه، إذ مر أبو طالب ومعه ولده جعفر، فقال: يا بني صل جناح ابن عمك، فلما أحسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقدمهما وانصرف أبوه مسرورا، وهو يقول:.

ان عليا وجعفرًا ثقّتي - عند ملم الزمان والنوب.

والله لا أخذل النبي ولا - يخذله من بنى ذو حسب.

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما - أخى لأمى من بينهم وأبى.

قال: فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم.

وقد جاءت في جعفر عليه السلام أخبار كثيرة تدل على سمو قدره وعظم شأنه. قال ابن حجر: كان أبو هريرة يقول: انه أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: وفي البخارى عنه: كان جعفر خير الناس للمساكين.

وقال خالد الحذاء عن عكرمة: سمعت أبا هريرة يقول: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطأ التراب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أفضل من جعفر ابن أبى طالب.

وعنه: كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه ويحدثهم ويحدثونه، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكنيه أبا المساكين.

قال: وقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أشبهت خلقى وخلقى، رواه البخارى.

وفى التذكرة لسبط بن الجوزى: استشهد جعفر بمؤتة في أرض البلقاء إلى الحجاز، وذلك في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة.

قال ابن إسحاق: وسبب هذه الغزاة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الحرث بن عمير الأزدى إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله، ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيره، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فندب الناس وعسكر بالحرب، وهم ثلاثة آلاف، و شيعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ثنية الوداع، فساروا حتى نزلوا مؤتة، فالتقاهم هرقل فى أربعمئة ألف، منهم أربعون ألفا مقرنين، فالتقوا فثبت المسلمون، ثم قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة، وكانوا امراء الجيش.

قال ابن سعد فى الطبقات: قال ابن عمر: وجد فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه تسعون ضربة، بين طعنه رمح وضربه سيف.

وقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نعى جعفرا وزيدا وابن رواحة قبل أن يجي خبرهم، نعاهم وعيناه تذرّفان.

(١٧٣)

مفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١١)، كتاب أمالى الصدوق (١)، شهر جمادى الأولى (١)، أبو هريرة العجلي (٢)، محمد بن عمر الجرجاني (١)، زيد بن حارثة (١)، عمران بن حصين (١)، خالد الحذاء (١)، القتل (٢)، الصلاة (٢)، الشهادة (١)

صفحة ١٧٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٧٤

وفى الطبقات قال: بالاسناد إلى عبد الله بن جعفر: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أمى فنعى إليها أبى، ومسح على رأسى ورأس أخى وعيناه تذرّفان بالدموع، ثم قال: اللهم ان جعفرا قد قدم إلى أحسن الثواب، فأخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: [يا أسماء ألا أبشرك، أن الله قد جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة؟].

وقال: أمهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آل جعفر ثلاثا بعد ما جاء نعيه، ثم أتاهم، وجئ بحجام فحلق رؤوس أولاده محمد وعون وعبد الله، وقال: أما محمد فشبهه عمنا أبى طالب، وأما عون فشبهه خلقى وخلقى، ثم أخذ بيد عبد الله ودعا له وكان عبد الله بن جعفر ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحفظ حديثه، ثم لازم أمير المؤمنين والحسين عليهم السلام، وأخذ منهم العلم الكثير.

وجاء في الاستيعاب: وكان كريما جوادا، ظريفا خليقا، عفيفا، سخيا، يسمى بحر الجود.

وجاء أيضا: انه لم يكن في الاسلام أسخى منه.

وقال في الإصابة: قال ابن جريح: أنبأنا جعفر بن خالد بن سارة: أن أباه أخبره عن عبد الله بن جعفر قال: مسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسى وقال: اللهم اخلف جعفرا فى ولده.

وقال: كنا نلعب فمر بنا على دابة، فحملنى أمامه، أخرجته أحمد وغيره بسند قوى.

قال: ومن طريق محمد بن أبى يعقوب، عن الحسن بن سعد، عن عبد الله بن جعفر، إلى أن قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وأما عبد الله فيشبه خلقى وخلقى، ثم أن قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وأما عبد الله فيشبه خلقى وخلقى، ثم أخذ بيدي فقال: اللهم اخلف جعفرا فى أهله، وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه، قالها ثلاث مرات. وفيه: وأنا وليهم فى الدنيا والآخرة.

وقال البغوى: حدثنا القواريرى، حدثنا عبد الله بن داود، عن قطر بن خليفة، عن أبيه، عن عمرو بن حريث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بعبد الله بن جعفر وهو يبيع مع الصبيان، فقال: اللهم بارك فى بيعه أو صفقته.

وقال ابن حيان: كان يقال لعبد الله بن جعفر قطب السخاء، وكان له عند موت النبى (ص) عشر سنين.

وفى التذكرة عن صحيحى البخارى ومسلم، عن عبد الله بن الزبير أنه قال لعبد الله بن جعفر: أتذكر إذ لقينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا وأنت وابن عباس؟ فقال له عبد الله بن جعفر: نعم فحملنا وتر كك.

وروى ابن سعد بإسناده عنه قال: كان رسول الله إذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل بيته، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم جاء مرة فسبقت إليه، فحملنى فجعلنى بين يديه، ثم جئ بأحد ابنى فاطمة الحسن والحسين عليهما السلام فأردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة. (١٧٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٩)، عبد الله بن عباس (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب عليه السلام (٧)، عبد الله بن الزبير (١)، عمرو بن حريث (١)، السخاء (١)

صفحة ١٧٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٧٥

كان عبد الله بن عمر إذا لقي عبد الله بن جعفر يقول له: السلام عليك يا بن ذى الجناحين.

قلت: وأخبار عبد الله بن جعفر فى الكرم كثيرة، وكان بدعوة النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أيسر بنى هاشم وأغناهم، وله فى المدينة وغيرها قرى وضياع ومتاجر، عدا ما كانت تصله من الخلفاء من الأموال، وكان بيته محط آمال المحتاجين، وكان لا يرد سائلا قصده، وكان يبدأ الفقير بالعطاء قبل أن يسأله، فسئل عن ذلك فقال:

لا أحب أن يريق ماء وجهه بالسؤال، حتى قال فقراء المدينة بعد موته: ما كنا نعرف السؤال حتى مات عبد الله بن جعفر.

ويحكى أن الفرزدق الشاعر أتى عبد الملك بن مروان يستميحه، فأبى أن يعطيه شيئا، فقال له عبد الله بن جعفر: ما كنت تؤمل أن يعطيك؟ فقال: كنت أؤمل أن يعطينى ألف دينار فى كل سنة، قال: فكم تؤمل أن تعيش فى الدنيا يا أبا فراس؟ قال: أؤمل أن أعيش فى الدنيا أربعين سنة، فنادى عبد الله بن جعفر غلامه: يا غلام على بالوكيل، فأتاه وكيه، فقال له: خذ الفرزدق وأعطه أربعين ألف دينار، فقبضها ومضى.

ومما يدل على سؤدده ومجده وفصاحته وبلاغته: ما رواه ابن أبى الحديد فى شرح النهج عن المدائنى قال: بينا معاوية يوما جالس

وعنده عمرو بن العاص إذ قال الآذن:

قد جاء عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فقال عمرو: والله لأسوئته اليوم، فقال معاوية: لا تفعل يا أبا عبد الله، فإنك لا تنتصف منه، ولعلك أن تظهر لنا من مغبته ما هو خفي عنا وما لا نحب أن نعلمه منه، وغشيتهم عبد الله بن جعفر، فأدناه معاوية وقربه، فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال من على عليه السلام جهارا غير ساتر له، وثلبه ثلثا قبيحا، فالتمع لون عبد الله واعتراه افكل حتى أرعدت خصائله، ثم نزل عن السرير كالفتيق فقال عمرو: مه يا أبا جعفر، فقال له عبد الله: مه لا أم لك، ثم قال:..

أظن الحلم دل على قومي * وقد يتجهل الرجل الحليم.

ثم حسر عن ذراعيه وقال: يا معاوية حتام نتجرع غيضك، والى كم الصبر على مكروه قولك، وسئ أدبك، وذميم أخلاقك، هبلك الهبول، أما يزجرك ذمام المجالسة من القذع لجليسيك إذا لم يكن له حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك؟ أما والله لو عطفتك أو اصر الأرحام أو حاميت على سهمك من الاسلام ما أرخيت لبنى الإمام المتك والعبيد المسك اعراض قومك، وما يجهل موضع الصفوة الا أهل نجوة، وانك لتعرف رشائط قريش، وصقوة عرائرها، فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطئك في سفك دماء المسلمين، ومحاربة أمير المؤمنين، إلى التماذي فيما قد وضح لك الصواب في خلافه، فاقصد لمنهج الحق، فقد طال عمهك عن سبيل الرشد، وخبطك في ديجور ظلمة الغي، فإن آبيت الا أن تتابعنا في قبح اختيارك لنفسك فاعفنا عن سوء القالة فينا إذا ضمنا وإياك الندى، وشأنك وما تريد إذا خلوت:، والله حسيبك، فوالله لولا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك، ثم قال: انك ان كلفتني ما لم أطق ساءك ما سررك منى من خلق، فقال معاوية: يا أبا جعفر لغير الخطأ أقسمت عليك لتجلسن، لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره، محمول لك ما قلت، ولك عندنا ما أملت، فلو لم يكن مجدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك إلينا، وأنت

(١٧٥)

مفاتيح البحث: الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، جعفر بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، ابن أبي الحديد المعتزلى (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب عليه السلام (٦)، الشاعر الفرزدق (٢)، عبد الله بن عمر (١)، عمرو بن العاص (١)، بنو هاشم (١)، الظلم (١)، الموت (٢)، الجهل (١)، الصبر (١)، الكرم، الكرامة (١)، الجواز (١)

صفحة ١٧٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٧٦

ابن ذى الجناحين، وسيد بنى هاشم، فقال عبد الله: كلا، بل سيدا بنى هاشم حسن وحسين، لا ينازعهما في ذلك أحد، فقال: أبا جعفر أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك قضيتها كائنه ما كانت، ولو ذهبت بجميع ما أملك، فقال: أما في هذا المجلس فلا، ثم انصرف، فأتبعه معاوية بصره فقال: والله لكأنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشيه وخلقه وخلقه وأنه لمن شكله، ولوددت أنه ابني بنفيس ما أملك، ثم التفت إلى عمرو فقال: أبا عبد الله، ما تراه منعه من الكلام معك؟ قال: ما لا خفاء به عنك، قال: أظنك تقول: انه هاب جوابك، لا والله ولكنه ازدراك واستحقر ك ولم يرك للكلام أهلا، أما رأيت اقباله على دونك، زاهدا بنفسه عنك؟ فقال عمرو: هل لك أن تسمع ما أعددته لجوابه؟ قال معاوية: اذهب إليك أبا عبد الله فلات حين جواب سائر اليوم، ونهض معاوية وتفرق الناس.

وقال: قال الشعبي: دخل عبد الله بن جعفر على معاوية وعنده يزيد ابنه، فجعل يزيد يعرض بعبد الله في كلامه وينسبه إلى الاسراف في غير مرضات الله، فقال عبد الله ليزيد: انى لأرفع نفسى عن جوابك، ولو صاحب السرير لأجبتة، فقال معاوية: كأنك تظن أنك أشرف

منه؟ قال: أى والله ومنك ومن أبيك وجدك، فقال معاوية: ما كنت أحسب أن أحدا فى عصر حرب بن أمية أشرف من حرب بن أمية، فقال عبد الله: بلى والله يا معاوية ان أشرف من حرب من أكفأ عليه ائناه وأجاره بردائه، قال: صدقت يا أبا جعفر. أما وفاة عبد الله فكانت بالمدينة سنة ثمانين، أو أربع أو خمس وثمانين (١) عام الجحاف - سيل كان بطن مكة جحف بالناس، فذهب بالحاج والجمال بأحمالها، وذلك فى خلافة عبد الملك بن مروان - وصلى عليه السجاد أو الباقر عليهما السلام، وأمير المدينة يومئذ أبان بن عثمان.

قال فى أسد الغابة: عبد الله بن جعفر أول مولود ولد فى الاسلام بأرض الحبشة، وتوفى سنة ثمانين عام الجحاف بالمدينة، وأميرها أبان بن عثمان لعبد الملك بن مروان، فحضر غسل عبد الله وكفنه، والولائد خلف سريره قد شققن الجيوب، والناس يزدحمون على سريره، وأبان بن عثمان قد حمل السرير بين العمودين، فما فارقه حتى وضعه بالبقيع، ودموعه تسيل على خديه وهو يقول: كنت والله خيرا لا شر فيك، وكنت والله شريفا واصلا برا.

١ - قال الداودى النسابة فى عمدة الطالب: ٢٢ من طبع النجف الأشرف ما نصه: مات عبد الله بالمدينة سنة ثمانين، وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان، ودفن بالبقيع، وقيل: مات بالأبواء، وقال شيخنا أبو الحسن العمري: مات عبد الله فى زمان عبد الملك بن مروان وله تسعون سنة.

وقال ابن عساكر ٧ / ٤٤٣ فى تاريخ الشام: قال هشام المخزومى: أجمع أهل الحجاز وأهل البصرة وأهل الكوفة على أنهم لم يسمعوا بيتين أحسن من بيتين رأوهما على قبر عبد الله بن جعفر، وهما:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه - لقاءك لا يرجى وأنت قريب.

تزيد بلى فى كل يوم وليلة - وتنسى كما تبلى وأنت حبيب.

(١٧٦)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب عليه السلام (٣)، كتاب أسد الغابة لابن الأثير (١)، مقبرة بقیع الغرقد (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، أبان بن عثمان (٣)، بنو هاشم (٢)، الإسراف (١)، الحرب (٣)، الصلاة (٢)، الوفاة (١)، الخليفة عثمان بن عفان (١)، مدينة الكوفة (١)، مدينة النجف الأشرف (١)، ابن عساكر (١)، مدينة البصرة (١)، الشام (١)، الموت (٢)، البعث، الإنبعث (١)

صفحة ١٧٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٧٧

وخلف عبد الله بن جعفر (١) عدة أولاد.

قال سبط ابن الجوزى: منهم جعفر الأ-كبر - وبه كان يكنى، وأمه أم عمرو بنت خراش بن بغيض - وعلى، وعون الأ-كبر، ومحمد، وعباس، وأم كلثوم وأمهم زينب بنت على عليه السلام وأمها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحسن درج، وعون الأصغر قتل مع الحسين عليه السلام يوم الطفوف (٢) ولا بقیة له وأمهما جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزارى، وأبو بكر، وعبيد الله، ومحمد وأمهم الخوصاء بنت حفصة من بنى بكر بن وائل، وصالح، ويحيى لا بقیة لهما، وهارون، وموسى لا بقیة لهما أيضا، وجعفر، وأم أبيها، وأم محمد وأمهم لیلی بنت مسعود، وحמיד، وأم الحسن لام ولد، وجعفر، وأبو سعيد وأمهما أم الحسين بنت عمرو من بنى صعصعة، ومعاوية، وإسحاق، وإسماعيل، وقثم، وعباس لأمهات أولاد شتى.

وفاتها ودفنها سلام الله عليها.

ذكر النسابة العبدلى فى أخبار الزينبات على ما حكاه عنه مؤلف كتاب السيدة زينب ص ٢١: إن زينب الكبرى بعد رجوعها من أسر

بنى أمية إلى المدينة أخذت تؤلب الناس على يزيد بن معاوية، فخاف عمرو بن سعيد الأشدق انتقاض الامر، فكتب إلى يزيد بالحال، فأثاب كتاب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس، فأمر الوالى باخراجها من المدينة إلى حيث شاءت، فأبّت الخروج من المدينة وقالت: قد علم الله ما صار إلينا، قتل خيرنا، وسقنا كما تساق الانعام، وحملنا على الأفتاب، فوالله لا أخرج وان أهرقت دماؤنا، فقالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عماء قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض نتبوء منها حيث نشاء، فطيبى نفسا وقرى عينا، وسيجزى الله الظالمين، أتريدان بعد هذا

١ - قال جمال الدين النسابة الداودى الحسنى فى عمدة الطالب: ٢٢ طبع النجف الأشرف ما نصه: ولد عبد الله عشرين ذكرا، وقيل: أربعة وعشرين، منهم: معاوية بن عبد الله كان وصى أبيه، ومنهم: على الزينبى أمه زينب بنت على بن أبى طالب عليه السلام، ومنهم: إسحاق العريضى أمه أم ولد، ومنهم: إسماعيل الزاهد قتيل بنى أمية أو بنى أخيه، وهؤلاء الأربعة هم المعقبون من ولد عبد الله بن جعفر رحمه الله تعالى.

٢ - ان المقتول مع الحسين عليه السلام يوم الطفوف هو عون الأكبر الذى أمه زينب بنت على عليهما السلام، كما هو الصحيح الثابت، وذهب إليه جمع من المؤرخين وأرباب المقاتل، منهم الشيخ المفيد فى الارشاد.

وأما عون الأصغر الذى أمه جمانه بنت المسيب بن نجبة الفزارى، فإنه قتل فى وقعة الحرّة، كما ذكره جمع من المؤرخين. ووقعة الحرّة من الوقائع المشهورة فى الاسلام، وكانت فى ذى الحجة سنة ٦٣ من الهجرة أيام يريد بن معاوية لعنه الله، وذلك حين أنهب المدينة عسكريه من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من صحابة ة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والقراء والتابعين، وأمر عليهم مسلم بن عقبه المرى السفاك لعنه الله، وعقبها هلك يزيد الطاغية أخزاه الله. (١٧٧)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (٢)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب عليه السلام (٢)، يزيد بن معاوية لعنه الله (١)، السبط ابن الجوزى (١)، بنو أمية (٢)، مسيب بن نجبة (٢)، عمرو بن سعيد (١)، الظلم (١)، القتل (٣)، السيدة زينب بنت أمير المؤمنين على عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، شهر ذى الحجة (١)، مدينة النجف الأشرف (١)، معاوية بن عبد الله (١)، مسلم بن عقبه المرى (١)، جمال الدين (١)، الشام (١)، الهلاك (١)

صفحة ١٧٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٧٨

هوانا؟! إرحلى إلى بلد آمن، ثم اجتمع عليها نساء بنى هاشم وتلفظن معها فى الكلام، فاخترت مصر، وخرج معها من نساء بنى هاشم فاطمة ابنة الحسين وسكينة، فدخلت مصر لأيام بقيت من ذى الحجة، فاستقبلها الوالى مسلمة بن مخلد الأنصارى فى جماعة معه، فانزلها داره بالحمراء، فأقامت به أحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما، وتوفيت عشية يوم الأحد لخمسة عشر يوما مضت من رجب سنة اثنتين وستين للهجرة ودفنت بمخدعها فى دار مسلمة المستجدة بالحمراء القصى (١)، حيث بساتين عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى.

حياة الإمام محمد بن على الباقر (ع).

ولادته: فى غرة رجب من عام ٥٧ من الهجرة النبوية المباركة، غمر بيت الرسالة الطاهر البهجة والسرور، احتفاء بميلاد الإمام محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع)، الذى سبق من سواه من مواليد ذلك البيت الطاهر، كونه أول وليد ينتهى فى نسبه إلى على بن الحسين (ع) وفاطمة بنت الإمام الحسن (ع)، التى وصفها الإمام الصادق (ع) بأنها: صديقة لم تدرك فى آل الحسن (ع) امرأة

مثلا (٢) فهو هاشمي من هاشميين، وشهد مأساة الطف في مستهل عمره الشريف، وتفياً لظلال الرسالة والإمامة برعاية أبيه السجاد (ع) مدة سنوات إمامته، وتلقى علوم الاسلام وتراث الأنبياء (ع) من أبيه (ع). وقد بلغ الإمام الباقر (ع) الذروة في السمو نسبا وفكرا، وخلقا، مما منحه أهلية النهوض بأعباء المرجعية الفكرية والاجتماعية للأمة بعد أبيه (ع). ففي الإرشاد للمفيد وغيره في رواية الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري حيث يقول:

قال لي رسول الله: يوشك أن تبقى حتى تلقى ولدًا لي من الحسين (ع) يقال له: محمد، يقر علم الدين بقرا، فإذا لقيت فآقرته عنى السلام (٣).

وبناء على ذلك لقب محمد بن علي (ع) بالباقر، أي المتبحر بالعلم، والمستخرج لغوامضه ولبابه وأسراره، والمحيط بفنونه. واليك جملة من أقوال أعلام المسلمين بشتى مذاهبهم بشأن الإمام الباقر (ع):

قال عبد الله بن عطاء المكي: ما رأيت العلماء عند أحد قط، أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع) (٤).
وقال محيي الدين بن شرفة النووي: هو تابعي جليل، امام بارع مجمع على جلالته، معدود في فقهاء المدينة وأئمتهم، سمع جابرا وأنسا، وروى عنه أبو إسحاق وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار الأعرج، وهو أسن منه، والزهرى وربيعه وخلاتق آخرون من التابعين و
١ - الحمراء القصى: وهى خطه بن الأنزرق وبنى روييل، وهم من الروم، وهى من درب معانى إلى القناطر الظاهرية، يعنى قناطر السباع، وهى حد ولاية مصر من القاهرة، و كانت هذه الحمراءات الثلاث جل عماره مصر.

٢ - الكافي للكلىنى ج ١ ص ٤٦٩، المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٢٨٠.

٣ - الارشاد للمفيد ص ٢٦٢، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ٢١١، نور الابصار للشبلنجى وغيرهم.

٤ - الارشاد للمفيد ص ٢٦٣.

(١٧٨)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٣)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٣)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبى عليهما السلام (٢)، الأنبياء (ع) (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (٣)، يوم عاشوراء (١)، شهر ذى الحجة (١)، شهر رجب المرجب (٢)، عبد الرحمن بن عوف (١)، عبد الله بن عطاء المكي (١)، علي بن الحسين بن علي (١)، جابر بن عبد الله (١)، بنو هاشم (٢)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكى (١)، كتاب نور الأبصار للشبلنجى (١)، ابن شهر آشوب (١)

صفحة ١٧٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٧٩

كبار الأئمة، وروى له البخارى ومسلم (١).

وقال ابن العماد الحنبلى: أبو جعفر محمد الباقر كان من فقهاء أهل المدينة، وقيل له الباقر، لأنه بقر العلم، أى شقه وعرف أصله وتوسع فيه (٢).

ومن هنا فان الباقر (ع)، مع كونه متمتعاً بمواصفات الإمامة فى فكره وجميع نمط حياته، فان رسالته الله تعالى لم تتخلف عن الابلاغ الرسمى بإمامته، وهذه بعض النصوص الشرعية فى هذا المضمرا:

١ - سأل جابر بن عبد الله الأنصاري رسول الله (ص): يا رسول الله ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب؟ قال (ص): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم سيد الصابرين فى زمانه علي بن الحسين ثم الباقر محمد بن علي، وستدرکه يا جابر، فإذا أدركته فأقرته عنى السلام (٣).

٢ - عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد (ص): (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم) (٤) قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال (ص): هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدى، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي (٥... ٥).

٣ - عن عثمان بن خالد عن أبيه، قال: مرض علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) مرضه الذي توفي فيه، فجمع أولاده محمداً والحسن وعبد الله وعمر وزيدا والحسين، وأوصى إلى ابنه محمد بن علي وكناه الباقر، وجعل أمرهم إليه (٦).

٤ - عن الإمام الصادق عن أبيه (ع) قال: دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه، فرد علي السلام، قال لي: من أنت؟ - وذلك بعد ما كف بصره - فقلت: محمد بن علي بن الحسين، قال: يا بني أدن مني، فدنوت منه، فقبل يدي، ثم أهوى إلى رجلي يقبلها فتحت عنه، ثم قال لي: رسول الله يقرئك السلام، فقلت وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، فكيف ذاك يا جابر؟ فقال: كنت معه ذات يوم فقال لي: يا جابر لعلك تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين، يهب الله له النور والحكمة، فأقرئه عنى السلام (٧) سخاؤه (ع):.

أ - عن الإمام الصادق (ع)، قال:.

١ - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر ج ٢ ص ٤٣٦ نقلاً عن النووي.

٢ - المصدر نفسه لأسد حيدر نقلاً عن شذرات الذهب.

٣ - اكمال الدين واتمام النعمة للصدوق ص ٢٥٣.

٤ - النساء: الآية: ٥٩.

٥ - ينابيع المودة للقندوزي ص ٣٦٠.

٦ - بحار الأنوار للمجلسي ج ٤٦ ص ٢٣ نقلاً عن كفاية الأثر.

٧ - الإرشاد للمفيد ص ٢٦٢، وللإستزادة يراجع الكافي للكليني ج ١ ص ٣٠٥ /

(١٧٩)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، محمد بن علي بن الحسين (١)، علي بن أبي طالب (١)، جابر بن عبد الله (٣)، علي بن الحسين (٣)، جابر بن يزيد (١)، محمد بن علي (٤)، الصدق (٢)، المرض (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب كفاية الأثر للخزار (١)، كتاب ينابيع المودة (١)، كتاب بحار الأنوار (١)، الشيخ الصدوق (١)

صفحة ١٨٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨٠

دخلت على أبي يومنا وهو يتصدق على فقراء المدينة بثمانية آلاف دينار، وأعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكاً (١).

ب - عن الحسن بن كثير، قال:.

شكوت إلى أبي جعفر محمد بن علي (ع) الحاجة وجفاء الإخوان، فقال: بشس الأخ أخ يرعاك غنيا ويقطعك فقيراً، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمئة درهم فقال: استنفق هذا فإذا نفدت فأعلمني (٢).

ج - عن عمرو بن دينار وعبد الله بن عبيد، قال:.

ما لقينا أبا جعفر محمد بن علي (ع) الا وحمل إلينا النفقة والصلة والكسوة، فقال:

هذه معدة لكم قبل أن تلقوني (٣).

د - عن سليمان بن قرم، قال:.

كان أبو جعفر محمد بن علي (ع) يجيزنا بالخمسمئة إلى الستمئة إلى الألف درهم، وكان لا يمل من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه (٤).

ه - قالت سلمى مولاته:.

[كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم الثياب الحسنه، ويهب لهم الدراهم، فأقول له في ذلك ليقبل منه، فيقول: يا سلمى ما حسنة الدنيا الا صلة الاخوان والمعارف، وكان يجيز بالخمسمئة والستمئة إلى الألف].
البعد الفكرى فى شخصيته (ع).

نحاول الان دراسة سيرة الإمام الباقر (ع) وسوف نطل على البعد الفكرى الشاهق من شخصيته الكريمة، وقبل أن نطرح بعض النماذج الحية من أفكاره الرائدة، نود أن نشير إلى أن عمق تفكيره (ع) وسمو مكانته العلمية، على من سواه فى عصره، فى العقائد والفقہ والتفسير والحديث وسواها من حقول معرفته كان مما يثير اعجاب القمم الفكرية فى زمنه وما بعده.

فبعد الله بن عمر بن الخطاب يسأل عن مسألة، فيعجز عن الإجابة عنها، فيرشد سائلها إلى الإمام الباقر (ع): اذهب إلى ذلك الغلام، فسله وأعلمنى بما يجيبك، فيأتى السائل إلى الباقر (ع)، فيرى الإجابة حاضرة لديه، ثم يعود إلى ابن عمر ليخبره بما جنى من ثمر، فيعلق ابن عمر على ذلك بقوله: انهم أهل بيت مفهمون (٥).

وعبد الله بن عطاء المكي يقول:.

ما رأيت العلماء عند أحد قط أصغر منهم عند أبى جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع). ولقد

١ - المجلسى / البحار / ج ٤٦ / ص ٣٠٢ نقلا عن فلاح السائل.

٢ - المفيد / الارشاد / ص ٢٦٦.

٣ - المفيد / الارشاد / ص ٢٦٦. ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤ / ص ٢٠٧.

٤ - المفيد / الارشاد / ص ٢٦٦. ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤ / ص ٢٠٧.

٥ - ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤ / ص ١٩٧ الأمين / أعيان الشيعة نقلا عن حلية الأولياء.

(١٨٠)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٣)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابى طالب عليهما السلام (٣)، الخليفة عمر بن الخطاب (١)، عبد الله بن عطاء المكي (١)، عبد الله بن عبيد (١)، الحسن بن كثير (١)، سليمان بن قرم (١)، الطعام (١)، الكرم، الكرامة (١)، الحاجة، الإحتياج (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، العلامة المجلسى (١)، ابن شهر آشوب (٣)

صفحة ١٨١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٨١

رأيت الحكم بن عتيبة - مع جلالته فى القوم - بين يديه كأنه صبى بين يدي معلمه (١).

آراء المفكرين ورجال العلم المعاصرين بفكر الإمام (ع).

١ - وفد عمرو بن عبيد - وهو من أئمة الاعتزال ومفكريهم (٢) - على محمد ابن علي الباقر (ع) لامتحانه بالسؤال، فقال له:.

جعلت فداك ما معنى قوله تعالى: (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما)، ما هذا الرتق وما هذا الفتق؟ قال أبو جعفر (ع): كانت السماء رتقا لا- تنزل المطر، وكانت الأرض رتقا لا تخرج النبات، ففتق الله السماء بالقطر، وفتق الأرض بالنبات. فانقطع عمرو ولم يعترض بشيء. وعاد إليه مرة أخرى وقال: خبرني جعلت فداك عن قوله تعالى: (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى)، ما ذلك الغضب؟ قال (ع):

العذاب يا عمرو، وإنما يغضب المخلوق الذي يأثيه الشيء فيستغزه، ويغيره عن الحال التي هو بها إلى غيرها، فمن زعم أن الله يغيره الغضب والرضا ويزول عن هذا فقد وصفه بصفة المخلوق (٣).

٢ - قال محمد بن المنكدر - زعيم صوفى -:

ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلقا يقارنه في الفضل حتى رأيت ابنه محمد بن علي، وذلك اني أردت أن أعظه فوعظني، فقال أصحابه: بأى شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمد بن علي، وكان رجلا بدينا وهو متكئ على غلامين له، فقلت في نفسي شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، والله لأعظنه، فدنوت منه، فسلمت عليه، فسلم علي بيهر (٤) وقد تصبب عرقا، فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا!

لو جاء الموت وأنت على هذه الحال؟ قال: فخلي عن الغلامين من يده، ثم تساند وقال:

لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله، أكف بها نفسي عنك، وعن الناس، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله. فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني (٥).

وتبدو أهمية حديث الإمام الباقر (ع) مع ابن المنكدر إذا أعدنا إلى الأذهان أن هذا الأخير يدين بالتصوف والعزلة عن الحياة الدنيا، والاتجاه الاتكالي في أموره المعاشية على سواه من الناس، متذرعاً بالانصراف للعبادة فحسب، الامر الذي لا

١ - المفيد / الارشاد / ص ٢٦٣. الأمين / أعيان الشيعة نقلا عن الحلية وتذكر الخواص مع اختلاف يسير في الألفاظ.

٢ - ابن خلكان / وفيات الأعيان / ج ٣ / ص ٤٦٠ / ط ١٩٧١ (بيروت).

٣ - الطبرسي / الاحتجاج / ج ٢ / ص ٣٢٣ و ٣٢٦.

* سلم علي بيهر: سلم علي بنفس متقطع.

٥ - المفيد / الارشاد / ص ٢٦٤.

(١٨١)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٣)، علي بن الحسين (١)، محمد بن المنكدر (١)، محمد بن علي (٢)، الموت

(٣)، الفدية، الفداء (٢)، الغضب (٢)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، مدينة بيروت (١)

صفحة ١٨٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨٢

يقره الاسلام الحنيف، وهو ما أشار رسول الله (ص) عندما قال: ملعون من ألقى كله على الناس (١).

ولقد وجد الإمام الباقر (ع) الفرصة ملائمة لتنفيذ مذهب التصوف عمليا، فوضع ابن المنكدر أمام الامر الواقع، وذكره بأن الموت في ساعة كسب الرزق، انما يكون في طاعة من طاعات الله عز وجل، فلم ير ابن المنكدر بدا من الاعتراف بسلامة خط الإمام (ع).

٣ - قال أبو يوسف الأنصاري:.

قلت لأبي حنيفة: لقيت محمد بن علي الباقر (ع)؟ فقال: نعم وسألته يوما، فقلت له:

أراد الله المعاصي؟ فقال: أفيعصى قهراً؟ قال أبو حنيفة: فما رأيت جواباً أفهم منه [٢].

ومن الضروري أن نشير إلى أن أبا حنيفة فقيه مدرسة الرأي المعروف، كان له كل الحق حين يصف جواب الإمام (ع) لوجازته، لأن الرجل قد أدرك أهمية جواب الإمام (ع) بدقّة تحديه العلمي الصارم لفلسفة الجبر والتفويض، التي مزقت وحدة المفكرين والفقهاء زمنًا طويلاً، حيث أن الإمام (ع) يحدد مسارها الموضوعي بكلمتين اثنتين أفيعصى قهراً؟ أي هل يعقل أن الله يجبر عباده على معصيته، فيعصونه بالقهر؟ مما يثير إعجاب أبي حنيفة.

٤ - عن أبي حمزة الثمالي قال:.

قدم قتادة بن دعامة البصري على أبي جعفر (ع) فقال له الإمام (ع): أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال أبو جعفر (ع): ويحك يا قتادة، إن الله عز وجل خلق خلقاً فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه، فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدام أحد منهم ما اضطرب قدامك. فقال أبو جعفر (ع): أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وأقام الصلاة، وابتأ الزكاة، فأنت ثم ونحن أولئك، فقال قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك، واله ما هي بيوت حجارة ولا طين (٣).

٥ - ومن روائع فكره السياسي وصيته لعمر بن عبد العزيز الحاكم الأموي:.

أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولداً، وأوسطهم أخاً، وأكبرهم أباً، فأرحم ولدك

١ - الكليني / الكافي / ج ٤ / ص ١٢.

٢ - سبط بن الجوزي / تذكرة الخواص / ٣٣٧.

٣ - المجلسي / البحار / ج ٤٦ / ص ٣٥٧.

(١٨٢)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٥)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، مسألة الجبر والإختيار (الجبر والتفويض) (١)، عبد الله بن عباس (١)، عمر بن عبد العزيز (١)، مدينة البصرة (١)، الكسب (١)، الرزق (١)، الزكاة (١)، الموت (١)، الفدية، الفداء (١)، الصلاة (١)، البيع (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (١)، العلامة المجلسي (١)

صفحة ١٨٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨٣

وصل أخاك، وبر والدك، وإذا صنعت معروفًا فربه (١).

هذه أمثلة من الفكر الباقر العظيم الذي يحتل مركز الزيادة في دنيا الفكر الإسلامي، في الماضي والحاضر وفي مستقبل الأجيال، وتتجلى مكانته العلمية إذا أمعنا النظر في أن الرجال كانت تشد إليه من أقطار العالم الإسلامي كافة، ويقصده رجالات الفكر الإسلامي وأصحاب المدارس الفقهية يوم ذاك.

السياسة الأموية في عصر الباقر (ع).

رحل الإمام السجاد (ع) إلى جوار ربه الأعلى سبحانه عام ٩٥ هـ فنهض الإمام محمد الباقر (ع) بأعباء المسلمين، وقد امتدت إمامته تسع عشرة سنة، قضى منها زهاء السنتين في حكم الوليد بن عبد الملك السلطان الأموي، وستين في عهد سليمان بن عبد الملك وهي مدة حكمه فحسب.

ويبدو أن الظروف في عهده [سليمان بن عبد الملك] لم تشهد تطوراً نحو الأحسن في العلاقة بين أهل البيت (ع) والبيت الأموي

الحاكم، فان حادثه اغتيال الإمام السجاد (ع) بالسم، ومن قبلها مأساة الطف، ما زالت حية في النفوس.

ويبدو أن سليمان بن عبد الملك الذي كان يخشى على ملكه وسلطانه من أهل بيت النبوة (ع)، لا سيما وقد ارتكب جريمة اغتيال الإمام السجاد (ع) من قبل، قد انشغل طوال فترة حكمه القصيرة في تصفية كل القيادات التي اعتمدها أخوه الوليد من قبل، فقد صب حقه على أسرة الحجاج بسبب حقه على الحجاج ذاته لعوامل شخصية لسنا بصدد ذكرها الآن، كما عزل ولاه الوليد البارزين وعاقب بعضهم بالموت كمحمد بن القاسم (٢)، ومع انشغال سليمان بالإجهاز على ولاه الوليد، كان كذلك مشغولا بالطعام والنساء والبذخ بشكل جعل المؤرخين يقطعون بكونه أفسد ممن سبقه من سلاطين بني أمية (٣).

وبتولى عمر بن عبد العزيز قيادة الحكم الأموي، حدث تحول كبير لصالح الاسلام والدعوة، فبالرغم من قصر أيامه في الحكم، الا أن مواقفه من أهل البيت (ع) كان فيها الكثير من الإنصاف، فقد عمل على رفع الحيف عنهم، وأطاح ببعض أنواع الظلم الذي لحق بهم، فرفع السب عن الإمام علي (ع) من على المنابر، وهي سنة سنّها معاوية، وعممها على الأمصار، فصار سنة يستن بها كل سلاطين بني أمية في خطبة الجمعة، حتى عهد عمر بن عبد العزيز، الذي منعه، واستبدل به في خطبة الجمعة قول الله تعالى: (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء

١ - أسد حيدر / الإمام الصادق والمذاهب الأربعة / ج ٢ / ص ٤٥٥. وربه: أي أدمه، واستمر عليه.

٢ - د. حسن إبراهيم حسن / تاريخ الاسلام / ج ١ / ط ١٩٤٧ / ص ٣٢٣.

٣ - د. حسن إبراهيم حسن / تاريخ الاسلام / ج ١ / ص ٣٢٤.

(١٨٣)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٢)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (٣)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، يوم عاشوراء (١)، الدولة الأموية (١)، عمر بن عبد العزيز (٢)، بنو أمية (٢)، محمد بن القاسم (١)، الظلم (١)، الموت (١)، الشهادة (١)، التاريخ الإسلامي (٢)، الصدق (١)

صفحة ١٨٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨٤

والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (١).

وبالنظر إلى أن البيت الأموي لم يألّف مهادنة أهل بيت الرسالة (ع) قط، فإن ابن عبد العزيز كان يواجه الضغط من بني أمية بسبب سياسته الانفتاحية عليهم، فقد ورد عن الإمام الصادق (ع) عن أبيه قوله:.

لما ولى عمر بن عبد العزيز أعطانا عطايا عظيمة، فدخل عليه أخوه فقال له: ان بني أمية لا ترضى منك بأن تفضل بني فاطمة عليهم، فقال عمر: أفضلهم لأنني سمعت، حتى لا أبالي ان لا اسمع ان رسول الله (ص) يقول: انما فاطمة شجنته (٢) مني، يسرني ما أسرها ويسوؤني ما أساءها، فأنا أبتغي سرور رسول الله (ص) وأتقى مساءته (٣).

على أن زعامة ابن عبد العزيز لم تدم أكثر من سنتين وخمسة أشهر، فتولى الحكم بعده يزيد بن عبد الملك، المشهور تاريخيا بلهوه وخلاعته وغزله الماجن. وإذا كان انشغال الأخير بأعمال الصبيانية ومجونه (٦٤)، لم يعطه فرصة التصدي لمسيره الاسلام التاريخية التي يقودها الإمام الباقر (ع)، فان تولى هشام بن عبد الملك لقيادة السياسة المنحرفة، قد خلق انعطافا تاريخيا لغير صالح الحركة الاسلامية، فالحاكم المذكور كان خشن الطبع، شديد البخل فظا، ناقما على المسلمين من غير العرب، فضاعف من حجم الضرائب المالية عليهم (٤)، وأعاد أيام يزيد والحجاج الدموية، فتصدى له أهل البيت (ع) من خلال انتفاضة الشهيد زيد بن علي (ع)، التي كانت صدى لثورة الحسين (ع) وامتدادا لها، فاستشهد هو وأصحابه، وأمر الطاغية هشام بصلب جثته، ومن ثم حرقها (٥) وذر رمادها في نهر

الفرات!!!.

على أن الطغيان الأموي لم يكفه قتل زيد وأصحابه البررة، وانما اتجه نحو ضرب المواقع الأساسية للحركة الإسلامية التي يمثلها الإمام الباقر (ع) وتلامذته.

فقد أصدر هشام الحاكم الأموي قرارا يقضى بقتل جابر بن يزيد الجعفي، أبرز تلامذة الإمام الباقر (ع)، غير أن الامام قد أفضل مخطط القوم بالوسائل المتاحة لمنصب الإمامة الشرعية عادة، إذ أمر تلميذه بالتظاهر بالجنون، كطريق وحيد لضمان نجاة من القتل (٤). وبمقدورنا أن ندرك حجم الظلم الذي كان يصب على أتباع الرسالة الإلهية في ذلك العصر الكالح، حتى يضطر الرجل منهم - بالرغم من فضله وعلمه - إلى التظاهر بالجنون، وما ينجم عنه من إهانة الصبيان، أو لعه معهم، كل ذلك درءا للقتل عن

١ - د. حسن إبراهيم حسن / تاريخ الاسلام / ج ١ / ص ٣٣٠.

* سجنه: الغصن المشتبك، والشعبة من كل شيء.

٣ - المجلسي / البحار / ج ٤٦ / ص ٣٢٠ نقلا عن قرب الاسناد.

٤ - د. حسن إبراهيم حسن / تاريخ الاسلام / ج ١ / (هشام بن عبد الملك).

٥ - د. حسن إبراهيم حسن / تاريخ الاسلام / ج ١ / (هشام بن عبد الملك).

٦ - ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤ / ص ١٩١.

(١٨٤)

مفاتيح البحث: نهضة الحسين عليه السلام (١)، الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٣)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، نهر الفرات (١)، هشام بن عبد الملك (٣)، يزيد بن عبد الملك (١)، عمر بن عبد العزيز (١)، بنو أمية (١)، جابر بن يزيد (١)، عبد العزيز (٢)، القتل (٣)، الظلم (١)، الشهادة (١)، العلامة المجلسي (١)، التاريخ الإسلامي (٣)، ابن شهر آشوب (١)

صفحة ١٨٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨٥

نفسه وخلاصا من الموت الذي يدبر له في الظلام.

وهكذا تظاهر الجعفي بالجنون، وامتنى قصبه، وعلق كعبا في رقبتة، فاجتمع عليه الصبيان في أزقة الكوفة والجميع يقولون: جن جابر (١)!!!.

ولم تمض غير أيام قلائل حتى أتت أوامر هشام إلى واليه على الكوفة بوجوب قتل جابر الجعفي وانفاذ رأسه إلى دمشق، غير أن الوالي حين سأل عنه من أجل أن ينفذ فيه الجريمة، قيل له: أصلحك الله كان رجلا - له فضل وعلم وجن، وهو دائر في الرحبة مع الصبيان على القصب يلعب معهم (٢).

فعدل الحاكم المحلي عن قتله بعد اقتناعه بجنونه.

ان هشام بن عبد الملك كان واثقا من أن مصدر الوعي الإسلامي الصحيح انما هو الإمام الباقر (ع)، وأن وجوده حرا طليقا يمنحه مزيدا من الفرص لرفد الحركة الاصلاحية في الأمة وتكريس مدها المتعاضم، ومن أجل ذلك رأت السياسة المنحرفة ممثلة بحفيد مروان أن يحال بين الإمام (ع) وبين استمراره بالعمل الرسالي لصالح الاسلام والأمة، وقد اتجه المكر الأموي نحو اعتقال الإمام (ع)، وابعاده عن عاصمة جده المصطفى (ص)، التي اجتمعت هي والحجاز عموما على اجلاله والتمسك به.

وهكذا حمل الإمام (ع) وابنه جعفر الصادق (ع) إلى دمشق بأمر السلطنة الأموية لايقاف تأثيره في الأمة المسلمة، وحجبه عن أداء دوره الرسالي العظيم، وأودع في أحد سجون الحكم هناك.

بيد أن تأثيره الفكري فيمن التقى بهم حمل السلطنة الأموية على اطلاق سراحه كما تفيد رواية أبي بكر الحضرمي، حيث يقول:.

لما حمل أبو جعفر إلى الشام إلى هشام بن عبد الملك، وصار ببابه، قال هشام لأصحابه:

إذا سكت من توييح محمد بن علي فلتوبخوه، ثم أمر أن يؤذن له، فلما دخل عليه أبو جعفر قال بيده: السلام عليكم، وأشار بيده، فعمهم جميعا بالسلام، ثم جلس، فازداد هشام عليه حنقا بتركه السلام بالخلافه، وجلوسه بغير اذن. فقال: يا محمد بن علي لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين، ودعا إلى نفسه وزعم أنه الامام سفها وقله علم، وجعل يوبخه. فلما سكت هشام اقبل القوم عليه رجلا- بعد رجل يسيء الأدب فلما سكت القوم نهض الإمام (ع) قائما ثم قال: أيها الناس أنى تذهبون وأنى يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم، وبنا يختم آخركم، فان يكن لكم ملك معجل فإن لنا ملكا مؤجلا، وليس من بعد ملكنا ملك لأننا أهل العاقبة، ويقول الله عز وجل: (والعاقبة للمتقين). فأمر به هشام إلى الحبس. فلما صار في الحبس تكلم، فلم يبق في الحبس رجلا ترشفه وحسن عليه، فجاء صاحب السجن إلى

١- ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤ ص ١٩١.

٢- ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤ ص ١٩١.

(١٨٥)

مفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (٢)، مدينة الكوفة (٢)، هشام بن عبد الملك (٢)، محمد بن علي (٢)، الشام (١)، دمشق (٢)، القتل (٢)، الموت (١)، السكوت (٢)، ابن شهر آشوب (٢)

صفحة ١٨٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨٦

هشام، وأخبره بخبره، فأمر به فحمل على البريد، هو وأصحابه ليردوا إلى المدينة (١).

وإذا كانت رواية الحضرمي تؤكد أن اطلاق سراح الإمام (ع) من السجن الأموي كان بسبب تأثيره بالسجناء الذي التقى بهم، فان رواية محمد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة (٢)، تفيد أن اطلاق سراحه انما جاء بسبب تأثيره على جماهير دمشق، على أثر مناظراته لزعيم النصاري هناك ودحض آرائه، وتبيان زيفها، والرد على كل الشبهات التي أثارها حول الاسلام، على أنه ليس هناك من تعارض بين الروايتين إذ لا مانع من وقوع الحادثتين معا، فإن الإمام (ع) انما يتبع الهدى والحق أينما حل، طليقا كان هو أم معتقلا، ما دام هناك انسان يلقي السمع وهو شهيد.

وإذ لم تحقق المضايقة الأموية غاياتها الدنيئة في صد الإمام الباقر (ع) عن النهوض بمهامه الرسالية العظمى: فقد رأت السياسة المنحرفة أنه ليس عن اغتياله بدليل.

وهكذا دس إليه السم في عام ١١٤ هـ (٣).

فرحل إلى ربه الاعلى سبحانه صابرا محتسبا.

فسلام عليه يوم ولد ويوم رحل إلى ربه ويوم يبعث حيا.

الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع).

مولده ونشأته:.

ولد الإمام الصادق (ع) في المدينة المنورة في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين للهجرة، في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

وأم الإمام (ع) هي: فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وتكنى أم فروة، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، لذلك قال الإمام الصادق (ع): ولدني أبو بكر مرتين ولد الإمام الصادق (ع) وتربى وترعرع في ظلال أبيه محمد الباقر وجده علي بن الحسين عليهم السلام.

كان الإمام الصادق (ع)، امام عصره، ومرجع الفقهاء والعلماء والمحدثين، وعليه تتلمذ وعنه أخذ المئات من مشايخ العلم والحديث، وقد شهد له العلماء والفقهاء ودونوا شهاداتهم لجليل قدره وعظيم شأنه وغازرة علمه.

وقد أوضح الإمام الصادق (ع)، هذه الحقيقة بقوله: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي

١ - ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤ / ص ١٨٩. مسألة حمل الامام إلى الشام رويت في مصادر شتى وألفاظ مختلفة، كما روى في بحار الأنوار / ج ٤٦ / باب خروجه (ع) إلى الشام، نقلاً عن ابن طاووس / أمان الاخطار. والطبري / دلائل الإمامة. وتفسير علي بن إبراهيم، وغيرها.

٢ - المجلسي / البحار / ج ٤٦ / ص ٣٠٩ نقلاً عن دلائل الإمامة.

٣ - الأمين / أعيان الشيعة / ج ١.

(١٨٦)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٦)، محمد بن جرير الطبري (١)، الدولة الأموية (١)، المدينة المنورة (١)، القاسم بن محمد بن أبي بكر (١)، شهر ربيع الأول (١)، علي بن أبي طالب (١)، دمشق (١)، الشهادة (٢)، البعث، الإنبعاث (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، العلامة المجلسي (١)، كتاب بحار الأنوار (١)، ابن شهر آشوب (١)، الشام (٢)

صفحة ١٨٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨٧

حديث رسول الله (ص) (١).

في حياة الإمام الصادق (ع)، وفي أواخر الحكم الأموي ازداد ظلم الأمويين واشتد ارهابهم و تعاضمت نعمة الأمة عليهم، وكان طبيعياً أن يكون آل البيت (ع) هم الطليعة والقيادة والملاذ الامن لدى جماهير الأمة، لذا بدأت الحركة والثورات المناهضة للحكم الأموي باسم آل البيت عليهم السلام وأعلن دعواتهم أنهم يدعون لعودة الخلافة والإمامة لأصحابها الشرعيين، وهم آل البيت (ع)، وأنهم يدعون إلى الرضى من آل محمد (ص) أي إلى من هو أهل للأمة والخلافة من ذرية فاطمة الزهراء (س)، ومع كل تلك الاحداث والثورات التي حدثت أبان الحكم، الأموي البغيض، ومع شدة الصراع والمنافسة، نرى أن الإمام الصادق (ع) ينأى بنفسه عن هذه الصراعات، فقد كان امامنا (ع) محيطاً بأحداث عصره والفتن التي أثّرت باسم الولاة لأهل البيت، وكان (ع) يعرف النتائج التي ستنتهي إليها الاحداث سلفاً، حيث أنه يعرف أن الشعارات زائفة والدعوة مبطنه، وأن أهل البيت سيكونون هم الضحية.

وحقا فقد صدق الإمام (ع) فقد وقع ما أخبر، وحدث ما كان يحذر منه، فهذا أبو سلمة الخلال أحد أبرز قادة الثورة ضد الأمويين يبعث برسوله إلى الإمام الصادق (ع) ويعرض عليه البيعة، فيحرق الإمام الصادق (ع) رسالته ولا- يستجيب لطلبه، وتكرر الطلبات، فيردها الامام، ويرد مرارا طلب أبناء عمومته من العلويين أيضا، بعد أعرضوا عليه أمر الخلافة واستشاروه فيها، وهذا الخليفة العباسي

أشد خصوم الإمام (ع) الذي أوغل في أذاه، فقد استدعاه مرارا وحاكمه بحجة أنه يدير الحركات المناوئة، ويوجه الثورات المضادة للحكم العباسي الجائر سرا، فقد شهد هذا الخليفة الجائر بعظم قدر الإمام الصادق (ع) وعلو مقامه، وقد كشف عن هذا الاعتراف الصريح في رسالته التي وجهها للثائر العلوي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام - ذى النفس الزكية - ردا على رسالته التي بين فيها فضله وتفوقه على أبي جعفر المنصور، وأهليته للخلافة، مستشفعا بنسبه وقرابته من رسول الله (ص) وانتسابه لفاطمه الزهراء (ع)، ومما جاء في رد المنصور العباسي:

وما خيار بنى أبيك خاصة، وأهل الفضل منهم، الا بنو أمهات الأولاد - يعنى أن أمهاتهم كانت جواري - ما ولد فيكم بعد وفاة رسول الله (ص) أفضل من علي بن الحسين (ع) وهو لام ولد، ولهو خير من جدك حسن بن حسن، وما كان فيكم بعده مثل محمد بن علي - يعنى الإمام الباقر (ع) وجدته أم ولد، ولهو خير من أبيك، ولا مثل ابنه جعفر - يعنى الإمام جعفر الصادق (ع) - وجدته أم ولد، وهو خير منك.

وروى إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، قال: دخلت على أبي جعفر المنصور يوما وقد اخضلت لحيته بالدموع، وقال لى: ما علمت ما نزل بأهلك؟

١ - أعيان الشيعة للعامل ط بيروت ج ١ ص ٦٦٤.

(١٨٧)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٣)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٦)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، عبد الله بن عباس (١)، الدولة الأموية (٢)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، الحسن بن علي بن أبي طالب (١)، إسماعيل بن علي (١)، محمد بن علي (١)، التصديق (١)، الشهادة (١)، الحج (١)، البعث، الإنبعاث (١)، الإختيار، الخيار (١)، الوفاة (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، مدينة بيروت (١)

صفحة ١٨٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨٨

فقلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: فان سيدهم وعالمهم وبقية الاخبار منهم توفى، فقلت: ومن هو يا أمير المؤمنين؟ قال: جعفر بن محمد (١).

لقد عايش الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) الحكم الأموي البغيض مدة تقارب الأربعين سنة، فقد ولد الإمام الصادق (ع) في عهد مروان بن الحكم، ثم عايش الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، والوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ومروان الحمار، حتى سقوط الحكم الأموي سنة ١٣٢ هـ ثم آلت الخلافة إلى بنى العباس، فعاصر (ع) من خلفائهم أبا العباس السفاح، وشطرا من خلافة أبي جعفر المنصور - تقدر بعشر سنوات تقريبا، عاصر الإمام الصادق (ع) كل هؤلاء وشاهد نفسه محنة آل محمد (ص) وآلام الأمة وشكواها وتلملمها، الا أنه لم يستطع التحرك والمواجهة مع الحكام لعدة أسباب، أهمها:

١ - إنه كان على قمة الهرم العلمى والاجتماعى، وعميد آل البيت (ع)، ومحط أنظار المسلمين، لذا فقد كان تحت الرقابة الأموية والعباسية، وملاحقة جواسين الحكام، فقد كانوا يحصون عليه حركاته واتصالاته.

٢ - التجربة التاريخية المرة لقيادة آل البيت (ع)، مع جمهور الأمة، وتيارات الثورات ضد الحاكم الأمويين، وكانت آخرها ثورة زيد بن علي بن الإمام الحسين (ع).

ونظرا لتخلف الناس عن الرمى إلى المقام السامى والأسلوب الرفيع الذى كان يتحلى به أهل البيت (ع) فى الوصول إلى الحكم

والخلافه ولهذه الأسباب وغيرهما جعلت من الإمام أن ينصرف عن الصراع السياسي المكشوف مع الحكام، ليعكف على بناء روح المقاومة عند الناس بناء علميا وفكريا وسلوكيا يحمل روح الثورة، وبهذه الطريقة راح يربى العلماء والدعاة وجماهير الأمة على مقاطعة الحكام الظلمة، ومقاومتهم عن طريق نشر الوعي العقائدي والسياسي، والتفقه في أحكام الشريعة ومفاهيمها - كقوله (ع): من عذر ظالما بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته (٢).

وقال (ع): العامل بالظلم والمعين له، والراضى به شركاء ثلاثتهم (٣).

وفي فترة حياة الإمام الصادق (ع) وقعت ثلاثة أحداث سياسية خطيرة شهدتها الأمة، في حياة إمامنا جعفر الصادق (ع) وهي:

١ - ثورة زيد الشهيد سنة ١٢١ هـ: وزيد - هو عم الإمام الصادق (ع) - بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، ولقد كان زيد أحد الأعلام البارزين من آل رسول الله (ص)، و من فقهاء أهل البيت (ع)، وقد عظمت عليه شدة المحنة، والارهاب

١ - تاريخ يعقوبى ط بيروت ج ٣ ص ٣٨٣.

٢ - الأصول من الكافي للكليني ط ٣ ج ٢ ص ٣٣٤.

٣ - المصدر نفسه ص ٣٣٣.

(١٨٨)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٦)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٦)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (٢)، مروان بن الحكم (١)، بنو عباس (١)، عمر بن عبد العزيز (١)، علي بن الحسين (١)، زيد بن علي (١)، جعفر بن محمد (١)، الظلم (١)، الشهادة (٢)، كتاب أصول الكافي للشيخ الكليني (١)، مدينة بيروت (١)

صفحة ١٨٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٨٩

والتسلط والاستئثار الذي مارسه الحكام الأمويون في عصره، فاندفع بروح الثائر الذي لم ير غير السيف والقوة لغة للخطاب، ولا سواهما أسلوبا للتعامل مع الحاكم الجائر، فقرر الثورة المسلحة وقيادة المظلومين والمضطهدين ضد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة إحدى وعشرين ومئة هـ وكان ذلك في عهد الإمام محمد الباقر (ع) أخى زيد، وكان عمر الإمام الصادق (ع) يومها نحو (٣٨ سنة) وقد بلغ تردى الأوضاع و انتشار الظلم والفساد والفقر وبذخ الحكام واستئثارهم حدا لا يطاق.

وقد كتب المؤرخون وصفا وافيا لسوء الأوضاع وتدهورها، نقتطف منها وصف المؤرخ الشهير أبي الحسن المسعودي، وهو يصف هشام بن عبد الملك: وصف المؤرخ الشهير أبي الحسن المسعودي، وهو يصف هشام بن عبد الملك:

وكان أحول، خشنا فظا، غليظا، يجمع الأموال (١).

ونقل أيضا:

وبعث عبد الملك إلى عامله في الجزيرة يأمره بإحصاء الجماجم واعتبار الناس كلهم عمالا، وأن يجمع ما يجنيه كل انسان في مجموع السنة، ويأخذ منه ما يبقى من نفقته، فأحصاهم العامل واعتبرهم عمالا- بأجر معين، واستثنى من مجموع الدخل السنوى نفقتهم و كسوتهم في تمام السنة، فوجد أنه يبقى لكل فرد أربعة دنانير، فألزمهم بدفعها.

هذا نموذج من الحياة الاقتصادية وتوزيع الثروة، المخالف لمبادئ الاسلام الاقتصادية وقوانينه العادلة، إضافة إلى الظلم السياسي والقتل والارهاب والملاحقة، فهذه الظروف السياسية والاجتماعية هي التي أحاطت بشخص الإمام الصادق (ع) وبآبائه من قبله، في ظل الحكم الأموي.

هي إحدى الأسباب التي دعت زيد بن علي إلى الثورة، فاختر الكوفة منطلقاً لثورته: و أقام فيها بضعة عشر شهراً وأرسل دعواته إلى الآفاق (٢).

وأقبلت الشيعة وغيرهم يختلفون إليه ويباعون حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من الكوفة خاصة، سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والمواصل وخراسان والري و جرجان (٣).

والتأمل في هذه الوثيقة التاريخية السياسية يدرك بوضوح سخط الأمة على الحكم الأموي، وانتشار روح الثورة في معظم الحواضر والمراكز الإسلامية الكبرى، مما يعكس طبيعة الحكم، ويكشف حقيقته المنافية لكل القيم الإسلامية ونستطيع أن نكتشف هذه الحقيقة عن طريق التأمل في سلوك الحكام الأمويين، الذي عرضنا

١ - المسعودي / مروج الذهب / ج / ٣ ص ٢٠٥.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ١٣٥.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ١٣٥.

(١٨٩)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٢)، الدولة الأموية (٢)، مدينة الكوفة (٢)، هشام بن عبد الملك (٢)، زيد بن علي (١)، خراسان (١)، السلاح (١)، الظلم (٣)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٢)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (٢)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)

صفحة ١٩٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٩٠
جانبا منه أنفاً منه آنفاً من جهة، وطبيعة الثورات وشخصية القيادات التي تقودها من جهة أخرى، فزيد الثائر القائد هو الذي وصفه أبو الجارود بقوله:

قدمت المدينة فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي قيل لي ذاك حليف القرآن (١).

ووصفه الطبري بقوله: وكان عابداً، ورعاً، سخياً، شجاعاً.

وهو الذي أيده ومال إليه أبو حنيفة النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الحنفي، فأفتى بصرف الزكاة لنصرة زيد، وحوكم وأوذى بسببها، وقد سجل كثير من المؤرخين والكتاب هذه الحقيقة، نذكر منهم الأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم الذي كتب في دور فقيه المذهب الحنفي ورأيه في الحكم الأموي، وفي ثورة زيد، وحق آل البيت (ع) بالخلافة:

وكان ينكر - يعني أبا حنيفة - على بني أمية استيلاءهم على منصب الخلافة بغير حق، واستيلاءهم على السلطة بقوة السيف وادعاء، لذلك كان ميالاً بقلبه نحو الامام علي بن أبي طالب وأبنائه (ع) الذين ذهبوا ضحية ظلم الأمويين وعسفهم، وكان أشد ما يحزن أبا حنيفة مقتل زيد بن علي زين العابدين، الذي كان في نظره إماماً عادلاً جديراً بالخلافة لمناقبه الباهرة، وظل أبو حنيفة على ولائه لآل البيت وعدائه للأمويين حتى أنه رفض أن يشغل أي منصب في دولتهم، وكان يظهر أحياناً خلال دروسه بعاطفته وميله نحو العلويين، الامر الذي جعل ابن هبيرة والي الكوفة ينقم عليه، وظل يراقبه و يتلمس له أي خطأ يقع منه لكي يعاقبه، فلما كلفه بتولي القضاء ورفض، اعتبر ابن هبيرة ذلك عدم ولاء للدولة، فضربه وسجنه، واستطاع أبو حنيفة بمساعدة حارس السجن أن يهرب ويلجأ إلى مكة ليقوم فيها، وظل فيها إلى أن قامت الدولة العباسية، واستتب لها الأمر فعاد إلى الكوفة (٢).

ثورة زيد بن علي (ع) سنة ١٢١ هـ:

في هذه الظروف القاسية المرعبة قرر زيد اعلان الثورة والانطلاق من الكوفة، وكان الجميع يعلقون آمالهم على ثورة زيد، ويلحون

عليه بالإسراع والاستجابة.

ولم يكن زيد ليعلن الثورة من أجل أن يتولى الخلافة والإمامة بنفسه، بل كان يدعو إلى الرضى من آل محمد - أى خيرة آل محمد (ص) -، وكان يعرف أن أخاه الباقر (ع) هو امام آل محمد (ص) فى عصره، وقد حدث زيد أخاه الباقر (ع) بذلك واستشاره، وكان ينوى تسليم الامر إليه بعد نجاح الثورة، الا أن الإمام الباقر (ع) أخبره بأنه روى عن آباءه عن جده رسول الله (ص) مدّة حكم بنى أمية، وأنه يقتل ان هو تصدى

١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ١٣٥.

٢ - محمد إسماعيل إبراهيم / أئمة المذاهب الأربعة / ص ٤٨ مصطفى الشكعة / الأئمة الأربعة / ط ١ دار الكتاب اللبناني / ص ١١٤ - ١١٦، بلفظ آخر. ابن خلّكان / وفيات الأعيان / ج ٥ / ص ٤٠٦، وجاء فيه أن ابن هبيّرة ضربه (١١٠) أسواط، فى كل يوم عشرة أسواط، الا أنه أصر على رفضه منصب القضاء.

(١٩٠)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (٣)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (٣)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الدولة الأموية (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، مدينة الكوفة (٣)، النعمان بن ثابت (١)، بنو أمية (٢)، أبو الجارود (١)، زيد بن على (٢)، القرآن الكريم (١)، الزكاة (١)، القتل (٣)، الرفض (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، الضرب (١)

صفحة ١٩١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٩١

لهشام وثار ضده.

قال المسعودى:.

وقد كان زيد بن على شاور أخاه أبا جعفر (الباقر) بن على بن الحسين [ع]، فأشار عليه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة، إذ كانوا أهل غدر ومكر، وقال له: بها قتل جدك على، وبها طعن عمك الحسن، وبها قتل أبوك الحسين، وفيها وفى أعمالها شتمنا أهل البيت، وأخبره بما كان عنده من العلم فى مدّة ملك بنى مروان، وما يتعقبهم من الدولة العباسية، فأبى الامام ما عزم عليه من المطالبة بالحق، فقال له: انى أخاف عليك يا أخى أن تكون غدا المصلوب بكناسة الكوفة، وودعه أبو جعفر، وأعلمه أنهما لا يلتقيان (١).

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني رواية عن أحد أصحاب الإمام الصادق (ع)، قال:.

رأيت جعفر بن محمد يمسك لزيد بن على بالركاب - ركاب فرسه - ويسوى ثيابه على السرج (٢).

وهو دليل على التأييد والاحترام والحب لزيد الثائر، ولم لا؟ ألم يكن خروجه طلبا لاصلاح أمه جده التى أذاقها حكام الجور الظلم؟ وهو الذى بلغ تعلقه بهدفه السامى ذاك أن قال يوما لصاحب له يدعى البابكى، وهو يشير بيده إلى نجم الثريا فى السماء: يا بابكى! أما ترى هذه الثريا، أترى أحدا ينالها؟ قلت: لا، قال: والله لوددت أن يدي ملصقة بها، فأقع إلى الأرض، أو حيث أقع، فأقطع قطعة قطعته، وأن الله أصلح بين أمه محمد (ص) (٣).

وصدق الإمام الباقر (ع)، فقد ثار زيد وقتل فى الكوفة، ودفنه أصحابه سرا، فأمر هشام بن عبد الملك الأموى باخراج جثته من قبره وصلبه عريانا ففعل به ذلك!!.

عن جابر بن عبد الله، عن أبى جعفر (الباقر):.

قال رسول الله (ص) للحسين: يخرج رجل من صلبك يقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرا محجلين،

يدخلون الجنة بغير حساب (٤).

فكان مقتل زيد الشهيد والتمثيل به حدثاً مروعا هز وجدان الأمة المسلمة، وألهب المشاعر، وأذكى روح الثورة، فعجل بنهاية الحكم الأموي، ولم يستمر أكثر من أحد عشر عاما بعد مقتل زيد، كانت مليئة بالثورات والانتفاضات التي قادها رجال من آل البيت النبوي الكريم.

ولم تكن لتمر هذه المأساة وأمثالها من المآسى والمحن التي فجع بها آل البيت

١ - المسعودي / مروج الذهب / ج ٣ / ص ٢٠٦.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ١٢٩.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ١٢٩.

٤ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ١٣٠.

(١٩١)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (٤)، مدينة الكوفة (٣)، هشام بن عبد الملك (١)، جابر بن عبد الله (١)، زيد بن علي (٢)، جعفر بن محمد (١)، الكرم، الكرامة (١)، الظلم (١)، القتل (٧)، القبر (١)، الشهادة (١)، الصّلب (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)

صفحة ١٩٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٩٢

النبوي الشريف والأمة المسلمة دون أن تؤثر في نفس الإمام الصادق (ع)، ومدى، حركته و نشاطه السياسي والاجتماعي، لذلك نجده قد عكف على الاتجاه العلمي، وعلى العناية بحفظ الشريعة، وتربية جيل من العلماء وحمله العلم والفقه والحديث، بعد أن رأى نفسه مقيدا لا يستطيع الحركة والتصدى للسافر للسلطة الحاكمة. ومع ذلك فإن هشام بن عبد الملك كان يخشى الإمام الصادق وأباه الباقر (ع)، ويخاف من تعاطفهم مع الثوار العلويين، لذلك استدعاهما إلى الشام للتحقيق معهما، فلم يجد حجة للنيل منهما أو الاعتداء عليهما، فعادا إلى المدينة بعناية ربانية قاهرة.

سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ:

أما الحدث الثاني الخطير في مرحلة امامة جعفر بن محمد الصادق (ع) فهو سقوط الدولة الأموية، وقيام دولة بني العباس، وقد قامت دعوة الثورة ضد الأمويين تحت شعار الولاء لأهل البيت النبوي (ع) والانتصار لهم، إلا أن بني العباس كانوا يعملون سرا لتكون الخلافة لهم، وقد كانت في بداية الدعوة إلى إبراهيم بن محمد العباسي، ولما قتل عهد بالبيعة لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد العباسي، ولما علم أبو سلمة الخلال بموت إبراهيم وانتقال البيعة لأبي العباس، خاف من هذا التحول واتجه إلى الإمام جعفر الصادق (ع) بالبيعة، فكتب كتابا بنسختين، إحداها للإمام الصادق (ع) والأخرى لعبد الله بن الحسن (١)، وهو من أشرف العلويين ومن نقبائهم بعد الإمام الصادق (ع)، ثم أمر الرسول أن يذهب بكتابه إلى الإمام الصادق (ع). وكان قد دعا الإمام الصادق في هذا الكتاب للحضور إلى الكوفة لستم البيعة بالخلافة له، وأمر الرسول أن يتعرف على جواب الإمام الصادق (ع)، فإن أجاب بالموافقة فلا يتوجه بعده إلى أحد، فهو الامام والرجل المؤهل للقيادة، والافليتوجه (الرسول) إلى عبد الله بن الحسن، فحمل الرسول الرسالة، وتوجه إلى الإمام الصادق (ع)، فأخبره بما عنده فلم يجبه الصادق (ع)، ولكنه أخذ الرسالة فأحرقها أمام الرسول، وقال له: عرف صاحبك بما رأيت، ثم أنشأ

يقول، متمثلاً بقول الكميّ بن زيد:

أيا موقدا ناراً لغيرك ضوؤها - ويا حاطباً في غير جبلك تحطب (٢).

فخرج الرسول من عنده، وأتى عبد الله بن الحسن فتناول الكتاب وقرأه فسر به، إلا أنه لم يستطع تقرير موقف، أو إتخاذ قرار بأمر خطير كهذا، دون أن يطلع الإمام الصادق (ع)، وكان يتصور أنه سيلقى التأييد والترحاب بهذا الطلب من الإمام الصادق (ع)، إلا أن الامام أخبره بالذي حدث منه مع الرسول، ونهاه عن الاستجابة، وحذره من العاقبة.

فقد كان الإمام الصادق (ع) يعرف سير الاحداث ويدرك نتائجها، ولديه علم عن

١ - جاء في بعض الاخبار أنه كتب كتاباً لعمر والأشرف، وهو علوى بارز.

٢ - المسعودى / مروج الذهب / ج ٣ / ص ٢٥٤.

(١٩٢)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٩)، الدولة الأموية (٣)، عبد الله بن الحسن (ع) (٢)، مدينة الكوفة (١)، بنو عباس (٢)، إبراهيم بن محمد (١)، الكميّ بن زيد (١)، عبد الله بن محمد (١)، الشام (١)، الصدق (٢)، الحج (١)، الخوف (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)

صفحة ١٩٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ١٩٣

أبيه الباقر عن آبائه (ع) عن جدهم رسول الله (ص) بما سيجرى لهم ويحدث - كما روينا ذلك عن الباقر (ع) آنفاً - وقد جاء فى الروايات أن رسول الله (ص) قال لأهل بيته:

انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء و تشريداً وتطريداً، حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوها فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيملأها قسطاً كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج (١).

الا أن عبد الله بن الحسن لم يستجب لنصيحة الصادق (ع) وقال:

انما يريد القوم ابني محمداً لأنه مهدي هذه الأمة، فقال أبو عبد الله جعفر: والله ما هو مهدي هذه الأمة ولئن شهر سيفه ليقتلن، فنازعه عبد الله القول حتى قال له: والله ما يمنعك من ذلك الا الحسد، فقال أبو عبد الله (ص): والله ما هذا الا نصح منى لك (٢).

وصدق الامام، وتمت البيعة لأبى العباس السفاح، قبل أن يعود الرسول إلى أبى سلمة الخلال.

ويتسلط العباسيون على السلطة، فيتكبرون لآل البيت (ع)، ويفتكون بهم، بعد أن كانت دعوتهم تستر تحت شعار الدفاع عن آل البيت (ع) وتعرض مظلوميتهم وتستميل الناس بحبهم، فعانى العلويون أشد المعاناة كما عانى غيرهم من ظلم بنى العباس وجورهم و استبدادهم، حتى أن خليفتهم الأول (أبا العباس) سعى بالسفاح لكثرة ما أراق من الدماء، فاشتدت المحنة على الإمام الصادق (ع) وضيق عليه.

ولذلك نجد أبا العباس السفاح يستدعى الإمام الصادق (ع) إلى الحيرة، ويضيق عليه، خوفاً من منافسته وشموخ زعامته، ثم يحول الله بينه وبين الإمام (ع) فيعود الامام إلى المدينة، ليمارس مهامه العلمية والتوجيهية هناك. وحينما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة ازدادت مخاوفه من الإمام الصادق (ع)، واشتد حسده لتفوق شخصية الإمام (ع) و علو منزلته فى النفوس، وذيوع اسمه فى الآفاق، وشموخ مكانته العلمية، حتى غطت شخصيته كل الشخصيات العلمية والسياسية فى عصره، لذلك عمد أبو جعفر المنصور إلى استدعاء الإمام الصادق (ع)، وجلبه من المدينة إلى العراق مرات، ليحقق معه ويتأكد من عدم قيادته لحركات سرية ضد الحكم

العباسي، لان أبا جعفر المنصور كان يعرف اتجاه الأمة وميلها للإمام الصادق (ع)، ويعرف أهليته وقوة شخصيته، بالإضافة إلى ذلك فهو يشاهد العلويين يتحركون لإنهاء التسلط العباسي، وإعادة القيادة لآل البيت النبوي.

١ - ابن ماجه / سنن ابن ماجه / ج ٢ / ص ١٣٦٦.

٢ - المسعودي / مروج الذهب / ج ٣ / ص ٢٥٤.

(١٩٣)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٦)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، دولة العراق (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، بنو عباس (١)، أبو عبد الله (٢)، المنع (١)، الشهادة (١)، كتاب سنن ابن ماجه (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، ابن ماجه (١)

صفحة ١٩٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٩٤

وكم حاول أبو جعفر المنصور أن يستميل الإمام الصادق (ع) إلى جانبه، الا أنه فشل، لان الإمام (ع) كان يفرض مقاطعة على الحكم العباسي، وكان يعرف أن مقاطعته ترسم موقفا شرعيا للمسلمين، وتكشف انحراف السلطة فتضعف مركزها في النفوس، وتسلب الصفة الشرعية منها وتهيئ الأجواء المناسبة لهدمها والتخلص منها، ليكون موقفه هذا طريقا ومنهجيا لأسلوبا لكل العلماء والمفكرين من السلطات الظالمة.

وقد كتب أبو جعفر المنصور إلى الإمام الصادق (ع) كتابا يطلب فيه قرب الصادق، و مصاحبته، ومما جاء في الكتاب:

لم لا تغشانا كما يغشانا الناس؟ فكتب إليه الصادق (ع): ليس لنا ما نخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجو لك له، ولا أنت في نعمة فنهنتك، ولا نراها نعمة فنعزيك. فكتب إليه المنصور: تصحبنا لتصحنا. فأجابه الصادق (ع): من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك (١).

وكان أبو جعفر المنصور يزداد غيظا على الإمام الصادق (ع) ويخشى مركزه وموقفه، إلى درجة أصبح المنصور معها حائرا عاجزا عن تحديد موقف من الإمام الصادق (ع) حتى قال فيه.

هذا الشجن (٢) المعترض في حلوق الخلفاء الذي لا يجوز نفيه، ولا يحل قتله، ولولا ما تجمعني وإياه من شجرة طاب أصلها، وبسق فرعها، وعذب ثمرها، وبوركت في الذرية، وقدست في الزبر، لكان مني ما لا يحمد في العواقب، لما بلغني من شدة عيبي لنا، وسوء القول فينا (٣).

ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) (١٤٥ هـ):

أما الحدث الثالث الخطير الذي وقع في عصر الإمام الصادق (ع)، فهو ثورة محمد ذى النفس الزكية في عصر أبي جعفر المنصور، فقد تسلم أبو جعفر المنصور السلطة سنة (١٣٦ هـ) بعد أخيه أبي العباس السفاح وكان من أشد الحكام الذين سبقوه نعمة وعداوة لآل البيت النبوي (ع).

وكان عصره عصر ضيق وشدة على عموم المسلمين، فحركت هذه الاحداث محمد بن عبد الله بن الحسن - ابن عم الإمام الصادق (ع) - وقد عرضنا فيما سبق من البحث موقف الإمام الصادق (ع) من تصدى عبد الله بن الحسن وولده محمد للخلافة، وأنه كان على يقين من فشل الحركات العلوية، وقد كان في حوار مع عبد الله بن الحسن في بداية الدعوة العباسية - قبل ثلاثة عشر عاما - قد أخبره بأن

١ - محمد أبو زهرة / الإمام الصادق / ص ١٣٩.

* الشجن: العود الصغير الذي إذا اعترض في فم الانسان فمن الصعب ابتلاعه أو لفظه خارج الفم.

٣ - محمد أبو زهرة / الإمام الصادق / ص ١٣٨.

(١٩٤)

مفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٨)، عبد الله بن الحسن (ع) (٣)، محمد بن عبد الله (١)، الصدق (٣)، القتل (١)، الجواز (١)

صفحة ١٩٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٩٥

الخلافة لا تكون الا لبني العباس، وأن ابنه محمدا يقتله المنصور، فقد جاء في حوار الإمام الصادق (ع) مع عبد الله بن الحسن. ان هذا - يعني أبا جعفر المنصور - يقتله على أحجار الزيت، ثم يقتل أخاه بعده بالطوف، وقوائم فرسه في الماء. ثم قام مغضبا يجر رداءه، فتبعه أبو جعفر (يعني المنصور وكان حاضرا المحاورة) فقال: أتدرى ما قلت يا أبا عبد الله؟ قال: إى والله أدريه، وانه لكائن (١).

فلما ولى أبو جعفر الخلافة سمي جعفرا (الصادق)، وكان إذا ذكره قال: قال لى الصادق جعفر بن محمد كذا وكذا، فبقيت عليه (٢). لقد ثار محمد ذو النفس الزكية ضد ظلم أبي جعفر المنصور وتسلطه، ولم يكن الإمام الصادق (ع) يحمل فى نفسه ضد المنصور، الا نفس الموقف والاحساس الذى يحمله محمد بن عبد الله بن الحسن، الا أن الفارق بينهما هو وضوح الرؤية، وشخص الحقيقة للإمام الصادق، وخفاؤها على ابن عمه محمد، لذلك كان (ع) يعارض الحركة، لأنه يعلم فشلها و ما تجر من مآس ومحنة على آل البيت (ع) عامة، وقد صدق ما أخبر به الإمام الصادق (ع).

وقد حدثنا التاريخ أن محمدا ذا النفس الزكية قد دعا لنفسه وعاش فترة متخفيا، وعند ما قبض على أبيه وأبناء عمومته وأهله، أعلن الثورة فى المدينة ثم فشلت الثورة وقتل محمد، كما قتل ابنه على فى مصر من بعده، وابنه عبد الله فى السند، وقبض على ابنه الحسن فى اليمن فحبس فيها ومات، واغتيل أخوه إدريس بالسم فى بلاد المغرب، وأعلن الثورة أخوه إبراهيم من البصرة، وتوجه مع أنصاره باتجاه الكوفة، ولما بلغ المنصور خروجه، تحول فتزل الكوفة، حتى يأمن غائلة أهلها، وألزم الناس بلبس السواد - شعار الولاء للدولة العباسية - وجعل يقتل كل من اتهمه، أو يحبسه (٣).

وقد أدى ذلك إلى القضاء على معظم مؤيدى الحركة، وأخيرا قتل إبراهيم على مقربة من الكوفة.

وهكذا انتهت الثورة العلوية وجرت معها الكوارث والويلات على آل البيت (ع)، ولم يكن الإمام الصادق (ع) ليسلم من هذه المحنة، فقد كان الخليفة العباسى (المنصور) يطارده الخوف والشك من الإمام الصادق (ع)، ويتصوره اليد المحركة لكل حركة وثورة ضد بنى العباس، لذلك نجده يستدعى الإمام الصادق (ع) إلى العراق عند ما اشتد ساعد الدعوة التى قام بها محمد ذو النفس الزكية، ويتهم الامام بالمناوأة وإسناد ذى النفس الزكية، ويضيق عليه ويجرى معه محاكمة ليشعره

١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٢٥٦.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٢٥٦. الشهرستاني / الملل والنحل / ج ١ / ط (القاهرة) / ص ١٣٩، وفيه: (وأخبرهم الصادق بجميع ما تم عليهم).

٣ - الذهبى / العبر فى خبر من غير / ط (بيروت) / ج ١ / ص ٥٣.

(١٩٥)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٥)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، دولة العراق (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (٢)، مدينة الكوفة (٣)، بنو عباس (٢)، مدينة البصرة (١)، جعفر بن محمد (١)، الصدق

(٢)، التصديق (١)، القتل (٧)، الخوف (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (٢)، مدينة بيروت (١)

صفحة ١٩٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٩٦

بالرقابة والمتابعة، ثم يقتنع أبو جعفر بعد أن يستمع إلى ردود الإمام الصادق (ع) بعدم صدق التقارير والوشايات الواردة فيخلى عنه. كما استدعاه مرة أخرى من المدينة إلى العراق بعد مقتل محمد ذى النفس الزكية واتهمه بجمع الأموال والسلاح من أتباعه وأنصاره والإعداد للثورة، ثم يحضر الجواسيس الذين نقلوا التقارير والمعلومات الكاذبة لمقابلة الامام ومواجهته بما نسبوه إليه، فيحضر الرجل ويطلب الإمام الصادق منه أن يقسم بأن ما نقله ونسبه إلى الإمام الصادق هو صحيح فأقسم بقوله.

والله الذى لا اله الا هو الغالب الحى القيوم، فيرد عليه الإمام الصادق (ع): لا تعجل فى يمينك فانى أستحلفك.

فيسأل المنصور الإمام الصادق (ع): ما أنكرت من هذه اليمين؟ فيرد الصادق بمعرفة العالم بالتوحيد والربوبية:

ان الله حى كريم، إذا أثنى عليه عبده لا يعاجله بالعقوبة، ولكن قل أيها الرجل:

أبرأ إلى الله من حوله وقوته وألجأ إلى حولى وقوتى انى لصادق فيما أقول).

فقال المنصور: احلف بما استحلفك أبو عبد الله به.

فحلف الرجل بهذه اليمين، فلم يستتم الكلام حتى خر ميتا، فاضطرب المنصور وارتعدت فرائضه، وقال للصادق (ع):

يا أبا عبد الله سر من عندى إلى حرم جدك، ان اخترت ذلك، وان اخترت المقام عندنا لم نأل فى اكرامك وبرك، فوالله لا قبلت قول أحد بعدها أبدا (١).

المقام العلمى للإمام الصادق (ع) بشهادة العلماء:

قال الشيخ المفيد رحمه الله ...: كان الصادق جعفر بن محمد بن على بن الحسين (ع) من بين أخوته خليفه أبيه محمد بن على (ع)، ووصيه القائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل، وكان أنبهم ذكرا وأعظمهم قدرا، وأجلهم فى العامة والخاصة، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره فى البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقله الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله (ع)، فان أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم فى الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل (٢).

ونقل المحقق العلامة السيد محسن الأمين: ان الحافظ ابن عقدة الزيدى جمع فى كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقات الذين، رووا عن جعفر بن محمد فضلا عن غيرهم، وذكر مصنفاتهم (٣).

١ - يراجع الإمام الصادق لمحمد أبو زهرة / ص ٤٦.

٢ - الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٢٧٠.

٣ - السيد محسن الأمين / أعيان الشيعة / ج ١ / ص ٦٦١.

(١٩٦)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٥)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، دولة العراق (١)، كتاب الثقات لابن حبان (٢)، الشيخ المفيد (قدس سره) (٢)، أبو عبد الله (١)، جعفر بن محمد (٢)، الصدق (٥)، التصديق (١)، الكرم، الكرامة (١)، القتل (١)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٩٧
ونقل أيضا.

روى النجاشي في رجاله بسنده عن الحسن بن علي الوشاء في حديث أنه قال: أدركت في هذا المسجد (يعني مسجد الكوفة) تسعمئة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد، وكان عليه السلام يقول: حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل (١).

ونقل ابن شهر آشوب في مناقبه: قال عمرو بن أبي المقدام: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين، ولا تخلو كتب أحاديث وحكمه وزهد وموعظة من كلامه، يقولون: قال جعفر بن محمد الصادق، قال جعفر الصادق. (٢) ونقل أيضا عن حلية الأولياء لأبي نعيم إن جعفرا الصادق حدث عنه من الأئمة والاعلام: مالك بن أنس، وشعبة ابن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريح، وعبد الله بن عمرو، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وإسماعيل بن جعفر، وحاتم بن إسماعيل، وعبد العزيز بن المختار، ووهب بن خالد، وإبراهيم بن طحان في آخرين، قال: وأخرج عنه مسلم في صحيحه محتجا بحديثه، وقال غيره: وروى عنه مالك والشافعي والحسن بن صالح وأيوب السختياني وعمرو بن دينار وأحمد ابن حنبل وقال مالك بن أنس: ما رأيت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلا وعلما وعبادة وورعا (٣).

ووصفه المؤرخ اليعقوبي فقال: وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رووا عنه، قالوا أخبرنا العالم (٤).

وتحدث الأستاذ محمد فريد وجدي صاحب دائرة المعارف القرن العشرين عنه فقال: أبو عبد الله جعفر بن الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب هو أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، كان من سادات أهل البيت النبوي، لقب بالصادق لصدقه في كلامه، وكان من أفاضل الناس، وله مقالات في صناعة الكيمياء (٥).

ثم أضاف قائلا: وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق، وهي خمسمئة رسالة (٦).

١ - الأمين / أعيان الشيعة / ج ١ / ص ٦٦١.

٢ - ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤ / ص ٢٤٩.

٣ - ابن شهر آشوب / المناقب / ج ٤ / ص ٢٤٧.

٤ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي / ج ٢ / ص ٣٨١.

٥ - محمد فريد وجدي / دائرة المعارف القرن العشرين / ط ٣ / ج ٣ / ص ١٠٩.

٦ - محمد فريد وجدي / دائرة المعارف القرن العشرين / ط ٣ / ج ٣ / ص ١٠٩. ابن طولون / الأئمة الاثنا عشر / دار صادر (بيروت) /

ص ٨٥.

(١٩٧)

مفاتيح البحث: كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم (١)، مسجد، جامع الكوفة (١)، كتاب رجال النجاشي (١)، كتاب صحيح مسلم (١)، عبد العزيز بن المختار (١)، الحسن بن علي الوشاء (١)، عمرو بن أبي المقدام (١)، حاتم بن إسماعيل (١)، سفيان بن عيينة (١)، إسماعيل بن جعفر (١)، سفيان الثوري (١)، سليمان بن بلال (١)، الحسين بن علي (١)، جابر بن حيان (١)، روح بن القاسم (١)، ابن شهر آشوب (٣)، الحسن بن صالح (١)، مالك بن أنس (١)، جعفر بن محمد (٢)، الصدق (٦)، كتاب أعيان الشيعة للأمين (١)، مدينة بيروت (١)

صفحة ١٩٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٩٨
وتحدث أبو الفتح الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) عن الإمام الصادق (ع) وقال:
وقد أقام بالمدينة فيفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدة، ما تعرض للإمامة -
أى للسلطة - قط، ولا نازع أحدا في الخلافة قط. ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلّى ذروة الحقيقة لم يخف من
حط (١).

وهذا مالك بن أنس امام المالكية يقول في جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعاية
والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي اخضر واصفر، ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه الا على ثلاث خصال: اما مصليا، واما قائما، واما
يقرأ القرآن، وما رأيت يحدّث عن رسول الله الا على الطهارة، ولا يتكلم فيما لا يعنيه (٢).

وتحدث الأستاذ محمد أبو زهرة شيخ الأزهر عن الإمام الصادق (ع) فقال: أما بعد فإننا قد اعترمنا بعون الله وتوفيقه أن نكتب عن
الإمام جعفر الصادق، وقد كتبنا عن سبعة من الأئمة الكرام، وما أحرنا الكتابة عنه لأنه دون أحدهم، بل أن له فضل السبعة على
أكثرهم، وله على الأكابر منهم فضل خاص فقد كان أبو حنيفة يروى عنه، ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة،
وكان الامام مالك يختلف إليه دارسا راويا، وكان له فضل الأستاذية على أبي حنيفة ومالك: فحسبه ذلك فضلا، ولا يمكن أن يؤخر
عن نقص، ولا يقدم غيره عليه عن فضل، وهو فوق هذا حفيد على زين العابدين (ع) الذي كان سيد أهل المدينة في عصره فضلا
وشرفا ودينا وعلما، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري، وكثيرون من التابعين، وهو ابن محمد الباقر الذي بقر العلم ووصل إلى لبابه، فهو
ممن جمع الله تعالى له الشرف الذاتي والشرف الإضافي، بكريم النسب والقراة الهاشمية والعترة المحمدية (٣).
مدرسة الإمام الصادق (ع).

وكما عرفنا سابقا، فإن الإمام جعفر بن محمد (ع) هو أستاذ العلماء وامام الفقهاء، وهو امام عصره كما هو امام العصور وأستاذ الأجيال.
وقد انصرف هو وأبوه الباقر (ع) لإنشاء مدرسة أهل البيت العلمية، في مسجد رسول الله (ص) في المدينة المنورة، ثم أستمّر في تنمية
هذه الجامعة العلمية، ومواصلة حماية الشريعة، والدفاع عن عقيدة التوحيد بعد أبيه الباقر (ع)، وقد تخرج على يده جيل من الفقهاء
والمحدثين والمتكلمين والفلاسفة وعلماء الطبيعة... الخ.

وقد نشأت في عهد الإمام الصادق (ع) فرق ومذاهب فقهية واعتقادية كثيرة، كان

١ - الشهرستاني / الملل والنحل / ج ١ / ص ١٤٧.

٢ - المستشار عبد الحميد الجندی / الإمام جعفر الصادق / ص ١٥٩.

٣ - محمد أبو زهرة / الإمام الصادق / ص ٣.

(١٩٨)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٢)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٦)، دولة العراق (١)،
المدينة المنورة (١)، مالك بن أنس (١)، جعفر بن محمد (١)، القرآن الكريم (١)، الكرم، الكرامة (١)، الصدق (٣)، السجود (١)،
الوسعة (١)، الطهارة (١)، عبد الحميد (١)

صفحة ١٩٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ١٩٩

موقف الإمام الصادق (ع) منها هو التسديد والحوار العلمى والنقد الشرعى النزيه.

والذى يتابع منهج الامام، ومهمته العلميه يكتشف أنه (ع) كان يستهدف بعمله ومدرسته الهدفين الآتين.

أولاً- حماية العقيدة من التيارات العقائدية والفلسفية اللاحادية والمقولات الضالة التى انتشرت فى عصره، كالزندقة والغلو، والتأويلات الاعتقادية التى لا تنسجم و عقيدة التوحيد، التى نشأت كتيار كونته الفرق الكلامية والمدارس الفلسفية الشاذة، لذا انصبت جهود الإمام (ع) على الحفاظ على أصالة عقيدة التوحيد ونقاء مفهومها، و ايضاح جزئياتها وتفسير مضامينها، وتصحيح الأفكار والمعتقدات فى ضوءها، وقد درب تلامذته أمثال هشام بن الحكم على علم الكلام والجدل والمناظرة والفلسفة، ليقوموا بالدفاع عن عقيدة التوحيد وحمايتها من المعتقدات الضالة، كمعتقد الجبر والتفويض، والتجسيم، والغلو، وأمثالها من الآراء والمعتقدات الشاذة عن عقيدة التوحيد.

ومن يقرأ آثار الامام ومناظراته وتوجيهاته وحواره يستطيع أن يكتشف هذه الحقيقة واضحة جلية، ويستطيع أن يدرك معنى التوحيد، ويفهم أصالته ونقائه، وقد برى الإمام (ع) من هؤلاء الخارجين على عقيدة التوحيد، كما برى آباؤه منهم من قبل، فقد حدثنا التاريخ والرواء عن هذه الآراء الضالة، وعن موقف الإمام الصادق (ع) منهم ما يزيدنا وضوحاً ومعرفةً بتلك المقالات الضالة وبراءة أهل البيت (ع) منهم.

عن سدير، قال: قلت لأبى عبد الله (عليه السلام): ان قوما يزعمون أنكم آلهة، يتلون بذلك علينا قرآنا: (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) (١) فقال (ع): (يا سدير سمعى وبصرى وبشرى ولحمى ودمى وشعرى من هؤلاء براء، وبرى الله منهم، ما هؤلاء على دينى ولا على دين آباى، والله لا يجمعنى الله وإياهم يوم القيامة الا وهو ساخط عليهم (٢)).

ومن الجدير بالذكر هنا أن فرقا كثيرة حاولت أن تستغل اسم أهل البيت (ع)، لتستر على عقائدها المنحرفة الخارجة على عقيدة الاسلام، التى حمل أهل البيت (ع) وأتباعهم وتلامذتهم لواءها، ودافعوا عن أصالتها ونقائها.

ثانيا - نشر الاسلام: أما الهدف الثانى لمدرسة الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) وجهوده العلميه فهو نشر الاسلام، وتوسيع دائرة الفقه والتشريع، وتثبيت معالمها، و حفظ أصالتها، إذ لم يرو عن أحد من الحديث، ولم يؤخذ عن امام من الفقه والأحكام، ما أخذ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع).

ولذا اعتبرت أحاديثه، وفتاواه، وما أخذ عنه، أساسا وقاعدة لاستنباط الفقه والأحكام لدى العلماء والفقهاء، والسائرين على نهج والمليزمين بمدرسته،

١ - الزخرف / ٨٤.

٢ - الكليني / الكافي / ج ١ / ص ٢٦٩.

(١٩٩)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٣)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٤)، مسألة الجبر والإختيار (الجبر والتفويض) (١)، يوم القيامة (١)، هشام بن الحكم (١)، الهدف (١)

صفحة ٢٠٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٠٠

والمنتسبين إلى مذهبه الذى سمي باسمه (المذهب الجعفرى).

وفاته (ع) انتقل الإمام الصادق (ع) إلى الملكوت الأعلى فى شهر شوال سنة (١٤٨ هـ) فى مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عن عمر ناهز ال (٦٥) سنة، قضاها بالعلم والعمل والسعى والجهاد والفضل والتقوى، صابرا محتسبا إلى الله من أذى الحكام

الظلمة، وقد دفن في مقبرة البقيع مع أبيه الإمام الباقر وجده الإمام السجاد وجدته فاطمة الزهراء والإمام الحسن السبط عليهم السلام. الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع). مولده ونشأته.

الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) سليل أهل بيت النبوة، وهو الإمام السابع من أئمة المذهب الجعفري، وأمه (أم ولد) اسمها حميدة، أندلسية الأصل ويقال بربرية، ويقال رومية، وتكنى لؤلؤة. ولد الإمام موسى بن جعفر أيام الخليفة الأموي مروان بن الحكم في الأبواء (البلد الذي توفيت فيه السيدة آمنه بنت وهب (ع) أم الرسول الأكرم محمد (ص)، ودفنت فيه، وهو بين مكة المكرمة والمدينة المنورة) وكانت ولادته يوم الأحد السابع من شهر صفر سنة ١٢٨ هـ.

عاش الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) في كنف أبيه الإمام الصادق (ع)، ودرج في مدرسته العلمية الكبرى التي توافد عليها العلماء والفقهاء والفلاسفة والمحدثون، فورث علوم أبيه، وشب على صفاته وأخلاقه وخصائصه. ولجلال قدره وسمو صفاته وكمال ذاته لقب بالعبد الصالح، وزين المجتهدين، والكاظم لشدة تحمله وصبره وكظمه للغضب، وباب الحوائج لوجاهته عند الله سبحانه، وقضاء الحوائج بالتوسل به، كما كنى أبا الحسن الأول، وأبا إبراهيم وقد عاش مع أبيه الإمام الصادق (ع) عشرين سنة، وقيل تسع عشرة سنة، وعاش بعد أبيه (ع) وهي مدة إمامته (ع) وقيادته للأمة خمسا وثلاثين سنة، فقد تحمل مسؤولية الإمامة وأعباءها مذ كان عمره عشرين سنة. أولاده.

أنجب الإمام الكاظم عليه السلام عددا كبيرا من الذكور والإناث فالذكور هم: الامام علي الرضا (ع)، إبراهيم، العباس القاسم، إسماعيل، هارون، الحسن أحمد، محمد، حمزة، عبد الله، إسحاق، عبيد الله، زيد، الحسن، الفضل، الحسين، سليمان. وأما الإناث فهن: فاطمة الكبرى، فاطمة الصغرى، رقية، حكيمة، أم أبيها، رقية الصغرى، كلثم، أم جعفر، لبابة، زينب، خديجة، عليّة، آمنه، حسنة، بريهة، عائشة، أم سلمة، ميمونة، وأم كلثوم (١).

النصوص على إمامته بعد أبيه الصادق (ع).

١ - راجع الارشاد للمفيد ص ٣٠٢.

(٢٠٠)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٤)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٤)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، مقبرة بقيع الغرقد (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، مروان بن الحكم (١)، شهر شوال المكرم (١)، المدينة المنورة (١)، شهر صفر الظفر (١)، آمنه بنت وهب (١)، موسى بن جعفر (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)

صفحة ٢٠١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٠١

١ - دخل منصور بن حازم على الامام أبي عبد الله (الصادق) يطلب منه تعيين الامام من بعده، قائلا: بأبي أنت وأمي، ان الأنفس يغدا عليها ويراح، فإذا كان ذلك فمن؟

فقال أبو عبد الله (ع): إذا كان ذلك فهو صاحبكم، وضرب بيده على منكب أبي الحسن (ع) الأيمن - فيما أعلم - وهو يومئذ خماسي، وعبد الله بن جعفر جالس معنا (١).

٢ - عن يزيد بن سليط الزبيدي قال: لقينا أبا عبد الله الصادق (ع) في طريق مكة، ونحن جماعة، فقلن له: بأبي أنت وأمي، أنتم

المطهرون، والموت لا يعرى منه أحد، فأحدث إلى شيئا ألقبه إلى من يخلفني، فقال لي: نعم هؤلاء ولدي، وهذا سيدهم، وأشار إلى ابنه موسى (ع) (٢).

كان عصر الإمام موسى بن جعفر (ع)، زاحرا بالتيارات والمذاهب الفلسفية والعقائدية، والاجتهادات الفقهية، ومدارس التفسير والرواية، وكانت تلك الفترة من أخطر الفترات التي عاشها المسلمون، فقد تفسى الإلحاد والزندقه، ونشأ الغلو، وكثرت الفرق الكلامية التي تحمل شتى الأفكار والآراء الاعتقادية، ودخلت علوم عديده في استنباط الاحكام واستخرجها، كالمنطق والفلسفة والكلام وعلوم اللغة، كما وأدخل القياس والاستحسان والعمل بالرأى، وحابى بعض الفقهاء والقضاء الحكام باستنباطهم وقضائهم، ورويت في عهده الأحاديث المدسوسة والأخبار المزينة.

وعلى الرغم من حراجة هذا الظرف السياسى الذى مر على المسلمين، عامه، والإمام موسى بن جعفر خاصة، فضلا عن تضيق الحكام عليه (ع): الا- أنه لم يترك مسؤوليته العلمية، و لم يتخل عن تصحيح المسار الاسلامى بكل ما حوى من معارف وعلوم واتجاهات، فتصدى هو و تلامذته لتيارات الالحاد والزندقه وقد ذكرت كتب الرجال وتراجم الرواء والمعنيين بالحديث أن أكثر من ثلاثمئة راو رووا عن الإمام موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليهما. معاناته (ع) فى عهد العباسيين.

إن دراسة الفترة التاريخية التي عاشها الإمام الكاظم عليه السلام تمثل أهم مساحة فى تاريخ بنى العباس، كما وإنها من الفترات الصعبة فى حياة أهل البيت (ع).

تكتسب أهميتها من أهمية هذه الشخصية ودورها البارز فى قيادة الأمة، ومن أهمية المرحلة التاريخية ذاتها، وطبيعة الحكام وحقيقة سياستهم الارهابية الغاشمة التي تنكرت لقيم الاسلام ومبادئه، فقد شملت هذه الفترة الزمنية العصبية فى تاريخ الاسلام وفى تاريخ أهل البيت (ع)، فترة من حياة المنصور وحياة المهدي والهادى و حياة الرشيد.

١- الكافى للكلينى ج ١ ص ٣٠٩.

٢- البحار للمجلسى ج ٤٨ ص ١٢، نقلا عن عيون الاخبار.

(٢٠١)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٣)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب عليه السلام (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، بنو عباس (١)، أبو عبد الله (١)، يزيد بن سليط (١)، منصور بن حازم (١)، موسى بن جعفر (١)، الصدق (١)، الصلاة (١)

صفحة ٢٠٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٠٢

ومن الطبيعى أن يكتب كتاب التاريخ الرسميون للحكام ويخشون سطوتهم ويتملقونهم و يزيفون الحقائق، ويسبغون عليهم صفات العظمة والقدسية والمثالية، ومحاولين طمس الحقائق وتشويهها وقد دأب مؤرخو السلطات والمتزلفون للحكام الظلمة أن يحموا صوت الحق من ضمير التاريخ، وأن يتجنبوا ذكر الرفض والمعارضة للتسلط والطغيان، بل و ربما أظهروا أهل الحق والعدل بمظهر المخربين والعصاة والخارجين على إرادة القانون، فكم قرأنا عن تاريخ بنى العباس وعن تاريخ الرشيد مثلا، وبأنه العصر الذهبى، و صحيح أن العلوم والمعارف تقدمت فى هذه الفترة على يد العلماء والأدباء والمفكرين والفقهاء والفلاسفة والباحثين، الا أن سلطان بنى العباس كان يمثل الجور والتسلط والأثرة بأفزع ألوانها.

لقد تحمل الإمام الكاظم (ع) مسؤولية الإمامة في هذه الفترة الرهيبة ابتداء من سنة ١٤٨ هـ وحتى سنة ١٨٣ هـ وما نحن نستعرض هذه الفترة بشكل موجز ومتتابع وفق التسلسل التاريخي لسير الاحداث وتلاحق الوقائع:

ففي عهد أبي جعفر المنصور عانى العلويون أشد المعاناة، ولحقهم الظلم والقتل والارهاب، ولوضوح الموقف لدى الإمام (ع) وعلمه بفشل المقاومة المسلحة إجتنب الاعلان عن موقفه، وأخفى معارضته لأبي جعفر المنصور حتى مرت سنون المنصور ثقله كئيبه على الامام، والطالبيين بصورة خاصة، وعلى المعارضة وعموم طبقات الأمة بصورة عامة، وكان أبو جعفر المنصور قد صادر أموال العلويين، وأدخلهم السجون وطاردهم تحت كل حجر ومدر، فسفك دماءهم، وبالغ في تعذيبهم، وتفنن في أساليب القتل، فكان يبني عليهم الأسطوانات وهم أحياء، ويمنع عنهم الطعام والشراب، فيقتلهم جوعاً في أعماق سجونهم المظلمة الرهيبة، أو يثقلهم بالضرب والحديد حتى ينهكهم فيموتوا، وقد دامت فترة تولى الإمام الكاظم (ع) الإمامة في عهد المنصور نحو عشر سنوات حتى مات المنصور في الثالث من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ، فألت الخلافة من بعده لولي عهده وولده محمد المهدي، فاستقبل الناس الخبر بالارتياح، وأحسوا بطوق الارهاب قد فك عن رقابهم، الا أن الوجوم والخوف من اتجاه السياسة العباسية بصورة عامة لم يزل مخيماً عليهم، والترقب والانتظار لسياسة الخليفة الجديد قد اتخذ طريقه إلى النفوس. وكان طبيعياً أن يلي الخلافة من بعده - وفق نظام الوراثة العباسي - ولده محمد المسمى بالمهدي، وكان المهدي يحس بالسياسة المجحفة الظالمة التي انتهجها أبوه، فحاول أن يخفف عن كاهل الرعية في مطلع خلافته، فأطلق سراح السجناء ورد الأموال المصادرة إلى أهلها، فشمّل هذا القرار الطالبيين، فأخرجهم من السجون ورد أموالهم (١). وكان من جملة ما شمله القرار أموال الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) المصادرة، فردّها إلى ولده الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.

١ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي / ج ٢ / ص ٣٩٤.

(٢٠٢)

مفاتيح البحث: الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٣)، شهر ذي الحجة (١)، بنو عباس (٢)، الطعام (١)، الخوف (١)، السلاح (١)، الظلم (١)، الموت (١)، القتل (١)، العصر (بعد الظهر) (١)

صفحة ٢٠٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٠٣

وكانت هذه الفترة التي دامت من الثالث من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ حتى ٢٢ محرم سنة ١٦٩ هـ تعتبر من أيسر فترات الحكم العباسي: بالنسبة للامام وللطالبين، الا - أن خوفه من شخصية الإمام موسى بن جعفر وقوة تأثيره لم يدعه وشأنه، ولم يفرغ قلبه من كراهية الطالبين، والخوف من ثورتهم والتفاف جماهير الأمة ووجهاتها حولهم، فتعرض للامام الكاظم وطلب من واليه على المدينة أن يبلغ الإمام موسى بن جعفر للحضور إلى بغداد للمحاكمة والسجن، وكان ما أراد المهدي، فقد توجه الوالي بالطلب إلى الامام، في أن يتوجه إلى بغداد للحضور أمام المهدي العباسي، فشد الامام رحال السفر، وراح يطوى الفيافي والبيد مظلوما محتسبا، وسار ركبه (ع) وسارت معه قلوب شيعته وأتباعه خائفه وجله، الا أنه كان مطمئناً إلى أن يد المهدي العباسي سوف لن تصل إليه بسوء، فأكد ذلك لاحد خواصه ومريديه.

وصل الامام بغداد عاصمة الخلافة العباسية فأمر المهدي بالقبض عليه، وزجه في السجن، ولكن عناية الله أكبر من كيد الظالمين، وحراسته لأوليائه أغلب من قوة الطغاة ووسائل تسلطهم.

لقد حدثت كرامة غيبية للإمام موسى بن جعفر (ع) إذ رأى المهدي بعد سجنه للامام، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في المنام، وهو يقول له.

يا محمد (هل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)؟.

ففزع المهدي وقام من نومه مذعورا، فاستدعى حاجبه الربيع وأمره باطلاق سراح الإمام (ع) (١).

وهكذا خرج الامام من السجن وعاد إلى مدينة جده، رسول الله (ص) ليواصل مهام الإمامة ومسؤولياتها العلمية والتوجيهية.

وبعد هلاك المهدي خلفه ابنه موسى الهادي، وكانت فترة حكمه من الفترات القاسية الرهيبة في تاريخ الطالبين، فقد استمر الحاكم

على سياسة آبائه في كراهية العلويين - آل علي بن أبي طالب (ع) - وعمامة الطالبين، ومحاربتهم والتضييق عليهم، مما اضطر العلويين

وأتباعهم إلى اعلان الثورة عليه بقيادة الحسين بن علي الخير صاحب فخ سنة ١٦٩ هـ في عهد الإمام موسى بن جعفر (ع).

ونظر لأهمية هذه الثورة واعتبارها عينة تاريخية معبرة عن روح الصراع بين خط أهل البيت (ع)، وخط الحكام المنحرفين طوال فترة

الحكمين الأموي والعباسي، ونظرا لعلاقتها بشخص الامام وعصره، وأهميتها في مسيرة الصراع في ذلك العصر، وشخصها معلما من

معالم الجهاد والشهادة، من أجل الدفاع عن الاسلام، ونظرا لخلودها نجما مضيئا في تاريخ الثوار المسلمين، سندكرها بشئ من

التفصيل لتكون درسا ملهما من مدرسة الاسلام لكل أجيال المسلمين ودعاة الاسلام، وحملة لواء الجهاد والشهادة من أجل الحق.

١ - ابن خلكان / وفيات الأعيان / ج ٥ ص ٣٠٨.

(٢٠٣)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٢)، الرسول

الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، شهر ذي الحجة (١)، الحسين بن علي (١)، مدينة بغداد (٣)، موسى بن جعفر (٢)،

الشهادة (٢)، النوم (١)، الظلم (٢)، الخوف (١)، العصر (بعد الظهر) (١)

صفحة ٢٠٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٠٤

ثورة فخ.

لمعت في سماء التاريخ الاسلامي وآفاقه أماكن وأحداث وشخصيات، ونزفت من قلب هذه الأمة وشرابينها دماء طاهرة سقت شجرة

الايمان، وخطت فصول المجد والجهاد بأحرف مضيئة وبعناوين لامعة.

ومن هذه الأماكن والاحداث والشخصيات والدماء أرض فخ ووقعها الكبرى، وقائدها العلوي الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن

بن الحسن بن علي بن أبي طالب، والكوكبة النيرة من طلائع آل أبي طالب، فكانت فخ حقا نجما في سماء التاريخ، كما كانت كربلاء

المقدسة.

ان الذي يقف على وقعة فخ ومأساتها وأهميتها التاريخية والحركية، يدرك أنها تكرر لواقعة كربلاء وصدى لصوت الحسين السبط

الشهيد (ع)، حتى أن الذي يقرأ تقرير زينب لأهل الكوفة، ويصغى إلى لوعتها وشكواها، لا يشك أن كربلاء تكررت في فخ، وأن

مأساة أهل البيت تجددت في هذه الأرض الطاهرة، فزينب بنت الامام علي بن أبي طالب، بنت فاطمة بنت رسول الله الطاهرة (ص)

بالأمس تخاطب أهل الكوفة، بعد أن شهدت المأساة ووقفت على مصارع أهل البيت (ع) وقتلهم.

(ويلكم، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟

وأي حرمة له انتهكتم؟).

ويعيد التاريخ نفسه فيحدثنا أن زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أم الحسين بن علي الخير صاحب ثورة

فخ الشهيرة تعيش المأساة نفسها، وتعاني اللوعة ذاتها، تلك المرأة العابدة التي قتل أبو جعفر المنصور أباه وأخاها وعمومتها وبنينهم

وزوجها، فكانت تلبس المسوح ولا- تجعل بين جسدها وبينها شعارا حتى لحقت بالله عز وجل، وكانت تندبهم وتبكي حتى يغشى

عليها، ولا تذكر أبا جعفر بسوء تحرجا من ذلك وكرهه لأن تشفى نفسها بما يؤثمها ولا تزيد على أن تقول.

(يا فاطر السماوات والأرض، يا عالم الغيب والشهادة، الحاكم بين عباده أحكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين) (١).

ثم يأتي دور الحسين ولدها العلوي الثائر ليقضى أثر الحسين السبط الشهيد، ويحمل راية الجهاد والشهادة، فإراق دمه الطاهر ويفجع به رسول الله (ص)، كما فجع من قبل في كربلاء، ولقد كانت هاتان الواقعتان (كربلاء، فخ) عظيمتين على نفس رسول الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكان قد أنبأ عنهما وبكى ألما ولوعة لما يجرى على أهل بيته فيهما.

اخبار النبي (ص) بواقعة فخ.

مر النبي (ص) بفخ فنزل فضلى ركعتين، فلما صلى الثانية بكى وهو فى الصلاة، فلما

١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٣١.

(٢٠٤)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، واقعة الطف (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، مدينة كربلاء المقدسة (٤)، مدينة الكوفة (٢)، الحسن بن علي بن أبي طالب (١)، الحسين بن علي بن الحسن (١)، علي بن أبي طالب (١)، الحسين بن علي (١)، الشهادة (٣)، القتل (١)، الركوع، الركعة (١)، الصلاة (٣)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصفهاني (الإصفهاني) (١)

صفحة ٢٠٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٠٥

رأى الناس النبي (ص) يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا، يا رسول الله. قال: نزل على جبرئيل لما صليت الركعة الأولى فقال: يا محمد ان رجلا من ولدك يقتل فى هذا المكان وأجر الشهيد معه أجر شهيدين (١).

روى زيد بن علي بن الحسين أن رسول الله (ص) صلى فى فخ وقال: يقتل هاهنا رجل من أهل بيتى فى عصابة من المؤمنين، وينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة (٢).

وحيثما توقف الإمام جعفر بن محمد الصادق فى أرض فخ فى إحدى سفراته من المدينة إلى مكة نزل فيها وصلى، ثم سأله النضر بن قرواش صاحب الجمال المكراة للسفر: جعلت فداك رأيتك قد صنعت شيئا، أفهو من مناسك الحج؟ قال: لا ولكن يقتل هاهنا رجل من أهل بيتى فى عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة (٣).

وإذا كان وقع هذه المأساة عظيما على نفس رسول الله (ص)، ومروعا لأهل البيت (ع) الذين لم يشهدوا هذه الواقعة، فكيف بعميد أهل البيت وامام المسلمين موسى بن جعفر الكاظم (ع) الذى عاصر المأساة، وعایش المحنة وتحمل آثارها وتبعاتها السياسية والرسالية، تلك المأساة التى وصفها الإمام محمد الجواد (ع) حفيد الإمام الكاظم (ع) بقوله.

لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ (٤).

لقد تحدث التاريخ عن أن موسى الهادى الخليفة العباسى الذى وقعت الثورة أيام خلافته، عكس آثار هذه الثورة العلوية ونتائجها على الإمام موسى (ع) ومن نجا من آل أبي طالب من مذابح بنى العباس المروعة، فتحملها الامام بقلبه الكبير وصبره المديد وعزمه الذى لا يلين.

وقع الثورة:

لقد أعلن الحسين بن علي الخير الثورة فى شهر ذى القعدة عام ١٦٩ هـ فى المدينة المنورة من جوار قبر جده رسول الله (ص) ضد الحكم العباسى أيام الهادى بن المهدي، الا أن ثورته أخفقت وقتل فى فخ على مقربة من مكة المكرمة.

ولعل هذه الثورة هي من أبرز ثورات أهل البيت وأكثرها لوعه وفجيعه، بعد ثورة كربلاء الشهادة التي قادها واستشهد فيها الامام السبط الحسين بن علي (ع)، فقد كان لهذه الثورة ولرجالها مقام عظيم في نفوس أهل البيت (ع)، وهي من الاحداث التاريخية الكبرى التي أخبر عنها رسول الله (ص) وأهل البيت (ع).

١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٣٦.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٣٦.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٣٧.

٤ - المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ١٦٥، نقلا عن عمدة الطالب.

(٢٠٥)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٣)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، يوم عاشوراء (١)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، بنو عباس (١)، الحسين بن علي (١)، علي بن الحسين (١)، موسى بن جعفر (١)، جعفر بن محمد (١)، الحج (١)، الصدق (١)، القبر (١)، الركوع، الركعة (١)، الشهادة (٢)، القتل (٥)، الصلاة (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٢)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (٣)، العلامة المجلسي (١)

صفحة ٢٠٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٠٦

لقد وقعت هذه الثورة الاسلامية الرائدة بقيادة الثائر العلوي الحسين بن علي أيام الإمام موسى الكاظم (ع)، ولقد كان وقعها عظيما على نفسه، ونتائجها ومردوداتها السياسية كبيرة على شخص الامام وكيان الأمة، فقد روع أهل البيت في هذه الكارثة ولاقوا صنوف الأذى والظلم والاضطهاد، وقد كان الإمام (ع) عالما بنتائجها، عارفا بمصير الثورة بما حفظه عن آباءه وأجداده من أخبار وروايات، الا أن الحسين أصر على موقفه، وقرر المضي بثورته، فلم يكن ليستوعب ويدرك رؤية الإمام موسى بن جعفر وموقفه، ولم يكن صبره يحتمل ما وقع على أهل هذا البيت (ع) من العنت والظلم والاضطهاد، وعند ما رأى الإمام موسى بن جعفر (ع) اصرار الحسين بن علي وقراره في المضي، نعاه وقال له قول المودع الذي لا يرجو لقاءه أبدا حين رآه عازما على المسير إلى مكة.

انك مقتول فأحد الضراب، فإن القوم فساق، يظهرون ايماننا ويضمرون نفاقا وشركا، فانا لله وانا إليه راجعون، وعند الله احتسبكم من عصبه (١).

أسباب الثورة.

كان سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أن موسى الهادي (الخليفة العباسي) ولي المدينة إسحاق بن عيسى بن علي، فاستخلف عليها رجلا يعرف ب (عبد العزيز بن عبد الله العمري) (٢)، فحمل على الطالبين وأساء إليهم، وأفرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض كل يوم (والعرض هو أن تقرأ قائمة بأسمائهم لمعرفة الموجود منهم من الغائب كما يفعل بالسجناء والعيبد)، وكانوا يعرضون في المقصورة، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه، فضمن الحسين بن علي، ويحيى بن عبد الله ابن الحسن، الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن، ووافي أوائل الحج، وقدم مع الشيعة نحو من سبعين رجلا، فنزلوا دار ابن أفلح بالبقيع وأقاموا بها، ولقوا حسينا وغيره، فبلغ ذلك العمري فأنكره، وكان قد أخذ قبل ذلك الحسن بن محمد بن عبد الله، وابن جندب الهذلي الشاعر، ومولى لعمر بن الخطاب (٣) وهم مجتمعون، فأشاع أنه وجدهم على شراب، فضرب الحسن ثمانين سوطا، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطا، وضرب مولى عمر سبعة أسواط، وأمر بأن يدار بهم في المدينة، مكشفي الظهر

١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٤٧.

* في الطبري: (كان إسحاق بن عيسى بن علي بن علي المدينة، فلما مات المهدي واستخلف موسى شخص إسحاق وافدا إلى العراق إلى موسى، واستخلف على المدينة عمر بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وذكر الفضل بن إسحاق الهاشمي أن إسحاق بن عيسى بن علي استعفى الهادي وهو علي المدينة واستأذنه في الشخوص إلى بغداد فأعفاه وولى مكانه عمر بن عبد العزيز).
* في الطبري: (وعمر بن سلام مولى آل عمر)، وهو الصواب.

(٢٠٦)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٢)، عبد الله بن الحسن (ع) (٢)، مقبرة بقيع الغرقد (١)، الخليفة عمر بن الخطاب (٢)، مدينة مكة المكرمة (١)، الحسن بن علي بن أبي طالب (١)، الحسين بن علي بن الحسن (١)، عبد العزيز بن عبد الله (١)، إسحاق بن عيسى (٢)، محمد بن عبد الله (١)، الحسين بن علي (٣)، موسى بن جعفر (١)، الحسن بن محمد (١)، الصبر (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، دولة العراق (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، عبد الله بن عبد الله (١)، عمر بن عبد العزيز (٢)، عيسى بن علي (١)، مدينة بغداد (١)، الموت (١)

صفحة ٢٠٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٠٧

ليفضحهم (١).

الا أنه كف عن ذلك وتراجع، ولكنه أخذ على أثر ذلك يضيق على الطالبين ويشدد عليهم، وولى عليهم أبا بكر بن عيسى الحائك، فأساء لهم وضيق عليهم كثيرا حتى حبسهم يوم جمعة في المسجد إلى ما قبيل صلاة الجمعة، ولم يدع لهم من الوقت الا ما يكفي للوضوء، فلما أنهوا الصلاة عاد فحبسهم في المقصورة إلى العصر، ثم عرضهم فطلب الحسن بن محمد وقد تغيب ثلاثة أيام عن الحضور أمام أبي بكر بن عيسى، وقد كان علي بن الحسين ويحيى بن عبد الله قد تكفلا الحسن فلم يجده في الحاضرين، فتوجه بالقول ليحيى والحسين: لتأنيان به أو لأحسنكما، فاشتبك معه يحيى برد عنيف وشمته ثم نقل ابن الحائك هذا الموقف إلى العمري، فدعا يحيى والحسين فوبخهما وتهدهما فتضحك الحسين في وجهه، ثم جرى بينه وبين العمري كلام، فقال يحيى للعمري: سأتيك بالحسن بن محمد، وسأحضره ان وجدته، أو أضرب عليك بابك حتى تعلم أنني قد جئتك. فاستغرب الحسين وقال:

وكيف تحضره؟ قال يحيى: ما قصدت تسليمه إليه ولكن قصدت أن أضرب عليه بابه ومعى السيف، ان قدرت عليه قتلته، فأخبر الحسين الحسن بن محمد بالحدث وقال له: قد بلغك ما كان بيننا وبين هذا الفاسق، فامض حيث أحببت، فرفض الحسن وقال: بل أجي الساعة حتى أضع يدي بيده، فرفض الحسين ذلك وقال للحسن: سأتيك بنفسى لعل الله يقيني من النار.

ثم دعا الحسين بنى هاشم وأتباعه ومواليه، فاجتمع ستة وعشرون رجلا من آل أبي طالب، وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي، فلما أذن الصبح دخلوا المسجد وطلب عبد الله بن الحسن الأفسس من المؤذن أن يذكر في الاذان (حي على خير العمل)، كما كانت على عهد رسول الله (ص)، فخاف المؤذن وأذن بها، فعرف العمري أن ثورة علوية قد أعلنت، فاضطرب وخاف المؤذن وأذن بها، فعرف العمري أن ثورة علوية قد أعلنت، فاضطرب وخاف ووقد سيطرته على نفسه، فأخذ يطلق العبارات بلا وعى وراح يصيح، وهو في داره:

(أغلقوا البغلة الباب، وأطعموني حبتى ماء)، فذهبت هذه العبارات المعبرة عن جنبه ورعديديته عارا عليه، فسمى الناس ولده (بنى حبتى ماء)، ثم نفذ العلويون وعدهم واقتحموا - كما قرروا - دار العمري، ولكنه هرب ونجا من أيدي الثوار.

أما النائر الحسين بن علي فقد صلى بالناس وخطب بعد فراغه من الصلاة، ف (أتاه الناس وبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه للرضى من

آل محمد) (٢).

- وسيطر الحسين على المدينة وكان ذلك في عام ١٦٩ من ذى القعدة ثم خرج قاصداً
- ١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٤٨. وتاريخ ابن الأثير / ج ٦ / ص ٩٠.
- ٢ - ابن الأثير / الكامل في التاريخ / ج ٥ / ص ٩١ حوادث سنة ١٦٩ هـ.
- (٢٠٧)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، شهر ذى القعدة (١)، صلاة الجمعة (١)، يحيى بن عبد الله (١)، الحسين بن علي (١)، بنو هاشم (١)، بكر بن عيسى (٢)، الحسن بن محمد (٢)، القتل (١)، السجود (٢)، الصّلاة (٢)، الحج (١)، الأذان (٣)، العصر (بعد الظهر) (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (١)، ابن الأثير (٢)

صفحة ٢٠٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٠٨

مكة ليحج ويبلغ رسالته، ويدعو الناس بدعوته مستثمرا موسم الحج وتوافد الحجاج، و معه نحو مئتي رجل من أهل بيته وأتباعه، فلما قربوا من مكة ووصلوا فجا (١)، ووادي بلدح تلقّتهم جيوش العباسيين واشتبكوا معهم في معركة حامية يوم التروية - وقت صلاة الصبح. ونظرا لعدم تكافؤ الجيشين فقد سحق أصحاب الحسين. فخرج هو وانكسر جيشه القليل العدد ثم أعطى الأمان فقال: والله مالكم أمان، ولكنني أقبل منكم. فلما سلم نفسه بعد أن كسر سيفه، خانوا عهده ونقضوا أمانهم، فقتلوه صبّرا. وانتهت ثورته البطولية بفاجعة مروعة، ونضحية عظيمة استشهد فيها أكثر من مئة شهيد من أولئك الثوار الأبطال. فقد ذكر المؤرخون أن الجند احتزت الرؤوس فكانت مئة و نيفا، ثم حملت وأسر الباقون.

وجيء بالرؤوس إلى الخليفة موسى الهادي والعباس وعندهما من ولد الحسن والحسين، فلم يسألا أحدا منهم الا الإمام موسى بن جعفر (ع). فقالا: هذا رأس حسين؟ قال: نعم، إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى والله مسلما صالحا صواما، أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله.

وحملت الاسرى إلى الخليفة الهادي فأمر بقتلهم (٢).

ولم يكتف القتلة بسفك الدم الحرام، والتمثيل بالشهداء، وقتل الاسرى، بل عمد العمري إلى هدم الدور ومصادرة الأموال وحرق المزارع.

وقد ذكر المؤرخون. فلما بلغ العمري الخبر وهو بالمدينة عمد إلى دار الحسين ودور أهله فحرقها وقبض أموالهم ونخلهم فجعلها في الصوافي المقبوضة (٣).

وجاء في رواية المؤرخ الطبري. وثب على دار الحسين، ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين فهدمها وحرق النخيل، وقبض ما لم يحرقه وجعله في الصوافي المقبوضة (٤).

وهكذا يفعل الطغاة في كل عصر وجيل مع دعاة الهدى وطلائع الجهاد مندفعين

١ - فخ: بئر، وما بينه وبين مكة مسافة فرسخ.

٢ - المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ١٦٥، نقلا عن الكافي.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٤٥٥، والصوافي هي أن تحول الأموال المصادرة من الذين تسخط عليهم السلطات إلى ملكية الخليفة، وهي سنة سنّها معاوية بن أبي سفيان، حيث كان يصادر ما كان للملوك في البلاد المفتوحة ويصيرها خالصة

صافية لنفسه، ثم يتوارثها أبناؤه من بعده، وقد ورث الخلفاء العباسيون أملاك الخلفاء الأمويين لأنفسهم، ثم اتسع الامر فشمل أموال المسلمين المصادرة أيضا، انظر تاريخ يعقوبى / ج ٢ / ص ٢٣٣، والعقد الفريد / ج ١ / ص ٥٨.

٤ - الطبرى / تاريخ الطبرى / ج ٦ / ص ٤١٧، حوادث سنة ١٦٩ هـ.

(٢٠٨)

مفاتيح البحث: مواقيت الصلاة (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، مدينة مكة المكرمة (٣)، الحج (٢)، القتل (٢)، الشهادة (١)، الباطل، الإبطال (١)، الدولة الأموية (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، العلامة المجلسي (١)، كتاب تاريخ الطبرى (١)، الوسعة (١)

صفحة ٢٠٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٠٩

بروح الحقد والانتقام إلى القتل والسلب، ومصادرة الأموال والتشفي الاثم، لذا فقد نقلت رؤوس الشهداء إلى الخليفة العباسي موسى الهادي ووضعت بين يديه وهو يغلى حقدًا وانتقامًا من آل أبي طالب ومن عميدهم، وامام المسلمين موسى بن جعفر (ع)، فراح يهدد ويتوعد ويحلف على قتل الإمام موسى بن جعفر (ع)، حيث لم يكن ليفصل بين قيادة وتوجيه الإمام موسى بن جعفر (ع) وبين هذه الثورة الاسلامية العلوية الكبرى، التي أعلن عن هويتها قائدها الشهيد، وأكد أنها دعوة إلى قيادة آل محمد (ص) والالتزام بكتاب الله وسنة نبيه.

نقل العلامة المجلسي: أن موسى الهادي أمر برجل من الاسرى فوبخه ثم قتله، ثم صنع مثل ذلك بجماعة من ولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب صلوات الله عليه، وأخذ من الطالبين، وجعل ينال منهم إلى أن ذكر موسى بن جعفر صلوات الله عليه، فنال منه، وقال: والله ما خرج حسين الا- عن أمره ولا- اتبع الا- محبته، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلني الله ان أبقيت عليه. فقال له أبو يوسف يعقوب ابن إبراهيم القاضى و كان جريئا عليه: يا أمير المؤمنين، أقول أم أسكت؟ فقال: قتلني الله ان عفوت عن موسى بن جعفر، ولولا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور بما كان من جعفر - يقصد الإمام الصادق (ع) - من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعلمه وفضله، وما بلغنى عن السفاح فيه من تقرظه وتفضيله: لنبشت قبره وأحرقته بالنار احراقا. فأخذ أبو يوسف القاضى يلح ويهدئه حتى سكن غضبه (١).

الا- أن موسى الهادي لم يكن ليستقر، أو يشعر بالطمأنينة على ملكه وهو يرى موسى بن جعفر (ع) حرا طليقا يمارس دوره العلمى، ويحتل مكانته القيادية، فقرر اعتقال الامام وسجنه، وراح يهدده ويتوعدده.

روى على بن يقطين أحد خواص الإمام الكاظم (ع) فقال: انهى الخبر إلى أبى الحسن موسى بن جعفر، وعنده جماعة من أهل بيته بما عزم عليه موسى بن المهدي فى أمره، فقال لأهل بيته: ما تشيرون؟ قالوا: نرى أن تتباعد عنه، وأن تغيب شخصك، فإنه لا يؤمن شره. فتبسم أبو الحسن موسى بن جعفر (ع) ثم قال.

زعمت سخينة (٢) أن ستغلب ربها - وليغلبن مغلب الغلاب.

ثم رفع يده إلى السماء فقال.

اللهم كم من عدو شحذ لى ظبة مديته، وأرهف لى شبا حده، وداف لى قواتل سموه، و لم تنم عنى عين حراسته، فلما رأيت ضعفى عن احتمال الفوادح وعجزى عن ملّات الحوائج، صرفت عنى ذلك بحولك وقوتك، فألقيته فى الحفير

١ - المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ١٥١، نقلا عن مهج الدعوات.

* سخينة: اسم لقريش.

(٢٠٩)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٥)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، العلامة المجلسي (٢)، رؤوس الشهداء (١)، علي بن يقطين (١)، القتل (٣)، القبر (١)، الشهادة (١)، الوصية (١)، الجماعة (١)

صفحة ٢١٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢١٠

الذي احترفه لى خائبا مما أمله فى دنياه، متباعدة عما رجاه فى آخرته، فلك الحمد على ذلك قدر استحقاقك. سيدى، اللهم فخذ بعزتك، وافلل حده عنى بقدرتك، واجعل له شغلا فيما يليه، وعجزا عما يناويه، اللهم وأعدنى عليه من عدوى حاضرة تكون من غيظى شفاء، ومن حقى عليه وفاء، وصل اللهم دعائى بالإجابة، وأنظم شكائى بالتغيير، و عرفه عما قليل ما وعدت الظالمين، و عرفنى ما وعدت فى إجابة المضطرين، انك ذو الفضل العظيم والمن الكريم.

قال: ثم تفرق القوم، فما اجتمعوا الا لقراءة الكتاب الوارد عليه بموت موسى بن المهدي (١).

وهكذا انتهى الصراع بين هذا الحاكم العباسى وبين الإمام موسى بن جعفر (ع) ليبدأ مرحلة جديدة مع الحاكم العباسى الجديد هارون الرشيد.

الإمام الكاظم والطاغية هارون الرشيد.

الذى يتابع بعض العبارات التى صدرت من أقرب الناس لبني العباس أو يتابع الاحداث، يدرك مدى الخوف والارهاب الذى زرعه العباسيون فى نفوس الناس، ويعرف أهمية موقف الامام وتصديه لمواجهة الظلم والارهاب، وكسر حاجز الخوف عند الناس.

فمثلا، سجل التاريخ أن الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى الذى كان من أخلص المقربين من الرشيد، يجرى من ثيابه ويضرب ويهان ويلعن فى مجلس عام بطلب من الرشيد: لأنه ربه عن الإمام الكاظم وخفف عنه آلام السجن (٢).

وهذا الفضل بن الربيع وهو من أبرز الساسة المقربين للرشيد، ومن أعمدة البلاط و وزرائه يتحدث عن موقف جرى له، ويكشف عن عمق الخوف والارهاب فى نفسه، فيرسم لنا صورة الارهاب العباسى.

قال: كنت ذات ليلة فى فراشى مع بعض الجوارى، فلما كان فى نصف الليل سمعت حركة باب المقصورة، فراعنى ذلك، فقالت الجارية: لعل هذا من الريح، فلم يمش الا يسير حتى رأيت باب البيت الذى كنت فيه قد فتح، وإذا بمسرور الكبير قد دخل على، فقال لى: أجب الأمير، ولم يسلم على، فيئت من نفسى وقلت: هذا مسرور، ودخل إلى بلا اذن، ولم يسلم، ما هو الا القتل، وكنت جنبا فلم أجسر أن أسأله إنظارى حتى أغتسل، فقالت لى الجارية لما رأت تحيرى وتبلدى: ثق بالله عز وجل، وانهض فنهضت ولبست ثيابى و خرجت معه حتى أتيت الدار، فسلمت على أمير المؤمنين وهو فى مرقد، فرد على السلام، فسقطت، فقال: تداخلك رعب؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فتركنى ساعة حتى سكنت (٣).

١ - الصدوق / عيون أخبار الرضا ج ١ / ص ٧٩.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٠٣.

٣ - الصدوق: عيون أخبار الرضا ج ١، ص ٧٤ /

(٢١٠)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، بنو عباس (١)، يوم عرفة (١)، الفضل بن يحيى (١)، الفضل بن الربيع (١)، هارون الرشيد (٢)، الكرم، الكرامة (١)، الظلم (٢)، القتل (١)، الخوف (٣)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٢)، كتاب

مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، الشيخ الصدوق (٢)

صفحة ٢١١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢١١

ان القارئ والمتأمل في هذه الوثيقة التاريخية، وهو يعرف موقع الفضل بن الربيع من هارون الرشيد، ويتأمل في نصوص الوثيقة، يعرف مدى الخوف والارهاب والاستهانة بكرامة الانسان، فأقرب المقربين وأبرز أركان السلطة وعمادها يعيش هذا الشعور ويعاني من هذه العقدة، فكيف بالمعارضين وبمن لا تربطهم بقصر الخليفة رابطة؟ وكيف بعامه أفراد الأمة؟!.

نقل أن يحيى ابن خالد البرمكي لما قدم إلى بغداد، لتدبير عملية اغتيال الإمام موسى بن جعفر (ع)، فوجى الناس به فاستولى الذعر والخوف وشاعت الإشاعات، وانتشرت الأراجيف المعبرة عن الخوف، وترقب الشر، كما ورد في النص التاريخي.

ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى أتى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شئ (١).

فالتأمل لعبارة (فماج الناس، وأرجفوا بكل شئ) يستطيع أن يدرك وبوضوح كامل طبيعة علاقة الأمة بالسلطة، ويعرف كيف كانت تساس الأمة وتدار شؤون الدولة، وكيف كان الحكام العباسيون وأنصارهم يقبضون على مقاليد الأمور وكيف كان موقف الامام بوجه السلطة يمثل قمة المسؤولية، ويعبر عن ضرورة عقائدية لانقاذ الأمة، وكسر طوق الارهاب المضروب عليها.

نماذج مأساوية لظلم العباسيين للعلويين.

ومن فجاج ما دون التاريخ ما ذكره حميد بن قحطبة أحد أمراء الرشيد إلى أحد خواصه، وهي قصة مأساوية فجيعة (٢)، تمثل محنة العلويين، وظلم بنى العباس وقسوتهم. جاء في القصة أن الرشيد لما كان بطوس استدعاه [حميد بن قحطبة] وسأله عن طاعته للأمير المؤمنين، فأجاب أنه مستعد أن ينفذ ما يطلب منه، ولما اطمأن الرشيد إلى اخلاصه للعرش العباسي وقدرته على التنفيذ، أمر الخادم أن يناوله سيفاً ويذهب إلى بيت مغلق في وسطه بئر، وفي البيت ثلاثة بيوت مغلقة، فلما أدخله الخادم فتح أحد البيوت وإذا في البيت عشرون علويًا من ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله (ص)، وهم شباب وشيوخ وكهول مقيدون بالسلاسل والقيود، فطلب منه قتلهم والقاءهم في البئر ففعل، ثم فتح البيت الثاني ووجد فيه مثل هذا العدد وأمره بقتلهم ففعل، ثم فتح البيت الثالث وفيه مثل هذا وأمره بقتلهم ففعل، وكانت هذه القصة المأساوية سرا في زنانات الارهابيين والقتلة، الا أن حميد بن قحطبة أفشى هذا السر بعد أن أخذت تلاحقه أشباح الجريمة، ويؤلمه وخز الضمير، وبعد أن شعر بأن صورته الانسانية قد مسخت، وأنه توغل في الجريمة

١ - المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ٢٣٤، نقلا عن الغيبة.

* حدثت هذه المأساة بعد شهادة الإمام موسى بن جعفر (ع).

(٢١١)

مفاتيح البحث: السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، بنو عباس (١)، علي بن أبي طالب (١)، الفضل بن الربيع (١)، يحيى بن خالد (١)، هارون الرشيد (١)، مدينة بغداد (٢)، الخوف (٣)، القتل (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، العلامة المجلسي (١)، الشهادة (١)

صفحة ٢١٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢١٢

حتى يئس من رحمة الله. فقد دخل عليه صاحبه عبيد الله البزاز النيشابوري قادمًا من سفر في شهر رمضان، ووجد حميد بن قحطبة يتأهب لتناول طعام الغداء، وبعد قليل أحضر الطعام، ودعا حميد صاحبه إلى تناول الطعام، فاعتذر بأنه صائم، وقال: لعل للأمير عذرا

ومسوغا شرعيا للإفطار، أما أنا فصائم. فأجاب حميد: ليس بي علة ولا عذر لي، ثم دمعت عيناه، وبكى وراح يسرد فصول القصة المأساوية المروعة، وهو يقول لصاحبه: أي مغفرة أرجو وأي صيام ينفع، بعد أن ولغت في هذه الجريمة، وقتلت من ذرية علي وفاطمة ستين بريثا؟ وبأى وجه ألقى الله ورسوله؟! (١) ونموذج آخر لذلك: فقد ذكر أن محمد بن أبي عمير الأزدي، كان من أوثق الناس عند الخاصة والعامة - يعني سنة وشيعة - وأنسكهم نسكا وأورعهم وأعبدتهم، وحكى عن الجاحظ أنه قال: كان أوحد أهل زمانه في الأشياء كلها. وقال أيضا: وكان وجهها من وجوه الرافضة، حبس أيام الرشيد ليلى القضاء، وقيل: بل ليدل على الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر (ع)، وضرب على ذلك وكاد يقر لعظم الألم، فسمع محمد بن يونس بن عبد الرحمن يقول له: اتق الله يا محمد بن أبي عمير، فصبر ففرج الله عنه.

وروى الكشي: أنه ضرب مئة وعشرين خشبة أيام هارون، وتولى ضربه السندي بن شاهك، وكان ذلك على التشيع، وحبس فلم يفرج عنه حتى أدى من ماله واحدا وعشرين ألف درهم، وروى أن المأمون حبسه حتى ولاه قضاء بعض البلاد، وروى أنه حبس سبع عشرة سنة، وفي مدة حبسه دفنت أخته كته، فبقيت مدة أربع سنين، فهلكت الكتب (٢).

وسجل التاريخ ملاحم أخرى لتلامذة الإمام الكاظم (ع)، وأصحابه في السجون والمعتقلات، فقد روى... وكان من أصحابه علي بن هاشم بن البريد، وعبد الله بن علقمة، ومخول ابن إبراهيم السهدي، فحبسهم جميعا هارون الرشيد في المطبق (٣)، فمكثوا فيه اثنتي عشرة سنة (٤).

وهكذا كان الظرف السياسي وسياسة السلطة العباسية. وفي هذه الظروف والأوضاع السياسية الخائفة عاش الامام، وكان طبيعيا أن يناله ظلم الرشيد، وأن يلحقه السجن والاضطهاد، إذ روى بعض المؤرخين والرواة: كان السبب في قدوم موسى بن جعفر إلى بغداد، أن هارون الرشيد أراد أن يعقد الامر لابنه محمد بن زبيدة (الأمين)، وكان له من البنين أربعة عشر ابنا، فاختر منهم ثلاثة: محمد بن زبيدة وجعله ولي عهده،

١ - عيون أخبار الرضا (ع): ج ١، ص ١١٠ / ٢ - الصدوق / عيون الاخبار / ج ١ / ص ٤٢، ورجال الكشي / ص ٥٩١.
* المطبق: اسم سجن من سجون الرشيد.

٤ - الصدوق / عيون الاخبار / ج ١ / ص ١٨٧.
(٢١٢)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٢)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، شهر رمضان المبارك (١)، علي بن هاشم بن البريد (١)، محمد بن أبي عمير (٢)، السندي بن شاهك (١)، هارون الرشيد (٢)، مدينة بغداد (١)، محمد بن يونس (١)، موسى بن جعفر (١)، القتل (١)، الطعام (٢)، الضرب (٢)، العقد (١)، السب (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب رجال الكشي (١)، الشيخ الصدوق (٢)

صفحة ٢١٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢١٣

وعبد الله (المأمون) وجعل الامر له بعد ابن زبيدة، والقاسم (المؤمن)، وجعل الامر له بعد المأمون، فأراد أن يحكم الامر في ذلك، ويشهره شهرة يقف عليها الخاص العام.

فحج في سنة تسع وسبعين مئة وكتب إلى جميع الآفاق يأمر الفقهاء والعلماء والقراء والامراء أن يحضروا مكة أيام الموسم، فأخذ هو طريق المدينة.

قال علي بن محمد النوفلي: فحدثني أبي أنه كان سبب سعاية يحيى بن خالد بموسى بن جعفر عليه السلام أنه قد وضع الرشيد ابنه

محمد بن زبيدة في حجر جعفر ابن محمد بن الأشعث فساء ذلك يحيى، وقال: إذا مات الرشيد وأفضى الامر إلى محمد انقضت دولتي ودولته ولدى، وتحول الامر إلى جعفر بن محمد بن الأشعث وولده، وكان قد عرف مذهب جعفر في التشيع، فأظهر له أنه على مذهبه، فسر به جعفر وأفضى إليه بجميع أموره، وذكره له ما هو عليه في موسى بن جعفر (ع).

فلما وقف على مذهبه سعى به إلى الرشيد، فكان الرشيد يرضى له موضعه وموضع أبيه من نصرته الخلافة، فكان يقدم في أمره ويؤخر، ويحيى لا- يألو أن يخطب (١) عليه، إلى أن دخل يوماً إلى الرشيد فأظهر له اكراماً، وجرى بينهما كلام مت (٢) به جعفر لحرمة و حرمة أبيه، فأمر له الرشيد في ذلك اليوم بعشرين ألف دينار، فأمسك يحيى عن أن يقول فيه شيئاً حتى أمسى، ثم قال للرشيد: يا أمير المؤمنين قد كنت أخبرتك عن جعفر ومذهبه فتكذب عنه، وهاهنا أمر فيه الفيصل. قال: وما هو؟ قال: انه لا يصل إليه مال من جهة من الجهات الا أخرج خمسه فوجه به إلى موسى بن جعفر، ولست أشك أنه قد فعل ذلك في العشرين ألف دينار التي أمرت بها له، فقال هارون: ان في هذا لفيصلاً فأرسل إلى جعفر ليلاً، وقد كان عرف سعيه يحيى به، فتباينا وأظهر كل واحد فيهما لصاحبه العداوة، فلما طرق جعفر رسول الرشيد بالليل خشى أن يكون قد سمع فيه قول يحيى، وانه انما دعاه ليقتله، فأفاض عليه ماء ودعا بمسك وكافور فتحنط بهما ولبس برده فوق ثيابه و أقبل إلى الرشيد، فلما وقعت عليه عينه وشم رائحة الكافور، ورأى البردة عليه قال:

يا جعفر ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد علمت أنه قد سعى بي عندك، فلما جاءني رسولك في هذه الساعة لم آمن أن يكون قد فرغ إلى قلبك ما يقول على فأرسلت إلى لتقتلني. قال: كلا، ولكن قد خبرت أنك تبعث إلى موسى بن جعفر من كل ما يصير إليك بخمسه، وأنتك قد فعلت ذلك في العشرين ألف دينار، فأحببت أن أعلم ذلك فقال جعفر:

الله أكبر يا أمير المؤمنين، تأمر بعض خدمك يذهب فيأتيك بها بخواتيمها.

فقال الرشيد لخدام له: خذ خاتم جعفر وانطلق به حتى تأتيني بهذا المال، وسمى جعفر له جاريته التي عندها المال، فدفعت إليه البدر بخواتيمها، فأتى بها الرشيد

١ - يخطب عليه: ينشئ الخطب: أي ينسب إليه التهم الكبيرة التي من شأنها أن تجر عليه المحنة والكارثة.

٢ - مت: توسل.

(٢١٣)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، جعفر بن محمد بن الأشعث (١)، علي بن محمد النوفلي (١)، يحيى بن خالد (١)، محمد بن الأشعث (١)، موسى بن جعفر (٣)، الموت (١)

صفحة ٢١٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢١٤

فقال له جعفر: هذا أول ما تعرف به كذب من سعى بي إليك قال: صدقت يا جعفر، انصرف آمنًا فإنني لا أقبل فيك قول أحد. قال: وجعل يحيى يحتال في اسقاط جعفر.

فقال النوفلي: فحدثني علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي عن بعض مشايخه وذلك في حجة الرشيد قبل هذه الحجة، قال: لقيني (١) علي بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد فقال لي:

مالك قد أخملت نفسك؟ مالك لا تدبر أمور الوزير؟ فقد أرسل إلى فعادته و طلبت الحوائج إليه.

وكان سبب ذلك أن يحيى بن خالد، قال ليحيى بن أبي مریم: ألا تدلني على رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا فأوسع له منها؟ قال: بلى، أدلك على رجل بهذه الصفة، وهو علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد فأرسل إليه يحيى فقال: أخبرني عن عمك وعن شيعته، والمال الذي يحمل إليه، فقال له: عندى الخير، فسعى بعمه (موسى بن جعفر)، فكان في سعائه أن قال له: ان من كثرة

المال عنده أنه اشترى ضيعة تسمى البشرية بثلاثين ألف دينار، فلما أحضر المال قال البائع: لا أريد هذا النقد، أريد نقد كذا وكذا، فأمر بها فصبت في بيت ماله، وأخرج منه ثلاثين ألف دينار من ذلك النقد ووزنه في ثمن الضيعة.

قال النوفلي: قال أبي: وكان موسى بن جعفر عليه السلام يأمر لعلي بن إسماعيل بالمال ويثق به، حتى ربما خرج الكتاب منه إلى بعض شيعته بخط علي بن إسماعيل ثم استوحش منه، فلما أراد الرشيد الرحلة إلى العراق بلغ موسى بن جعفر عليه السلام أن عليا بن أخيه يريد الخروج مع السلطان إلى العراق، فأرسل إليه وسأله: مالك والخروج مع السلطان؟ قال: لا إن علي دينا. قال: دينك علي. قال: وتدبير عيالي، قال: أنا أكفيهم، فأبى الا الخروج، فأرسل إليه مع أخيه محمد بن جعفر بثلاثمئة دينار، وأربعة آلاف درهم. فقال: اجعل هذا في جهازك ولا تؤتم ولدي (٢).

ونقل المؤرخون روايات أخرى.

ان محمد بن إسماعيل بن الصادق عمه موسى الكاظم يكتب له الكتب إلى شيعته في الآفاق، فلما ورد الرشيد إلى الحجاز سعى بعمه إلى الرشيد، فقال: أما علمت في الأرض خليفتين يجبي الهيما الخراج؟ فقال الرشيد: ويلك أنا ومن؟ قال: موسى بن جعفر وأظهر أسراره، فقبض عليه، وحظى محمد عند الرشيد، ودعا عليه موسى بن جعفر الكاظم بدعاء استجاب الله فيه وفي أولاده (٣).

وقد روى أنه (حج الرشيد في تلك السنة ١٧٩ هـ) فبدأ بقبر النبي (ص) فقال: يا رسول الله، اني أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشتت بين أمتك وسفك دماؤها.

١ - علي بن إسماعيل هو ابن أخ الإمام موسى بن جعفر.

٢ - الصدوق / عيون الاخبار / ج ١ / ص ٦٩.

٣ - القرشي / حياة الإمام موسى بن جعفر / ج ١ / ص ٣٢٩.

(٢١٤)

مفاتيح البحث: قبر النبي (ص) (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، دولة العراق (٢)، علي بن إسماعيل بن جعفر (١)، علي بن الحسن بن علي (١)، علي بن إسماعيل (٣)، محمد بن إسماعيل (١)، يحيى بن خالد (١)، ابن إسماعيل (١)، موسى بن جعفر (٦)، عمر بن علي (١)، جعفر بن محمد (١)، محمد بن جعفر (١)، الكذب، التكذيب (١)، الصدق (١)، الضياع (١)، الحج (١)، الشيخ الصدوق (١)

صفحة ٢١٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢١٥

ثم أمر به فأدخل إليه فقيدته، وأخرج من داره بغلين عليهما قبتان مغطتان هو (ع) في أحدهما، ووجه مع كل واحد منهما خيلا، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة، يعمي على الناس أمره، وكان موسى بن جعفر (ع) في التي مضت إلى البصرة حينئذ فمضى إليه فحبسه عنده سنة، ثم كتب إلى الرشيد أن خذه مني وسلمه إلى من شئت و الا خليت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلك، حتى أني لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو علي أو يدعو عليك، فما أسمعته يدعو الا لنفسه، يسأل الله الرحمة والمغفرة.

فوجه من تسلمه منه وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد، فبقى عنده مدة طويلة، أراد الرشيد علي شيء من أمره فأبى، فكتب إليه ليسلمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه، و أراد ذلك منه فلم يفعل، وبلغه أنه عنده في رفاهية ودعه وهو حينئذ بالرقعة فأنفذ مسرورا الخادم إلى بغداد على البريد، وأمره أن يدخل من فوره إلى الامام فيعرف خبره، فإن كان الامر علي ما بلغه أوصل كتابا منه إلى العباس بن محمد وأمره بامثاله، و أوصل كتابا منه إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد، فقدم مسرور فنزل دار

الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى فوجده عليما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندی بن شاهك وأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض ركضا إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوها دهشا حتى دخل على العباس، فدعا العباس بالسياط وعقابين ووجه بذلك إلى السندی فأمر بالفضل فجرد ثم ضربه مئة سوط، وخرج متغير اللون بخلاف ما دخل، فذهبت قوته، فجعل يسلم على الناس يمينا وشمالا.
وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد فأمر بتسليم موسى إلى السندی بن شاهك (١).
هذه شرائح تاريخية تحكى لنا صورة الصراع السياسى المدبر بين قادة الهدى والايان المتمثلة فى أهل بيت النبوة (ع)، وبين حكام بنى العباس والجلالوزة والجلادين والانتهازيين، وطلاب السلطة والمال والجاه.
تأثر البعض بعظمة الإمام (ع):.

روى أحد الذين كلفوا بمراقبة الامام فى سجن عيسى بن جعفر أنه سمع الامام يقول.
اللهم انك تعلم أننى كنت أسألك أن تفرغنى لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد (٢).
وعن أحمد بن عبد الله عن أبيه قال.

دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لى: أشرف على هذا البيت، وانظر ماذا ترى؟ فقلت: ثوبا مطروحا. فقال:
انظر حسنا، فتأملت فقلت: رجل

١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٠٢.

٢ - المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ١٠٧ نقلا عن المناقب.

(٢١٥)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، مدينة الكوفة (١)، بنو عباس (١)، أحمد بن عبد الله (١)، السندی بن شاهك (٣)، الفضل بن يحيى (٢)، الفضل بن الربيع (٢)، مدينة البصرة (٢)، العباس بن محمد (٣)، مدينة بغداد (١)، الضرب (١)، الحج (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، العلامة المجلسي (١)

صفحة ٢١٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢١٦

ساجد. فقال لى: تعرفه؟ هو موسى بن جعفر، أتفقده الليل والنهار، فلم أجده فى وقت من الأوقات الاعلى هذه الحالة، انه يصلى الفجر فيعقب إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة، فلا يزال ساجدا حتى تزول الشمس، وقد وكل من يترصد أوقات الصلاة، فإذا أخبره وثب يصلى من غير تجديد وضوء، وهو دأبه فإذا صلى العتمة أفطر، ثم يجدد الوضوء، ثم يسجد فلا يزال يصلى فيجوف الليل حتى يطلع الفجر (١).

وجاء كذلك.

فأمر بتسليم موسى إلى الفضل بن يحيى، فجعله فى بعض دوره ووضع عليه الرصد، فكان مشغولا بالعبادة يحيى الليل كله: صلاة وقراءة ويصوم النهار فى أكثر الأيام، ولا يصرف وجهه عن المحراب، فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه (٢).

ومن روائع تأثيره: ان هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية خصيفة، لها جمال و وضاءة لتخدمه فى السجن، فقال: قل له: (بل أنتم بهديتكم تفرحون). لا- حاجة لى فى هذه ولا- فى أمثالها، قال: فاستطار هارون غضبا، وقال: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك ولا برضاك أخذناك، واترك الجارية عنده وانصرف. قال: فمضى ورجع، ثم قام هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم إليه

ليستفحص عن حالها فرآها ساجدةً لربها لا ترفع رأسها، تقول: قدوس، سبحانك سبحانك، فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره (٣).

فلعل هارون أراد أن يغري الامام ويشغله عن أهدافه بجمال الحسان ومتع الحياة، منطلقاً من فهمه وتقويمه هو لنفسه، وما درى أن الامام مستغرق في جمال الحق وفان بحب الله، قد أعرض عن الدنيا وزينتها، فلا الجوارى يشغلن باله، ولا متع الحياة تستهوى نفسه، بل هو داعية حق، وصاحب رسالة قد نذر نفسه لمبادئه، وأوقف ذاته على ذات الله سبحانه، فغداً منارا يهدي بقوله وعمله، وداعية يرشد بصمته ونطقه، فصمته نطق بلسان العمل، ونطقه هدى بكلمة الحق، لذا استهوى هديه قلب الجارية، واستولى سلطان روحه على روحها وعقلها حتى غدت تنادي سبوح، قدوس، مشدوهةً ساجدة، بعد أن كانت ترتع في مسارح اللهو، وتكرع في كؤوس الهوى والغرام، وتقضى وقتها وهي تداعب أوتار الطرب وأنغام الشعر، وتستمتع بحلل الديباج وعقود اللؤلؤ، فصار ديدنها الصلاة والتسبيح والتقديس حتى ماتت، وقيل إن موتها كان قبل شهادة الإمام موسى بن جعفر (ع) بأيام.

وهكذا اختط الامام الأجيال المسلمين السيرة الفذة، والسير في طريق ذات الشوكة،

١ - المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ١٠٧، نقلاً عن المناقب.

٢ - الطبرسي / إعلام الوري / ص ٣١١.

٣ - المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ٢٣٨، نقلاً عن الأنوار للعامري، وقعت هذه الحادثة في سجن السندی بن شاهك المعروف ب (دار المسيب) ببغداد. /

(٢١٦)

مفاتيح البحث: صلاة الفجر (الصبح) (١)، الفضل بن يحيى (٢)، هارون الرشيد (١)، موسى بن جعفر (٣)، السجود (١)، الشهادة (١)، الصلاة (٣)، الوضوء (٢)، كتاب إعلام الوري بأعلام الهدى (١)، العلامة المجلسي (٢)، السندی بن شاهك (١)

صفحة ٢١٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢١٧

رغم الصعاب والمحن، فعلم السائرين في هذا الطريق الصبر على مرارة السجون والثبات على الحق والاستهانة بأساليب الجلادين، ووسائل القهر والارهاب، فقد كان الرشيد ينقل الامام من سجن إلى سجن، فمن عيسى بن جعفر، إلى الفضل بن الربيع، إلى الفضل بن يحيى، إلى السندی بن شاهك لعله يخفي شخص الامام، وقتل روح المقاومة ويغيبه عن الأذهان، الا أن وجود الإمام موسى بن جعفر في السجن كان له مغزى سياسي، وقيمة جهادية كبرى، وخصوصاً لتنقله بين السجون ومتابعه أبناء الأمة لأخباره، وعجز السلطة عن حسم الموقف معه، فقد كان وجوده يغذي روح الثورة والرفض والمقاومة، ويضفي عليها صفة الشرعية، لذلك فقد رفض الامام التوسط لدى الحكام لإخراجه من السجن، أو اللجوء إلى أي موقف من شأنه أن يضعف في الأمة هذه الروح، فقد رفض وقال لبعض من طلب منه أن يرسل بعض الشخصيات إلى هارون الرشيد للوساطة وإطلاق حريته.

حدثني أبي عن آبائه، أن الله عز وجل أوحى إلى داود: يا داود إنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني، وعرفت ذلك منه الا قطعت عنه أسباب السماء، وأسخت الأرض من تحته (١).

بهذا الرد الحاسم الصادق عزز موقفه وإبائه وثقته بالله سبحانه.

ولما أحس الرشيد أن روح المقاومة الصامتة التي أبداها الامام في السجن قد بدأت تأخذ طريقها إلى النفوس، وأن مواقفه بدأت تتفاعل مع وعي الجمهور واحساس الأمة:

خاف أن يتكثف هذا الوعي، وينمو ذلك الاحساس فيتحول إلى ثورة، فاستشار وزيره يحيى بن خالد، فأشار عليه باطلاق سراح الامام.

عن المناقب: لما حبس هارون الرشيد أبا إبراهيم - موسى بن جعفر -، وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس، تحير الرشيد ودعا يحيى بن خالد البرمكي، فقال له: يا أبا علي أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب؟ ألا تدبر في أمر هذا الرجل تديبيرا تريحنا من غمه؟ فقال يحيى بن خالد: الذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمتن عليه، وتصل رحمه، فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا، وكان يحيى يتولاه وهارون لا يعلم ذلك، فقال هارون: إنطلق إليه وأطلق عنه الحديد، وأبلغه عنى السلام وقل له: يقول لك ابن عمك أنه قد سبق منى فيك يمين أنى لا أخليك حتى تقر لى بالإساءة، وتسألنى العفو عما سلف منك، وليس عليك فى إقرارك عار ولا فى مسألتك إياى منقصة (٢).

ولما وصل يحيى إلى الإمام موسى بن جعفر وأخبره برسالة الرشيد، رفض الامام أن يلبى طلب الرشيد الذى أراد أن يوقف الامام موقف المخاطب المعتذر، وأجابه.

وستعلم غدا إذا جاثيتك بين يدى الله من الظالم والمعتدى على صاحبه

١ - القرشى / حياة الإمام موسى بن جعفر / ج ٢ / ص ٤٩٩.

٢ - المجلسى / البحار / ج ٤٨ / ص ٢٣٠ نقلا عن المناقب.

(٢١٧)

مفاتيح البحث: يوم عرفه (١)، السندى بن شاهك (١)، الفضل بن الربيع (١)، يحيى بن خالد (٢)، هارون الرشيد (٢)، موسى بن جعفر (٤)، الصدق (١)، الظلم (١)، القتل (١)، الصبر (١)، الرفض (٣)، العلامة المجلسى (١)

صفحة ٢١٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢١٨

والسلام (١).

وهكذا حطم الإمام موسى بصبره وثقته بالله سبحانه كل وسائل الجور والارهاب، من السجن والضغط والقيود والتزييف وتضليل الرأى العام، فلم يكن أمام الرشيد الا الحل الأخير وهو اغتيال الامام وانهاء حياته الشريفة، وقد تخيل أنه سيسدل الستار بذلك على أروع فصل من فصول الجهاد والثورة ضد الطغيان، وسيطفى نور الإمامة فى أهل هذا البيت، ويتخلص من أعظم شخصية علمية وقيادية فى عصره، لذلك أقدم على الجريمة الكبرى، وقرر اغتيال الامام.

شهادة الإمام الكاظم (ع):

رفض عيسى بن جعفر والى البصرة قتل الامام حين كلف بذلك واستعفى الرشيد منه، وطلب نقله من سجنه فنقله الرشيد إلى سجن الفضل بن الربيع، فأثرت شخصيته (ع) فى نفس الفضل بن الربيع، كما أثرت فى نفس عيسى بن جعفر من قبل، فرفض الفضل قتل الامام وتحمل أوزار الجريمة التى أراد منه الرشيد أن يرتكبها فلم يجد الرشيد بدا من نقله إلى الفضل بن يحيى، فاستلمه الفضل بن يحيى، ووسع عليه وخفف عنه أعباء السجن، وطلب منه الرشيد أن ينفذ فى الامام جريمة القتل فرفض، وحينما علم الرشيد بالمعاملة الحسنة التى يبديها الفضل بن يحيى للامام شق عليه هذا الميل، وعظم عليه هذا الموقف فأمر بمعاقبة الفضل، فجرد من ثيابه، وضرب مئة سوط فى مجلس العباس بن محمد.

فلم يجد الرشيد فى أنصاره وحاشيته أفضل من مدير شرطته فى بغداد، السندى بن شاهك، و كان فظا غليظا قاسيا - شأن كل الجلادين والقتلة -.

وكما رأينا من سير البحث فإن السندى بن شاهك قد تسلّم الامام من الفضل بن يحيى، و وضعه فى سجنه فأرهبه بالسلاسل والقيود، وضيق عليه وعامله معاملة خشنة قاسية، و حينما بلغ يحيى بن خالد خبر ابنه الفضل شق عليه موقف الرشيد من الفضل وضربه وإهانتة،

فأراد أن يسترضى الرشيد، ويستميله ويرد اعتبار الأسرة عند الحاكم العباسي. فلم ير ثمنا لشراء هذا الرضى الرخيص الا دم الامام الطاهر، وقطع هذا الغصن من شجرة النبوة وإغضاب رسول الله (ص) وفري كبده.

فانطلق يحيى بن خالد إلى بغداد بعد أن تشاور مع الرشيد وأكد له أن الفضل شاب غير مجرب، ولا بارع في تنفيذ مخططات الجور والارهاب، فعرض عليه استعداده للتوجه إلى بغداد (٢)، فسر الرشيد بهذا المنفذ المطيع وأذن له بارتكاب الجريمة النكراء، فتوجه يحيى بن خالد إلى بغداد يتأبط الشر. ويخطط لارتكاب الجريمة وما أن وصل بغداد حتى اجتمع بالسندی بن شاهك مدير شرطة الرشيد، وقدم له صورة المخطط وكيفية التنفيذ، فأجاب متقبلاً طائعا فدرس السم في رطب قدم

١ - المجلسي / البحار / ج ٤٨ / ص ٢٣١ نقلا عن المناقب.

٢ - كان الرشيد وقتها في الرقة ببلاد الشام.

(٢١٨)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، السندی بن شاهك (٣)، الفضل بن يحيى (٤)، الفضل بن الربيع (١)، يحيى بن خالد (٣)، مدينة البصرة (١)، العباس بن محمد (١)، مدينة بغداد (٥)، القتل (٣)، النفاذ، التنفيذ (١)، العلامة المجلسي (١)، الشام (١)

صفحة ٢١٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢١٩

للإمام، وقيل جعل السم بطعام آخر، فتناول الامام طعام الغدر والفاجعة فأحس بالسم يسرى في جسده الطاهر، وراح يقاوم آثار السم ثلاثة أيام، فلم يستطع مغالبة المنية، فلفظ أنفاسه الأخيرة وفاضت روحه الطاهرة في اليوم الثالث في سجن السندی بن شاهك، وقيل في مسجد هارون المسمى بمسجد المسيب، ففاز بالشهادة في اليوم الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومئة للهجرة (١).

الامام الثامن على بن موسى الرضا (ع).

مولده ونشأته.

ولد الامام على بن موسى الرضا (ع) في المدينة المنورة سنة ١٤٨ هـ (٢)، وذكر الصدوق:

أن الإمام الرضا (ع) ولد يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ١٥٣ هـ، بعد وفاة الإمام الصادق (ع) بخمس سنين (٣).

وعلى بن موسى الرضا (ع) هو سليل بيت النبوة الطاهر، ووارث أهل البيت (ع) في عصره، فأبوه إمام المسلمين موسى بن جعفر (ع) الذي عاصر إمامته دولة بني العباس من عصر أبي جعفر المنصور، حتى قضى شهيدا مسموما في أحد سبعون بغداد، في سجن السندی بن شاهك، مدير شرطة الطاغية هارون الرشيد، وبأمر منه.

وأم الامام على بن موسى الرضا (ع) هي جارية اسمها تكتم، وهي أم ولد، كانت مملوكة لحميدة المصفاة أم الإمام موسى بن جعفر (ع) وقد أعجبت بها لعظيم خلقها ودينها وجلال أدبها، فوهبتها لولدها موسى بن جعفر (ع) ليتزوج بها. وقد ذكرت أسماء لام الإمام الرضا (ع) كثيرة هي: نجمة، وأروى، وسكن، وسمان، وخيزران، وشقراء النوبية وتكتم هو الاسم الأخير لها، وسماها الإمام موسى بن جعفر بعد ولادة ولده الإمام الرضا (ع) (بالطاهرة).

نشأ الإمام الرضا (ع) في ظل أبيه الإمام موسى الكاظم (ع)، وتلقى على يديه معارفه وعلومه وأخلاقه وأدبه الذي ورثه عن آبائه وقد عاشق في كنف أبيه (ع) نحو ٣٥

١ - اختلف المؤرخون في المدة التي قضاها الامام في السجن، الا أن هناك رواية تقول:

ان الرشيد حج عام ١٧٩ هـ، فقبض على الامام ونقله إلى بغداد، فسجنه وبقي في السجن حتى يوم شهادته في ٢٥ رجب ١٨٣ هـ، فعلى هذه الرواية تكون مدة سجن الامام نحو أربع سنوات ورواية أخرى تقول ان الرشيد سجن الامام بعد مضي ست أو سبع سنوات من تسلمه زمام السلطة، فتكون المدة التي قضاها الامام في السجن هي ست أو سبع سنوات تقريبا أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٠٥، وذكر المفيد في الارشاد أن استشهاده كان في ٦ رجب سنة ١٨٣ هـ.

٢ - الارشاد للمفيد ص ٣٠٤.

٣ - عيون أخبار الرضا للصدوق ج ١ ص ١٨.

(٢١٩)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٧)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٤)، شهر رجب المرجب (٣)، بنو عباس (١)، المدينة المنورة (١)، شهر ربيع الأول (١)، الشيخ الصدوق (٢)، السندي بن شاهك (٢)، هارون الرشيد (١)، مدينة بغداد (٢)، موسى بن جعفر (١)، السجود (٢)، الشهادة (٢)، الطعام (١)، الوفاة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (٢)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، الحج (١)

صفحة ٢٢٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢٠

سنة، لذا نجد الإمام موسى بن جعفر (ع) في حياته وقبيل وفاته (ع) يوضح مكانة ولده الإمام الرضا (ع)، ويؤكد أنه وارث مكانته والأمين على منهجه ومدرسته، والامام الذي لا بد من الرجوع إليه من بعده دون غيره.

عن على بن يقطين قال: كنت عند أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) وعنده على ابنه (ع)، فقال:

يا على هذا ابني سيد ولدي، وقد نحلته كنيته، قال: فضرب هشام - يعني ابن سالم - يده على جبهته، فقال: انا لله نعي والله إليك نفسه (١).

وعن داود الرقي قال: قلت لأبي إبراهيم - يعني موسى بن جعفر (ع): فداك أبي، اني كبرت وخفت أن يحدث بي حدث ولا ألقاك، فأخبرني من الامام من بعدك؟ فقال [ع]: [ابني على (ع) (٢)].

وروى عبد الله بن مرحوم قال: خرجت من البصرة أريد المدينة، فلما صرت في بعض الطريق، لقيت أبا إبراهيم، وهو يذهب به إلى البصرة، فأرسل إلي، فدخلت عليه، فدفعت إلى كتابا، وأمرني أن أوصلها إلى المدينة، فقلت: إلى من أضعها جعلت فداك؟ قال: إلى ابني على، فإنه وصي والقيم بأمرى وخير بني (٣) موقف الإمام الرضا (ع) من الفرق الكلامية.

في عهد الإمام الرضا (ع) أخذ ظهور الفرق الكلامية والجماعات المختلفة من شتى المذاهب والآراء في تصاعد وبلغ ذروته، وان كثيرا من هذه الفرق ادعى الانتماء إلى أهل البيت (ع) والولاء لهم، وقالوا فيهم أقوالا لا تناسب مقامهم، ولا توافق منهجهم، حتى بلغ الامر ببعض هذه الفرق الضلالة أن نسبوا إلى أهل البيت (ع) بعض صفات الخالق وغالوا بهم، فسموا بالغلالة، وقد تبرأ منهم أهل البيت (ع)، ورفضوهم ولعنوهم، وأعلنوا تكفيرهم، وإليك رأى الإمام الرضا (ع) بهذه الفرق ومن لف لفها:

روى أبو هاشم الجعفرى، قال: سألت أبا الحسن الرضا (ع) عن الغلاة والمفوضة، فقال:

الغلاة كفار، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم، أو تزوج منهم أو آمنهم أو ائمنهم على أمانة أو صدق حديثهم، أو أعانهم بشرط كلمة خرج من ولاية الله عز وجل، وولاية رسول الله (ص) وولايتنا أهل البيت

(٤).

وقد حدثنا التاريخ وكشف لنا السبب الأعمق الذي كان يكمن وراء أسطورة الفرقة الواقفية التي ادعت أن الإمام موسى بن جعفر (ع) لم يمت وأنه حي، شبه للناس موته و أنه هو المهدي، فإن السبب كان حب المال والإبقاء عليه، واتخاذ هذا الأسلوب المحرم وسيلة للاحتفاظ به.

فقد ذكرت الروايات أن الإمام موسى بن جعفر (ع) كانت تأتيه الأموال من أتباعه و

١ - عيون أخبار الرضا للصدوق ج ١ ص ٢١.

٢ - المصدر نفسه ص ٢٣.

٣ - المصدر السابق ص ٢٧.

٤ - الصدوق / عيون الاخبار / ج ٢ / ص ٢٠٣.

(٢٢٠)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٥)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٥)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، أبو هاشم الجعفري (١)، مدينة البصرة (٢)، علي بن يقطين (١)، داود الرقي (١)، التصديق (١)، الموت (١)، الفدية، الفداء (٢)، الزواج، الزواج (١)، السب (٢)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، الشيخ الصدوق (٢)

صفحة ٢٢١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢١

أنصاره ومحبيه، وكان بسبب ظروف المطاردة والمراقبة والتفتيش يدخرها عند بعض أصحابه لنشر الدعوة وإدارة شؤون عمله ونشاطه الاسلامي.

وقد علق الشيخ الصدوق على هذه الاحداث مفسرا لها، وموضحا تجمع المال وادخاره عند بعض من كانوا يظهرن الولاء للإمام موسى بن جعفر (ع)، قال: لم يكن موسى بن جعفر عليهما السلام ممن يجمع المال، ولكنه حصل فيوقت الرشيد وكثر أعداؤه، ولم يقدر على تفريق ما كان يجتمع الا على القليل ممن يثق بهم في كتمان السر، فاجتمعت هذه الأموال لأجل ذلك، وأراد أن لا يحقق على نفسه قول من كان يسعى به إلى الرشيد ويقول: إنه تحمل إليه الأموال، ويعتقد له الإمامة ويحمل على الخروج عليه، ولولا ذلك لفرق ما اجتمع من هذه الأموال، على أنها لم تكن أموال الفقراء، وإنما كانت أموال يصل بها مواله ليكون اكراما منهم له، وبرا منهم به (ع) (١).

وعند ما استشهد الإمام موسى بن جعفر (ع) استحکم ببعضهم حب المال وسيطر عليهم الطمع، وسول لهم الشيطان أن يتدعوا بدعتهم، فقد جاء عن يونس بن عبد الرحمن قال.

لما مات أبو الحسن (ع) - الإمام الكاظم - وليس من قوامه (٢) أحد إلا وعنده المال الكثير، فكان سبب وقفهم وجحودهم لموته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، قال: فلما رأيت ذلك وتبين لي الحق، وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا (ع) ما عرفت تكلمت ودعوت الناس إليه، قال: فبعثنا إلى (٣).

وقالا لي: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك، وضمننا لي عشرة آلاف دينار، وقالوا لي: كف، فأبيت، فقلت لهما: انا روينا عن الصادقين عليهما السلام أنهما قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الايمان، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله عز وجل على كل حال فناصباني وأظهر إلى العداوة (٤).

وقد كاتب الإمام على بن موسى الرضا (ع) بعد شهادة أبيه الكاظم (ع) بعض هؤلاء فلم يستجيبوا لرسالته، والقارئ والملاحظ للرد يستطيع أن يكتشف بوضوح الطبيعة المستترّة وراء هذه الأجوبة، من العصيان وتصنيع الأعذار والطمع بالمال (٥).

وللإمام الرضا (ع) رأى واضح بهم وبزعمائهم، فعن إبراهيم بن أبي يحيى بن

١ - الشيخ الصدوق / عيون أخبار الرضا / ج ١ / ص ١١٤.

٢ - قوامه: وكلاؤه.

٣ - فبعثا إلى: يعنى زياد وعلى بن أبي حمزة.

٤ - الشيخ الصدوق / عيون أخبار الرضا / ج ١ / ص ١١٢ - ١١٣، ورجال الكشي / ص ٨٨٨ و ٤٩٤.

٥ - الشيخ الصدوق / عيون أخبار الرضا / ج ١ / ص ١١٣ - ١١٤.

(٢٢١)

مفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٣)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٣)، الإمام الحسن بن على المجتبي عليهما السلام (١)، على بن أبي حمزة البطائني (٢)، يوم عرفه (٢)، إبراهيم بن أبي يحيى (١)، الشيخ الصدوق (٤)، زياد القندي (١)، موسى بن جعفر (١)، الموت (١)، الشهادة (٢)، الإبداع، البدعة (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (٣)، كتاب رجال الكشي (١)

صفحة ٢٢٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢٢

أبي البلاد، قال: قال الرضاع (ع): ما فعل الشقي حمزة بن بزيع؟ قلت: هوذا هو قد قدم، فقال: يزعم أن أبي حي، هم اليوم شكاك، ولا يموتون غدا الا على الزندقة، قال صفوان: فقلت فيما بيني وبين نفسي: شكاك قد عرفتهم، فكيف يموتون على الزندقة؟ فما لبثنا الا قليلا حتى بلغنا عن رجل منهم أنه قال عند موته: هو كافر برب أماته، قال صفوان: فقلت هذا تصديق الحديث (١).

وفى إحدى رسائل الامام للبزطي، يكشف لنا عن واقع دعوة هؤلاء ودوافعها، فقد جاء في الرسالة.

أما ابن السراج، فإنما دعاه إلى مخالفتنا، والخروج من أمرنا أنه عدا على مال عظيم لأبي الحسن - موسى بن جعفر - فاقتطعه في حياة أبي الحسن (ع)، وكابرنى عليه، وأبى أن يدفعه، والناس كلهم مسلمون مجتمعون على تسليمهم الأشياء كلها إلى، فلما حدث ما حدث من هلاك أبي الحسن (ع)، إغتمم فراق على بن أبي حمزة وأصحابه إياي، وتعلل، و لعمرى ما به من علة الا اقتطاعه المال، وذهابه به. واما ابن أبي حمزة فإنه رجل تأول تأويلا لم يحسنه، ولم يؤت علمه، فألقاه إلى الناس فلج فيه، وكره إكذاب نفسه في إبطال قوله، بأحاديث تأولها ولم يحسن تأويلها، ولم يؤت علمها، ورأى أنه إذا لم يصدق آبائي بذلك لم يدر لعل ما خبر عنه مثل السفيناني وغيره أنه كان، لا يكون منه شيء، وقال لهم: ليس يسقط قول آبائي شيء، ولكنه قصر علمه عن غايات ذلك وحقائقه، فصار فتنه أو شبهة عليه، وفر من أمر فوقع فيه (٢).

وهكذا يتضح أن الطمع بالمال، وخبث السريرة الذي انطوت عليه هذه النفوس، وضعف العقيدة، واضطراب الأفكار، وتزلزل الإيمان في نفوسهم، وهو السبب الأعمق، خلف هذه الدعاوى والآراء.

مقام الامام على بن موسى الرضا (ع) لدى الناس.

وأشار الإمام موسى بن جعفر (ع) إلى مقام ولده الرضا وتفوق علمه واستحقاقه الإمامة، بقوله لاحد أصحابه وهو على بن يقطين، فقد قال - على بن يقطين - قال لى موسى بن جعفر (ع) ابتداء منه: هذا أفته ولدى، وأشار بيده إلى الرضا (ع)، قد نحلته كنيته (٣).

ونقل ابن الصباغ المالكي، قال إبراهيم بن العباس: سمعت العباس يقول: ما سئل الرضا (ع) عن شيء الا علمه، ولا رأيت أعلم منه بما

كان في الزمان إلى وقت عصره، و كان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شئ فيجيبه الجواب الشافي (٤).

١ - الشيخ الطوسي / كتاب الغيبة / اصدار مكتبة نينوى الحديثة (طهران) ص ٤٥.

٢ - قرب الاسناد / ص ٢٠٦.

٣ - الصدوق / عيون الاخبار / ج ١ / ص ٢٢.

٤ - ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / ص ٢٥١.

(٢٢٢)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٣)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٢)، علي بن أبي حمزة الباطني (١)، ابن أبي حمزة (١)، علي بن يقطين (٢)، ابن السراج (١)، حمزة بن بزيع (١)، موسى بن جعفر (١)، الموت (١)، الرضاع (١)، السب (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب الغيبة للشيخ محمد رضا الجعفري (١)، مدينة طهران (١)، الشيخ الصدوق (١)، الشيخ الطوسي (١)، نينوى (١)

صفحة ٢٢٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢٣

وذكر العلامة سبط ابن الجوزي وصفا للإمام الرضا (ع) منقولاً عن الواقدي قال: وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله (ص) وهو ابن نيف وعشرين سنة (١).

وذكر ابن الجوزي أيضاً: ذكر عبد الله بن أحمد المقدسي في كتاب (أنساب القرشيين) نسخة يرويها علي بن موسى الرضا (ع) عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي عن النبي (ص)، إسناد لو قرئ علي المجنون برئ (٢).

ثم ذكر نقلاً عن الواقدي أن الامام علي بن موسى الرضا (ع) لما وصل إلى نيسابور أثناء الانتقال من المدينة إلى خراسان (سنة مئتين هـ): خرج إليه علماءها مثل يحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع وأحمد بن حرب، وغيرهم، لطلب الحديث والرواية، والتبرك به (٣).

وجاء في نسخة العهد الذي كتبه المأمون بيده للإمام الرضا (ع) حين جعله ولياً للعهد من بعده، جاء الاعتراف بفضل الإمام الرضا (ع) وبمكانته العلمية الشامخة، حيث كتب المأمون ...: لما رأيت من فضله البارِع، وعلمه النافع وورعه الباطن والظاهر (٤).

وفي إعلام الوري، عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي قال: ما رأيت أعلم من علي بن موسى الرضا (ع)، ولا رآه عالم الا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجلس له عدداً من علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين، فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي منهم أحد الا أقر له بالفضل وأقر علي نفسه بالقصور، ولقد سمعته يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيب الواحد منهم عن مسألة أشاروا إلى بأجمعهم، وبعثوا إلى المسائل فأجبت عنها، قال أبو الصلت: ولقد حدثني محمد بن إسحاق بن موسى ابن جعفر عن أبيه (ع) كان يقول لبنيه: هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمد (ص) فسלוه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم (٥).

الإمام الرضا (ع) والخلفاء العباسيون.

إن الذي يدرس حياة المهدي والهادي والرشيد والأمين والمأمون التي عاصرها الإمام الرضا الممتدة من عام (١٥٨ هـ) حتى عام (٢٠٣ هـ)، ويحلل أسلوب الحكم وكيفية إدارة شؤون الأمة، وعلاقة الحكام بالأمة واتجاه الرأي العام، ويدرس حياة الخلفاء في القصور بين الجوارى والمغنين والشعراء وكؤوس الخمر، ويشاهد تباين آلاف الملايين من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، وسياسة التجويع

والإرهاب

- ١ - سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ط مكتبة نينوى (طهران) / ص ٣٥١.
 - ٢ - سبط بن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٣٥٢.
 - ٣ - سبط بن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٣٥٢.
 - ٤ - سبط بن الجوزي / تذكرة الخواص / ص ٣٥٣.
 - ٥ - الأمين / فى رحاب أئمة أهل البيت / ج ٤ / ص ١٠٧.
- (٢٢٣)

مفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٧)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، عبد السلام بن صالح الهروي (١)، إسحاق بن راهويه (١)، عبد الله بن أحمد (١)، السبط ابن الجوزي (٢)، إسحاق بن موسى (١)، محمد بن رافع (١)، خراسان (١)، السجود (١)، الشهادة (١)، الحرب (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (٤)، مدينة طهران (١)، نينوى (١)

صفحة ٢٢٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢٤

لمختلف طبقات الأمة: فإنه يدرك بوضوح الفارق الكبير بين اتجاه بنى العباس وقيادة أهل البيت (ع)، ودعوتهم إلى الإصلاح والتغيير باتجاه المبادئ والقيم الاسلامية التي دعوا إليها، وأوذوا وعذبوا وشردوا وسجنوا واستشهدوا من أجلها، ولا أدل على ذلك من شهادة محمد بن الحسن (النفس الزكية)، والحسين بن على الخير صاحب فخ، والإمام موسى بن جعفر (ع)، وتوالى ثورات آل على (ع) الواحدة تلو الأخرى.

الوضع السياسى للإمام الرضا (ع).

أما الوضع السياسى للمرحلة التي عاشها الإمام على بن موسى الرضا (ع) فيمكن أن نقسمه إلى مرحلتين.

أولاً - المرحلة الأولى: وهي مرحلة المهدي والهادي والرشيدي، وكانت مرحلة قاسية صعبة على أهل البيت (ع)، وعلى عميدهم وامامهم موسى بن جعفر أبى الامام على بن موسى الرضا (ع)، فقد عاش الإمام الرضا (ع) هذه المرحلة الصعبة تحت كنف أبيه، وكان يشاهد بأمر عينيه محنة أبيه الكاظم وهو ينقل من سجن إلى سجن، ويلاحق من قبل حكومة الرشيد وموسى الهادي ويضيق عليه، حتى شهد نهاية المحنة (فى واقعة فخ) ومذبحة أهل البيت فيها واستشهاد الحسين بن على بن الحسن، ومطاردة العلويين وهدم دورهم ومصادرة أموالهم وإدخالهم السجون والمحابس من قبل موسى الهادي، وكل ذلك كان يجرى والامام على بن موسى الرضا (ع)، يعيشه ويكابده وهو تحت كنف أبيه (ع) وفى ظل إمامته ولما استشهاد أبوه وانتهت الإمامة إليه، لم يتعرض له الرشيد بسوء، وقد ذكر ابن الصباغ المالكي عن صفوان ابن يحيى قال.

مضى موسى الكاظم (ع) وقام ولده من بعده أبو الحسن الرضا (ع) وتكلم، خفنا عليه وقلنا له: انك أظهرت أمرا عظيما، وإننا نخاف عليك من ذلك الطاغية، يعنى هارون الرشيد، قال.

ليجهدن جهده، فلا سبيل له على.

قال صفوان فحدثنى الثقة أن خالد بن يحيى البرمكي قال لهارون الرشيد: هذا على بن موسى الرضا قد تقدم وادعى الامر لنفسه، فقال هارون: يكفيننا ما صنعنا بأبيه، تريد أن نقللهم جميعا؟ (١).

ومع ذلك فإن الإمام الرضا (ع) لم يكن ليحى بعيدا عن الصراع العلوى مع العباسيين، دون أن يصيبه الأذى وتحل به الكروب

والمحن، فكما انعكست ثورة الحسين (ع) صاحب فخ على أبيه الكاظم، انعكست كذلك ثورة محمد بن جعفر على الامام على بن موسى الرضا (ع)، فبعد أن أعلنت هذه الثورة على الرشيد وظفر بهم وانتصر عليهم على يد أحد قواده (الجلودي)، أمره أن ينتقم من آل أبي طالب و

١ - ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة / ص ٢٤٥.
(٢٢٤)

مفاتيح البحث: نهضة الحسين عليه السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٨)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، بنو عباس (١)، الحسين بن علي بن الحسن (١)، خالد بن يحيى (١)، هارون الرشيد (٢)، الحسين بن علي (١)، موسى بن جعفر (١)، محمد بن الحسن (١)، محمد بن جعفر (١)، الانتقام، النعمة (١)، الشهادة (٢)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)

صفحة ٢٢٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢٥

أن يقتل محمد بن جعفر إن ظفر به.

نفذ الجلودي أمر الرشيد وأغاز على بيوت الطالبين والأسر العلوية الكريمة، وكان في طليعة من أصابته المحنة والأذى هو الامام على بن موسى الرضا (ع)، فقد ذكر الشيخ الصدوق هذه الحوادث المؤلمة ونقلها بقوله.

وكان الجلودي في خلافة الرشيد لما خرج (١) محمد بن جعفر بن محمد بالمدينة بعثه الرشيد، وأمره - إن ظفر به - أن يضرب عنقه، وأن يغير على دور آل أبي طالب، وأن يسلب نساءهم ولا يدع على واحدة منهم ثوبا واحدا، ففعل الجلودي ذلك، وقد كان مضى أبو الحسن موسى بن جعفر فصار الجلودي إلى باب دار أبي الحسن الرضا، فهجم على داره مع خيله، فلما نظر إليه الرضا (ع) جعل النساء كلهن في بيت ووقف على باب البيت، فقال الجلودي لأبي الحسن: لا بد من أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمر أمير المؤمنين، فقال الرضا (ع).

أنا أسلبهن لك وأحلف أني لا أدع عليهن شيئا الا أخذته، فلم يزل يطلب إليه ويحلف له حتى سكن، فدخل أبو الحسن الرضا (ع) فلم يدع عليهن شيئا حتى أقرطهن وخلاخيلهن و أزرارهن، الا أخذه منهن وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير (٢).

أئمة المذاهب وموقفهم من حكام الجور.

وقد زادت المظالم وأساليب القسوة والجور التي عاناها أبناء على (ع) من الحكم الأموي والعباسي التفاف الناس وزيادة عطفهم وميلهم إلى العلويين وثوراتهم.

وقد تحددت تلك المواقف واضحة جلية لدى أئمة المذاهب ووجوه المجتمع ورجال السياسة، نذكر من ذلك موقف الإمام أبي حنيفة، والامام مالك، وتعرضهما للأذى والاضطهاد بسبب تأييدهما للثوار العلويين، وافتائهما سرا تارة وعلنا أخرى بأحقية أهل البيت (ع) وضرورة تأييدهم، ورفضهم للحكم الأموي والعباسي.

١ - فقد أفتى أبو حنيفة بتأييد ثورة زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢١ هـ ضد الحكم الأموي، وبصرف الزكاة لتأييد هذه الثورة، كما رفض أن يتولى قضاء الكوفة للأمويين، حينما عرضه عليه يزيد بن عمر بن هبيرة والي العراق، في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، فضربه يزيد مئة وعشرة سياط (٣).

وحين زالت الدولة الأموية واستولى العباسيون على السلطة، أعلن تأييده بصراحة

١ - يبدو أن الذي خرج أيام الرشيد هو محمد بن جعفر بن يحيى بن عبيد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، فقد ذكر

المسعودى أنه خرج أيام الرشيد ثم هرب إلى المغرب.

المسعودى مروج الذهب / ج ٣ / ج ٣ / ص ٣٤٣.

٢ - الصدوق / عيون أخبار الرضا / ج ٢ / ص ١٦١.

٣ - الدكتور سميعة مختار الليثي / جهاد الشيعة / ص ٢١٨، نقلا عن الكامل فى التاريخ.

(٢٢٥)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٤)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الدولة الأموية (٢)، دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (١)، الشيخ الصدوق (٢)، محمد بن جعفر بن محمد (١)، على بن الحسين (١)، عمر بن هبيرة (١)، موسى بن جعفر (١)، محمد بن جعفر (١)، الضرب (١)، الزكاة (١)، الكرم، الكرامة (١)، القتل (١)، الظلم (١)، الرفض (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، أبو طالب عليه السلام (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودى (١)، كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير (١)، عبيد الله بن الحسن (١)، جعفر بن يحيى (١)

صفحة ٢٢٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٢٦

إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن العلوى أيام المنصور العباسى، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني: وكان أبو حنيفة يجهر فى أمر إبراهيم جهرا شديدا ويفتى الناس بالخروج معه (١).

وقد كتب أبو حنيفة إلى إبراهيم بالتوجه إلى الكوفة والاستفادة من التأييد الشعبى فيها لآل البيت (ع): ائتها سرا فإن من هاهنا من شيعتكم يبيتون أبا جعفر فيقتلونهم، أو يأخذون برقبته فيأتونك به (٢).

واستدعى المنصور أبا حنيفة من الكوفة إلى بغداد وطلب منه أن يلى القضاء، فرفض فأقسم المنصور عليه أن يتولاه، فأقسم أبو حنيفة ألا يفعل، فطلب الحاجب - الربيع بن يونس - من أبى حنيفة العدول عن قسمه فقال أبو حنيفة له: أمير المؤمنين على كفارة إيمانه أقدر منى على كفارة إيمانى.

وأراد المنصور أن يرغمه على نكث قسمه بالألا- يتولى ذلك المنصب، فعهد إليه ببعض أعمال بناء بغداد، فكلفه بضرب اللبّات واحصائها ومراقبة العمال، وابتكر أبو حنيفة طريقة جديدة فى إحصاء الاجر فكان يحصبها بالقصبه بدلا من طريقة العد المعتادة (٣).

٢ - وكان للإمام مالك بن أنس تأييد لآل على (ع) وإسناد واضح فى ثوراتهم ضد العباسيين، فقد اتجهه جمهور من أهالى المدينة يسألون الامام مالكا رآيه فى تأييد محمد بن الحسن (النفس الزكية) فقالوا له: ان فى أعناقنا بيعه لأبى جعفر المنصور، فقال مالك لهم: إنما بايعتم مكرهين، وليس على كل مكره يمين (٤).

٣ - وذكر المسعودى: إن سفيان الثورى كان يتهرب من تقبل القضاء ويرفض قبوله من المهدي العباسى، وإن المهدي قال له: يا سفيان: تفر منا هاهنا وهاهنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك؟ ثم أمر أن يكتب له كتاب يعين فيه قاضيا على الكوفة، فكتب عهده ودفعه إليه فأخذه وخرج ورمى به فى [نهر دجلة] وهرب، فطلب فى كل بلد فلم يوجد (٥).

٤ - ومالك بن أنس الذى مات أيام الرشيد، قال الواقدي فى تعريفه: ان مالكا كان يأتى المسجد، ويشهد الصلوات والجمع والجنائز ويعود المرضى ويقضى الحقوق، ثم ترك ذلك كله، ثم قيل له فيه، فقال: ليس كل إنسان يقدر أن يتكلم بعذره.

وسعى به إلى جعفر بن سليمان وقيل له: إنه لا يرى إيمان بيعتكم شيئا، فضربه

١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٣٦٥.

٢ - يراجع مقاتل الطالبين / ص ٣٦٦.

٣ - الدكتور سميعة مختار / جهاد الشيعة / ص ٣٢٢ نقلا عن تاريخ بغداد.

٤ - الطبري / ج ٢ / ص ١٩٠، ابن قتيبة / الإمامة والسياسة / ج ٣ / ص ٨١.

٥ - المسعودي / مروج الذهب / ج ٣ / ص ٣٢٢ وما بعدها.

(٢٢٦)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٢)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، مدينة الكوفة (٣)، سفيان الثوري (١)، جعفر بن سليمان (١)، مدينة بغداد (٢)، مالك بن أنس (٢)، محمد بن الحسن (١)، الموت (١)، الصلاة (١)، كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٢)، أبو الفرج الإصهاني (الإصفهاني) (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)

صفحة ٢٢٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢٧

بالسياط، ومد لذلك حتى انخلعت كتفاه (١).

وكان الامام مالك يعرف قدر العلويين ومكانتهم، فقد جاءه محمد بن جعفر العلوي يشكو المحنة والاضطهاد، فقال له مالك: إصبر حتى يجيء تأويل تفسير هذه الآية: (ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وقد اضطهد المنصور مالك وضربه والى المدينة سبعين سوطا (٢).

ثانيا - المرحلة الثانية:

وهي مرحلة حكم الأمين والمأمون، وقد اشتد الميل لأهل البيت (ع) والتعاطف معهم، وبلغ شأوه أيام الامام علي ابن موسى الرضا (ع)، فكانت الثورات العلوية تنفجر، وجماهير الأئمة، وبعض الوزراء والقادة يميلون لآل البيت (ع)، والدولة العباسية تمر بمرحلة صراع داخلي حاد بين الأمين والمأمون انتهت بانتصار المأمون وقتل الأمين، وشخصية الإمام الرضا (ع) تقوى وتتركز باعتباره الامام من أهل البيت (ع). فكانت الأنظار تتجه نحوه، والقلوب تهفو إليه، واضطرب الموقف على الخليفة العباسي (المأمون) وخشى من قوة التيار الموالي للعلويين، فقرر أن يتعامل مع الرأي العام بدبلوماسية وحنكة، بعد أن رأى فشل السيف والسجون والدماء في مكافحة الانتفاضات وثورات آل علي (ع)، وأن يعقد ولاية العهد للإمام الرضا (ع) ويجعله أحد أركان السلطة لتهدئة الخواطر، وامتصاص روح النعمة والثورة، وقد أدرك الإمام الرضا (ع) ذلك ورفض ولاية العهد الا أنه قبلها مضطرا.

الثورات العلوية ضد الحكم العباسي البغيض.

وكان طبيعيا أن يستثمر الثوار العلويون فرصة ارتباطك السلطة واضطراب الأوضاع، لذا فقد حدثت ثورات أيام المأمون وانتفاضات قام بها العلويون ضد الحكم العباسي، مستغلين الأوضاع والظروف السياسية المتردية، فكان من أبرز هذه الثورات في عهد الإمام الرضا (ع) هي ثورة (ابن طباطبا) عام ١٩٩ هـ، وهو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، وابتدأ ثورته في العاشر من جمادى الآخرة من هذه السنة، وقد فجر ثورته في العراق في مدينة الكوفة، حيث أنصاره و أتباعه، وكان قائده الذي تولى شؤون الجيش وإدارة المعركة، هو (أبو السرايا) السري بن منصور، وكان يذكر أنه من ولد هانئ بن مسعود الشيباني (٣).

وما أن أعلنت الثورة في الكوفة حتى انضم إليها [أهلها] ومن حولها من أعراب وقرى، فأصبحت الكوفة بيد ابن طباطبا ومنطلق ثورته، فوجه العباسيون إليه جيشا كبيرا قوامه عشرة آلاف مقاتل، فاشتبك في معركة ضارية هو وصاحبه أبو السرايا مع

١ - المسعودي / مروج الذهب / ج / ص ٣٣٩.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٣٩.

٣- ابن الأثير / الكامل في التاريخ / ج ٦ / ص ٣٠٢.

(٢٢٧)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٣)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٤)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، دولة العراق (١)، مدينة الكوفة (٣)، إبراهيم بن إسماعيل (١)، إبراهيم بن الحسن (١)، محمد بن جعفر العلوي (١)، الحسن بن علي (١)، القتل (٢)، العقد (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، كتاب مروج الذهب للمسعودي (١)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (١)، ابن الأثير (١)

صفحة ٢٢٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢٨

هذا الجيش فانتصرا عليه وحطّما.

الا أن ابن طباطبا كان قد توفي بعد هذه المعركة (١)، وحل محله محمد بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، وكان هذا العلوي شابا حدث السن ضعيف السيطرة، فكانت الأمور ومقاليده الحكم بيد أبي السرايا.

وعاود العباسيون الكرة فأرسلوا أربعة آلاف مقاتل فاشتبك معهم أبو السرايا في معركة طاحنة، لم يفلت منها أحد منهم، فوقعوا بين قتيل وأسير بيد أبي السرايا تحت سيطرة الثوار، وقوى مركزهم، فأصدروا عملتهم بشكل مستقل بالكوفة وكتبوا عليها: (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (٢) وتعاضمت قواتهم العسكرية فأرسل أبو السرايا الجيوش إلى البصرة وواسط ونواحيهما، فاحتل البصرة بقيادة زيد بن موسى بن جعفر وصار زيد واليا عليها، وقد كان واليا على مدينة الأهواز فانطلق للزحف منها على البصرة (٣)، وولى مكة الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي الأفطس، وولى اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر، وولى الأهواز زيد بن موسى بن جعفر، ووجه محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي إلى المدائن: وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي] فأتاها [وأقام فيها وسير عسكره] منها [إلى ديالى].

كما هزمت جيوشه جيش العباسيين في واسط، واستمرت المعارك والمناوشات سجّالا بين أبي السرايا والعباسيين، حتى انهزم أمامهم وهرب من الكوفة في السادس عشر من المحرم سنة (٢٠٠) هـ وكانت نهايته في عام (٢٠٠) هـ.

حيث قتل وحمل رأسه إلى المأمون ونصبت جثته على جسر بغداد بعد أن دامت حركته مدة عشرة أشهر فقط.

وهكذا فشلت حركة ابن طباطبا وأبي السرايا، وبانتهاؤها وفشلها بدأت حركة علوية أخرى امتدادا لها، أو تأثرا بها، وهي حركة إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر (ع)، وقد انفجرت هذه الثورة اثر قيام ثورة أبي السرايا وابن طباطبا، فقد شجعت [ثورتهما] [إبراهيم على التحرك نحو اليمن والانطلاق منها].

لقد كان إبراهيم في مكة، وحين بلغه خبر ثورة أبي السرايا اتجه إلى اليمن، لتفجير الثورة وقيادة الاتباع والأنصار هناك، فاستولى على اليمن بعد قتال يسير وأذعن للسلطة العلوية وخضعت لقيادته (٤).

ومن الثورات المهمة التي وقعت في عهد الإمام الرضا (ع)، ثورة محمد بن الإمام

١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٣١ في الهامش.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٣١ في الهامش.

٣ - استفيدت هذه الاحداث من الكامل في التاريخ / ج ٦ / ص ٣٠٢ وما بعدها.

٤ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٣٤. ابن الأثير / الكامل في التاريخ / ج ٦ ص ٣١٠.

(٢٢٨)

مفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليهما السلام (١)، مدينة مكة المكرمة (٢)، مدينة الكوفة (٢)، إبراهيم بن موسى بن جعفر (١)، الحسن بن علي بن الحسين (١)، سليمان بن داود (١)، مدينة البصرة (٣)، الحسن بن الحسن (١)، مدينة بغداد (٢)، زيد بن موسى (١)، موسى بن جعفر (١)، محمد بن زيد (١)، القتل (٤)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٢)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (٣)، كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢)، ابن الأثير (١)

صفحة ٢٢٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٢٩

جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر (ع) بالمدينة المنورة، فقد قاد الثورة وبايعه أهل المدينة بأمرة المؤمنين (١).
ويذكر أن سبب ثورة محمد بن جعفر الصادق: كان رجل قد كتب كتابا في أيام أبي السرايا يسب فيه فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) وأهل البيت (ع) وكان محمد بن جعفر معتزلا تلك الأمور لم يدخل في شيء منها، فجاء الطالبون فقرأوه عليه، فلم يرد عليهم جوابا حتى دخل بيته، فخرج عليهم وقد لبس الدرع وتقلد السيف، ودعا إلى نفسه، وتسمى بالخلافة، وهو يتمثل.
لم أكن من جناتها علم الله * وإنى بحرها اليوم صالى (٢).

ويذكر أن محمد بن جعفر - كما مر علينا - قال: شكوت إلى مالك بن أنس ما نحن فيه و ما تلقى، فقال: إصبر حتى يجرى تأويل هذه الآية: (ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) (٣).
وقد تعاطف العلويون مع محمد بن جعفر وساندوا حركته في مكّد، فقد ذكر أبو الفرج: ان جماعة من الطالبين اجتمعوا مع محمد بن جعفر، فقاتلوا هارون ابن المسيب بمكة قتالا شديدا، وفيهم الحسين بن الحسن الأقطس، ومحمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن، ومحمد بن الحسن المعروف بالسليق وعلى ابن الحسين بن عيسى بن زيد، وعلى بن الحسين بن زيد، وعلى بن جعفر بن محمد، فقتلوا من أصحابه مقتله عظيمة، وطعنه خصي كان مع محمد بن جعفر فصرعه.
وكر أصحابه فخلصوه، ثم رجعوا فأقاموا بشير في جبله مدة، وأرسل هارون الرشيد إلى محمد بن جعفر، وبعث إليه ابن أخيه على بن موسى الرضا فلم يصغ إلى رسالته (٤).

واستمر في معركته حتى حوَصر ونفد ما كان معه من طعام وماء وتفرق أصحابه وانكسر جيشه.
وقد حمل محمد بن جعفر مع أصحابه إلى المأمون في أيام خلافته، ويذكر أنه توفي في خراسان (٥).
وهكذا يحدثنا التاريخ أن العلويين قد ألهبوا أرجاء الدولة العباسية بالثورات والانتفاضات، ورفعوا رايات الجهاد ومعهم الطليعة من العلماء والمحدثين والطلائع السياسية.

١ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٣٧.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٣٨.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٣٩.

٤ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٤٠.

٥ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٤٠.

(٢٢٩)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله

صلى الله عليه وآله (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، المدينة المنورة (١)، على بن جعفر بن محمد (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الحسين بن عيسى (١)، سليمان بن داود (١)، الحسين بن الحسن (١)، هارون الرشيد (١)، الحسين بن زيد (١)، مالك بن أنس (١)، محمد بن الحسن (١)، محمد بن جعفر (٨)، خراسان (١)، الفرج (١)، الصدق (٢)، القتل (١)، الطعام (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٥)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (٥)

صفحة ٢٣٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٣٠

ولم يتحرك الإمام الرضا (ع) ولم يشارك بواحدة منها، مع ماله من مقام سياسى، و مكانة اجتماعية مرموقة، ورغم أنه سيد أهل البيت (ع) وعالمهم وعميدهم، فقد كان يعلم ما سنتتهى إليه هذه الحركات، كما كان موقف أبيه الصادق الكاظم وجده عليهما السلام فقد كانوا على يقين من فشل الثورات العلوية، وما من ثورة الا وقد نبه الأئمة (ع) أصحابها وقادتها، وأوضحوا لهم الفضل، وهذا لا يعنى أن الأئمة (ع) ما كانوا يعملون باتجاه المقاومة، والوقوف بوجه الحكومات العباسية المتتالية بل ما كانت الأجواء الاجتماعية والسياسية تنهياً وتنضج الا بقيادتهم وتوجيههم الفكرى والسياسى.

فاخترع المأمون مشروعاً سياسياً لتطويق الامام على بن موسى (ع)، وهو المبايعه للامام بالخلافة وولاية العهد من بعد المأمون، باعتباره الامام من أهل بيت النبوة (ع)، والقائد البارز والسيد العلم فى عصره.

موكب الإمام الرضا (ع) إلى خراسان.

وجه المأمون دعوته إلى الإمام الرضا (ع) وطلب منه الحضور إلى خراسان، للتشاور معه فى نقل ولاية العهد والخلافة إليه، فاستجاب الإمام (ع) مكرها بعد إلحاح وتهديد، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني: إن المأمون وجه إلى جماعة من آل أبى طالب فحملهم إليه من المدينة، وفيهم على بن موسى الرضا، فأخذ بهم على طريق البصرة حتى جاؤوه بهم (١).

بدأت القافلة فى المسير من المدينة المنورة وراحت تغذ السير متجهه نحو العراق على طريق البصرة فالأهواز، ثم شيراز، فمدينة مرو. سار وقلوب الناس تشيعه وتسير معه وتعلق به أينما حل، وحيثما ارتحل، وكان يحتفى به ويستقبل فى الأهواز وفى نيسابور. وبعد التوقف فى نيسابور، تابع الامام رحلته وواصل سيره، مارا بسرخس حتى مرو عاصمة الخلافة العباسية فى حينه، التى كانت تنهياً لاستقباله (ع)، وكان فى طليعة المستقبلين والمحتمين بالامام (ع)، المأمون وحاشيته ورجال دولته.

يقول أبو الفرج الأصفهاني: فأنزلهم [أى المأمون] داراً، وأنزل على بن موسى الرضا داراً، ووجه إلى الفضل بن سهل فأعلمه أنه يريد العقد له، وأمر بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك، ففعل، واجتمعاً بحضرته، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما فى اخراج الامر من أهله إليه.

فقال [المأمون] له: انى عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل ولد أبى طالب ان ظفرت بالمخلوع [أخاه الأمين]، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل، فاجتمعاً معه على ما أراد فأرسلهما إلى على بن موسى الرضا (٢).

١ - مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني ص ٥٦٢.

٢ - مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهاني ص ٥٦٢، الارشاد للمفيد ص ٣١١.

(٢٣٠)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٤)، دولة العراق (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (٣)، المدينة المنورة (١)، مدينة البصرة (٢)، الحسن بن سهل (١)، الفضل بن سهل (١)، خراسان (٢)، الصدق (١)، الوقوف (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (٢)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٣١

الغاية من دفع ولاية العهد إلى الإمام الرضا (ع).

لقد كان المخرج من الأزمة السياسية التي أحاطت بالمأمون حسب تصوره، هو مخاطبة الامام على بن موسى الرضا (ع) بقبول ولاية العهد، والمشاركة في إدارة شؤون الدولة، ليضم إليه قوى المعارضة ويجمع جناحى القوة - العلوية والعباسية - بيده كما تصور. ولبعض الكتاب والمؤرخين آراء أخرى في تفسير البيعة ونقل المأمون للخلافة من بنى العباس إلى آل على بن أبى طالب (ع)، وهو تشيع المأمون لأهل البيت (ع)، وتأثره بشخصية الإمام الرضا (ع)، لأنه كان أعلم وأورع وأكفأ أهل عصره... الخ. الا- أن الدلائل تشير إلى رجحان الرأى الأول، أى أن ما فعله المأمون كان خطأ عمل سياسية تستهدف تهدئة الأوضاع، وامتصاص روح الثورة والنقمة.

ذكر المؤرخون أن المأمون لما أراد أن ينفذ خطته هذه أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه، وأمر بمشاوره أخيه الحسن فى ذلك، فاجتمعا وحضرا عند المأمون فجعل الحسن يعظم ذلك ويعرفه ما فى اخراج الامر عن أهل بيته، فقال المأمون: عاهدت الله أنى إن ظفرت بالمخلوع (١) سلمت الخلافة إلى ذى فضل من بنى آل أبى طالب، وهو أفضل ولا بد من ذلك، فلما رأيا تصميمه وعزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته، فقال: تذهبان الان إليه، وتخبرانه بذلك عنى وتلزمانه به، فذهبا إلى الرضا (ع)، وأخبراه بذلك، والزام المأمون له بذلك فامتنع فلم يزالا- به حتى أجاب على أنه لا يأمر ولا ينهى، ولا يولى ولا يعزل، ولا يتكلم بين اثنين فى حكم، ولا يغير شيئا هو قائم على أصوله فأجابه المأمون إلى ذلك (٢).

ثم دعا به المأمون فخاطبه فيما أراد من توليته فامتنع، فقال له قولاً شبيها بالتهديد، ثم قال له: إن عمر جعل الشورى فى سته أحدهم جدك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قول ذلك، فأجابه على بن موسى إلى ما التمس (٣). ان المتأمل فى هذه النصوص التاريخية وفى الظروف والأوضاع السياسية، يدرك أن الإمام الرضا كان يدرك الخطأ السياسية للمأمون، وانه لم يكن مطمئناً إليها، لذلك ثبت فى الشرط: انه لا يأمر ولا ينهى، ولا يولى ولا يعزل، ولا يتكلم بين اثنين فى حكم، ولا يغير شيئا هو قائم على أصوله.

وكان يعرف ما تقول إليه الأمور وينتهى إليه تفكير المأمون، وأوضح ذلك لاحد خاصته.

فقد ذكر الشيخ المفيد (رض) عن المدائنى: لما جلس الإمام الرضا على بن موسى عليهما السلام فى الخلع بولاية العهد، قام بين يديه الخطباء والشعراء، وخفقت

١ - يعنى أخاه الأمين.

٢ - ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة فى معرفة أحوال الأئمة / ص ٢٥٥.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٦٢ المفيد / الارشاد / ص ٣١٠.

(٢٣١)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٤)، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام (١)، الشيخ المفيد (قدس سره) (١)، الفضل بن سهل (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٣٢

الألوية على رأسه، فذكر عن بعض من حضر ممن كان يختص بالرضا (ع) أنه قال: كنت بين يديه في ذلك اليوم فنظر إلى وأنا مستبشر بما جرى، فأوما إلى أن أدن فدنوت منه، فقال لي من حيث لا يسمعه غيري: لا تشغل قلبك بهذا الامر ولا تستبشر له فإنه شيء لا يتم (١).

وهكذا نجد أن الامام اضطر تحت التهديد لقبول البيعة، ولكي لا يتحمل شيئاً من تبعات الحكم، ويشترط القبول الرمزي دون التدخل في شيء، أو تحمل أية مسؤولية في الدولة.

وحين قبل الإمام الرضا (ع) ولاية العهد في وضعها الرمزي التي حددها هو بنفسه راح المأمون يعلن هذا النبأ العظيم، وينشره في أرجاء البلاد الإسلامية. وجلس المأمون يوم الخميس في ديوان الخلافة، وأمر وزيره الفضل بن سهل أن يخرج للناس، ويعلن لهم عن قرار المأمون ورأيه في الإمام (ع)، وعزمه على البيعة بولاية العهد من بعده، وانه سماه (الرضا).

وأبلغهم أن المأمون يأمر ببدال الشعار العباسي - لباس السواد - بالشعار الأخضر ولبس الثياب الخضراء.

وأعلن لهم عن عزم الخليفة عن صرف مرتب سنوي كامل بهذه المناسبة السعيدة، ثم طلب منهم أن يعودوا في الخميس القادم ليبايعوا الإمام الرضا (ع)، وجلس المأمون والي جانبه الإمام الرضا (ع) في الموعد المحدد للبيعة، وأقبل القواد والوجهاء والقضاء، وهم يلبسون الملابس الخضراء.

فأمر المأمون ولده العباس ليكون أول المبايعين فقام وبايع الإمام الرضا (ع) بولاية العهد.

فرفع الرضا (ع) يده وقد جعل باطنها إلى الناس وظاهرها مقابل وجهه، فقال له المأمون أبسط يدك للبيعة، فقال له: ان رسول الله (ص) هكذا كان يبايع، فبايعه الناس (٢).

وهكذا كانت مراسيم البيعة حافلة بالإجلال والعناية واهتمامات المأمون فتوافد الشعراء والخطباء والمتكلمون والمهنتون، وبذلت الأموال والهدايا والأعطيات والمرتببات.

وتمت البيعة في شهر رمضان المبارك سنة إحدى ومئتين للهجرة.

روى إبراهيم بن العباس، قال: كانت البيعة للرضا (ع) لخمسة خلون من شهر رمضان المعظم سنة إحدى ومئتين وزوجه المأمون ابنته أم حبيب في أول سنة اثنتين ومئتين والمأمون متوجه إلى العراق.

وحين تمت البيعة وأعلنت على الناس في مجلس حافل ووسط مراسم لم يشهد

١ - الشيخ المفيد / الارشاد / ص ٣١٢.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٦٤. المفيد / الارشاد / ص ٣١١.

(٢٣٢)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٧)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، دولة العراق

(١)، شهر رمضان المبارك (٢)، الفضل بن سهل (١)، اللبس (٢)، الموت (١)، الشهادة (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)،

الشيخ المفيد (قدس سره) (١)، القتل (١)

صفحة ٢٣٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٣٣

لها تاريخ الاسلام من مثيل، طلب المأمون من الإمام الرضا (ع) أن يخطب الناس.

فقام الإمام الرضا (ع) وتحدث بكلمات وجيزة بليغة جامعة تحمل في طياتها طبيعة موقف الإمام الرضا (ع)، وعدم تجاوبه مع السلطة أو

انسجامة معها. فقد قال بعد حمد الله والثناء عليه: ان لنا عليكم حقا برسول الله (ص) ولكم علينا حقا به، فإذا أدبتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم (١).

وخطبة الامام خير دليل على موقفه وعدم قناعته بمستقبل البيعة، لذا أورد في خطابه إشارة دقيقة: فإذا أدبتم ذلك وجب علينا الحق لكم. ولم يكلم الناس بشيء، ولم يتحدث بلسان رجل الحكم والسلطة، فما كان يقرها في نفسه، ولا يريد أن يضيفى على حكم المأمون صفة الشرعية بجعل نفسه نائبا له ووصيا لملكه.

المأمون يؤكد موقع الإمام (ع).

واستمر المأمون يتابع الاجراءات والقرارات التي تؤكد موقع الامام، وتقنع الرأى العام بجديّة الخطوة التي أقدم عليها المأمون.

فأمر بإصدار النقود باسم الإمام الرضا (ع)، وضرب عليها اسمه الشريف، وأصدر أوامره إلى أقطار الدولة كافة أن يذكر اسم الإمام (ع) في خطب الجمعة ومن أعلى المنابر، و توكيد ولاية عهده للأمة في كل مكان، وأعلنت ولاية عهد الرضا من على منبر رسول الله (ص) في المدينة المنورة، واتخذ المأمون خطوات أخرى ليؤكد الرابطة والعلاقة بالامام، فزوج وعقد للإمام محمد الجواد بن الإمام على بن موسى الرضا (ع) (٢)، ليؤكد للرأى العام الصلة بينه وبين الامام، ويقنع الأمة بحسن القصد وصدق الاتجاه السياسى الذى اختاره واتجه إليه.

وخطب للرضا بولاية العهد فى كل بلد، وخطب عبد الجبار بن سعيد فى تلك السنة على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة الشريفة.

وذكر المدائنى، قال: لما جلس الرضا ذلك المجلس وهو لابس تلك الخلع، والخطباء يتكلمون وتلك الألوية تخفق على رأسه، نظر أبو الحسن الرضا (ع) إلى بعض مواليه الحاضرين ممن كان يختص به، وقد داخله من السرور مالا عليه مزيد، وذلك لما رأى فأشار إليه الرضا (ع) فدنا منه، وقال له فى أذنه سرا: لا تشغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الامر ولا تستبشر فإنه لا يتم.

روى المؤرخون أن المأمون بعد أن ثبت للناس وأبلغ الآفاق والأقطار بالبيعة، أراد من الامام أن يمارس عملا فعليا يتعرف الناس من خلاله على مباشرة الامام لبعض مهام الدولة، فطلب من الامام أن يقيم فى الناس صلاة العيد، فاعتذر الامام عن إقامتها

١ - السيد محسن الأمين / فى رحاب أهل البيت (ع) / ج ٤ / القسم الثانى / ص ١٢١. أبو الفرج الأصفهاني / مقاتل الطالبين / ص ٥٦٤، المفيد / الارشاد / ص ٣١١.

* ولد الإمام الجواد (ع) سنة ١٩٥ هـ وتمت البيعة والزواج فى ٢٠١ هـ.

(٢٣٣)

مفاتيح البحث: الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٧)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، المدينة المنورة (١)، التاريخ الإسلامى (١)، الجود (١)، الصدق (١)، الصلاة (١)، أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله (١)، الإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، الزوج، الزواج (١)

صفحة ٢٣٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٣٤

وذكر المأمون بنص العهد الذى ورد فيه إعتذار الامام عن ممارسة أى شأن من شؤون الدولة، فرفض المأمون ذلك وأصر على رأيه وشدد فى الطلب على الامام فى إقامة صلاة العيد، فوجد الامام نفسه محرجا أمام هذا الالاحاح والاصرار فاستجاب للطلب وخرج، ولذا كان خروجه مفاجأة لجماهير الأمة ووجهائها وعلماؤها ورجال الدولة المحتشدين فى موكب الصلاة.

كما أن الامام كان قد خرج بهيئة الخاشع المتبتل، المتجه إلى الله سبحانه، بعيدا عن مظاهر الأبهة والملك والسلطان، خلافا لما ألفه

الناس وعرفوه في مثل هذه المناسبات، فكان عليه جلال الإمامة وهيبه الأولياء، وقدسية الانتساب إلى رسول الله (ص)، فأثر الموقف في جموع المصلين المحتشدة، وأثار عواطفهم وذكرهم بهيئته هذه برسول الله (ص)، وسيرته في المسلمين، فاضطرب الموقف وتفاعل المصلون مع الحدث الكبير تفاعلا شديدا، وانشدوا إلى الإمام (ع)، وتعلقت به القلوب واشربت نحوه الأعناق، و تحولت (مرو) إلى مظاهرة صاخبة تعلن عن الولاء لأهل البيت (ع) وتزخر بالحب والوفاء لهم.

فأثار هذا الموقف مخاوف البلاط وأركان السلطة، وفي مقدمتهم الفضل ابن سهل ذو الرياستين أحد وزراء المأمون، فتوجه خائفا فزعا مما رأى بالمشورة إلى الخليفة العباسي، وطلب منه أن يعيد الامام وأن يحول بينه وبين إقامة الصلاة، فقد أربعه الموقف، وتجددت أمامه بداية تمرکز شخصيَّة الامام وتآلق نجمه السياسي.

ومن الجدير بالذكر أن ذا الرياستين كان ممن يناوئون الإمام الرضا (ع) ومن الكارهين لنقل ولاية الامر إليه.

فتقبل المأمون نصيحة ذي الرياستين وطلب من الإمام الرضا (ع) العودة والرجوع، فترك الامام الناس وعاد قبل أن تقام الصلاة. ولكي ننقل صورة حية للقارئ الكريم عن الموقف والمشهد كما وصفه المؤرخون وذكره أرباب السير والرواية، فلنسجل النص التاريخي الذي رواه الشيخ الصدوق، قال رضوان الله عليه.

فلما حضر العيد بعث المأمون إلى الرضا (ع) يسأله أن يركب ويحضر العيد، ويخطب ليطمئن قلوب الناس، ويعرفوا فضله وتقر قلوبهم على هذه الدولة المباركة، فبعث إليه الرضا (ع) وقال: قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الامر، فقال المأمون: إنما أريد بهذا أن يرسخ في قلوب العامة والجند والشاكرية هذا الامر، فطمئن قلوبهم ويقروا بما فضلك الله به، فلم يزل يردد الكلام في ذلك، فلما ألع عليه قال: يا أمير المؤمنين إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إلي، وإن لم تعفني خرجت كما كان يخرج رسول الله (ص)، وكما خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فقال المأمون:

أخرج كما تحب، وأمر المأمون القواد والناس أن ييكرروا إلى باب أبي الحسن الرضا (ع)، فقعد الناس لأبي الحسن الرضا (ع) في الطرقات والسطوح من الرجال والنساء والصبيان، واجتمع القواد على باب الرضا (ع)، فلما طلعت الشمس قام الرضا (ع) فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن، وألقى طرفا

(٢٣٤)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٨)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الشيخ الصدوق (١)، ذو الرياستين (١)، الكرم، الكرامة (١)، الشهادة (١)، الصلاة (٣)

صفحة ٢٢٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٣٥

منها على صدره وطرفا بين كتفيه وتشمر (١)، ثم قال لجميع مواليه: إفعلوا مثل ما فعلت، ثم أخذ بيده عكازة وخرج ونحن بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة، فلما قام ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات، فخيّل إلينا أن الهواء والحيطان تجاوبه، والقواد والناس على الباب قد تزينوا ولبسوا السلاح وتهيأوا بأحسن هيئة، فلما طلعتنا عليهم بهذه الصورة حفاء قد تشمرنا وطلع الرضا (ع) ووقف وقفه على الباب قال: (الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام، والحمد لله على ما ابتلانا)، ورفع بذلك صوته ورفعنا أصواتنا فترعزت مرو من البكاء والصياح فقالها ثلاث مرات، فسقط القواد عن دوابهم ورموا بخفافهم لما نظروا إلى أبي الحسن (ع)، و صارت مرو ضجة واحدة، ولم يتمالك الناس من البكاء والضجيج، وكان أبو الحسن (ع) يمشى ويقف في كل عشر خطوات وقفه، فكبر الله أربع مرات، فتخيّل إلينا أن السماء والأرض

والحيطان تجاوبه، وبلغ المأمون ذلك، فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأى أن تسأله أن يرجع فبعث إليه المأمون، فسأله الرجوع، فدعا أبو الحسن (ع) بخفه فلبسه ورجع (٢). شهادة الإمام الرضا (ع).

استعرضنا بإيجاز سبب تولية المأمون الإمام الرضا (ع) لولاية العهد، وأوضحنا الأسباب التي دعت له لذلك الامر، وكذلك أوضحنا كيف أن الإمام (ع) كان يدرك ذلك بوضوح، إلا أنه (ع) أرغم على قبول ولاية العهد، حيث أن الامام لا يخفى عليه أيضا أن المأمون ليس ذلك الشخص الذي كان زاهدا في الملك والسلطة، فقد قتل أخاه الأمين من أجلهما و قتل من خدموه وخدموا أباه الرشيد من قبل، أمثال طاهر بن الحسين، والفضل بن سهل، و آخرين ممن ساهموا في تثبيت سلطته وتنفيذ خطته، فكان طبيعيا أن يلقي الإمام (ع) مثل هذه المعاملة: وهو من أكثر الناس خطرا وأشدّهم فاعلية، يضاف إلى ذلك ما كان للصراع والوشايات والوقعة، التي كان يمارسها الحواشي أمثال الحسن والفضل بن سهل، وضغوط رجالات بني العباس.

فقد حدثنا التاريخ أن المأمون قد دس السم في بعض طعام الإمام الرضا (ع) في عنب أو رمان، فقد ذكر المؤرخون ومنهم أبو الفرج الأصفهاني، أن الإمام الرضا (ع) قد مات اثر أكله عنباً قد دس فيه السم (٣).

١ - شمر الثوب عن ساقية: رفعه. تشمر للامر: أرادته وتهيأ له.

٢ - الصدوق / عيون أخبار الرضا / ج ٢ / ص ١٥٠. ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة / ص ٢٦٠.

٣ - مقاتل الطالبين ص ٥٦٧، ابن طولون الأئمة الاثنا عشر ص ٩٨، وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ٢٧٠.

(٢٣٥)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٥)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٣)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، بنو عباس (١)، ذو الرياستين (١)، طاهر بن الحسين (١)، الفضل بن سهل (٣)، البكاء (٢)، القتل (١)، الموت (١)، الطعام (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، الشيخ الصدوق (١)

صفحة ٢٣٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٣٦

وكانت شهادته (ع) في اليوم الأخير من شهر صفر سنة ٢٠٣ هـ بمدينة طوس التي دفن فيها، في دار حميد بن قحطبة. فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

الإمام محمد بن علي الجواد (ع).

مولده ونشأته.

ولد الإمام الجواد (ع) في شهر رمضان المبارك من سنة خمس وتسعين ومئة للهجرة وتوفي سنة عشرين ومئتين، في آخر ذى العقدة، وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما، ودفن ببغداد في مقابر قريش، عند قبر جده موسى بن جعفر (ع). فأبوه الامام الثامن علي بن موسى الرضا (ع)، وأمه نوبية من بلاد النوبة، من توابع السودان في أفريقيا، اسمها سبيكة، وقد ولد هذا الوليد الامام المبارك في مدينة جدة رسول الله (ص)، وهناك رواية تقول: انه (ع) ولد في شهر رمضان المبارك، وقيل أن ولادته (ع) في شهر رجب المرجب.

كانت ولادته (ع) في فترة تزخر بالأحداث والظروف السياسية المتقلبة، والصراع على أشده على الخلافة العباسية بين الأمين والمأمون ابني هارون الرشيد، فكانت ولادته المباركة سنة خمس وتسعين ومئة للهجرة، في السنة التي بويع فيها المأمون الذي خلع أخاه الأمين،

ولم تكن تلك الأحداث السياسية والصراع بين الأخوين لينتهي دون أن تنعكس آثاره على حياة الإمام الرضا (ع) والد الإمام الجواد (ع) كما أسلفنا.

كان الإمام الرضا (ع) وبعد أن شاءت الظروف السياسية أن يرحل إلى مرو عاصمة الدولة العباسية آنذاك ويترك ولده الإمام الجواد (ع) في مدينة جده، يركز على بناء شخصيته و تعظيم مقامه، وكان يخاطبه بالإجلال والتعظيم، ويكنيه بأبي جعفر، وهو صبي لم يبلغ الحلم.

جاء في نص وثيقة البيعة التي كتبها المأمون إلى الامام على بن موسى الرضا (ع)، إمام المسلمين وعميد أهل البيت (ع) في عصر المأمون، مما يكشف عن طبيعة فهم الأمة الاسلامية بمختلف مواقعها السياسية والاجتماعية لمقام أهل البيت (ع)، وأحقيتهم في الموقع الأول للقيادة وولاية الامر. فقد صرح المأمون بأحقية أهل البيت (ع) بالخلافة والإمامة، عند ما أقدم على تزويج الإمام محمد الجواد ابن الإمام الرضا (ع)، محاولا التقرب من الامام. وهذه نص كلمة الوثيقة التي سجلها المأمون العباس وهو يحاور و جوه بنى العباس في مقام أهل البيت (ع).

عن الريان بن شبيب قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي (ع) بلغ ذلك العباسيين، فغلب عليهم واستنكروه، وخافوا أن ينتهي الامر معه إلى ما انتهى مع الإمام الرضا (ع) فحاضوا في ذلك، واجتمع معهم أهل بيته الأذنون إليه فقالوا: نشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الامر الذي عزمته عليه من تزويج ابن الرضا، فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله عز وجل، وينزع منا (٢٣٦)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٤)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٤)، الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام (٤)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، شهر رجب المرجب (١)، شهر رمضان المبارك (٢)، بنو عباس (١)، شهر صفر الظفر (١)، هارون الرشيد (١)، ريان بن شبيب (١)، محمد بن علي (١)، القبر (٢)، البعث، الإنبعث (١)، الشهادة (٢)، الجود (١)، الزوج، الزواج (١)، الدفن (١)

صفحة ٢٣٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٣٧

عزا قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديما وحديثا، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك، من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا (ع) ما عملت، فكفانا اله المهم من ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا، وأعدل إلى من طراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره. فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب، فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم لكانوا أولى بكم، وأما ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان قاطعا للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا، ولقد سألته أن يقوم بالامر، من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدرا مقدورا. وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلمون أن الرأي ما رأيت فيه، فقالوا له: ان هذا الفتى وان راقك منه هديه، فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمله ليتأدب، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك، فقال لهم:

وتحکم انی أعرف بهذا الفتى منكم، وان أهل هذا البيت علمهم من الله تعالی ومواده و الهامه، لم تزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئت فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله (١).

وفعلا فقد ثار - الجدل والحوار حول شخصية الإمام الجواد محمد بن علي الرضا (ع) لصغر سنه وعدم بلوغه، فقد كان صبيا، عمره

نحو سبع سنوات يوم وفاة أبيه (ع)، وقد أتحتنا كتب التاريخ والسير بجانب من تلك المناظرات حول شخصية الامام وعلمه ولياقته في هذه السن للإمامة، وذكرت تفرق بعض أتباع أهل البيت (ع) عن الإمام الجواد (ع)، وفيما يأتي نتناول جانباً من هذه النصوص الوثائقية، لنتهي معها إلى ما انتهت إليه من تثبيت إمامته (ع)، فقد كتب الشيخ المفيد، وهو من أعظم علماء أهل البيت (ع) في القرن الرابع للهجرة تحليلاً لذلك بقوله.

ثم إن الأمة استمرت على القول بأصول الإمامة طوال أيام أبي الحسن الرضا (ع) فلما توفي وخلف ابنه أبا جعفر (ع) وله عند وفاة أبيه سبع سنين، اختلفوا وتفرقوا ثلاث فرق: فرقة مضت على سنن القول في الإمامة ودانت بإمامة أبي جعفر (ع)، ونقلت النص عليه، وهي أكثر الفرق عدداً، وفرقة أخرى ارتدت إلى قول الواقفة، رجعوا عما كانوا عليه من إمامة الرضا (ع)، وفرقة ثالثة قالت بإمامة أحمد بن موسى (٢)، وزعموا أن الرضا (ع) وصى إليه ونص بالإمامة عليه، واعتل الفريقان الشاذان عن أصل الإمامة بصغر سن أبي جعفر (ع)، وقالوا: لا يجوز أن يكون إمام الزمان صبياً لم

١ - البحار للمجلسي ج ٥ ص ٧٤ نقلاً عن الامتجاج.

٢ - أحمد بن موسى: أخو الامام علي بن موسى الرضا (ع).

(٢٣٧)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (٣)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (٦)، الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام (١)، يوم عرفه (١)، الشيخ المفيد (قدس سره) (١)، أحمد بن موسى (٢)، محمد بن علي (٢)، الجدال (١)، الجود (١)، السب (١)، الجواز (١)، الوفاة (٢)

صفحة ٢٣٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٣٨

يبلغ الحلم، فيقال لهم ما سوى الراجعة إلى التوقيف، كما قيل للواقفة... الخ (١).

ان المتأمل في النص الذي أوردناه آنفاً، يرى بوضوح الاضطراب الذي حصل في المرحلة الانتقالية من إمامة الرضا (ع) إلى ولده الجواد (ع).

النصوص على إمامة الجواد (ع).

روى علي بن أسباط عن يحيى الصنعائي قال: دخلت على أبي الحسن الرضا (ع) وهو بمكة، وهو يقشر موزاً، ويطعم أبا جعفر (ع)، فقلت له: جعلت فداك هو المولود المبارك؟ قال:

يا يحيى، هذا المولود الذي لم يولد في الاسلام مثله مولود، أعظم بركة على شيعتنا منه (٢).

وروى الحاكم البيهقي قال: عن أبو الحسين بن محمد بن أبي عباد، وكان يكتب للرضا (ع) - ضمه إليه الفضل بن سهل - قال: ما كان

(ع) يذكر محمداً ابنه الا - بكنية، يقول: كتب إلى أبو جعفر (ع) وكنت أكتب إلى أبي جعفر (ع)، وهو صبي بالمدينة، فيخطبه

بالتعظيم، وترد كتب أبي جعفر (ع) في نهاية البلاغة والحسن، فسمعتة يقول: أبو جعفر وصيي و خليفتي في أهلي من بعدى (٣).

وروى ابن قولويه، عن الكليني، عن الحسين بن محمد، عن الخيرانى، عن أبيه قال: كنت واقفاً عند أبي الحسن الرضا (ع) بخراسان،

فقال قائل: يا سيدى ان كان كون، فإلى من (٤)؟

قال: إلى أبي جعفر البنى، وكان القائل استصغر سن أبي جعفر، فقال أبو الحسن (ع):

ان الله سبحانه بعث عيسى رسولاً نبياً، صاحب شريعة، مبتدئه في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر (٥) وهذه أمثلة قليلة وما هي الا

غيب من فيض على إمامة الجواد (ع) واستخلافه لأبيه (ع)، وكما قرأنا بعضاً من هذه النصوص الواردة بإمامته (ع)، فلنقرأ الآن

إعتراف المأمون العباسي، وقاضى الدولة العباسية فى ذلك العصر يحيى بن أكثم، واضطرار وجوه بنى العباس إلى التسليم للإمام الجواد (ع) بالتفوق العلمى، ولياقته للإمامة، بعد حضور مجلس المناظرة بينه (ع) وبين يحيى بن أكثم.

نقلا- عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ... واجتمع رأيهم على القاضى يحيى بن أكثم أن يكون هو الذى يسأله ويمتحنه وقرروا ذلك مع القاضى يحيى، ووعدوه بأشياء كثيرة متى قطعه وأخجله، ثم عادوا إلى المأمون وسألوه أن يعين لهم يوما فاجتمعوا فى ذلك اليوم بين يدى أمير المؤمنين المأمون، وحضر العباسيون ومعهم القاضى يحيى بن أكثم، وحضر خواص الدولة وأعيانها من أمرائها وحجابها و

١ - الفصول المختارة من العيون والمحاسن للمفيد ط ٤ ص ٢٥٦.

٢ - البحار للمجلسي ج ٥٠ ص ٣٥.

٣ - عيون أخبار الرضا للصدوق ج ٢ ص ٢٤٠.

٤ - أى إذا حدث حادث أو توفاك الله، فإلى من تنتقل الإمامة؟.

٥ - البحار ج ٥٠ ص ٢٣ نقلا عن إعلام الورى، والارشاد.

(٢٣٨)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (٤)، الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام (٤)، الإمام محمد بن على الجواد عليهما السلام (٤)، الإمام الحسن بن على المجتبى عليهما السلام (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، بنو عباس (١)، محمد بن أبى عباد (١)، يحيى بن أكثم (٢)، على بن أسباط (١)، ابن قولويه (١)، الحسين بن محمد (١)، الفضل بن سهل (١)، خراسان (١)، الفديّة، الفداء (١)، العصر (بعد الظهر) (١)، كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام (١)، كتاب إعلام الورى بأعلام الهدى (١)، الشيخ الصدوق (١)

صفحة ٢٣٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٣٩

قوادها، وأمر المأمون بأن يفرش لأبى جعفر محمد الجواد فرش حسن، وأن يجعل عليه مصورتان، ففعل ذلك وخرج أبو جعفر فجلس بين المصورتين، وجلس القاضى يحيى مقابله، وجلس الناس فى مراتبهم على قدر طبقاتهم ومنازلهم، فأقبل يحيى بن أكثم على أبى جعفر فسأله عن مسائل أعدها له، فأجاب بأحسن جواب، وأبان فيها عن وجه الصواب، بلسان ذلق ووجه طلق، وقلب جسور، ومنطق ليس بعى ولا حصور، فعجب القوم من فصاحة لسانه، و حسن اتساق منطقته ونظامه، فقال له المأمون: أجدت يا أبا جعفر (١).

العمل السياسى فى حياة الإمام (ع).

شكل أئمة أهل البيت (ع) خط المعارضة السياسيه هم وأتباعهم ومن تولاهم على امتداد خط الصراع، ضد تسلط حكام الجور من الأمويين والعباسيين الذين تسلطوا على رقاب المسلمين بالقهر والإرهاب، وكان لكل إمام من أئمة أهل البيت (ع)، من على بن أبى طالب حتى نهاية هذه السلسلة المباركة: كفاح طويل، ومواجهة السلطة القائمة، وكان الحكام فى كل عصر يعتبرون الامام المتصدى من أهل البيت (ع)، مصدرا لذلك التحرر السياسى، ورمزا للمقاومة، ومأوى للمعارضة: لذا فإنه لم يسلم امام من أئمة أهل البيت (ع) من الملاحقة والاضطهاد والمضايقة والمراقبة، أو السجن والنفى والقتل.

وعلى الرغم من مواقف المأمون هذه، فقد حدثت فى عهده انتفاضات علوية عديدة، لقد تحرك عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب وأعلن الثورة فى (عك من بلاد اليمن) بسبب سوء المعاملة التى كان يبيدها عمال الخليفة هناك، وراح يدعو إلى الرضا من آل محمد (ص)، فبايعه الناس والتقوا حوله واستجابوا لدعوته، فاضطر المأمون إلى إرسال جيش

كثيف بقيادة دينار بن عبد الله، لمواجهة الثورة وإخمادها، وأرسل مع هذا القائد أمانا للثائر العلوي، فقبل ذلك الثائر الأمان، و سالم السلطنة العباسية ولم يذكر المؤرخون السبب في هذا الموقف (٢).

أما الثورة الثانية التي فجرها الثوار العلويون: فهي ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) فقد انطلق هذا الثائر العلوي من مدينة الطالقان في بلاد فارس، وقد تحدث المؤرخون وكتاب السير عن هذه الثورة، وعن شخصية هذا الثائر العلوي، فوصفه أبو الفرج الأصفهاني بقوله.

كانت العامة تلقبه الصوفي لأنه كان يدمن لبس الثياب من الصوف الأبيض، وكان من

١ - راجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٦٨، والارشاد للمفيد ص ٣٢٠.

٢ - تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٦٨ أحداث سنة سبع ومئتين.

(٢٣٩)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٤)، الدولة الأموية (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (١)، عبد الله بن محمد بن عمر بن علي (١)، علي بن الحسين بن علي (١)، يحيى بن أكثم (١)، القاسم بن علي (١)، الجواد (١)، السب (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)

صفحة ٢٤٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٤٠

أهل العلم والفقهاء والدين والزهد وحسن المذهب (١).

وكتب الطبري في تاريخه الشهير عن هذه الثورة قائلاً.

فمن ذلك ما كان من ظهور محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان، يدعو إلى الرضى من آل محمد (ص)، فاجتمع إليه بها ناس كثير، وكانت بينه وبين قواد عبد الله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان في جبالها، فهزم وأصحابه، فخرج هاربا يريد بعض كور خراسان، كان أهله كاتبوه (٢).

مواقف حكام بني العباس مع الإمام الجواد (ع).

يذكر المستشرق دونالدسون مخاوف العباسيين من إقدام المأمون على تزويج ابنته من الإمام محمد الجواد (ع)، وما ستؤول إليه الأمور بعد ذلك.

يقول ...: وبعد مرور سنة على زواج الإمام سمح له الخليفة ولزوجته الشابة بالذهاب إلى المدينة المنورة والإقامة فيها، وقد كان هذا التدبير موضع قبول العباسيين بأجمعهم، لأنهم كانوا يكرهون ما كان يتمتع به الامام من أرحية ورعاية في بغداد (٣). وفاته (ع).

وبعد انتهاء حياة المأمون بدأت خلافة المعتصم، فكان كأسلافه الخلفاء العباسيين على خوفه من امامة أهل البيت (ع) ومكانتهم العلمية والسياسية والاجتماعية في الأمة، فاستدعى الإمام الجواد من المدينة المنورة إلى بغداد عام ٢١٩ هـ خوفاً من تألق نجمه، واتساع تأثيره، وليكون على مقربة من مركز السلطة والرقابة، ولعزله عن ممارسة دوره العلمي والسياسي، واحكام الطوق عليه. وفعلا تم استقدام الإمام الجواد (ع) من المدينة إلى بغداد، ولم يبق في بغداد الا مدة قصيرة حتى توفي سنة ٢٢٠ هـ وبعد هذه الحياة القصيرة في امتدادها الزماني التي دامت نحو خمس وعشرين سنة، المديدة في أثرها العقائدي والتاريخي، المليئة بالمآثر والجهاد، وقد انتقل الامام إلى جوار ربه فقد توفي ببغداد سنة ٢٢٠ هـ. في الخامس من ذي الحجة، ودفن في مقابر قريش مع جده موسى بن جعفر (٤).

الامام علي بن محمد الهادي (ع).

مولده ونشأته:.

انا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة (٥) اسمه (ع) على وكنيته

١ - مقاتل الطالبين ص ٥٧٨.

٢ - تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٢٣ أحداث سنة تسع عشرة ومئتين.

٣ - نقلا عن موسوعة العثمان المقدسة لدون الدسون / قسم الكاظمية ج ١ ط ١ ص ٢٣٢.

٤ - البحار للمجلسي ج ٥٠ ص ١٧ نقلا عن عيون المعجزات.

٥ - الفصول المهمات لابن الصباغ المالكي ص ٢٥٥.

(٢٤٠)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام (٣)، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (١)، شهر ذي الحجة (١)، بنو عباس (١)، المدينة المنورة (٢)، علي بن الحسين بن علي (١)، عبد الله بن طاهر (١)، محمد بن القاسم (١)، مدينة بغداد (٤)، موسى بن جعفر (١)، خراسان (٢)، الزوج، الزواج (٢)، الجود (١)، القبر (١)، الزهد (١)، مدينة الكاظمين (١)، كتاب تاريخ الطبري (١)، القتل (١)

صفحة ٢٤١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٤١

أبو الحسن، وألقابه النجيب، والمرضى، الهادي، النقي، العالم، الفقيه، الأمين، والمؤمن، الطيب والعسكري، ويقال له: أبا الحسن الثالث.

كانت الولادة المباركة للإمام الهادي (ع) في صريا (١) بالقرب من المدينة المنورة، في النصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومئتين للهجرة، وتوفى (ع) (بسر من رأى) وتسمى اليوم سامراء [في شهر رجب سنة أربع وخمسين ومئتين للهجرة، وله يومئذ إحدى وأربعون سنة وأشهر، فقد أشخصه المتوكل العباسي مع يحيى بن هرثمة بن أعين من المدينة إلى سر من رأى، فأقام بها حتى مضى إلى سبيله، وكانت مدة إمامته (ع) ثلاثا و ثلاثين سنة.

أمه (ع) أم ولد يقال لها سمانة المغربية، ويقال ان أمه (ع) المعروفة بالسيدة أم الفضل، أقام مع أبيه (ع) ست سنين وخمسة أشهر، وبعده مدة إمامته ثلاثا وثلاثين سنة ويقال: وتسعة أشهر، ومدة مقامه بسر من رأى عشرين سنة، وقبره في داره. وكان في سني إمامته (ع) بقية ملك المعتصم، ثم الواثق، والمتوكل والمنتصر، والمستعين، والمعتز، وفي آخر ملك المعتمد استشهد مسموما، وقال ابن بابويه: وسمه المعتمد (٢).

النصوص على إمامته (ع).

عن الصقر بن دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا (ع) يقول: ان الإمام بعدى ابني علي، أمره أمرى، وقوله قولى، وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن (٣).

روى إسماعيل بن مهران قال: لما خرج أبو جعفر محمد الجواد من المدينة إلى بغداد بطلبه المعتصم، قلت له عند خروجه: جعلت فداك انى أخاف عليك من هذا الوجه، فإلى من الامر بعدك؟ فبكى حتى بليت لحيته ثم التفت إلى فقال: الامر من بعدى لولدى علي (٤).

فمحصلة النص الوارد من كل إمام على الامام الذى يليه، تقودنا إلى قطع الشك والريب فى مقام الأئمة من أهل البيت (ع)، ذلك لان التسلسل منته إلى كتاب الله والرسول (ص)، وهكذا يكون نص الإمام الجواد (ع) على ولده علي الهادي (ع) مستمسكا ودليلا على

مكانه وعظمه شخصية الإمام الهادي (ع) شاهدا له بالعلم والورع والكفاءة لاحتلال موقع الإمامة والقيادة والمرجعية في الأمة.

وفي رسالة المتوكل العباسي - وهو من ألد خصوم الإمام الهادي (ع) خاصة

١ - صريا: وهي قرية أسها موسى بن جعفر (ع) على ثلاثة.

٢ - مناقب أول أبي طالب ج ٤ ص ٤٠١.

٣ - كمال الدين ج ٢ ص ٥٠.

٤ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٧٧، إعلام الوري للطبري ص ٣٤٠ ط بيروت.

(٢٤١)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام محمد بن علي الجواد عليهما السلام (١)، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (٤)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، شهر ذي الحجة (١)، مدينة سامراء المقدسة (١)، شهر رجب المرجب (١)، المدينة المنورة (١)، إسماعيل بن مهران (١)، يحيى بن هرثمة (١)، مدينة بغداد (١)، محمد بن علي (١)، الفدية، الفداء (١)، الشهادة (٢)، الجود (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب إعلام الوري بأعلام الهدى (١)، مدينة بيروت (١)

صفحة ٢٤٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٤٢

والعلويين عامة التي وجهها للإمام، نلاحظ الاعتراف الكامل بعظمة الإمام (ع)، وجلالة قدره، وعظيم مكانه.

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، إن أمير المؤمنين عارف بقدرك، رايح لقرابتك، موجب لحقك مؤثر من الأمور فيك وفي أهل بيتك لما فيه صلاح حالك وحالهم، ويثبت عزك وعزهم وإدخال الأمر عليك وعليهم ... إلى أن قال: وقد ولي أمير المؤمنين ما كان يليه عبد الله بن محمد من الحرب والصلاة بمدينة الرسول (ص) لمحمد بن فضل، وأمره بإكرامك واحترامك وتوقيرك وتجليلك، والانتهاه إلى أمرك ورأيك، وعدم مخالفتك، والتقرب إلى الله تعالى والى أمير المؤمنين بذلك، وأمير المؤمنين مشتاق إليك، ويحب إحداث العهد بقربك والتمين بالنظر إلى ميمون طلعتك المباركة (١).

الإمام الهادي (ع) والمتوكل العباس.

تحدث سبط بن الجوزي الحنفي عن الإمام الهادي (ع)، عن أحداث استدعاء الإمام الهادي من المدينة إلى سامراء (٢)، قال: قال يحيى بن هرثمة: فذهبت إلى المدينة، فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجا عظيما، ما سمع الناس بمثله خوفا على علي، وقامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسنا إليهم، ملازما للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا، قال يحيى: فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أنني لم أؤمر فيه بمكروه، وإنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه الا- مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسى، وأحسنت عشرته، فلما قدمت به إلى بغداد، بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري، وكان والياء على بغداد، فقال لي: يا يحيى ان هذا الرجل قد ولده رسول الله، والمتوكل من تعلم، فإن حرضته عليه قتله، وكان رسول الله خصمك يوم القيامة، فقلت له: والله ما وقعت منه الا على كل أمر جميل، ثم صرت به إلى سر من رأى فبدأت بوصيف التركي، فأخبرته بوصولي فقال: والله لئن سقطت منه شعرة لا يطالب بها سواك، قال: فعجبت كيف وافق قوله قوله إسحاق، فلما دخلت على المتوكل، سألتني عنه، فأخبرته بحسن سيرته، وسلامه طريقته وورعه وزهادته، وإني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وإن أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المتوكل، وأحسن جائزته، وأجزل بره، وأنزله معه سر من رأى (٣).

وفي سامراء، هوجمت دار الامام علي الهادي (ع)، وفتشت، فوصف أصحاب السير

١ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٨٠.

٢ - ذكر للمتوكل العباسي أن الامام يجمع المال والسلاح، ويعد للثورة، فأرسل يحيى بن هرصمة لقشيش داره وجلبه إلى سامراء.

٣ - تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ٢٦٠٧ ابن طولون / الأئمة الاثنا عشر ص ١٠٧.

(٢٤٢)

مفاتيح البحث: الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، يوم القيامة (١)، مدينة سامراء المقدسة (٣)، إسحاق بن إبراهيم (١)، يحيى بن هرثمة (١)، عبد الله بن محمد (١)، مدينة بغداد (٢)، القتل (١)، الصلاة (١)، السجود (١)، الحرب (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة لسبط ابن الجوزي (١)

صفحة ٢٤٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٤٣

حال الامام حسين هو جم ليلا.

فهاجموا داره، فلم يجدوا فيها شيئا، ووجدته في بيت فغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصى، وهو متوجه إلى الله تعالى يتولا آيات من القرآن (١).

وعلى هذه الحال حمل إلى المتوكل العباسي، وأدخل عليه، وكان المتوكل في مجلس شراب، ويده كأس الخمر، فناول الإمام الهادي (ع)، مزد الامام: والله ما خامر لحمي ولا دمي قط، فاعفني فأعفاه، فقال له: أنشدني شعرا، فقال علي: أنا قليل الرواية للشعر، فقال: لا بد، فأنشده.

باتوا على قتل الأجيال تحرسهم * غلب الرجال فما أغتتهم القل.

واستنزّلوا بعد عز من معاقلمهم * وأسكنوا حفرا يا بس ما نزلوا.

ناداهم صارخ من بعد دفنهم * أين الأساور والتيجان والحلل.

أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الأستار والكلل.

فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتل.

قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا.

فبكي المتوكل حتى بلت لحيته دموعه، وبكى الحاضرون (٢).

الذي يدرس حياة الإمام الهادي (ع) منذ وفاة أبيت (ع) وتحمله مهام الإمامة وحتى وفاته، يجدها مليئة بالتحديات والضغوط والمصائب، والصبر على فساد الحكام وتهورهم و ظلمهم، وضعف السياسة والإدارة، وشيوع الموبقات، فقد وصف المؤرخون المعتصم العباسي، أنه إذا غضب لا يبالي من قتل، ولا ما فعل (٣).

ويمكننا أن نحيط القارئ علما بأبرز مظاهر العداة والصراع بين المتوكل العباسي و أهل البيت (ع) بما يلي.

١ - كراهيته للإمام علي بن أبي طالب (ع) ومحاولة الحط من سمعته والاستهانة بقدره.

٢ - هدمه لقبر السبط الشهيد الحسين بن علي (ع) وتنكيله بزوار القبر الشريف، ومعاقبته بقسوة لكل من يقصده أو يزوره بأخذ المبالغ الطائلة منهم، وحيث لم يفد ذلك، أمر بقطع الأيدي لكل من يزور مرقد الإمام الحسين (ع) الطاهر بكر بلاء.

٣ - فرض الحصار الاقتصادي على العلويين، وقطع أرزاقهم ومنع الناس من مساعدتهم.

٤ - التصييق على عميد أهل البيت الأطهار - الامام علي الهادي (ع) -، وجلبه

١ - المصدر نفسه ص ٣٤١.

٢ - تذكرة الخواص لسبط بن الجوزى ص ٣٤١، وابن طولون الأئمة الاثنا عشر ص ١٠٧.

٣ - تاريخ الرسل والملوك للطبرى ج ٧ ص ٣١٦ أحداث سنة ٢٢٧ هـ.
(٢٤٣)

مفاتيح البحث: قبر الحسين (ع) (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الإمام على بن محمد الهادى عليه السلام (٣)، مدينة كربلاء المقدسة (١)، القرآن الكريم (١)، القتل (١)، الصبر (١)، الأكل (١)، الغل (١)، القبر (٢)، الزيارة (١)، الوفاة (١)، كتاب تذكرة خواص الأئمة لسبط ابن الجوزى (١)

صفحة ٢٤٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٤٤

من المدينة ووضع تحت الرقابة، وفرض الحصار السياسى عليه، ومحاولة قتله والقضاء عليه.

٥ - محاولة ايجاد بديل هزيل لزعامه أهل البيت (ع) وترشيح موسى أخى الإمام الهادى (ع) لهذه المهمة، وفشل هذه المحاولة.

٦ - قتل الثوار العلويين والتنكيل بهم - بعد أن ضج العلويون من ظلمه وسياسته وقد حملته هذه الكراهية وهذا الحقد على على وأهل بيته (ع)، أن يبطش بالعالم النحوى يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن السكيت، فأمر الأتراك فداسوا بطنه، فحمل إلى داره فمات، وقيل: أمر بسل لسانه فمات. وكان سبب هذا الموقف من ابن السكيت، أن المتوكل سأله يوماً: أيما أحب إليك المعتز والمؤيد [ولداه]، أو الحسن والحسين؟ فقال: قنبر - يعنى مولى على بن أبى طالب - خير منهما، وذكر الحسن والحسين (ع)، بما هما أهل له (١). قال ابن الأثير: وفى هذه السنة ٢٣٦ هـ أمر المتوكل بهدم قبر الإمام الحسين بن على (ع)، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر، ويسقى موقع قبره، وأن يمنع الناس من اتيانه، فنادى (عامل صاحب الشرطة) بالناس فى تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة، حبسناه فى المطبق، فهرب الناس، وتركوا زيارته، وحرث وزريح (٢).

وقال جلال الدين السيوطى عن ذلك: وفى سنة ٢٣٦ هـ أمر بهدم قبر الحسين، وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته، وخرّب وبقى صحراء، وكان المتوكل معروفاً بالتعصب، فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه - أى شتم المتوكل - على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء. فمما قيل فى ذلك:

بالله ان كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما.

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله * هذا العمرى قبره مهدوما.

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا * فى قتله فتبعوه رميما (٣).

وذكر أبو الفرج الإصفهانى عن مأساة العلويين ومحتهم، ومما أصاب نساءهم وأطفالهم من الظلم والعسف والاستضعاف وشظف العيش، فى عهد المتوكل فقال ...: واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الخجى، فمنع آل أبى طالب من التعرض لمسألة الناس، ومنع الناس من البر بهم، وما كان ليلغه أن أحداً أبرأ منهم بشئ، وان قل، الا أنهكه عقوبة، وأثقله غرماً، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثم يرفعه ويجلسن على مغازلهن عوارى حواسر، إلى أن قتل المتوكل، فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم، ووجه بماله فرقه فيهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه فى جميع أحواله، ومضادة مذهبه، طعنا

١ - الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٩١، تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٣٩٤.

٢ - الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٥٥.

٣ - تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٩٢.

(٢٤٤)

مفاتيح البحث: أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (١)، أبو الفرج الإصهاني (الإصفهاني) (١)، مدينة مكة المكرمة (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (٣)، ابن الأثير (١)، علي بن أبي طالب (١)، يعقوب بن إسحاق (١)، الحسين بن علي (١)، مدينة بغداد (١)، الفرج (١)، القبر (٤)، القتل (٥)، الظلم (١)، القميص (١)، كتاب الكامل لابن الأثير (٢)

صفحة ٢٤٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٤٥
عليه، ونفرة لفعله (١).

ثورات العلويين أيام المتوكل العباسي.

قاد العلويون عدة انتفاضات وثورات في عهد الإمام علي الهادي (ع) أيام المتوكل، وكان من أبرزها، ثورة محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) الذي وصفه أبو الفرج الأصفهاني بقوله: وكان من فتيان آل أبي طالب وفتاكهم وشجعانهم وظرفائهم وشعرائهم (٢).

ومن الثوار العلويين الذين انتفضوا على حكم المتوكل العباسي، وأعلنوا الثورة هو الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد الشهيد وقد أعلن الثورة في طبرستان و نواحي الديلم، فسيطر عليها، وتمكن فيها، وقد ساندته وتحرك معه محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين (ع) كما اشترك في هذه الثورة أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) وأعلن تحركه في بلاد الري يدعو إلى الحسين بن زيد، ثم أعلن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأرقط بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (ع) ثورته على الحكم القائم، وكان يدعى بالكوكبي، وكذلك ثورة يحيى بن عمر الطالب، في الكوفة. نهاية المتوكل العباسي.

إنتهى الأمر بالمتوكل إلى أن ينقسم الجهاز الحاكم عليه، وتتنازع مراكز القوى السيطرة على الحكم، فيلقى المتوكل مصرعه وهو سكران في قصر خلافته، ويشارك ابنه المنتصر في القضاء عليه. ثم تمت البيعة للمنتصر، وقد كان المنتصر لنا مع آل أبي طالب، حيث رفع عنهم الضغط والإرهاب، وأعاد إليهم أملاكهم، ومنها (فدك)، الأرض التي وهبها رسول الله (ص) لابنته فاطمة الزهراء (ع) كما مر في بداية البحث - والتي أصبحت قضية من قضايا التاريخ المهمة فيه، وشعارا سياسيا من شعارات التعامل مع ذرية فاطمة (ع)، وكذلك أمر الناس بزيارة قبر الامام علي والحسين بن علي (ع)، وأطلق وقوف العلويين، ومات في سنة ٢٤٨ هـ.

الإمام الحسن بن علي العسكري (ع).

مولده ونشأته.

في ربوع المدينة المنورة، ولد الإمام الحسن بن علي، في شهر ربيع الثاني، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين (٣) ولد الإمام العسكري (ع) من أم جارية تسمى (حديث) وقيل إن اسمها (سوسن)، وقال بعض كتاب السير إن اسمها (سليل). وسمى الامام

١ - مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ص ٥٩٩.

٢ - المصدر نفسه ص ٦٠٠.

٣ - الارشاد للمفيد ص ٣٣٥ و ١٣٦ نقلا عن المصباحين، أن الإمام العسكري (ع) ولد يوم العاشر من شهر ربيع الأول، وذكر ذلك أيضا عن كتاب حدائق الرياض للمفيد.

(٢٤٥)

مفاتيح البحث: الإمام على بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٣)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (٢)، الإمام على بن محمد الهادي عليه السلام (١)، زيارة القبور (١)، أبو طالب عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عبد الله بن الحسن (ع) (١)، أبو الفرج الإصبهاني (الإصفهاني) (٢)، مدينة الكوفة (١)، المدينة المنورة (١)، شهر ربيع الثاني (١)، أحمد بن محمد بن عبد الله (١)، عبد الله بن موسى (١)، إسماعيل بن زيد (١)، الحسين بن زيد (١)، علي بن الحسين (١)، أحمد بن عيسى (١)، يحيى بن عمر (١)، الحسن بن زيد (١)، الحسن بن علي (٢)، الحسن بن عمر (١)، محمد بن صالح (١)، محمد بن جعفر (١)، الشهادة (١)، الموت (١)، كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (١)، كتاب مقاتل الطالبين لأبو الفرج الأصفهاني (١)، شهر ربيع الأول (١)

صفحة ٢٤٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٤٦

الحسن (ع) بالعسكري: نسبة إلى محله العسكر في مدينة سامراء التي كان يسكنها هو وأبوه الإمام الهادي (ع) من قبل. النصوص على إمامته (ع).

عن أبي بكر الفهفكي قال: كتب إلى أبو الحسن (ع): أبو محمد ابني أضح آل محمد غريزة، وأوثقهم حجة، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، وإليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامنا، فما كنت سائلي عنه، فاسأله عنه، فعنده ما تحتاج إليه (١).

وعن علي بن مهزيار قال: قلب لأبي الحسن (ع): ان كان كون، وأعوذ بالله، فإلى من؟ قال: عهدى إلى الأكبر من ولدي، يعني الحسن (ع) (٢).

الإمام العسكري (ع) والسلطة العباسية.

لقد درج خلفاء بني العباس على استدعاء أئمة أهل البيت (ع) من المدينة المنورة، عاصمة العلم والشريعة، إلى بغداد وسامراء وخراسان، عواصم السلطات الحاكمة، ليكونوا تحت الرقابة والمتابعة الجاسوسية، ولتطويق نشاطهم الفكري والسياسي والاجتماعي، ولعزلهم عن قواعدهم الشعبية وأنصارهم والمتعاطفين معهم، فضلاً عن زجهم في غياهب السجون الرهيبة، والحط من عظمتهم وعلو شأنهم فقد ذكر المؤرخون جملة من معاناه عميد أهل البيت الإمام الحسن العسكري (ع) من حكام بني العباس وعيونهم.

روى علي بن جعفر، علي حلي، قال: اجتمعنا بالعسكر، وترصدنا لأبي محمد (ع) يوم ركوبه، فخرج توقيعه: ألا لا يسلمن علي أحد، ولا- يشير إلى بيده، ولا يومئ، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم قال: والى جانبي شاب، فقلت: من أين أنت؟ قال: من المدينة، قلت: ما تصنع هنا؟ قال: اختلفوا عندنا في أبي محمد (ع)، فجئت لأراه وأسمع منه أو أرى منه دلالة ليسكن قلبي واني لولد أبي ذر الغفاري. فبينما نحن كذلك إذ خرج أبو محمد (ع) مع خادم له، فلما حاذانا نظر إلى الشاب الذي بجنبي، فقال: أغفاري أنت؟ قال: نعم، قال: ما فعلت أمك حمدوية؟ فقال: صالحة، و [مر] أي الإمام (ع) [، فقلت للشاب: أكنت رأيت قط، وعرفته بوجهه قبل اليوم؟ قال: لا، قلت: فينفعك هذا؟ قال: ودون هذا (٣).

وعن محمد بن عبد العزيز البلخي، قال: أصبحت يوماً فجلست في شارع الغنم، فإذا بأبي محمد (ع) قد أقبل من منزله، يريد دار العامة، فقلت في نفسي: ترى ان صحت أيها الناس هذا حجة الله عليكم فاعرفوه، يقتلونني؟ فلما دنا مني، أو ما ياصبعه السبابة على فيه: أن أسكت، ورأيتك تلك الليلة يقول: انما هو الكتمان أو القتل، فاتق الله على نفسك (٤).

٢ - المصدر نفسه ص ٣٣٧.

٣ - البحار للمجلسي ج ٥٠ ص ٢٦٩، عن الخرائج.

٤ - كشف الغمة للأربلي ط بيروت ج ٣ ص ٢١٢.

(٢٤٦)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٢)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام الحسن بن علي المجتبي عليهما السلام (٤)، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (١)، أبوذر الغفاري (١)، الدولة العباسية (العباسيون) (١)، مدينة سامراء المقدسة (٢)، بنو عباس (٢)، المدينة المنورة (١)، محمد بن عبد العزيز البلخي (١)، علي بن مهزيار (١)، مدينة بغداد (١)، علي بن جعفر (١)، خراسان (١)، الحج (٢)، القتل (١)، كتاب كشف الغمة للإربلي (١)، مدينة بيروت (١)

صفحة ٢٤٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٤٧

روى أصحاب السير: كان أبو هاشم الجعفرى حبس مع أبي محمد (ع)، كان المعترّ حبسهما مع عدة من الطالبين في سنة ٢٥٨ هـ (١). وذكر الطبرسي في إعلام الوري عن سلسلة من الرواة: عن أحمد بن محمد قال: كتبت إلى أبي محمد (ع) حين أخذ المهدي [الخليفة العباسي] في قتل الموالي، وقلت: يا سيدي، الحمد لله الذي شغله عنك، فقد بلغني أنه يتهددك، ويقول: والله لأجلينهم عن جديد الأرض، فوقع أبو محمد [ع] [بخطة: ذاك أقصر لعمره، عد من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمر به، فكان كما قال] ع [٢].

الإمام العسكري (ع) وأصحاب العقائد المنحرفة.

ويحدثنا التاريخ أن بعض المنحرفين عن عقيدة التوحيد غالوا في أئمة أهل البيت (ع) و وصفوهم بأوصاف الألوهية، فبرأ أهل البيت (ع) من ذلك الضلال ولعنوهم وحاربوهم.

فقد روى إدريس بن زياد الكفرتوثائي، قال: كنت أقول فيهم [أئمة أهل البيت (ع)] قولاً عظيماً، فخرجت إلى العسكر للقاء أبي محمد (ع) فقدمت وعلى أثر السفر ووعثاؤه، فألقيت نفسي على دكان حمام، فذهب بي النوم، فما انتهت إلا بمقرعة أبي محمد، قرعني بها حتى استيقظت، فعرفته، فممت قائماً أقبل قدميه وفخذه، وهو راكب والغلمان من حوله، فكان أول ما تلقاني به أن قال: يا إدريس: (... بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) (٣) فقلت: حسبي يا مولاي، وانما جئت أسألك عن هذا، قال: فتركني ومضى (٤).

وفي عصر الإمام العسكري (ع) أيضاً عاش الفيلسوف المعروف يعقوب بن إسحاق الكندي، و كان فيلسوف العراق في زمانه، وأخذ في تأليف كتاب يتهم فيه القرآن بالتناقض، وفي أحد الأيام دخل أحد تلامذة الكندي على الإمام العسكري (ع) فقال له أبو محمد (ع): أما فيكم رجل رشيد، يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟! فقال التلميذ: نحن من تلامذته، كيف يجوز منا الاعتراض عليه، في هذا أو في غيره، فقال له أبو محمد (ع): أتودى إلى ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فصر إليه وتلطف في مؤانسته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك، فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له ان أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول لك انه من الجائر، لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك، فقل له فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه، فتكون

١ - إعلام الوري للطبري ص ٣٥٦.

٢ - إعلام الوري للطبري ص ٣٥٦.

٣ - الأنبياء، ٢٦ و ٢٧.

٤ - المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٤٢٨.

(٢٤٧)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٣)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٣)، كتاب إعلام الوري بأعلام الهدى (٣)، دولة العراق (١)، أبو هاشم الجعفرى (١)، إدريس بن زياد (١)، يعقوب بن إسحاق (١)، أحمد بن محمد (١)، القرآن الكريم (٣)، القتل (١)، الضلال (١)، الجواز (٢)، النوم (١)، ابن شهر آشوب (١)

صفحة ٢٤٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٤٨

واضعا لغير معانيه.

فصار الرجل إلى الكندي، وتلطف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أعد علي، فأعاد عليه، فتفكر في نفسه، ورأى ذلك محتملا في اللغة، وسائغا في النظر، فقال:

أقسمت عليك الا أخبرتنى من أين لك؟ فقال: انه شئ عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال:

كلا، ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفنى من أين لك هذا؟، فقال: أمرنى به أبو محمد، فقال: الان جئت به وما كان ليخرج مثل هذا الا من ذلك البيت، ثم انه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه (١).

وفاة الإمام العسكري (ع).

عاصر الإمام العسكري (ع) المعتر والمهتدى والمعتمد من خلفاء بنى العباس وقد لاقى التضيق والعنت والإرهاب والملاحقة والسجن من قبلهم، وكان آخر الذين عاصرهم الامام هو المعتمد، وكان خليعا ميالا إلى اللهو واللذات، منصرفا إلى العزف والغناء واقتراف المحرمات، مما أوجب كراهية الناس له. وقد زاد من غيظ المعتمد اجماع الأمة على تعظيم الإمام العسكري (ع) وتبجيله و تقديمه بالفضل على جميع العلويين والعباسيين، فى الوقت الذى كان المعتمد العباسى مكروها لدى الأمة، فأجمع رأيه على الفتك بالامام (ع) واغتياله، فدرس له سما قاتلا، أثر فيه فلازم الفراش عدة أيام يعانى آلاما مريرة وقاسية، وهو صابر محتسب حتى توفى (ع) وعمره ثمان وعشرون عاما (٢). فقد كانت وفاته (ع) سنة ٢٦٠ هـ فى سر من رأى (سامراء) المشرفة.

الإمام الحجة المنتظر.

محمد بن الحسن المهدي (عج).

بسم الله الرحمن الرحيم.

(ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) (٣): (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (٤) (ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) (٥).

شاء الله تعالى بلطفه بعباده، وحكمته فى خلقه، ورحمته بهم، أن يرفع البشرية ويحوظها بعنايته الرحيمة، ويوفر لبنى البشر ما يصلحهم وما يقربهم إليه، ويبعدهم عن الشقاء والمعصية والجريمة. ويشكل وجود الأنبياء مظهرا من مظاهر هذا اللطف

١ - المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٤٢٤.

٢ - راجع حياة الإمام العسكري ص ٢٥٥ وص ٢٦٧ مثلا عن تاريخ الخلفاء للسيوطى ٣٦٣، و مهج الدعوات ص ٢٤٧.

٣ - الأنبياء: الآية ١٠٥.

٤ - التوبة: الآية ٣٣.

٥ - القصص: الآية ٥.

(٢٤٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٤)، مدينة سامراء المقدسة (١)، بنو عباس (١)، محمد بن الحسن (١)، الغناء (١)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، ابن شهر آشوب (١)

صفحة ٢٤٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٤٩

الإلهي، بما يحملون للبشرية من دعوة خير وإصلاح، ومبادئ هداية وسلام على هذه الأرض، ولقد شكل الأنبياء هذا الحظ والامتداد التاريخي المتواصل عبر مسيرة الأجيال.

قال تعالى: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (١).

ويمثل أئمة الهدى وعلماء الإسلام وأبناؤه، الامتداد الحركي والتواصل الفكري لخط الأنبياء ولم يكن لطف الله سبحانه ليغيب عن هذا الكوكب، حتى مع انقطاع النبوة: حيث أن منهج الأنبياء المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله الكريم (ص)، ما زال حيا متدفقا بالحيوية والعطاء والهداية لبني البشر، وما زالت أمة من المؤمنين قائمة بالحق تدعو إلى الهدى والإصلاح متمسكة بالقرآن العظيم الذي أنزله رب العزة حيث قال تعالى:

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٢).

الآن حركة هذه المسيرة بدأت تضعف، وبدأ التفهق والتصدع في حركة الحضارة والدعوة والقيادة الإسلامية، وحرمان الإنسان من أبسط حقوقه، وبدأت الشرور الجاهلية والعصبيّة المقيتة القديمة تنشط، وأخذ الظلم والجور يعود ويسرى كالبرق في شتى بقاع المعمورة، وساد التنكر لمبادئ الإيمان والصالح، وصار حكام الجور هم الأعلون ومن تبعهم وتولاهم، فيما يهان المستضعفون وتداس القيم السماوية لتضحى تراثا باليا وتشيع الفاحشة ويعمل بها: إلا أن كلمة الحق هي العليا، حيث ما زال ملايين من البشر يتطلعون إلى مصدر الحق والهدى والإصلاح، ويحدوهم الأمل الكبير في الوعد الإلهي العظيم بتصفية بؤر الشر، ومنابع الفساد والظلم، وتحقيق الانقلاب الكبير والتغيير الشامل على يد مصلح البشرية، ومقيم سنن الأنبياء، الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فقد شاء الله أن يخرج من هذه الأمة مصلحا يتحمل مهمة الأنبياء في الدعوة إلى الدين القويم ومبادئ الهدى، والعمل بما جاء به الهادي الأمين محمد (ص)، وذلك وعد حق غير مكذوب نطق به القرآن الكريم، ووعدت به الكتب الإلهية المقدسة، رغم ما يبتغيه أعداء الله، فهو المصلح والأمل الكبير الذي سيحطم عروش الطغاة والظلمة، ويملا الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا. وبين أيدينا باقّة لا يستهان بها من آي الذكر الحكيم، تدلنا بشكل قاطع على ما أشار إليه العلي العظيم إلى ظهور المهدي، ذلك المصلح العظيم الذي يريث الأرض ومن عليها، تنقاد له الأمم والشعوب، ويكون خلاص البشرية على يديه المباركتين لكننا نبتدى بولادته (عج) الميمونة والمباركة ثم نخرج على الظروف التي أحاطت بولادته ومن ثم نطوى ملاسبات غيبته المباركة.

ولادته (ع) المباركة كان مولد الامام المهدي (عج) ليلة النصف من شعبان المعظم سنة خمس وخمسين

١ - فاطر: الآية ٢٤.

٢ - الحجر، ١٥.

(٢٤٩)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، النصف من شعبان (١)، القرآن الكريم (٢)، الوراثة، التراث، الإرث (١)، الكرم، الكرامة (١)، الظلم (١)، الجهل (١)، الفرج (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٥٠

ومثّنين للهجرة، وكان سنه عند وفاة أبيه العسكري (ع)، خمس سنين، وقد ولد الامام المهدي (عج) في عند الخليفة العباسي المهتدي، بسر من رأى.

يلقب (عج): بالحجة، والقائم، والمهدي، والخلف الصالح، وصاحب الزمان، والصاحب.

وهو المسمى باسم جده رسول الله (ص)، والمكنى بكنيته، وقد جاء في الاخبار، أنه لا يحق لاحد أن يسميه باسمه، ولا أن يكنيه بكنيته، إلى أن يشرف الله تعالى العالم بظهوره المبارك، وإقامة دولته الشريف.

فمن الاخبار، التي جاءت في ميلاده (عج): ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه، عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن يحيى العطار، عن الحسين بن رزق الله، عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: حدثتني حكيمة بنت محمد بن علي الرضا (ع) قالت: بعث إلى أبو محمد الحسن بن علي (ع) فقال: يا عمه، إجعلى افطارك الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان، فإن الله تعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجتة في أرضه، قالت:

فقلت له: ومن أمه؟ قال: نرجس، قلت له: جعلني الله فداك، ما بها أثر! فقال: هو ما أقول لك، قالت: فجت فلما سلمت وجلست جاءت تنزع خفي وقالت: يا سيدتي كيف أمسيت؟ فقلت بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا؟!، فقلت لها: يا بنية، ان الله تبارك وتعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاما سيدا في الدنيا والآخرة، قالت: فخرجت واستحيت، فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي، فرقدت، فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة، ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثم جلست معقبه، ثم اضطجعت، ثم انتبهت فزعه وهي راقدة، ثم قامت فصلت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجت أتفقد الفجر، فإذا أنا بالفجر الأول كذب السرحان وهي نائمة، قالت: فدخلتني الشكوك، فصاح بي أبو محمد من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمه، فهاك الامر قد قرب، قالت فجلست فقرأت (ألم السجدة) و (يس) فبينما أنا كذلك، إذ انتبهت فزعه، فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: هل تحسين شيئا؟ قالت: نعم، فقلت لها: إجمعي نفسك، واجمعي قلبك، فهو ما قلت لك.

قالت حكيمة: ثم أخذتني فترة وأخذتها فترة، فانتبهت بحسن سيدي، فكشفت، الثوب عنه، فإذا به عليه السلام ساجدا يتلقى الأرض بمساجده، فضمته إلى فإذا أنا به نظيف منظر، فصاح بن أبو محمد (ع): هلمي إلى ابني يا عمه، فجت به إليه، فوضع يديه تحت أليته وظهره، ووضع قدميه [على صدره، ثم أدلى لسانه في فيه، وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال: تكلم يا بني.

فقال: أشهد أن لا اله الا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم صلى على

(٢٥٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (١)، الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، شهر شعبان المعظم (١)، علي بن الحسين بن علي (١)، محمد بن القاسم بن حمزة (١)، محمد بن يحيى العطار (١)، موسى بن جعفر بن محمد (١)، الحسن بن الوليد (١)، محمد بن علي (١)، السجود (١)، الفدية، الفداء (١)، الشهادة (١)، الإقامة (١)، الصلاة (٢)، الوفاة (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٥١

أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام، إلى أن وقف على أبيه ثم أججم.

ثم قال أبو محمد (ع): يا عمّة، اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها، وائتني به فذهبت به فسلم ورددته ووضعته في المجلس، ثم قال (ع): يا عمّة، إذا كان يوم السابع فائتنا.

قالت حكيمة فلما كان يوم السابع جئت وسلمت وجلست فقال: (هلمي إلى ابني) فجئت بسیدی (عج) وهو في الخرقه، ففعل به كفعلته الأولى، ثم أولى لسانه في فيه كأنما يغذيه لبنا أو عسلا، ثم قال: تكلم يا بني. فقال عليه السلام: أشهد أن لا اله إلا الله وثني بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين (ع)، وعلى الأئمة حتى وقف على أبيه (ع)، ثم تلا هذه الآية: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (١). قال موسى: فسألت عقبه الخادم عن هذا، فقال: صدقت حكيمة.

قال ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ولد أبو القاسم محمد الحجّة بن الحسن الخالص بسر من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين للهجرة...

إلى أن قال: وأما أمه فأم ولد يقال لها نرجس، خير أمه، وقيل اسمها غير ذلك.

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان: كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين للهجرة ولما توفي أبوه الإمام الحسن العسكري (ع) كان عمره خمس سنين، واسم أمه خمط وقيل نرجس.

وذكر ابن حجر في الصواعق بعد ذكر بعض حالات الامام أبي محمد العسكري ... ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجّة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمى القائم المنتظر (٢).

يروى أن حكيمة بنت محمد الجواد [ع] كانت عمّة أبي محمد الحسن العسكري عليهم السلام تحبه وتدعو له ... إلى أن قالت: يا سيدى هل عندك من علم في هذا المولود المبارك؟

فقال: يا عمّة هذا المنتظر الذي بشرنا به فخررت لله ساجدة شكرا على ذلك، ثم كنت أتردد إلى الحسن فلا أرى المولود، فقلت يا مولاي ما فعل سيدنا المنتظر؟ قال:

استودعناه الله الذي استودعته أم موسى (ع) ابنها، ابنها، وقال آتاه الله تبارك وتعالى الحكمة، وفصل الخطاب وجعله آية للعالمين، كما قال تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) (٣) وقال تعالى: (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) (٤) وطول

الله تبارك وتعالى عمره كما طول عمر الخضر وإلياس

١ - القصص: الآية ٥ - ٦. وراجع كمال الدين ١ / ٢٢٤.

٢ - الصواعق ص ٢٠٨ الباب الحادي عشر الفصل الثالث.

٣ - مريم، ١٢.

٤ - مريم، ٢٩.

(٢٥١)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٢)، الإمام

محمد بن علي الجواد عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي

(١)، النصف من شعبان (١)، شهر شعبان المعظم (١)، الشهادة (١)، الوفاة (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٥٢

عليهما السلام (١).

يحسن بنا، وقد توغلنا في تفاصيل ولادته الميمونة (عج) أن نعطي فكرة كافية عن أمه الراضية المرضية المجاهدة، كما وردت في التاريخ بشكل عام وفي مصادر الخاصة بشكل خاص. فقد كانت عليها السلام قبيل حملها بولدها المهدي (عج)، أمه مملوكة جليت بواسطة الفتح الاسلامي الذي كان جاريا على قدم وساق في تلك العصور، من بعض مدن الكفر إلى سامراء، ودخلت في ملكية بعض أفراد أسرة الإمام العسكري (ع...) وكانت تسمى في ذلك المجتمع بأسماء مختلفة، فهي ريحانة ونرجس وسوس وصقيل ويعود تعدد أسمائها إلى سبب مهم في حياة الإمام العسكري (ع)، حيث أنها عليها السلام عاشت تخطيطا خاصا في تبديل اسمها بين آونة وأخرى، ودعوتها بعدد أسماء في وقت واحد، أو أوقات مختلفة عاشت ذلك منذ دخلت في كنف هذه العائلة الكريمة، لأنها ستصبح أما للمهدي (عج) وسترى المطاردة والاضطهاد من قبل السلطان، وستعيش في السجن مدة من الزمن... إذن، فيجب القيام بهذا المخطط تجاهها، امعانا في الحذر، وزيادة في التوقى عليها وعلى وليدها (عج) ولأجل أن يختلط في ذهن السلطان أن صاحبة أي من هذه الأسماء هي المسجونة، وأي منها هي الحامل، وأي منها هي الوالدة، وهكذا... حيث يكون المفهوم لدى السلطان كون الأسماء لنساء كثيرات، فيغفلون عن احتمال تعددها في شخص امرأة واحدة، وبذلك يضع عليهم أمره (عج).

مهمة الإمام العسكري (ع) في الحفاظ على حياة المهدي (عج) وهناك مهمتان مترابطتان امام الإمام العسكري عليه السلام، تجاه وليده الجديد، تحتاج إلى تخطيط خاص، وحذر شديد ولباقة.

المهمة الأولى: إثبات وجود الإمام المهدي عليه السلام تجاه التاريخ وتجاه الأمة الاسلامية، وتجاه مواليه الذين يعتبرون المولود الجديد إمامهم الثاني عشر بحسب نص النبي (ص) حين قال: يكون بعدى إثنا عشر خليفة كلهم من قريش. فليس من الممكن ولا من المنطقي أن يبلغ الحذر والتوقى إلى إخفائه الكامل، بحيث يؤدي انطماس اسمه وإنكار وجوده. مع كونه عليه السلام الامام الثاني عشر لمواليه والقائد المذخور لدولة الحق.

على أنه لا بد من إقامة الحجّة في وجوده على الموالين خاصة وعلى المسلمين عامة، بحيث يكون هناك تواتر في الاخبار عن وجوده ورؤيته، يدحض به قول من يزعم عدم وجوده أو أنه ليس للإمام العسكري عليه السلام من ولد.

المهمة الثانية: حماية الإمام المهدي عليه السلام من السيف العباسي والمطاردة الحكومية، التي عرفنا مناشئها وتخطيط السلطان لها، وتجنيد كل قواها وعيونها من أجلها.

١ - ينابيع المودة للقندوزي الباب ٦٥ ص ٣٨٧.

(٢٥٢)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٥)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (٣)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، حديث اثني عشر خليفة (١)، مدينة سامراء المقدسة (١)، الكرم، الكرامة (١)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (١)، كتاب ينابيع المودة (١)

صفحة ٢٥٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٥٣

أضف إلى ذلك ما أشرنا إليه من أن الجهاز الحاكم، كان يعرف في دخيلة نفسه حق الامام، وعدالة قضيته، وصدق قوله. وإنما كان يمنعهم عن اتباع الحق: الملك العقيم، والمصالح العريضة المتعلقة بالخلافة العباسية، مضافا إلى تعصب وراثي قديم. ومن هنا كانوا يشعرون أن ولادة المهدي عليه السلام، وهو الشخص الذي ملأ رسول الله (ص) أسماعهم بأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت

ظلمًا وجورًا، ... أن ولادته هذه، تعنى الحكم على نظامهم بالموت المحتم، وفضح مخططاتهم المنحرفة، وأساليب عصيانهم لأوامر الإسلام، واهمال طاعة الله تعالى، وعدم الاهتمام بالأمة الإسلامية وعبارة أقرب:

إنهم كانوا يدركون أن مجتمعهم الذى يحكمونه قد امتلأ.. بفعل انحرافهم وسوء تصرفهم.. ظلما وجورا.

إذن فمن المنطقى أن يتصدى الإمام المهدي عليه السلام لطواغيت الأرض، لكى يملأه قسطا وعدلا وهذا ما يخافونه ويرهبونه.

وهم وان لم يحددوا بالضبط تاريخ ميلاد الإمام المهدي عليه السلام، للسريّة التامة المحاط بها الا أنهم يعلمون، على الإجمال أن زمانه قد أظلمهم وأنه على وشك الوجود. فإنه يكفيهم أن يعرفوا أن الإمام العسكرى عليه السلام يكون فى السلسلة التى وعد بها رسول الله (ص) الامام الحادى عشر: ... لكى يكون ولده هو الثانى عشر وهو المهدي. إضافة إلى ذلك جهلهم بتحديد التاريخ، وما سنتطرق إليه من مراقبتهم للحوامل عند وفاة الإمام العسكرى (ع)، ظنا منهم بوجود الامام المهدي (ع) جنينا فى رحم إحدى النساء. مع أنه كان مولودا قبل خمس سنوات، كما أطلع على ذلك الخاصة من مواليه.

وإذا كان نشاط الامامين العسكرين عليهما السلام، وهو مقتصر على حفظ مصالح قواعدهم الشعبىة، ومشفوعا بسياسة السليبية والمسالمة مع الجهاز الحاكم على ما قلنا.. إذا كان هذا النشاط مثيرا ومغضبا للسلطة.. فكيف بالنشاط الموعود للمهدي المنتظر الذى يكون شديدا فى الحق، لا يتسامح ولا يسالم ولا يعفو عن الإنحراف.

ومن هنا كان عمل السلطة فى تلك الظروف أقرب شيها بالحركات العصيية، التى يقوم بها المخنوق عند خنقه أو الغريق قبل إنقاذه.. فإنها تعلم بوجود شئ خطر مشرف عليها، شديد الأهمية بالنسبة إليها ... ولكنها تشعر بالعجز تجاهه، وقصر الباع فى الوصول إليه و الوقوف عليه، بالرغم من وجود القوة والمال والضماير الأجييرة، وليس فى الجانب الآخر الا العزل والفقراء والمضطهدون.. ولعلها تحس تجاه ذلك بالتحدى لقوتها وعزتها، فتزيد من نشاطها وتبذل المستحيل فى سبيل القبض على الامام المهدي (ع).

فكانت هذه المسؤولية المزوجة للإمام العسكرى عليه السلام، تضعه فى موقف غاية فى الدقة والحرص.

ويزيد الموقف دقة، أن الإمام العسكرى يعيش فى هذا المجتمع الصاخب، تحت الأضواء المسلطة عليه من كل الجهات، والرقابة الاجتماعية التى تلاحقه لعدة

(٢٥٣)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على العسكرى عليهما السلام (٤)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (٥)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الخوف (١)، الموت (١)، العقم (١)، الصدق (١)، الوفاة (١)

صفحة ٢٥٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٥٤

أسباب: منها: أنه الرجل الإسلامى المثالى فى عبادته وأخلاقه وعلمه ونسبه فى نظر الجميع. ومنها: أنه القائد والموج لقواعد شعبيية واسعة من المسلمين. ومنها: أنه يمثل جبهة المعارضة ضد السلطات الحاكمة. ومنها: أن السلطة تسعى لاستمالاته إلى البلاط واخضاعه لرغباتها - ولكن دون جدوى -.

ومن المعلوم أن الشخص الذى يحمل بعض هذه الخصائص، فضلا عن جميعها يكون لولده من بعده شأن كبير وخبر ذائع.

فكان أقرب تخطيط للخروج من هذا المآزق، هو ترك الإعلان الاجتماعى عن ولادة المولود الجديد كليية، وكأن شيئا لم يحدث على الاطلاق، بالنسبة إلى الفهم العام، وترك الاحداث تسير فى مجراها الاعتيادى من دون إثارة أى انتباه أو فضول أو شك من أحد فى شئ من النشاط أو القول أو العمل. حتى أن خادم الباب فى بيت الإمام العسكرى لم ينتبه إلى شئ ولم يفهم شيئا، (١) إذ أنه ما لم يحصل الشك والانتباه لم يحصل الفحص والسؤال.

ومما ساعد الإمام العسكري (ع) على الإخفاء مساعدة كبرى، تطبيقه سياسة الاحتجاب على نفسه، وانقطاعه عن أصحابه و مواليه الا بواسطة المراسلات، كما عرفنا: حيث استطاع عليه السلام بذلك تحقيق نتيجتين أساسيتين، إحداهما: تعويد قواعده الشعبية على فكرة الاحتجاب والقيادة غير المباشرة، كما سبق أن أوضحنا. وثانيتها: استقطاب المهام التي كان يقوم بها، والحوادث التي كان يعيشها.. بشكل منفرد، بعيد عن الانتباه و تسليط الأضواء والضوضاء.. لا يكاد يعرف بكل مهمة أحد الا أهل الصلوات بها. وحيث كان اخفاء ولده من مهامه الرئيسية، فلم يكن ذلك بممتنع عليه بعد تخطيط الاحتجاب.

وقد ساعد على الاخفاء أيضا مساعدة كبيرة، تحول انتباه الدولة والمجتمع إلى حرب صاحب الزنج الذي بدأ أعماله التخريبية في جنوب العراق والأهواز في عام ميلاد المهدي عليه السلام.. عام ٢٥٥ هـ على المشهور في ميلاده. والمتتبع للتاريخ العام يعرف ما أوجده هذا المخرب من الفرع والقلق في أذهان الشعب عامة والجهاز الحاكم بصورة خاصة.

ومن المعلوم أن المجتمع الذي يسوده القلق الذهني يكون تفكيره منصبا على ما يخاف منه، ومن الصعب أن يلتفت إلى شئ آخر. كالفرد إذا خاف وحشا ركز نظره وفكره وقوته عليه، وكذلك الحال بالنسبة للمجتمع. فكان حركة صاحب الزنج سببا مناسبا لصرف الأذهان عن الالتفات إلى ميلاد الإمام المهدي عليه السلام.

الا أن هذه الفكرة ظلت تغيث بشكل غامض في ذهن السلطات المتمثلة في الخليفة المعتمد العباسي نفسه.. وتتجلى بأوضح صورها على ما سوف يقوم به عند وفاة الإمام العسكري عليه السلام. إذ يكون المعتمد العباسي في ذلك الحين مرتاحا بعض ١ - انظر اكمال الدين. (مخطوط).

(٢٥٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٣)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (٢)، دولة العراق (١)، الخوف (١)، الفرع (١)، الوسعة (١)، الوفاة (١)

صفحة ٢٥٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٥٥

الراحة من الناحيتين السياسية والعسكرية.. بعد أن أوكل قتال صاحب الزنج إلى أخيه أبي أحمد الموفق، قبل عامين.. سنة ٢٥٨ كما عرفنا.

والى هنا استطاع الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن يضمن بكل بساطة.. حماية ولده المهدي عليه السلام من الجهاز الحاكم ومن كل من يدور في فلكه.. وأما مهمته الأولى عليه السلام، وهي إثبات وجوده للتاريخ وللأمة الاسلامية عامة ولمواليه خاصة.. فكان يجب - تحت الظروف التي عاشها الامام - أن تنحصر تلك المهمة على التبليغ بوجوده واطهاره لكل شخص يعلم فيه قوة الايمان والاخلاص في عقيدته وصلابة الإرادة، مما تجعله لا يلين أمام أى ضغط من السلطان، بحيث يكون على استعداد أن قدم نفسه فداء في سبيل امثال أمر إمامه (ع) بالكتمان. كما أنه لابد أن يعلم من رجاحة عقله واتزانه ولباقته، أنه يكتم ذلك عن المجتمع كتمان تاما، ولا يتهور بإذاعة السر إلى من لا ينبغي أن يذيعه له، وله الخبرة الكافية بالخاصة الذين يمكن أن يتبادل وإياهم هذا الخبر... وهكذا كان... وبمقدار هذا التبليغ خطط الإمام العسكري عليه السلام.

وكان هذا سببا لحجب المولود الجديد، حجبا تاما مطلقا عن الجمهور غير الموالى له.

بل حتى عن جمهور الموالين ممن لم تحرز فيه قوة الإرادة وعمق الإخلاص.

وكان كل من يطلعه الامام على المولود الجديد، فيرويه إياه أو يخبره عنه، مكلفا تكليفا إلزاميا بأمرين لا مناص له منهما، وهو يطبقهما تبعا لاختلافه وقوة إرادته وإيمانه. وهما.

أولاً: وجوب الكتمان. وقد سمعنا فيما سبق أن أحد الأصحاب يقول للاخر: ولد البارحة في الدار مولود لأبي محمد (ع) وأمر بكتمانه ويكتب الإمام العسكري عليه السلام لأحمد بن إسحاق: ولد لنا مولود، فليكن عندك مستورا، وعن جميع الناس مكتوما. فإننا لم نظهر عليه الا الأقرب لقرابته والموالي لولايته. أحببنا إعلامك ليسرك الله به، مثل ما سرنا به. والسلام (١).
وقد عرفنا، بكل وضوح وجه المصلحة في هذا الكتمان.

ثانياً: حرمة اطلاع أحد على اسمه عليه السلام وهو أسلوب في الكتمان ورد التأكيد عليه بشكل خاص.

ولا يخفى أن اسم المهدي المنتظر أساساً، معلوم لدى الأمة، بإخبار نبيها (ص) حين قال:

اسمه اسمي. وهذا يعني بكل وضوح أن اسمه محمد وهذه المعرفة لا يختلف فيها الناس من مواليين وغيرهم.

ولكن السلطة القائمة، إذ تريد أن تطارد المهدي المنتظر في شخص المولود الجديد، لا بد لها من أمرين: أولاً: أن تعرف ولادته، إذ مع

الغفلة عنها، لا يمكنها بطبيعة الحال أن تجرد المطاردة الفعلية الحقيقية ضد المولود. وثانياً: أن تعرف

١ - أنظر اكمال الدين المخطوط.

(٢٥٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٣)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن

عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، كتاب الكافئة للشيخ المفيد (١)، أحمد بن إسحاق (١)، الغفلة (١)، القتل (١)، الوجوب (١)

صفحة ٢٥٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٥٤

شخصه باسمه. إذ بدونه لا يمكن أن تحارب فيه المهدي المنتظر. لاحتمال أن يكون المهدي هو ولد آخر للإمام العسكري (ع) لعله ولد ولعله لم يولد بعد - فيما تحتمله السلطة - وهي ليس لها غرض معين الا ضد المهدي المنتظر على وجه التعيين.

مضافاً إلى وضوح أن الاسم يكسب الفرد شخصيته القانونية والاجتماعية التي يمكن أن تعين ويشار إليها به. وأما مع الجهل به إلى، جانب الجهل بشكله أيضاً، فيكتسب بذلك نحواً من الغموض وعدم التعيين في ذهن السلطات، فتحار عند البحث عنه، انها تبحث عن أي شخص على وجه التحديد. وهذا الغموض - على أي حال - يعطى المهدي المبحوث عنه رهبة في صدورهم، وتضفي هالة قدسية على أحاسيسهم، وشعوراً بالعجز تجاهه. وفي ضعف في معنويات السلطة وخاصة عيونهم.

وطبقاً لهذا التكليف الثاني.. سمعنا الإمام الهادي عليه السلام حين يبشر بحفيده المهدي (ع) يقول: لأنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه. قال الراوي فقلت:

فكيف نذكره؟ قال: قولوا: الحجّة من آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ونسمع عثمان به سعيد العمري، وهو الوكيل الأول للحجّة

(ع) يقول لمن يسأل عن اسمه: إياك أن تبحث عن هذا (١). ويقول لآخر: نهيتم عن هذا (٢). وفي حادثة مشابهة يقول ابنه الوكيل

الثاني: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك. ويضيف: ولا أقول هذا من عندي، وليس لي أن أحلل وأحرم، ولكن عنه عليه السلام، يعني

الحجّة المهدي (ع). ولكننا لا نجد نهياً عن التسمية وارداً عن الإمام العسكري عليه السلام.

والذي أود إيضاحه في هذا الصدد، أن هناك احتمالاً راجحاً تؤكد الحوادث، وهو أن المراد من كتم الاسم كتم الشخص نفسه،

وإخفاء ولادته عن لا- ينبغي أن يصل إليه الخبر. وعليه فهناك تكليف واحد بالكتمان متعلق بالولادة والاسم معاً، باعتبارهما يعبران

عن معنى أصيل واحد، وليس المراد بكتمان الاسم حرمة التصريح به مع غض النظر عن حرمة التصريح بولادته. بل المراد بالاسم هو

شخص المسمى، ووجوب الكتمان راجع إلى أصل ولادته المحافظة عليه بشكل عام.

ومن ثم نرى أن من يضطلع ببيان ذلك هو عثمان بن سعيد دون الإمام العسكري عليه السلام. وذلك لما سنسمعه من أن السلطات بعد

أن يثبّت من العثور على الوريث الشرعي للإمام العسكري، قررت الجزم بعدم وجوده أساساً، وتقسيم ميراث الامام بين الورثة الآخرين.

وبذلك أسقطت السلطة وجود الحجّة المهدي عليه السلام من حساباتها وغضت النظر عنه نهائياً، وان كانت المخاوف تبقى تعتمل في نفسها على ما سنسمع. ومن المعلوم والحال هذه أن أي تصريح جديد باسم المهدي (ع) أو تلوّيح بشخصه أو تأكيد على ولادته، سوف يثير من جديد التفات السلطات وتجديدها للمطاردة.

١ - انظر الاكمال المخطوط.

٢ - الغيبة ص ٢١٥.

(٢٥٦)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٤)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (٤)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (١)، عثمان بن سعيد (١)، الجهل (٢)، الوراثة، التراث، الإرث (١)

صفحة ٢٥٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٥٧

والبحث. وقد نأى هذا الخطر عن الإمام إلى حد كبير بعد يأس الدولة من العثور عليه.

وأما الإمام الهادي عليه السلام، فالمظنون أنه يشير إلى خصوص هذه الفترة التاريخية، أو والى ما بعدها - أي انتهاء زمان الغيبة الصغرى -، فإن التصريح باسمه والاختبار عن ولادته ووجوده، كان خطراً عليه في مثل تلك الأزمنة.

كان الموقف على عهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام مختلفاً عن الموقف في عصر الغيبة الصغرى الذي ابتداءً بوفاته، ويفتتحه عثمان بن سعيد بسفارته عن المهدي (ع). فان السلطات في ذلك العصر المتأخر كانت قد يثبّت من إلقاء القبض على المهدي عليه السلام، حتى قررت إلغاء وجوده القانوني كوريث شرعي لأبيه، فكان في التصريح باسمه إعادة للشك إلى ذهن السلطة. وأما في زمان أبيه عليهما السلام... فلم تكن السلطة قد التفتت إلى ولادته أو أحست بشيء يدل عليه. ومن المعلوم اختلاف الحالة النفسية عند السلطة بين كونها غافلة أساساً عن الشيء، وبين كونها ملتفتة عاجزة فإنها في هذه الحالة الثانية تكون أقرب ذهنًا وأكثر توجهًا إلى تصيد الخبر الشارد واللفظ الوارد عن الإمام المهدي عليه السلام.

الا أننا سنلاحظ من الإمام العسكري عليه السلام، أنه وان يثبّت عن التسمية.. الا أنه يأخذ جانب الحذر... فلا يصرح باسمه لاحد من خاصته ممن يريهم ولده المهدي، بل يكتفي بقوله لهم: هنا صاحبكم.. يعني انه الامام بعده عليه السلام. ويقتصر في التصريح باسمه على أقل القليل.

وفي الحقيقة، ان التكليف الشرعي الاسلامي، المتعلق بالامام العسكري عليه السلام بالتبليغ، وإقامة الحجّة على وجود ولده، والتكليف المتعلق بأصحابه بالايمان بامامهم الثاني عشر..، يكفي فيه هذا المقدار من الاطلاع وإن كان الاسم مجهولاً. إذ يكفيهم بينهم وبين الله أن يؤمنوا بوجود إمام يرجعون إليه في الاحكام والمشاكل. ولا يتوقف ذلك على معرفة أسمه بعد معرفة شخصه وإمكان الاتصال به عن طريق سفرائه.

على أننا سنعرف أن الكثير من الأصحاب، قد تيسرت لهم رؤيته (عج). إذن يكفي للفرد الموالي أن يكثر السؤال من كثيرين ممن يعرف فيه القدم والرسوخ في علاقته مع الإمام العسكري عليه السلام، وممن شاهد ولده المهدي (ع) من غيرهم.. ليحصل عنده التواتر الموجب للعلم بوجود إمامه الثاني عشر. ولئن كان التواتر قد وصلنا من الطرق الخاصة والعامة إلى هذا العصر.. فكيف في ذلك الزمن الذي كانت كل القرائن تدل عليه وكل الأيدي تشير إليه، وكان هم أبيه ووكلائه وأصحابه.. هو التأكيد على وجوده والتبليغ عنه إلى

كل صالح للتبليغ.

الاعلان الرسمي عن إمامته (ع).

ولعل أوسع إعلان يقوم به الإمام العسكري بين أصحابه عن ولادة ابنه وإمامته من بعده، ووجوب طاعته عليهم، هو أنه عليه السلام قبل وفاته بأيام، وقد كان مجلسه غاصا بأربعين من أصحابه ومخلصيه، منهم محمد بن عثمان العمري، ومعاوية بن (٢٥٧)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٥)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (٤)، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (١)، محمد بن عثمان العمري (١)، الغيبة الصغرى (٢)، عثمان بن سعيد (١)، الشهادة (١)، الإقامة (١)، العصر (بعد الظهر) (٢)

صفحة ٢٥٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٥٨

حكيم، ومحمد بن أيوب بن نوح.. يعرض عليهم ابنه عليه السلام ويقول: هذا إمامكم من بعدى وخليفتي عليكم. أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدى فتهلكوا في أديانكم. ويضيف - منبها لهم إلى أن هذه هي فرصتهم الوحيدة في المهدي (ع) - قائلا: أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا (١).

ونجد أنه عليه السلام عرض ولده علي أصحابه في اليوم الثالث من ولادته، وأعطاهم المفهوم الأساسي الصحيح الذي أوكله الله تعالى إليه، وعين لهم تكليفهم تجاهه بصفته الامام بعد أبيه. وقال لهم: هذا صاحبكم بعدى وخليفتي عليكم.. وهو القائم الذي تمد إليه الأعناق بالانتظار. فإذا امتلأت الأرض جورا وظلما، خرج، فملأها قسطا وعدلا (٢).

فهذا وذاك هو الإعلان الرسمي الكبير الذي قام به الإمام العسكري عليه السلام، على طرفي المدة بعد الميلاد وقبل الوفاة لكي يكون هو الأساس المتين لإقامة الحجّة تجاه القواعد الشعبية الموالية. وكان خلال هذه المدد يعرضه على أشخاص بمفردهم حين يزورونه. فمنهم: عمرو الأهوازي، حيث أراه أبو محمد (ع) ولده المهدي (ع) وقال: هذا صاحبكم (٣).

ومنهم: شخص آخر يزور الإمام عليه السلام ويريد أن يتأكد من وجود الإمام (ع) بعده قائلا: يا سيدي من صاحب هذا الامر؟ يعني الإمامة فيأمره الإمام العسكري (ع) برفع ستر كان مسبلا على باب غرفة إلى جنبه. فيرفعه الرجل فيخرج إليهم غلام يقدره الراوي بعشر أو ثمان سنين، واضح الجبين، أبيض، درى المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة: فيجلس على فخذ أبي محمد عليه السلام. فيقول الامام للرجل هذا هو صاحبكم. ثم وثب الغلام فقال له أبوه: يا بني أدخل إلى الوقت المعلوم، (٤) يعني وقت ظهوره عجل الله فرجه.

ولا يخفى أن تقدير الراوي لعمر المهدي عليه السلام، لا ينافي ما عرفناه من أن عمره حين وفاة أبيه خمس سنين. فإن هذا بحسب عدد السنين هو الصحيح وأما بحسب النظر إلى نمو المهدي عليه السلام ونشاطه البدني، فلا يمكن أن نستبعد أن يبدو في ظرف خمس سنين أو أقل، كابن ثمان سنين أو أكثر. وذلك انطلاقا من أحد أساسين.

الأساس الأول: الميزان الطبي الطبيعي. فإنه من المشاهد أن كثيرا من الناس لا يمكن تقدير أعمارهم بشكل دقيق، إذ يبدو للناظر أنهم أكبر من عمرهم الحقيقي بعدة سنوات أو أصغر بعدة سنوات. فإذا أضفنا إلى ذلك نشاطا متزايدا وصحة موفورة،

١ - أنظر اكمال الدين - نسخة مخطوطة.

٢ - أنظر الاكمال المخطوط.

٣ - أنظر الارشاد ص ٣٢٩ وص ٣٣٠ مكررا.

٤ - انظر اكمال الدين المخطوط.

(٢٥٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٢)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (٤)، محمد بن أيوب بن نوح (١)، عمرو الأهوازي (١)، الشهادة (١)، الهلاك (١)، الفرج (١)، الزيارة (١)، الوفاة (١)

صفحة ٢٥٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٥٩

لم نستبعد أن يبدو الصبي على ضعف عمره الحقيقي.. حتى على الموازين الطيبة الطبيعية.

الأساس الثاني: ما ورد في بعض رواياتنا من أن نمو الامام المعصوم (ع) يكون عادةً أسرع من غيره. فمن ذلك ما ورد عن الإمام العسكري (ع) نفسه يقول: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمةً ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم. وان الصبي منا إذا كان أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنه (١).

وممن عرضه عليه الإمام العسكري عليه السلام، رجل من أهل فارس تصدى الإمام عليه السلام ليتشرف بخدمته. فأذن له الامام بذلك، فكان مع الخدم يشتري لهم الحوائج من السوق. وبقي على هذه الحال حتى أصبح خاصا وارتفعت الكلفة بينه وبين الامام.. فكان يدخل الدار من دون استئذان إذا لم يكن فيها الا الرجال.

وبينما هو داخل عليه في يوم من الأيام، والرجال عنده، إذ سمع حركة في البيت - يعني الغرفة - وناداه الامام: مكانك لا تبرح. يقول: فلم أجسر أخرج ولا- أدخل. فخرجت على جارية معها شئ مغطى. ثم إن الإمام ناداه وأمره بالدخول فدخل الغرفة. فنادى الجارية فرجعت، فأمرها الامام أن تكشف ما معها.

فكشفت عن غلام أبيض حسن الوجه، قدره الراوي بستين. وقال الامام: هذا صاحبكم. ثم أمر الجارية فحملته فلم يره بعد ذلك حتى توفي الإمام العسكري أبو محمد صلوات الله عليه (٢).

فترى أن هذا البواب بالرغم من ملازمته للدار ودخوله من دون استئذان أحيانا.. لم يعلم بولادة الإمام المهدي عليه السلام، ولم يحسن بتجدد أي أمر جديد في الدار.

واكتفى الإمام العسكري (ع) بعرضه عليه مرة واحدة، كما هو الشأن مع جملة من أصحابه و خاصته.

واليك هذا السيل الهادر لجملة من الأحاديث الشريفة المبشرة بالامام المهدي (عج).

١ - عن أبي سعيد الخدري قال: دخلت فاطمة على أبيها (ص) في مرضه وبكت وقالت: يا أباي، أخشى الضيعة من بعدك فقال: يا فاطمة، ان الله اطلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختار منهم أباك، فبعثه رسولا ثم اطلع ثانية، فاختار منهم بعلك فأمرني أن أزوجهك منه فزوجتك منه، وهو أعظم المسلمين حلما وأكثرهم علما وأقدمهم اسلاما. انا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين، ولا يدركها أحد من الآخرين. نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك. وشهيدنا خير الشهداء وهم عم أبيك حمزة. ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك. ومنا مهدي هذه الأمة.

١ - انظر اكمال الدين المخطوط.

٢ - انظر الاكمال المخطوط. وأصول الكافي (مخطوط).

(٢٥٩)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٤)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (١)، أبو سعيد الخدري (١)، المرض (١)، الصلاة (١)، الوصية (١)، الشهادة (١)، كتاب أصول الكافي للشيخ الكليني (١)

صفحة ٢٦٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٦٠

قال أبو هارون العبدى: لقيت وهب بن منبه أيام الموسم فعرضت عليه هذا الحديث فقال:

إن موسى لما فتن قومه واتخذوا العجل الها فكبر على موسى قال الله: يا موسى من كان قبلك من الأنبياء افتتن قومه وإن أمه أحمد أيضا ستصيبهم فتنة عظيمة من بعده حتى يلعن بعضهم بعضا. ثم يصلح الله أمرهم برجل من ذرية أحمد وهو المهدي.

ثم قال الشيخ سليمان: أخرج الحافظ أبو نعيم فمنها عن علي بن بلال عن أبيه قال هذا الحديث المذكور، من غير كلام وهب بن منبه وزاد (فيه): يا فاطمة إذا صارت الدنيا هرجا ومرجا وصارت الفتن وانقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيرا، ولا صغير يوقر كبيرا، فيبعث الله عند ذلك المهدي من ولدك يفتح حصون الضلالة وقلوبا غلغا، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملا الأرض عدلا كما ملئت جورا.

٢ - في مستدرک الصحيحين أخرج بسنده عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ص):

المهدي منا أهل البيت، أشم الانف، أفتى، أجلى، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما، يعيش هكذا وبسط يساره وإصبعين من يمينه المسبحة والإبهام، وعقد ثلاثة. (ثم قال) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (١).

٣ - وفي حديث أبي نضرة نقلا عن فتن السليلى وفيه اختلاف وزيادة وهذا نصه عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد. قال: قال رسول الله (ص): يخرج رجل من عترتي أجلى الجبهة، أفتى الانف، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا، يعيش سبع سنين.

قال: وسمعت عفان مرة أخرى يقول يعيش هكذا وأشار من اليسرى وإصبعين من اليمنى (٢).

٤ - عن أبي سعيد قال قال رسول الله (ص): المهدي منى، أجلى الجبهة أفتى الانف، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا، يملك سبع سنين (٣).

وزاد في آخره (يملك سبع سنين) وأخرجه في الفصول المهمة وقال روى أبو داود والترمذى فى سننهما كل واحد منهما يرفعه إلى أبي سعيد الخدرى (رض)، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: المهدي منى، أجلى الجبهة، أفتى الانف، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما.

وزاد أبو داود يملك سبع سنين وقال حديث ثابت صحيح ورواه الطبرانى فى معجمه، و كذلك غيره من أئمة الحديث.

١ - المستدرک للحاكم النيسابورى ج ٤ ص ٥٥٧.

٢ - الملاحم والفتن لابن طاوس ص ٨٩.

٣ - مصابيح السنة للبعوى ج ٢ ص ١٣٤، سنن أبي داود ج ٢ ص ١٣١ و ٢٠٨.

(٢٦٠)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (١)، الحافظ أبو نعيم (١)، أبو سعيد الخدرى (١)، الطبرانى (١)، أبو هارون العبدى (١)، وهب بن منبه (٢)، آخر الزمان (١)، على بن بلال (١)، كتاب المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورى (١)، كتاب سنن أبي داود (١)

صفحة ٢٦١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٦١

٥ - فى عرف الوردى قال: أخرج أبو نعيم بسنده عن أبى سعيد قال قال رسول الله (ص):

المهدى منا أجلي الجبين أقتى الانف (١).

٦ - أخرج إبراهيم بن محمد الحموينى الشافعى الحديث فى فرائد السمطين عن أبى الصديق عن أبى سعيد، ولفظه ولفظ عرف الوردى سواء، وأخرجه الحافظ أبو نعيم فى الأربعين ولفظه: المهدى منا أجلي الجبهة أقتى الانف، وأخرجه السيد فى غاية المرام من الأحاديث التى جمعها فى أحوال الامام المهدى المنتظر وقال: أخرجه الحافظ أبو نعيم فى الأربعين وأخرجه فى فيض القدير ولفظه: المهدى منى أجلي الجبهة أقتى الانف أشم.

٧ - فى مجمع الزوائد وفى فتن ابن طاووس نقلا من فتن زكريا واللفظ لابن طاووس قال ...: حدثنا الوليد عن على بن حوشب، سمع مكحولاً يحدث عن على بن أبى طالب (عليهما السلام) قال قلت: يا رسول الله أمنا أئمة الهدى (المهدى) أم من غيرنا؟ قال: بل منا بنا يختم الدين كما بنا فتح، وبنا يستنقذون من ضلالة الفتن، كما استنقذوا من ضلالة الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم فى الدين بعد عداوة الفتنة، كما ألف بين قلوبهم ودينهم بعد عداوة الشرك (٢).

٨ - وفى فتن ابن طاووس قال فيما ذكره زكريا فى كتاب الفتن بسنده عن أبى معبد مولى ابن عباس قال: وافيت ابن عباس يوماً طالت فيه نفسه. قال: فقلت يا بن عباس حدثنى عن المهدى قال: إني لأرجو أن لا تنقضى الليالى والأيام حتى يبعث الله منا أهل البيت غلاماً شاباً، أو قال فتى شاباً لم تلبسه الفتن، يقيم أمر الله. قال: قلت: يا بن عباس عجز عنها كهولكم وترجوها لشبابكم؟ قال: إنا لله يفعل ما يشاء (٣).

٩ - وفى الجمع بين الصحاح الستة للحميدى أخرج بسنده من صحيح أبى داود السجستانى المعروف بسنن أبى داود، ومن جامع الترمذى، وإنيهما أخرجا بسنديهما عن زر عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله (ص) قال: لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك العرب رجل منى ومن أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً (٤).

١٠ - وفى كنز العمال عن على أنه قال للنبي (ص): أمنا آل محمد المهدى أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: بل منا يختم الله به كما فتح بنا، وبنا يستنقذون من الفتنة

١ - عرف الوردى ج ٢ ص ٥٨، وفرائد السمطين ج ٢ ص ٢٢، وغاية المرام ص ٦٩٩ ح ٨٢، وفيض القدير ج ٦ ص ٢٢٧ حديث رقم ٩٢٤٤.

٢ - مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣١٧، وفتن ابن طاووس ج ٣ ص ١١٩ نقلا عن فتن ابن زكريا.

٣ - الفتن لابن طاووس ج ٣ باب ٤٢ ص ١٤٧ نقلا عن تاريخ ابن عساكر.

٤ - نهاية المرام ص ٦٩٧.

(٢٦١)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، عبد الله بن عباس (٢)، كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢)، الحافظ أبو نعيم (٣)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندى (١)، إبراهيم الحموينى الشافعى (١)، كتاب سنن أبى داود (١)، كتاب فرائد السمطين (٢)، على بن أبى طالب (١)، إبراهيم بن محمد (١)، الضلال (٢)، اللبس (١)، البعث، الإنبعاث (١)، ابن عساكر (١)

صفحة ٢٦٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٦٢

كما أنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الشرك، وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخواناً كما أصبحوا بعد عداوة

- الشرك إخوانا في دينهم، قال علي:
قلت يا رسول الله، أمؤمنون أم كافرون قال مفتون وكافر (١).
- ١١ - وفي كتاب البيان أخرج بسنده عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة (٢).
- ١٢ - وفي ينابيع المودة عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب أحق المهدي؟ قال: نعم هو حق من أولاد فاطمة. فقلت: من أي أولاد فاطمة؟ قال: حسبك الآن (٣).
- ١٣ - وفي سنن أبي داود أخرج بسنده عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة (٤).
- ١٤ - وفي الصواعق المحرقة لابن حجر قال: لما زوج النبي (ص) فاطمة ببن عمها علي بن أبي طالب دخل علي فاطمة ودعا بماء فأنته بقدر فيه ماء، فمخ فيه ونفخ علي رأسها وبين ثديها وقال: اللهم إني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم قال لعلني اتنتى بماء قال علي عليه السلام: فنفخ منه علي رأسى وبين كتفى، وقال: اللهم إني أعيده بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال: أدخل بأهلك علي اسم الله تعالى و بركته، (قال): وقد ظهرت بركة دعائه (ص) في نسلها فكان منه من مضى ومن يأتي، ولو لم يكن في الآتين الا الامام المهدي قال: وسيأتى من الأحاديث المبشرة به أي المهدي.
- ١٥ - وفي عقد الدرر عن أبي وائل، قال: نظر علي إلى الحسين (رضى الله عنهما) فقال:
ابني هذا السيد كما سماه رسول الله (ص). وسيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم. يخرج علي حين غفلة من الناس وإماتة للحق واطهار الجور. يفرح بخروجه أهل السماء وسكانها، وهو رجل أجلى الجبين أقى الأنف ضخم، المتن، أذيل الفخذين، بخده الأيمن شامة، أبلج الثنايا، يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وجورا (٥).
- ١٦ - وفي عقد الدرر نقلا عن معجم الحافظ أبي القاسم الطبراني. والحافظ أبي نعيم الأصفهاني في صفة المهدي، والحافظ أبي عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن بأسانيدهم عن عبد الله بن عمرو قال: يخرج من ولد الحسين من المشرق (رجل) لو
١ - كنز العمال للهندي ج ٧ ص ٢٦٣، والمعجم الأوسط للطبراني، وكتاب المهدي لأبي نعيم، والخطيب البغدادي أيضا.
٢ - أخرجه الحافظ أبي داود في سننه ج ٢، ص ٤٢٢، وفي الصواعق المحرقة لابن حجر: ٩٧، وفي اسعاف الراغبين: ١٣١ / ٣ - ينابيع المودة ص ٤٣٢، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي، وأرجح المطالب ص ٣٨٤ والكنجي الشافعي في بيانه ص ٦٤.
- ٤ - سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٠٧.
- ٥ - كقدر الدرر الحديث ٥٥ باب ٣.
- (٢٦٢)
- مفاتيح البحث: أمهات المؤمنين، أزواج النبي (ص) (١)، الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابى طالب عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، الحافظ أبو نعيم (١)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (٢)، كتاب سنن أبي داود (٢)، كتاب ينابيع المودة (٢)، كتاب الصواعق المحرقة (٢)، الطبراني (١)، سعيد بن المسيب (٣)، عبد الله بن عمرو (١)، كتاب إسعاف الراغبين لابن الصبان الشافعي (١)، كتاب كنز العمال للمتمقي الهندي (١)، الخطيب البغدادي (١)، ابن ماجه (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٦٣

استقبله الجبال هدمها واتخذها طرقاً (١).

١٧ - في ينابيع المودة عن علي (ع) رفعه إلى رسول الله (ص) أنه قال: لا تذهب الدنيا حتى يقوم على أمتي رجل من ولد الحسين، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً (٢).

١٨ - وفي عقد الدرر أخرج بسنده عن الأعمش عن بني وائل قال: نظر علي إلى ابنه الحسين فقال: ان ابني هذا السيد كما سماه رسول الله (ص) وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيك (ص) يشبهه في الحق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً (٣).

١٩ - وفي الملاحم والفتن لابن طاووس... قال: حدثنا موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن جده (ع) قال: دخل الحسين بن علي على علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وعنده جلساؤه فقال: هذا سيدكم سماه رسول الله (ص) سيداً وليخرجن رجل من صلبه شبهي شبهه في الخلق والخلق يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً. قيل له: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: هيهات، إذا أخرجتم عن دينكم كما تخرج المرأة عن وركها لبعولها (٤).

٢٠ - وفي (كفاية الأثر) وغيره. أخرج بسنده عن محمد بن عثمان العمري يقول: سمعت أبي يقول: سئل أبو محمد الحسن بن علي (العسكري) وأنا عنده عن الخبر الذي روى عن آبائه (عليهم السلام): ألا إن الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه إلى يوم القيامة، وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال: أن هذا حق كما أن النهار حق، فقيل له: يا بن رسول الله، فمن الحجة والامام بعدك؟ قال: ابني محمد هو الإمام، والحجة بعدى، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية. أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقاتون، ثم يخرج فكأنى أنظر إلى الاعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة.

٢١ - وفي (مقتضب الأثر) أخرج بسنده عن الحارث بن عبد الله الهمداني والحارث بن شرب كل حدثنا أنهم كانوا عند علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، فإذا أقبل ابنه الحسن يقول: مرحبا يا ابن رسول الله. وإذا أقبل ابنه الحسين يقول: بأبي أنت وأمي يا أبا ابن خيرة الإمام، فقيل: يا أمير المؤمنين، ما بالك تقول هذا للحسن وهذا للحسين؟

ومن ابن خيرة الإمام؟ فقال: ذلك الفقيه الطريد الشريد م ح م د ابن الحسن ابن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين

١ - ينابيع المودة ص ٢٥٨، وذكره الشافعي الهمداني أيضاً.

٢ - ينابيع المودة ص ٢٥٨، وذكره الأفعي الهمداني أيضاً.

٣ - عقد الدرر حديث ٢٥ الباب ١، وأخرجه أبو داود في سننه والترمذي في الجامع والنسائي يحاسنه.

٤ - الملاحم والفتن لابن طاووس ج ٢ ص ١٠٣.

(٢٦٣)

مفاتيح البحث: الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام (٣)، حديث من مات ولم يعرف إمام زمانه (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، كتاب كفاية الأثر للخزار (١)، يوم القيامة (١)، كتاب ينابيع المودة (٣)، محمد بن عثمان العمري (١)، مدينة الكوفة (١)، علي بن موسى بن جعفر بن محمد (١)، الحارث بن عبد الله (١)، الحسين بن علي (١)، علي بن الحسين (١)، الحسن بن علي (١)، الموت (٣)، الحج (١)، الجهل (١)

صفحة ٢٦٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٦٤

هذا، ووضع يده على رأس الحسين.

٢٢ - وفي فرائد السمطين أخرج حديثاً مفصلاً وقال في مضمونه...: وإن الله ركب في صلب (الملقب بالخالص) الحسن (بن علي النقي) نطفة مباركة زكية طيبة طاهرة مطهرة، يرضى بها كل مؤمن ممن أخذ الله ميثاقه في الولاية، ويكفر بها كل جاحد، وهو امام تقي نقي سار مرضى هاد مهدي، يحكم بالعدل ويأمر به، ويصدق الله عز وجل ويصدق الله في قوله: يخرج من تهامة حتى يظهر الدلائل والعلامات وله بالطالقان كنوز لا ذهب ولا فضة، الا خيول مطهمة ورجال مسومة، يجمع الله له من أقصى البلاد على عدة أهل بدر، ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، معه صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم وأنسابهم وبلدانهم وصنائعهم وطبائعهم، وكلامهم وكناهم، كدادون مجدون في طاعته، فقال له أبي: وما دلالاته وعلامته، يا رسول الله؟ قال له: علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه، وأنطقه الله عز وجل فناده العلم: أخرج يا ولي الله، أقتل أعداء الله وهما رايتان وعلامتان وله سيف مغمدة، فإذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده، وأنطقه الله عز وجل، فناده السيف: أخرج يا ولي الله فلا يحل لك أن تقعد عن أعداء الله، فيخرج فيقتل أعداء الله حيث ثقفهم، ويقيم الحدود (حدود الله) ويحكم بحكم الله، يخرج جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يسارته، وشعيب بن صالح على مقدمته، وسوف تدركون (تذكرون) ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله عز وجل، طوبى لمن لقيه وطوبى لمن أحبه وطوبى لمن قال به ولو بعد حين (١).

٢٣ - وذكر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص: إن الإمام المهدي (عليه السلام) من أولاد الإمام الحادي عشر أبي محمد الحسن بن علي العسكري (٢).

٢٤ - وذكر محمد بن طلحة الشافعي في كتابه مطالب السؤل إن الإمام المهدي (عليه السلام) من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٣).

٢٥ - وذكر الكنجي الشافعي في كتابه البيان في أحوال صاحب الزمان إن الامام المهدي (عليه السلام) من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٤).

٢٦ - وذكر ابن خلكان الشافعي في كتابه وفيات الأعيان: إن الإمام المهدي (عليه السلام) من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٥).

٢٧ - وفي الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي الشافعي: إن الامام المهدي (عليه السلام) من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٦).

١ - غاية المرام ص ٤٢ - ٤٣ عن فرائد السمطين ج ٢ باب ٣٥.

٢ - تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٢٧٧.

٣ - مطالب السؤل ج ٢ ص ٧٩ لابن طلحة الشافعي.

٤ - البيان في أحوال صاحب الزمان للكنجي الشافعي ص ١٠٢ - ١١٢.

٥ - وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣١٦.

٦ - الصواعق المحرقة ص ١٢٤.

(٢٦٤)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٤)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (١)، كتاب تذكرة خواص الأمة للسبط ابن الجوزي (٢)، كتاب فرائد السمطين (٢)، كتاب الصواعق المحرقة (٢)، ابن حجر الهيتمي (١)، السبط ابن الجوزي (١)، الحسن بن علي (٢)، محمد بن طلحة (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٦٥

٢٨ - وذكر ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة: إن الامام المهدي (عليه السلام) من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (١).

٢٩ - وذكر ابن طولون الدمشقي في كتابه (الأئمة الاثنا عشر) إن الامام المهدي (عليه السلام) من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٢).

٣٠ - وذكر ابن الصبان الشافعي في كتابه اسعاف الراغبين إن الامام المهدي (عليه السلام) من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٣).

٣١ - وذكر مؤمن الشبلنجي الشافعي في كتابه نور الأبصار إن الامام المهدي (عليه السلام) هو ابن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٤).

٣٢ - وذكر القندوزي الحنفي في ينابيع المودة إن الامام المهدي (عليه السلام) من أولاد الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) (٥).
عظام الأمور عند ظهور الإمام المهدي (عج).

١ - في عقد الدرر أخرج بسنده من الفتن لنعيم بن حماد عن كعب الأحبار (أنه قال): ينزل رجل من بني هاشم بيت المقدس جيشه اثنا عشر ألفاً (قال) وفي رواية قال: جيشه ستة و ثلاثون ألفاً، على كل طريق لبيت المقدس اثنا عشر ألفاً (٦).

٢ - وفي مقدمة ابن خلدون في الباب الذي يذكر فيه أحوال الرجل الفاطمي قال: روى الطبراني في معجمه الأوسط من رواية أبي الواصل عبد الحميد بن واصل ... عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: يخرج رجل من أمتي (وفي نسخة يخرج رجل من أهل بيتي) ينزل الله عز وجل له القطر من السماء وتخرج الأرض بركتها، وتملاً الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس ثم قال: رواة الحديث ثقات (٧).

٣ - ذكر ابن الصبان في إسعاف الراغبين والطبراني والبخاري وجملة من رووا الحديث في كتابه العرف الوردى في أخبار الامام المهدي، وقال:

أخرجه الحاكم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (ص): ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم حتى تضيق الأرض عنهم فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء

١ - الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٧٤.

٢ - الأئمة الاثنا عشر لابن طولون ص ١١٧.

٣ - اسعاف الراغبين لابن الصبان ص ١٤٠.

٤ - نور الأبصار للشبلنجي ص ١٥٤.

٥ - ينابيع المودة للقندوزي ص ٤٥٠ - ٤٥١.

٦ - عقد الدرر حديث ١٩٥ باب ٢٧ وأخرجه أبو نعيم في كتابه الفتن.

٧ - مقدمة ابن خلدون ص ٢٦٥، ومجمع الفوائد للهيثم ص ٣١٧ ج ١.

(٢٦٥)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٥)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي (٢)، كتاب إسعاف الراغبين لابن الصبان الشافعي (٣)، كتاب نور الأبصار للشبلنجي (٢)، الشيخ سلمان البلخي القندوزي (٢)، جلال الدين السيوطي الشافعي (١)، كتاب ينابيع المودة (٢)، الطبراني (٢)، بنو هاشم (١)، كعب الأحبار (١)، آخر الزمان (١)، عبد الحميد (١)، الحافظ أبو نعيم (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٦٦

وساكن الأرض، لا تدخر الأرض شيئاً من بذرها الا أخرجه، ولا السماء شيئاً من قطرها الا صبته، يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانيا أو تسعا (١).

٤ - وفي مقدمة ابن خلدون قال: الذي يهلك قيصر، وينفق كنوزه في سبيل الله هو هذا المنتظر المهدي (عليه السلام) حين يفتح القسطنطينية، فنعم الأمير أميرها ونعم الجيش ذلك الجيش، كذا، قال (ص): ثم قال: ومدته حكمه (وسلطانه) بضع، والبضع من ثلاث إلى تسع وقيل إلى عشر، (قال): وجاء (في بيان مدة سلطانه عليه السلام) ذكر أربعين، وفي بعض الروايات سبعين وأما الأربعون فإنها مدته ومدته الخلفاء الأربعة الباقيين من أهله، القائمين بأمره من بعده على جميعهم السلام. قال (ابن خلدون): وذكر أصحاب النجوم والقرانات أن مدة بقاء أمره و (أمر) أهل بيته من بعده مئة وتسعة وخمسون عاما، فيكون الامر على هذا جاريا على الخلافة والعدل أربعين سنة (٢).

٥ - وفي العرف الوردى قال: أخرج أبو الحسين بن المنادى في كتاب الملاحم عن سالم بن أبي الجعد (أنه) قال: يكون (ملك) المهدي إحدى وعشرين سنة، أو اثنين وعشرين سنة، ثم يكون آخر من بعده وهو دونه وهو صالح أربعة عشر سنة، ثم يكون آخر من بعده وهو دونه وهو صالح تسع سنين (٣).

٦ - وفي العرف الوردى قال: أخرج نعيم بن حماد عن صباح (أنه) قال: يمكث المهدي فيهم تسعا وثلاثين سنة، يقول الصغير: يا ليتني كبرت، ويقول الكبير: يا ليتني صغيرا. وفيه أيضا قال: أخرج نعيم بن حماد عن ابن لهيعة (أنه) قال: يتمنى في زمان المهدي الصغير الكبير، والكبير الصغير وقد بين فيها النبي (ص) حليته وعدله وما يعمل به، وما يلقي المسلمون والإسلام في عصره، وانه يملأ الأرض قسطا وعدلا (٤).

٧ - وفي عقد الدرر أخرج بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): يخرج رجل من أهل بيتي فذكر الحديث، وفي آخره: ويعمل في هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس. أخرجه الإمام أبو عبد الرحمن المقرئ في سننه، وأخرجه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في صفة المهدي (٥).

٨ - وفي كنز العمال من كتب عديده، ولفظه: لا تقوم الساعة حتى يملك الأرض

١ - العرف الوردى في أخبار المهدي ص ٦٥ ج ٢، واسعان الراغبين لابن الصبان، ومصايح السنة للبعوي ج ٢ ص ١٣٤.

٢ - المقدمة لابن خلدون ص ٢٧٣.

٣ - العرف الوردى في أخبار المهدي ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥.

٤ - العرف الوردى في أخبار المهدي ج ٢ ص ٧٨.

٥ - عقد الدرر الحديث ٣٢٢، وسنن المقرئ، والحافظ أبو نعيم في صفة المهدي و كنز العمال ج ٧ ص ١٨٨، وفرائد السمطين للحمويني.

(٢٦٦)

مفاتيح البحث: الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٢)، الحافظ أبو نعيم (٢)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (٢)، أبو سعيد الخدري (١)، سبيل الله (١)، الهلاك (١)، كتاب العرف الوردى في اخبار المهدي عجل الله فرجه (٣)، ابراهيم الحمويني الشافعي (١)، كتاب فرائد السمطين (١)

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٦٧

رجل من أهل بيتي أجلي يملأ الأرض عدلا كما ملئت قبله ظلما، يكون سبع سنين و أخرجه الحموي في فرائد السمطين، عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد ولفظه ولفظ كنز العمال سواء ثم قال: قال الشيخ عبد الرحمن الخدري: الأجلي: الذي قد انجر الشعر عن جبهته إلى نصف رأسه والقنا: احديداب في الأنف.

٩ - وفي غاية المرام للسيد هاشم البحراني، وقد أخرج الحديث. وهذا نصه بحذف السند قال: وعن أبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث فسألنا رسول الله (ص) (فقال): ان من أمتي المهدي يخرج فيعيش خمسا أو سبعا أو تسعا قال قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين (وذكر له تتمه وقال): يجيء الرجل إليه فيقول: يا مهدي أعطني قال فيحسني له في ثوبه ما استطاع أن يحمله (ثم قال) قال الحافظ الترمذي في جامعه (بعد ذكر الحديث): حديث حسن وقد روى من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي (ص) (١).

١٠ - وفي الأربعين حديثا لأبي نعيم قال عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) (أنه) قال: يكون من أمتي المهدي ان قصر ملكه فسبع سنين وإلا فثمان وإلا فتسع، تنعم أمتي في زمانه نعيما لم يتنعموا مثله قط، البر والفاجر، ويرسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الأرض شيئا من نباتها (٢).

١١ - وفي عقد الدرر أيضا بسنده عن حذيفة وفيه زيادة وهذا نصه عن حذيفة قال، قال رسول الله: (ص): المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدر، اللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يرضى في خلافته أهل السماء، والطير في الجو، يملك عشرين سنة (٣).

وممن تحدث عن ظهور المهدي (عج) من المعاصرين، عبد العزيز بن باز، رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، قال: إن أمر المهدي، أمر معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به، أمر ثابت، و خروجه حق (٤).

وقد أحصى الشيخ عبد المحسن العباد، عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في محاضراته بعنوان: عقيدة أهل السنة والامر في المهدي المنتظر: أسماء الكثير من الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي (عج) وأصحاب كتب الحديث أيضا، فقال: جملة ما وقفت عليه من أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي عن رسول الله (ص) ستة وعشرون وهم: عثمان بن عفان، علي بن أبي

١ - غاية المرام ص ٧٠٢ للبحراني، والترمذي في الجامع ج ٢ ص ٢٧٠ ط الهندي سنة ١٣١٠ هـ.

٢ - الأربعون حديثا لأبي نعيم.

٣ - المصدر نفسه حديث ٣٣١، والمعجم للطبراني، والمصدر السابق حديث أيضا.

٤ - عن مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٣ ص ١٦١ - ١٦٢.

(٢٦٧)

مفاتيح البحث: الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، الخليفة عثمان بن عفان (١)، كتاب كنز العمال للمتقى الهندي (١)، ابراهيم الحموي الشافعي (١)، أبو سعيد الخدري (٢)، كتاب فرائد السمطين (١)، المدينة المنورة (١)، عبد العزيز (١)، الصدق (١)

صفحة ٢٦٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٦٨

طالب، طلحة بن عبيد الله، عبد الرحمن بن عوف، الحسين بن علي، أم سلمة، أم حبيبة، عبد الله بن عباس، عبد الله بن مسعود، عبد الله

بن عمر، عبد الله بن عمرو، أبو سعيد الخدرى، جابر بن عبد الله الأنصارى، أبو هريرة، أنس بن مالك، عمار بن ياسر، عوف بن مالك، ثوبان مولى رسول الله (ص)، قرّة بن اياس، على الهلالى، حذيفة بن اليمان، عبد الله بن الحارث بن حمزة، عوف بن مالك، عمران بن حصين، أبو الطفيل، جابر الصدفي ثم ذكر فى محاضراته القيمة أسماء الأئمة الذين خرجوا الأحاديث والآثار الواردة فى المهدي (عج) فى كتب العامة. فقال: وأحاديث المهدي خرجها جماعة كثيرون من الأئمة فى الصحاح والسنن والمعاجم والمسائيد وغيرها، قد بلغ عدد الذين وقفت على كتبهم، أو اطّلت على ذكر تخريجهم لها ثمانية وثلاثين، تذكر بعضاً منهم لتفادى الإطالة: أبو داود فى سننه، الترمذى فى جامعهم، ابن ماجه فى سننه، النسائى، المناوى، أحمد فى مسنده، ابن حبان فى صحيحه، الحاكم فى المستدرک، أبو بكر بن أبى شيبة، نعيم بن حماد فى كتابه الفتن، أبو نعيم فى كتاب المهدي وفى الحلية، الطبرانى فى الكبير والأوسط والصغير، الخطيب فى تلخيص المتشابه وفى المتفق والمفترق، ابن عساکر فى تاريخه، ابن سعد فى طبقاته، البيهقى فى دلائل النبوة، وغيرهم مما لا يسعنا ذكرهم رضوان الله عليهم.

وهكذا يتضح لدينا من الأحاديث الواردة فى ظهور المصلح العظيم المهدي (عج)، أنه الإمام الثانى عشر، وأنه ابن فاطمة الزهراء (ع)، وأنه من ذرية الحسين (ع)، وأنه ابن لامام الحسن العسکرى (ع)، وهذه الأحاديث كثيرة ومعتبرة، وبعضها متواتر عند المسلمين جميعاً بمختلف مذاهبهم.

غيبه الإمام (ع) ودور السفراء الأربعة.

اذن، وبعد أن اطّلعنا على طائفة من الروايات، وتعرفنا على أسماء الكثير من رواة هذه الأحاديث، فضلاً عن أمهات الكتب والأسانيد المعتبرة حول الامام المهدي (عج) والظروف التى أحاطت بولادته المباركة، حرى بنا أن نتعرف إلى غيبته (عج)، وبعض من خواص صحابته رضوان الله عليهم، الذين يعرفون بالسفراء الأربعة، فقد كانت للإمام المهدي المنتظر عج غيبتان، غيبه صغرى، وأخرى كبرى: ١ - الغيبه الصغرى: امتدت من ولادته (عج) سنة ٢٥٥ هـ فى حياة أبيه الإمام العسکرى (ع)، الذى عاشه مدة خمس سنوات، وحتى سنة ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ، حيث بدأت كما قلنا بعد ولادته (ع) وانتهت بعد وفاة سفيره الرابع والأخير، على بن محمد السمرى (رض) وقد عاصرت هذه الغيبه حكم المعتمد والمعتضد، والمكتفى بالله والمقتدر بالله، والقاهر بالله من حكام بنى العباس، وكان خلالها يتصل بأتباعه من خلال سفرائه الأربعة وهم:

عثمان بن سعيد العمري الأسدى، ومحمد بن عثمان بن سعيد العمري الأسدى، والحسين بن روح النوبختى، وعلى بن محمد السمرى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

(٢٦٨)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على العسکرى عليهما السلام (٢)، الإمام الحسين بن على سيد الشهداء (عليهما السلام) (١)، السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها (١)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عثمان بن سعيد العمري السمان (٢)، كتاب سنن ابن ماجه (١)، عبد الله بن عباس (١)، الحافظ أبو نعيم (١)، السيدة أم سلمة بن الحارث زوجة الرسول صلى الله عليه وآله (١)، على بن محمد السمرى (١)، أبو هريرة العجلى (١)، الطبرانى (١)، بنو عباس (١)، ابن عساکر (١)، عبد الرحمن بن عوف (١)، الغيبه الصغرى (١)، أبو بكر بن أبى شيبة (١)، عبد الله بن الحارث (١)، طلحة بن عبيد الله (١)، حذيفة بن اليمان (١)، على بن محمد السمرى (١)، جابر بن عبد الله (١)، عبد الله بن مسعود (١)، عبد الله بن عمرو (١)، عبد الله بن عمر (١)، عمار بن ياسر (١)، الحسين بن على (١)، أبو الطفيل (١)، عمران بن حصين (١)، أنس بن مالك (١)، الوفاة (١)

صفحة ٢٦٩

ونظرا لأهمية هذه المرحلة وخطورتها، والغموض الذي يحيط بها عند الكثير من الناس، وتشكيك الغالبية منهم فيها، ولأهميتها في اثبات وجود الإمام الحجّة (عج) شخصيا، وأنه هو الامام المفترض الطاعة، وأنه هو محمد بن الحسن العسكري (ع)، فلنعرف بالسفراء الأربعة، الذين كان يتصل بهم الامام المهدي (عج) وتصل بواسطتهم الأوامر والتوجيهات والوصايا إلى أتباعه وشيعته الذين كانوا يعيشون مرحلة السريّة والكتمان، ويعانون الاضطهاد والإرهاب السلطوي الدموي من قبل حكام بنى العباس، فلقد كانت هذه المرحلة من أشد مراحل الفوضى والاضطراب السياسي، والقهر والملاحقة والسجون والقتل لاتباع أهل البيت (ع).

فقد ورث الإمام العسكري (ع) عن أبيه الهادي (ع) جهازا من الوكلاء والقيمين والممثلين في كل الأمصار الاسلامية، فقد كانوا يشكلون الركائز الأساسية لبنية هيكل الأتباع والأنصار والمتعاطفين وورث كذلك من أبيه (ع) الإدارة الفكرية والعقائدية والسياسية، وقد عمل الإمام العسكري بكل جهده على تثبيت وترسيخ ذلك كله وتنميته، ليسلمه إلى ولده محمد المهدي (عج)، فاستمر الامام المهدي (عج) على نفس النهج السري وإدارة جهاز من الأتباع والوكلاء المتكتمين على عملهم ودعوتهم الفكرية والعقائدية والفقهية، القائمة على أساس الأصالة الاسلامية، لذا فقد عين السفراء الذين يتصل بهم، تعيينا سريا، وليشكلوا حلقة الاتصال بينه وبين أتباعه، لثلا يكشف وجوده للحكام الذين كانوا يبحثون عنه، ويسعون للقضاء عليه بكل وسيلة خسيسة ووصفت بعض النصوص الدالة على الغيبة، صعوبة تلك الفترة كما بينا، وقلّة المؤمنين فيها، كما في حديث الرسول الأكرم (ص)، قال: ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني، حتى يقول أكثر الناس ما لله في آل محمد حاجة، ويشك آخرون في ولادته (... ١). وفي حديث آخر عن رسول الله (ص) قال فيه: تكون له غيبة وحيرة تضل فيه الأمم (٢) وفي حديث عن علي بن أبي طالب (ع) يصف فيه حالة الشيعة وصفا دقيقا يثير فيها الألم والأسى في نفوس المؤمنين، قال (ع): للقائم منا غيبة أحدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعى، فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه، ولم يغش قلبه لطول غيبة امامه، فهو معي في درجتي يوم القيامة (٣).

ترجمة ملخصة عن السفراء الأربعة (رض).

السفير الأول:

- ١ - عثمان بن سعيد العمري، يكنى أبا عمرو السمان، ويقال له الزيات الأسدي، وهو جليل القدر، ثقة له منزلة عظيمة عند الطائفة، حظى برضى الأئمة وتوثيقهم له عند توكله من قبلهم (ع) والسمان: قيل إنه كان يتجر بالسمن تغطية على الامر، وكان
- ١ - راجع كمال الدين ج ١ ص ٣٠٢، البحار ج ٥١ ص ٦٨.
- ٢ - كفاية الأثر ص ٦٦ ط جديده.
- ٣ - كمال الدين ج ص ٣٠٣.

(٢٦٩)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام (٣)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (١)، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (١)، أبو طالب عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، عثمان بن سعيد العمري السمان (١)، يوم القيامة (١)، بنو عباس (١)، الكتمان (١)، كتاب كفاية الأثر للخزار (١)

صفحة ٢٧٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٧٠

الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد (ع) ما يجب عليهم حمله من الأموال، أنفذوا إلى أبي عمرو ليحمله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد (ع) تقيه وخوفا (١) فالعمري رضوان الله تعالى عليه لم تعرف سنة ولادته، وسنة وفاته الا أنه يحتمل أنه توفي بعد خمس سنوات من استلامه السفارة، وله من الأولاد اثنان: وهما: محمد وهو السفير الثاني كما يأتي، وأحمد (٢). وقد توكل للأئمة

الهادى والعسكرى والمهدى (ع)، وقام بدور الواسطة بينهم وبين قواعدهم الشعبية الموالية، حيث ينقل إليهم أسئلتهم و أموالهم الشرعية بالكيفية السابقة الذكر، ويأتيهم بأجوبة الرسائل توجيهات أئمتهم (ع) (٣) وقبره على ما جاء فى (الغيبة) للطوسى: بالجانب الغربى من مدينة السلام - يعنى بغداد - وهو يزار ويقع فى منطقة الميدان فى أول الموضع المعروف بدرج جبله ببغداد.

٢ - السفير الثانى محمد بن عثمان بن سعيد العمري: يكنى أبا جعفر له منزلة جليله بعد أبيه عند الإمام صاحب الزمان (عج). حيث استلم الشيخ العمري السفارة بعد وفاة أبيه، وقام مقامه بناء على كتاب التعزية والتولية الصادر عن الإمام الحجّة (عج). وعن أبى نصير هبه الله قال: مات فى آخر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمئة، وقيل سنة أربع وثلاثمئة، وإنه كان يتولى السفارة نحو من خمسين سنة يحمل الناس إليه أموالهم ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذى كان يخرج فى حياة الحسن العسكرى (ع) وإن قبر أبو جعفر - السفير الثانى - محمد بن عثمان عند والدته (٤).

٣ - السفير الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختى: وهو أحد السفراء والنواب الخاصين بالامام المهدى (عج) توفى الحسين بن روح فى شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمئة هـ وله قبر يزار فى النوبختية فى الدرب الذى كانت فيه دار على بن أحمد النوبختى النافذ إلى التل (منطقة سوق الشورجى بجانب الرصافة ببغداد).

٤ - السفير الرابع على بن محمد السمرى: أو السيمرى، أو الصيمرى، المكنى بأبى الحسن، تولى السفارة من حين وفاة أبى القاسم بن روح عام ٣٢٦ إلى أن لحق بالرفيق الأعلى عام ٣٢٩ فى النصف من شعبان، فتكون مدة سفارته ثلاثة أعوام وقبره يزار فى منطقته سوق السراى فى جانب الرصافة ببغداد.

ويمكن لنا وبصورة موجزة التعرف إلى الأسباب الموجبة لانتهاء دور السفارة بالنقاط التالية.

١ - بالرغم من سرية دور السفارة وكتمانها عملاً بسياسة التقيه، التى حفظت لنا مذهب أهل البيت فى أحلك الظروف وأكثرها إرهاباً: فقد بدأ أمر السفارة وأخبارها ونشاطاتها يتفشى تدريجياً فى أوساط أعوان السلطة وجلالوتها، الذين

١ - بتصرف، عن رجال الشيخ ٣٨٩ و ٤٠١، وابن داود ص ١٢٢، بهجّة الآمال ج ٥ ص ٣٣٣.

٢ - الغيبة للطوسى ص ٢٥٦.

٣ - المصدر نفسه ٢١٧.

٤ - راجع الغيبة للطوسى ص ٢٢٣.

(٢٧٠)

مفاتيح البحث: الإمام الحسن بن على العسكرى عليهما السلام (١)، الإمام المهدى المنتظر عليه السلام (١)، عثمان بن سعيد العمري السمان (١)، الحسين بن روح النوبختى (٢)، شهر جمادى الأولى (١)، النصف من شعبان (١)، على بن محمد السمرى (١)، شهر شعبان المعظم (١)، مدينة بغداد (١)، على بن أحمد (١)، محمد بن عثمان (١)، القبر (٢)، الموت (١)، التقيه (١)، الوفاة (٢)

صفحة ٢٧١

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٧١

راحوا يرصدون جميع تحركات الموالين، لعلمهم يتمكون من معرفة الوكلاء وإلقاء القبض عليهم واجهاض نشاطاتهم.

٢ - ومن الأمور التى استوجبت الغاء السفارة: هو وجود الكثير من ضعاف النفوس الذين استغلوا حالة العمل السرى، المتصف بسياسة التقيه، ليجعلوا من أنفسهم وكلاء للإمام الحجّة (عج) ويجمعوا الناس من حولهم بهذه الحجّة المفتعلة، بهدف كسب الأموال، وإحراز مكانة اجتماعية مرموقة لهم، أمثال الشريعى، والنميرى، والحلاج، ومحمد بن نصير، وأحمد الكرخى وغيرهم: ممن يحملون عقائد فاسدة ويدعون لإباحة نكاح الذكور فى أديبارهم، وهذا ما حمل الامام (عج) على التصدى لهذا التبار المنحرف ووضع حد له بإلغاء

دور الوكالة (١).

٣ - ان ظاهرة ظهور الوكلاء المزيّفين تركت انعكاسات نفسية، وآثارا سلبية على نفوس المؤمنين وزرعت الشكوك في أوساطهم.
٤ - كان السفراء الأربعة (رحمهم الله) يتصفون بقوة الايمان وشدكات التقوى، وصلابة الموقف، بحيث لو كان المهدي (عج) متخفيا بين أذيالهم - آنذاك لما كشفوا عنه حتى لو قرضوا بالمقاريض.

لهذه العوامل مجتمعة أنهى الإمام (ع) دور السفارة، و أوكل الامر إلى الفقهاء والعدول المتصفين بالعدل والتقوى المخالفين للهوى والمطيعين لأمر المولى (٢).

نقول: ان الغيبة الصغرى كانت كافية لاثبات وجود المهدي (عج) بما يصل إلى الناس عن طريق سفرائه وغيرهم من البيئات والبيانات، كما أوجبت بكل وضوح أن يعتاد الناس على غيبة الامام ويستسيغون فكرة اختفائه. وهو آخر جزء من التخطيط العام الذي سار عليه الأئمة (ع) و أصحابهم ليستوعب الناس فكرة الغيبة الكبرى وكون الامام المهدي (عج) مذخورا إلى اليوم الموعود.

وعلاوة على كل تلك فإننا ننقل رسالة الامام المهدي (عج) إلى السفير الرابع على بن محمد السمرى في أيامه الأخيرة من سفارته: قال الامام المهدي (عج).

بسم الله الرحمن الرحيم، يا على بن محمد السمرى، أعظم الله أجرك فيك.

فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توصى إلى أحد، فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور الا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جورا، وسيأتى لشيعتى من يدعى المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفينانى والصيحة، فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (٣).

فترى الإمام المهدي (عج) قد أكد في هذا البيان على أمور:

١ - راجع الغيبة للطوسى ص ٢٤٤ - ٢٤٦.

٢ - الغيبة الطوسى ص ١٧٧ - ٢٤٠.

٣ - راجع كتاب تاريخ الغيبة الصغرى للسيد الشهيد محمد الصدر ص ٦٣٣ - ٦٣٤.

(٢٧١)

مفاتيح البحث: على بن محمد السمرى (١)، الغيبة الصغرى (٢)، الغيبة الكبرى (١)، محمد بن نصير (١)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (١)، الكسب (١)، التقيّة (١)، الشهادة (١)

صفحة ٢٧٢

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٧٢

الامر الأول: اخباره بموت الشيخ السمرى فى غضون ستة أيام، وهو من الاخبار بالغيب الذى تقول الشيعة بإمكانه للامام. وقد غدا عليه أصحابه بعد ستة أيام فوجدوه (رض) وجود بنفسه محتضرا.

الامر الثانى: نهيه عن أن يوصى إلى أحد، ليقوم مقامه، ويضطلع بمهام السفارة بعد وفاته.

الأمر الثالث: أنه لا ظهور الا بأمر الله، وهذا معناه الغموض الذى يكتنف تاريخ الظهور، وايكال علمه إلى الله وحده وارتباطه بإذنه عز وجل.

الامر الرابع: الإشارة إلى أن أحد الغيبة التامة الكبرى سوف يكون طويلا مديدا (١).

الامر الخامس: الإشارة إلى قسوة القلوب، والمراد به ضعف الدافع الايمانى، والشعور بالمسؤولية، والمشاركة على الانحراف، بل سقوط أغلب أفراد المجتمع المسلم فيه.

الامر السادس: الإشارة امتلاء الأرض جورا وظلما وفسادا.

الامر السابع: إثبات ظهور السفيناني والصيحة، وإنه أمر حق لا محيص عنه قبيل خروج المهدي (عج) وظهوره، وهذا ما نطق به الكثير من الأخيار من الفريقين ورواها محدثوا كلا الفريقين.

الامر الثامن: إن من ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو مفتر كاذب (٢).

الآيات الكريمة التي تبشر بظهور المهدي (عج).

١ - قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمه معدودة ليقولن ما يحبسها الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) (٣).

٢ - قال تعالى: (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور و ذكرهم بأيام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور) (٤).

٣ - قال تعالى: (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا * ثم رددناه لكم الكرة عليهم * ... ان أحسنتم لأنفسكم وان أسأتتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) (٥...).

٤ - وقال تعالى: (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا و صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو

١ - راجع الغيبة الصغرى محمد الصدر ص ٦٢٤ - ٦٣٦.

٢ - المصدر نفسه ص ٦٣٧ - ٦٣٩.

٣ - هود: الآية ٨، تفسير على بن إبراهيم في البحار للمجلسي ج ٥١ ص ٤٤.

٤ - إبراهيم: الآية ٥. المصدر نفسه ص ٤٥.

٥ - الاسراء: الآية ٥ - ٧ المصدر نفسه ص ٤٥ و ٤٦.

(٢٧٢)

مفاتيح البحث: الكرم، الكرامة (١)، العزة (١)، السجود (١)، العذاب، العذب (١)، الغيبة الصغرى (١)، على بن إبراهيم (١)

صفحة ٢٧٣

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٧٣

يحدث لهم ذكرا (١).

٥ - وقال تعالى: (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون) (٢).

٦ - وقال تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) (٣).

٧ - وقال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) (٤).

٨ - وقال تعالى: (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور) (٥).

٩ - وقال تعالى: (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور) (٦).

١٠ - وقال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) (٧).

١١ - وقال تعالى: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) (٨).

١٢ - وقال تعالى: (اقتربت الساعة) (٩ ...).

١٣ - وقال الله تعالى: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (١٠).

١٤ - وقال تعالى: (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (١١).

١٥ - وقال تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (١٢).

١٦ - وقال تعالى: (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها) (١٣).

١٧ - وقال تعالى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة و

١ - طى: الآية ١١٣ المصدر نفسه ص ٤٦.

٢ - الأنبياء: الآية ١٢ المصدر نفسه ص ٤٦.

٣ - الأنبياء: الآية ١٠٥ المصدر السابق ص ٤٧.

٤ - الحج: الآية ٣٩. المصدر السابق ص ٤٧.

٥ - الحج: الآية ٦٠. المصدر السابق ص ٤٧.

٦ - الحج: الآية ٤١. المصدر السابق ص ٤٧.

٧ - النمل: الآية ٦٢. المصدر السابق ص ٤٨.

٨ - الشورى: الآية ٤١. المصدر السابق ص ٤٨.

٩ - القمر: الآية ١. المصدر السابق ص ٤٩.

١٠ - الصف الآية ٨ المصدر السابق ص ٤٩.

١١ - الصف الآية ١٣ المصدر السابق ص ٤٩.

١٢ - التوبة: الآية ٣٣. المصدر السابق ص ٥٠.

١٣ - الحديد: ١٧ - الغيبة للطوسى، فى البحار ص ٥٣.

(٢٧٣)

مفاتيح البحث: الزكاة (١)، الصلاة (١)، الحج (٣)

صفحة ٢٧٤

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٧٤

نجعلهم الوارثين) (١).

١٨ - وقال تعالى: (فإذا نقر فى الناقور) (٢).

١٩ - وقال الله تعالى: (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٣).

٢٠ - وقال تعالى: (وأشرق الأرض بنور ربها) (٤) ٢١ - قال تعالى: (فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين) (٥).

٢٢ - وقال تعالى: (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا قل انتظروا انا

منتظرون) (٦).

٢٣ - وقال تعالى: (ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين * يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم

وانتظر انهم منتظرون) (٧).

فيه (عج) من سنن الأنبياء (ع).

١ - عن إكمال الدين: عن أبى عبد الله (ع) قال: ان مثل القائم مثل صالح (ع) فى غيبته عن قومه (٨).

٢ - عن إكمال الدين، عن أبى عبد الله (ع): يقول: فى القائم سنة من موسى بن عمران (ع) وهى خفاء مولده وغيبته عن قومه (٩).

٣ - عن اكمال الدين عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: في صاحب هذا الامر أربع سنن من أربعة أنبياء: سنه من موسى وسنه من عيسى وسنه من يوسف وسنه من محمد (ص)، فأما من موسى، فخائف يترقب، وأما من يوسف فالسجن وأما من عيسى فيقال:

انه مات ولم يمت، وأما من محمد (ص) فالسيف (١٠).

٤ - عن إكمال الدين، عن سعيد بن جبیر قال: سمعت سيد العابدين علي بن الحسين (ع) يقول:

في القائم منا سنن من سنن الأنبياء (ع)، سنه من آدم، وسنه من نوح، وسنه من إبراهيم، وسنه من موسى، وسنه من عيسى، وسنه من أيوب، وسنه من محمد (ص) فأما من آدم ومن نوح فطول العمر، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى فالخوف، والغيبه، وأما من عيسى، فاختلف الناس

١ - القصص: الآية ٥. الغيبه للطوسي، في البحار ص ٥٤.

٢ - المدثر: ٨ راجع الغيبه للنعماني، في البحار ج ٥١ ص ٥١.

٣ - فصلت: الآية ٥٣، الكافي، وفي البحار للمجلسي ج ٥١ ص ٦٢.

٤ - الزمر: الآية ٦٩ البحار ج ٥١ ص ٥٨.

٥ - الدخان: الآية ١٠.

٦ - الانعام: الآية ١٥٨.

٧ - السجدة: الآية ٢٨ - ٣٠.

٨ - اكمال الدين، والبحار ج ٥١ ص ٢١٥.

٩ - الكمال الدين، والبحار ج ٥١ ص ٢١٥.

١٠ - اكمال الدين، والبحار ج ٥١ ص ٢١٧.

(٢٧٤)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، الإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، النبي موسى بن عمران عليه السلام (١)، الأنبياء (ع) (٢)، أبو بصير (١)، سعيد بن جبیر (١)، الموت (١)، السجود (١)

صفحه ٢٧٥

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٧٥

فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد فالخروج بالسيف (١).

٥ - عن محمد بن مسلم قال: دخلت على أبي جعفر (ع) وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد (ص) فقال لي مبتدئا: يا محمد بن مسلم ان في القائم من آل محمد (ص) شيها من خمسة من الرسل: يونس بن متى، ويوسف بن يعقوب، وموسى، وعيسى، ومحمد (ص) فأما شبيهه من يونس فرجوعه من غيبته وهو شاب بعد كبر السن وأما شبيهه من يوسف بن يعقوب فالغيبه من خاصته وعامته، واختفاؤه من اخوته واشكال أمره على أبيه يعقوب (ع) مع قرب المسافة بينه وبين أبيه وأهله وشيعته، وأما شبيهه من موسى فدوام خوفه وطول غيبته وخفاء ولادته وتعب شيعته من بعده، بما لقوا من الأذى والهوان، إلى أن اذن الله عز وجل في ظهوره ونصره، وأيده على عدوه، وأما شبيهه من عيسى فاختلف من اختلف فيه حتى قالت طائفة منهم ما ولد، وقالت طائفة مات، وقالت طائفة قتل وصلب.

فأما شبيهه من جده المصطفى (ص) فخروجه بالسيف، وقتل أعداء الله وأعداء رسوله (ص) والجبارين والطواغيت، وأنه ينصر بالسيف

والرعب، وأنه لا ترد له رايه، وأن من علامات خروجه السفيناني من الشام وخروج اليماني، وصيحه من السماء في شهر رمضان و مناد ينادى باسمه واسم أبيه (٢).

٦ - عن سدير الصيرفي قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب، على مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمد (ع) فرأيناه جالسا على التراب، وعليه مسح خيبري مطوق بلا-جيب، مقصر الكمين وهو يبكي فقلنا: يا بن رسول الله كرمنا وشرفنا بإشراكك إيانا في بعض ما أنت تعلمه من علم قال: إن الله تبارك وتعالى أدار في القائم منا ثلاثة، أدارها في ثلاثة من الرسل، قدر مولده تقدير مولد موسى (ع)، وقدر غيبته غيبه عيسى (ع)، وقدر إبطاءه تقدير إبطاء نوح (ع) وجعل من بعد ذلك عمر العبد الصالح أعنى الخضر دليلا- على عمره، فقلت: إكشف لنا يا بن رسول الله عن وجوه هذه المعاني، قال: أما مولد موسى فإن فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده أمر بإحضار الكهنة، فدلوه على نسبه، وأنه يكون من بني إسرائيل، ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من [نساء] بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفا وعشرين ألف مولود، و تعذر عليه الوصول إلى قتل موسى لحفظ الله تبارك وتعالى إياك، كذلك بنو أمية وبنو العباس، لما وقفوا على أن زوال ملكهم - والامراء والجبابرة منهم - على يد القائم منا، ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل آل بيت رسول الله (ص) وإبادة نسله طمعا منهم في الوصول إلى قتل القائم (عج)، ويأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلى أن يتم نوره ولو كره المشركون.

وأما غيبة عيسى (ع) فإن اليهود والنصارى اتفقت على أنه قتل، وكذبهم الله عز و

١ - اكمال الدين والبحار ج ٥١ ص ٢١٧.

٢ - اكمال الدين والبحار ج ٥١ ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٢٧٥)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله (٢)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (١)، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٤)، النبي عيسى بن مريم عليهما السلام (٢)، النبي نوح عليه السلام (١)، أبو بصير (١)، شهر رمضان المبارك (١)، بنو أمية (١)، يوسف بن يعقوب (٢)، أبان بن تغلب (١)، المفضل بن عمر (١)، محمد بن مسلم (٢)، الشام (١)، القتل (٧)، الموت (١)

صفحة ٢٧٦

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٧٦

جل بقوله: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) (١)، كذلك غيبة القائم (عج) فإن الأمة تنكرها [لطولها]، فمن قاتل بغير هدى بأنه لم يولد، وقائل يقول: انه ولد و مات، وقائل يكفر بقوله: ان حادى عشرنا كان عقيما، وقائل يمرق بقوله: انه يتعدى إلى ثالث عشر فصاعدا، وقائل يعصى الله عز وجل بقوله: ان روح القائم (عج)، تنطق في هيكل غيره، وأما إبطاء نوح (ع) فإنه لما استنزل العقوبة على قومه من السماء، بعث الله عز وجل جبرئيل الروح الأمين بسبعة نويات فقال: يا نبي الله ان الله تبارك وتعالى يقول لك: ان هؤلاء خلأقنى وعبادى ولست أبيدهم بصاعقة من صواعقى، الا بعد تأكيد الدعوة والزمام الحجة، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فاني مثيرك عليه، واغرس هذا النوى فإن لك في نباتها وبلوغها وادراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص، فبشر بذلك من تبعك من المؤمنين. فلما نبتت الأشجار وتأزرت وتسوقت وتغصنت وأثمرت وزهر الثمر عليها بعد زمن طويل، استنجز من الله سبحانه وتعالى العدة، فأمره الله تعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار، ويعاود الصبر والاجتهاد، ويؤكد الحجة على قومه، فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به، فارتد منهم ثلاثمئة رجل وقالوا: لو كان ما يدعيه نوح حقا لما وقع في وعد ربه خلف (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) (٢).

وكذلك القائم تمتد أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة،

الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمن المنتشر في عهد القائم (عج).

وأما العبد الصالح الخضر (ع) فإن الله تبارك وتعالى ما طول عمره لنبوء قدرها له ولا لكتاب ينزله عليه، ولا لشريعة ينسخ بها شريعة من كان قبلها من الأنبياء، ولا لامامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له: بلى ان الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم (عج) في أيام غيبته ما يقدر، وعلم ما يكون من انكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طول عمر العبد الصالح من غير سبب أو جب ذلك، الا لعله الاستدلال به على عمر القائم (عج)، وليقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة؟ (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) (٣).

فضل انتظار الفرج - زمان الغيبة.

١ - عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) قال: قال رسول الله (ص) ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهم لقني إخواني، مرتين، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: لا إنكم أصحابي وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني، لقد عرفتهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من

١ - النساء: الآية ١٥٧.

٢ - هود: الآية ٣٧.

٣ - الكهف: الآية ٩.

(٢٧٤)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، النبي خضر عليه السلام (١)، النبي نوح عليه السلام (١)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (١)، أبو بصير (١)، انتظار الفرج (١)، آخر الزمان (١)، الفرج (١)، الحج (٢)، الصبر (١)

صفحة ٢٧٧

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٧٧

أصلاّب آبائهم وأرحام أمهاتهم: لأحدهم أشد بقية على دينه من فرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضى، أو لثك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة (١).

٢ - عن يحيى بن أبي القاسم قال: سألت الصادق جعفر بن محمد (ع) عن قول الله عز وجل:

(ألم * ذلك الكتاب لا- ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب) (٢)، فقال: المتقون شيعة على (ع)، والغيب: فهو الحجة الغائب. وشاهد ذلك قول الله عز وجل: (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب والله فانتظروا انى معكم من المنتظرين) (٣) فأخبر عز وجل أن الآية هي الغيب، والغيب هو الحجة وتصديق ذلك قول اله عز وجل: (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) (٤) يعنى حجة (٥).

٣ - عن صالح بن عقبه عن أبيه، عن الباقر (ع) عن آبائه (ع) قال: قال رسول الله (ص):

أفضل العبادة انتظار الفرج (٦).

٤ - عن محمد بن حاتم القطان عن حماد بن عمرو، عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) قال: قال النبي (ص) لعلى (ع): يا على ... واعلم أن أعظم الناس يقينا قوم يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبي وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسواء في بياض (٧).

٥ - عن عمرو بن ثابت قال: قال سيد العابدين (ع): من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد (٨).

٦ - عن السندي عن جده قال: قلت لأبي عبد الله (ع) ما تقول فيمن مات على هذا الامر منتظرا له؟ قال: هو بمنزلة من كان مع القائم

في فسطاطه ثم سكت هنيهة ثم قال: هو كمن كان مع رسول الله (ص) (٩).

٧ - عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) قال: لما دخل سلمان رضى الله عنه الكوفة، ونظر إليها، ذكر ما يكون من بلائها حتى ذكر ملك بنى أمية والذين من بعدهم، ثم قال: فإذا كان ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم حتى يظهر الطاهر ابن الطاهر ذو الغيبة الشريد الطريد (١٠).

٨ - عن رفاعه بن موسى ومعاوية بن وهب، عن أبي عبد الله (ع) قال: (قال رسول

١ - راجع بصائر الدرجات، والبحار ج ٥٢ ص ١٢٣ - ١٢٤.

٢ - البقرة: الآية ١ - ٣.

٣ - يونس: الآية ٢٠.

٤ - المؤمنون: الآية ٥٠.

٥ - اكمال الدين، والبحار ج ٥٢ ص ١٢٤.

٦ - اكمال الدين والبحار ج ٥٢ ص ١٢٥.

٧ - اكمال الدين ج ١ ص ٤٠٥، والبحار ج ٥٢ ص ١٢٥.

٨ - المصدر نفسه.

٩ - المصدر نفسه وراجع المحاسن ص ١٧٢ - ١٧٤.

١٠ - الغيبة للطوسي والبحار ج ٥٢ ص ١٢٦.

(٢٧٧)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام (١)، الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (٢)، الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٣)، مدينة الكوفة (١)، أبو بصير (١)، يحيى بن أبي القاسم (١)، معاوية بن وهب (١)، ابن أبي عمير (١)، بنو أمية (١)، الفضل بن شاذان (١)، رفاعه بن موسى (١)، انتظار الفرج (١)، عمرو بن ثابت (١)، صالح بن عقبه (١)، محمد بن حاتم (١)، آخر الزمان (١)، حماد بن عمرو (١)، الشهادة (٢)، الموت (١)، الحج (١)، السكوت (١)

صفحة ٢٧٨

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٧٨

الله (ص): طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه، يتولى وليه، ويتبرأ من عدوه، ويتولى الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي وذوو ودي ومودتي، وأكرم أمتي علي، قال رفاعه: قال: وأكرم خلق الله علي (١).

٩ - عن الحكم بن عيينة قال: لما قتل أمير المؤمنين (ع) الخوارج يوم النهروان، قام إليه رجل [فقال]: يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف وقاتلنا معك هؤلاء الخوارج فقال أمير المؤمنين: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد شهدنا في هذا الموقف أناس لم يخلق الله آباءهم ولا أجدادهم بعد فقال الرجل: وكيف يشهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: بلى قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا فيما نحن فيه، ويسلمون لنا، فأولئك شركاؤنا فيما كنا فيه حقا حقا (٢).

١٠ - عن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (ع) قال: مثل من خرج منا أهل البيت قبل قيام القائم، مثل فرخ طار ووقع في كوة فتلاعبت به الصبيان (٣).

١١ - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) أنه قال ذات يوم: ألا- أخبركم بما لا- يقبل الله عز وجل من العباد عملا الا به؟ فقلت: بلى،

فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، والاقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا، يعنى أئمة خاصة والتسليم لهم، والورع، والاجتهاد، والطمأنينة، والانتظار للقائم ثم قال: ان لنا دولة يجى الله بها إذا شاء، ثم قال: من سر أن يكون من أصحاب القائم، فليتنظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فان مات وقام القائم بعده، كان له من الاجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هينا لكم أيتها العصابة المرحومة (٤).

١٢ - عن أبى بصير عن أبى عبد الله (ع) قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم (ع)، فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل (٥).
وأخيرا:

١٣ - عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله (ع): ستصيكم شبهة فتبقون بلا علم يرى، ولا امام هدى، لا ينجو منها الا من دعا بدعاء الغريق قلت: وكيف دعاء الغريق؟

قال: تقول: يا الله يا رحمان يا رحيم، يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فقلت: يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبى على دينك، فقال: ان الله عز وجل مقلب القلوب والابصار، ولكن قل: كما أقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبى على

١ - الغيبة للطوسى ص ٢٩٠ - ٢٩١ والبحار - ج ٥٢ ص ١٢٩ - ١٣٠.

٢ - المحاسن ص ٢٦٢، والبحار ج ٥٢ ص ١٣١.

٣ - الغيبة النعمانى وراجع البحار ج ٥٢ ص ١٣٩.

٤ - راجع الغيبة للنعمانى والبحار ج ٥٢ ص ١٣٩ - ١٤٠.

٥ - عن الكافى وراجع البحار ج ٥٢ ص ١٤٣.

(٢٧٨)

مفاتيح البحث: الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام (١)، الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (١)، الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليهما السلام (١)، أبو بصير (٢)، عبد الله بن سنان (١)، الحكم بن عيينة (١)، أبو عبد الله (١)، آخر الزمان (١)، الخوارج (٢)، القتل (١)، الموت (١)، الشهادة (١)

صفحة ٢٧٩

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزوينى - الصفحة ٢٧٩

دينك (١).

أحاديث الرسول (ص) فى ظهور السيد المسيح آخر الزمان.

قال رسول الله (ص): ان عيسى سينزل إلى الأرض ويؤمن به أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه اختلافا متباينا، فمن مدعى إلهيته كالنصارى، ومن قال فيه قولا عظيما، وهو أنه ولد ربيّه، وهم اليهود، فإذا نزل قبل يوم القيامة تحقق كل من الفريقين كذب نفسه فيما يدعيه من الإفتراء (٢).

وقال رسول الله (ص) (...): وينزل عيسى بن مريم (ع) عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم:

يا روح الله تقدم صل [بنا] فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض، فيتقدم أميرهم فيصلى (...٣).

وقال رسول الله (ص):... وليسلكن (أى عيسى (ع)، فجاجا حاجا أو معتمرا أو بنيتهما، وليأتين قبرى، حتى يسلم على، ولأردن عليه السلام (...٤).

وعنه صلوات الله عليه وآله...: وينزل عيسى بن مريم عند صلاة الفجر (...٥...)

بيده حربة يقتل المسيح الدجال [الأعور الدجال الذى يخرج من بلاد المشرق] (٦) يهلك الله فى زمانه الملل كلها الا الاسلام (...٧).

- يكسر الصليب، ويقتل الخنزير.. (٨).. ثم يتوفى فيصل على المسلمون (٩).
- وأخيرا قال الرسول الأكرم محمد (ص): ثلاث إذا خرجن (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)، طلوع الشمس من مغربها، المسيح الدجال [الأعور الدجال]، ودابة الأرض (١٠).
- ما جاء في الكتب السماوية حول ظهور السيد المسيح (ع) في آخر الزمان.
- ١ ... [- فكما أن البرق يومض من الشرق فيضئ في الغرب، فهكذا يكون رجوع ابن الانسان (... ١١) . أي أن علامة رجوع المسيح (ع) آخر الزمان يسبقه برق يومض من الشرق فيضئ في الغرب.
- ١ - راجع اكمال الدين ج ٢ ص ٢١ والبحار ج ٥٢ ص ١٤٨ - ١٤٩.
- ٢ - الفتن والملاحم لابن كثير.
- ٣ - وعيسى يصلى خلفه. رواه احمد وابن أبي شيبة والطبراني والحاكم.
- ٤ - الكنز (للحاكم ٤٨٨٥١).
- ٥ - احمد والطبراني والحاكم النيشابوري.
- ٦ - الكنز لابن عساكر.
- ٧ - أبو داود.
- ٨ - ابن أبي شبة في كنزه (٣٨٨٥٥).
- ٩ - أبو داود وزاد أحمد وابن جرير (ويدفونه).
- ١٠ - رواه الترمذى.
- ١١ - إنجيل متى ٢٤ / ٢٧.
- (٢٧٩)

مفاتيح البحث: صلاة الفجر (الصبح) (٢)، الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (٥)، النبي عيسى بن مريم عليهما السلام (٤)، يوم القيامة (١)، أهل الكتاب (١)، آخر الزمان (٣)، الكذب، التكذيب (١)، القتل (٢)، الكرم، الكرامة (١)، الصلاة (٣)، كتاب الفتن والملاحم لابن كثير الشافعي (١)، الحاكم النيسابوري (١)، الطبراني (٢)، ابن عساكر (١)

صفحة ٢٨٠

رجال تركوا بصمات على قسّمات التاريخ - السيد لطيف القزويني - الصفحة ٢٨٠

٢ ... [- ثم رأيت ملاكا آخر قادمًا من الشرق يحمل ختم الله الحي] (... ١).

٣ ... [- أما هذا اليوم فهو يوم فتح روما، وأما السجدة فهي السجدة الوحيدة في الكتاب المقدس كله، التي قال فيها الفاتح المنتصر للذي أراد أن يسجد له عند دخوله المدينة] أي روما، حين يدخلها جيش الإمام المهدي (ع) [لا تسجد لي، بل لله أسجد] (٢).

اذن فالمنعطف التاريخي والتحول الحضاري العملاق، يحصل على يدي الامام المهدي المنتظر (عج)، الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، القائد العظيم الذي يحقق حلم الأنبياء، وينقذ الانسان من ضلالة الجاهلية المقيتة، وظلم الطواغيت المتجبرين ليعيد صياغة البناء الصالح للإنسان على أساس عقيدة التوحيد وقيم الرسالة المحمدية الأصيلة.

ويمكن لنا أن نقول أن دلائل وعلامات، أصبحت توضح أن الانطلاقة الاسلامية قد بدأت وأن التيار الإسلامي والحركة الاسلامية التي سادت أرجاء الأمصار الاسلامية لهي توطئة وتمهيد، وأرض خصبة للانقلاب الفكري والسياسي والاجتماعي الشامل، الذي يقوم على أساس الإسلام الأصيل وإقامة حكم الله في الأرض، وإن ما يشهده العالم اليوم من حالات سقوط الحصون المادية واللاحادية وتهاوى

عروشها: ان هو الا مؤشّر بين وواضح على فشل كل هذه الأنظمة الجاهلية والمبادئ المادية الالحادية، فجاءت هذه البشارة للعاملين في سبيل الله، وبشرتهم باستخلاف الأرض حيث قال الله تعالى:..

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) (٣...).

(وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون..)(٤).

(ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا..)(٥).

(وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم..)(٦).

والحمد لله رب العالمين، وصلواته وتحياته على رسوله الصادق الأمين، وأهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين، سيما مولانا بقيه الله فى أرضه، وحجته على خلقه أجمعين، وجعلنا الله من أنصاره، ومن المستشهدين بين يديه، آمين.

١ - الرؤيا ٢ / ٧.

٢ - سفر الرؤيا - فتح روما -.

٣ - النور: الآية ٥٥.

٤ - الشعراء: الآية ٢٢٧.

٥ - يونس: الآية ١٣.

٦ - النحل: الآية ٨٥.

(٢٨٠)

مفاتيح البحث: الإمام المهدي المنتظر عليه السلام (١)، سبيل الله (١)، الصدق (١)، الضلال (١)، السجود (٤)، الجهل (٢)، الطهارة (١)، الإقامة (١)، العذاب، العذب (١)

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكمم وأنفسكمم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رحمة الله عبداً أحياناً أمرنا... يتعلم علوماً ويعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لأتبعونا... (بناذر البحار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافى بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادى - "رحمة الله - كان أحداً من جهازة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحرى الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشأته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايت المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل

(=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...
- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبية، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحية و...

د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدة مواقع أخرى

ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الدينية كمسجد جمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فاني/ "بنايه" القائمة

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزات الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلمية الحالية و مشاريع توسعه الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائلاً لإعانتهم

- في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ والله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

